

القرطاس

شرح راتب الامام عشر بن عبد الرحمن
بن عقيل القناس باعلوي الحفزي

الامام

برقة الانام وعلم بسلام

عالي بن حسين عبد الله بن حسين بن عمر القناس
باعلوي الحفزي

المنطق سنة ١١٧٤ هـ



القسطاس

شرح راتب الامام عمر بن عبد الرحمن

بن عقيل العطاس باعلوى الحضري

للامام

بركة الأنام وعلم الإسلام

على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس

باعلوى الحضري

المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

الطبعة الأولى

١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م

بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة لأحفاد الشارح

مطبعة المشرق

٦٤ شارع البنية - عمارة البنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الجلال والإكرام والصلاة والسلام على أفضل الرسل والأنام سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مصاييح الغلام (وبعد) فهذا شرح للملحة . لتأثر الشاعر للصوفي الذائق البحر الزاخر الحبيب هلى بن - بن عبد الله بن حسين بن عمر المطاس الشافعى الحضرمى مولدا والمتوفى بالبحرين سنة ١١٧٢ هـ (سنة ١٧٩٥ م) صاحب المطية الحنية و خلاصة وبغية المهتم باسم الله الأعظم واختصر فى سيرة سيد للبشر وديوان الشعر لقلائد الحسان - كتبه بقله البليغ على راتب الإمام المعارف بالله ا البركة القدوة عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم بن عبد الله بن عبد الله ابن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف باعلوى الحضرمى متع الله به للمسمى [النبال وفتح باب الوصال] الذى وضعه وأشار بقراءته بعد صلاة العشاء كل وفى شهر رمضان قبل صلاة العشاء، وصباحا ومساء لمن له همة عالية فى طلب، وهذا الراتب - كما فى للشرح - مشتمل على سبعة عشر ذكرا و (الذكر الأول) أعوذ بالله للسميع للعلم من للشيطان الرجيم «ثلاثة» (« الثاني) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق « ثلاثا » (« الثالث) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض السماء وهو السميع العليم « ثلاثا » .

(الذكر الرابع) بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم «عشرا» .

(الذكر الخامس) بسم الله الرحمن الرحيم «ثلاثا»

(الذكر السادس) بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا على الله «ثلاثا» .

(« السابع ») بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف

عليه « ثلاثا » .

(الذكر الثامن) سبحان الله عز الله سبحان الله جل الله « ثلاثا » .

(« التاسع ») سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « ثلاثا » .

(« العاشر ») سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(أربعا) .

(الذكر الحادي عشر) يا لطيفا بخلقه يا عليا بخلقه يا خيرا بخلقه اللطيف

بنا يا لطيف يا عليم يا خير « ثلاثا » .

(الذكر الثاني عشر) يا لطيفا لم يزل اللطيف بنا فبنا نزل إنك لطيف لم

نزل اللطيف بنا والمسلمين « ثلاثا » .

(الذكر الثالث عشر) لا إله إلا الله « مائة أو سبعين أو أربعين » وتقول

بعد تمام العدد « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » « مرة » .

(الذكر الرابع عشر) حسبنا الله ونعم الوكيل « سبعا » .

(« الخامس عشر ») اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم « إحدى

عشرة » مرة » .

(الذكر السادس عشر) استغفر الله « إحدى عشرة مرة » ثم يقول تائب

إلى الله « مرة » .

(الذكر السابع عشر) يا الله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة « ثلاثا » .

وقد شرحه العلامة الشيخ علي بن عبد الله بالله بارأس شرحا صوفيا مشتملا مع

ختمه صاره على حقائق ودقائق لا يدركها إلا ذائق .

ثم شرحه الإمام المترجم شرحا مطولا ضافيا ، جامعا للشوارد وافيا ،

حافلا بالفوائد والفرائد ، فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار

الرؤية وأقوال أعلام الأئمة السالفين مالا يستغنى عنه طالب شريعة وحقيرة .
وقد سماه « القرطاس » والتزم فيه أن يصدر كل مبحث بما قاله الشارح الأول
بتامه ثم يقف عليه بشرحه الجدير بأن يسمى موسوعة صوفية شرعية جزاء الله
عن العلم وأهله خير الجزاء .

ولم أفت الآن منه إلا على جزئين مخطوطين [أولهما] بعنوان « تنوير
الأول من النصف الثاني من كتاب القرطاس » وقد اشتمل على شرح الراتب
المذكور من أوله لغاية الذكر السابع .

[والثاني] بعنوان الجزء الرابع من كتاب القرطاس وقد اشتمل على شرح
الراتب من ابتداء الذكر العاشر إلى آخره ، ورقمها بخطه السيد سالم بن محمد بن
عبد الله بن محسن بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن عمر
المطاس وقد فرغ من نسخ الأول ليلة السبت آخر يوم من شهر رمضان
سنة ١٣٥٩ ومن الثاني في غرة ذي القعدة سنة ١٣٥٩ بالجبهة الشرقية بحاوه .

أما شرح الذكر الثامن والتاسع فلم نره في هذين الجزئين فلملعه في جزء
ثالث لم يصل إلينا وإن سبق للكلام في التسبيح والحمد والتهليل والتكبير في
غير موضع من الجزئين .

وكان في النسخة الخطية أخطاء فصحيحناها بقدر الطاقة . وتسمناها ووضعنا
تراجم للمباحث التي ليس لها تراجم في الأصل ليعلم القارئ ما في هذا الشرح
من المباحث والفوائد التي يمسر الوقوف عليها لولا هذه التراجم التي سينوه عنها
في فهرس آخر الجزء المطبوع واتصرونا على ذلك .

ونسأله تعالى أن يحزل المشوبة والرضوان لصاحب الراتب وشارحيه ولمن يعنى
بالعلم والعمل بما في الشرحين ولمن يسعى في نشرهما بين الأنام إنه تعالى خير
مستول وأكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وعلى آله وأصحابه وللمتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

بسم الرحمن الرحيم

قال العبد الحقير الفقير إلى الله (علي بن حسن بن عبد الله بن حسين
 بن عمر العطاس) : أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس
 الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ، الحمد لله الذي تعالى
 عن أن يحيط به الأوهام والأفهام والأجاس . وتقدس عن أن تدركه الحس
 الحواس ، وتنزه عن أن يكيفه التخمين والتحديد والحصص والقياس ، وعن
 أن تحويه الجهات الست أو يكون له بها تماس ، نحمده ، ونشكره على فضله
 العظيم الذي لنا به تجل وفيه انفاس ، وهو الذي تفضل علينا بالإيجاد
 ثم بالإمداد بالمعارف التي صفا منها لنا الكأس ، وخص الخواص من أصفياه
 بأن جلا عن قلوبهم جلايب الأغلاس ، وهذا هم لطاعته من بين سائر
 الأجفاس ، وفضلهم بالاعتراف بالضعف والافتقار والذل والعجز والإفلاس ،
 وأصلى وأسلم على رسوله محمد وآله وصحبه المطهرين عن الأدناس والأرجاس ،
 صلاة وسلاماً داعمين عدد ما ترشح السائق المياس^(١) ، وأينمت بجاني أثمار
 الأشجار نحو إلى الانقاس^(٢) .

(وبعد) فهذا النصف الثاني من كتابنا المسمى بالقرطاس . نذكر فيه
 الفوائد الجليلة . والأذكار الفضيلة . والرواتب المغنية عن الأعوان والأجناد
 والحراس . والموائد العظيمة والموائد السكرية . والزوائد الجسيمة . والفرائد
 الوسيمة ، التي لا تقاس بمقياس . وأثمار القرائح وإبراز النصائح . وادرار
 المنائح . وأنوار اللوائح الجليلة لجميع الاشكالات والانتباس . ومنافع الأسماء

(١) السائق : اللزق ، المياس : المتبحر .

(٢) كذا بالأصل .

الحسنى ذوات الحل الحلى . المنيعة كل شئى والغنى . للزيلة لكل عفا وخوف
 وإيجاس . مما ورد فى (سائل راتب) سيدنا ومولانا الوالد عمر بن عبد الرحمن
 ابن عقيل المطاس . لقصد بذلك . إن شاء الله التقرب إلى باب الوهاب
 للكریم . البر الرحیم . لتجاوز الحليم . بخدمة لهذا الإمام الكامل العظيم .
 والمهام الفخيم . وإن . كن أهلا لذلك . ولا محلا لنا هناك . فالظن جميل
 فى على جناب الأنجاس . للقادة الأطياب . أن لا ينجيوا طلاب العقاة الطلاب .
 إذا وقفوا لهم على باب . فهم أهل الجود وإكرام الوفود . ومحجهم منهم
 معدود . وبهم مشهود . وفيهم مخفود^(١) . وإن كن مقصر^(٢) ومطروود^(٣) .
 ومتعديا للحدود . كمال الرسول الحدود . فى حديثه المشهور المشهود « المرء
 مع من أحب » وقال عليه السلام : « من أحب قوماً ووالاهم حشر معهم يوم
 القيامة » . وقال عليه السلام : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله .
 والبغض فى الله » فيا من بشائر بها تنبأ السدود . وبها تنفى العمود . وقد
 قال القائل فى نظمه المهور :

لى سادة من عز أقدامهم فوق لجباه
 إن لم أكن منهم فلى فى قوسهم عز وجاه

وقال آخر :

أحب الصالحين ولست منهم
 وأبغض من بغضه المصاصي
 ولكن أرتجى منهم شفاعة
 وإن كنا سواء فى البضاعة
 فأجابه آخر وقال :

تحب الصالحين وأنت منهم
 رفيق القوم يالحق بالجماعة

(١) المخفود : المحترم .

(٢) وقت عليه بالكون للجمع .

وتسكرة من بضاعته المعاصي حاك الله من تلك البضاعة

وقال آخر :

كفى شرفاً أنى مضاف إليكم وأنى بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا فلي شرف منكم أجل وأشرف

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي نفع الله به : فمن لا يقدر على أن يكون
من أولياء الله عز وجل فليسكن محباً لأولياء الله مؤمناً بهم ، فمسي أن يحشر
مع من أحب الله .

فإننا نتوسل إلى ربنا بجاههم لديه وبحقهم تقدم عليه أن يرزقنا بحبهم
وسلك بنا طريقهم ويكرمنا بكرامتهم ويجعلنا من جئاتهم آمين . ونرجو أيضاً
من الله الكريم البر الرحيم أن يتقبل ذلك وينفع به ويجعله لنا ذخيرة لديه .
ووسيلة إليه . إنه ولي ذلك والقادر عليه . وهو حسي ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

في بركة هذا الراتب وفضله

اعلم وفقنا الله وإياك لمرضاته . وصرف نفائس أوقانتنا في عرائس طاعاته .
وغمرنا بسوايغ نفعاته . وأيقظنا بداعي جذباته . وختم لنا بالحسنى في أسعد
ساعاته — أن هذا الراتب العظيم . والحزب الفخيم . والمثرب المذهب الوسيم .
أعني راتب سيدنا عمر المطاس قد أنطوى على أمرار وأنوار . ومنافع كبار .
وفوائد غزار . يحل قدرها . ويتمذر حصرها . ولا يطامع الإنسان في استيفاء
إيرادها . ولا يتأتى له حصر أعدادها . إلا البعض من أفرادها . والمعدور من
فيض أمدادها . فإن هذا الراتب هو المنحة التي منحها الله الكريم عباده على

يُبد هذا الإمام العظيم . القطب الحائز قصبات السبق والتقديم . ولم نعلم أن سيدنا عمر رضى الله عنه نسب إلى نفسه شيئاً غيره أو أثر أثراً سواه من ورد أو نظم أو نثر . أو رسالة أو مصنف . وأما هذا الراتب فقد نسبته إلى نفسه . حتى قال السيد الإمام عيسى بن محمد الحبشى إنه قد ورد عن سيدنا عمر المذكور نفع الله به كلام كثير في فضائل هذا الراتب : قال وأتى إليه أناس يشكون الجذب وضيق المعاش فأمرهم بقراءته ثم التوحيد المعروف بعده ففعلوا ففرج الله عنهم ببركته .

وقال السيد المذكور أخبرني الثقة عن الشيخ على بن عبد الله بآرأس^(١) تلميذ سيدنا عمر أنه رأى كتاباً فيه أن من واطب على قراءة هذا الراتب المذكور يرجى أن تغفر ذنوبه .

وخكى جماعة من الثقات الأتبات عن السيد علوى بن علوى بن عبد الله ابن مساوى با علوى أنه لما كان في أواخر عمره زار تريم ، وذلك في حياة سيدنا عبد الله بن علوى الحداد نفع الله بهما فحصلت على السيد علوى تعبئة الموت وأشرف عليه . فقال الحبيب عبد الله الحداد يا سيد علوى إن الأجل قد حضر لا محالة . فقال يا سيد عبد الله أدع لى بالمهمة إلى أن أصل بلى « عمد » وأنظر أولادى وأهلى . فقال له الحبيب عبد الله كور قول سيدنا عمر فى راتبه : « يا لطيفاً ، لم تزل أطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل الطف بنا والمسلمين » . إلى أن تصل بلك فعمل السيد علوى بكرر ذلك . ومن حينئذ حصلت له العافية وسار من تريم بكرر ذلك الذكر فى طريقه حتى وصل بلك « عمد » وأقام بها بعد وصوله شهرين . ثم توفى بها رحمه الله .

قلت وبلغنا أيضاً عن الشيخ طي بن عبد الله بارس أن هذا الراتب إذا
خرى في قرية أو محلة كان أماناً لأهلها من الآفات وأنه في حمايته لهم وحراسته
ليامهم من الآفات مثل سبمين فارساً ولا شك في ذلك ولا مرية .

قالوا وكان سيدنا عمر يحب الإسرار بقراءته ويكره شهرته والجهريه .
وذلك لأنه نفع الله به بني أمره كله على اللطف والحنول . وأيضاً غامر أقرب
إلى الإخلاص . وقد قال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون
الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله تعالى (واقصد
في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير) .

قلت والأحسن في قراءة هذا الراتب إذا كانوا جماعة أو أفراداً أن
يتوسطوا فيها بين الجهر والإسرار بحيث يسمع بعضهم بعضاً أقوله تعالى
(ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) .

وحكى لي غير واحد أن أهل محلة من البادية يقال لهم آل مسعود قبيلة من
قبائل « نوح » لهم محبة واعتقاد في سيدنا عمر وانهم كانوا يقرؤن راتبه
هذا أينما نزلوا من الجبال حتى النساء خبهم والصبيان . بل قد نزلت أنا بهم في
باديتهم فرأيت غالبهم يحفظه كما ذكروا . فاتفق أن غزاهم عدو لهم من
البادية في وقت من الأوقات فجاءهم ليأخذوهم في جيش كبير فبينما هم في بعض
الليالي يقرؤن الراتب أتهم الجواسيس من العدو ليلاً ليعلموا بمكانهم
ليصحبوهم . فلما شارفوا مكانهم سمعهم في أثناء قراءتهم يقولون « بسم الله آمنا
بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه » فقال واحد من العدو أنا مشفق عليكم
به نى صحابه لا نغفروا عليهم أبداً . فرجموا إلى أصحابهم ونسكنوا أمرهم .

وكذلك كنت أنا إذا قرأته في المخاوف لا أرى بها بأساً وأخبرني بمض
الحسين أنه قرأه في خوف وأغار عليه جماعة من الحرامية ليأخذوه فقادروا

عليه وهم نحو خمسة عشر . وذلك أنه أمره أن يقرأه الصنو الملامة أبو بكر
ابن الوالد الحسن رحمه الله لما أراد المسيرة من عنده وحده في تلك المخافة .

(قلتُ) وقد شكى إلى جماعة مرة في خوف شديد وزمان عنيد . من
خيفة بطش قوم حراميه . وهم يحيطون بهم من فوقهم . ومن تحتهم . فأمرتهم
بقراءته وقلتُ لهم إذا فات عليكم شيء بعد قراءة هذا الراتب فأنا ضامن به .
فقرؤوه فما رأوا من بأس . ولا راعهم عدوٌّ من الناس . ببركة قراءة ورد
للعطاس . نعمنا الله بصره .

فصل

تقديم الشرح الأول ثم تعقيب بهذا الشرح

اعلم أن للشيخ الأجل على بن عبد الله بارأى نفعنا الله بصره وأعاد عايننا من
بركته وبره قد وضع على هذا الراتب شرحاً فائقاً وللمعانيه مطابقاً لا نقا . يشتمل
على حقائق ودقائق ورقائق وطرائق . لا يفهمها إلا كل ذائق عاشق مطامع على
الحقائق . عارف بالطرائق . لكنه لم يتعرض للتفصيل . مما جاء من آيات
التنزيل . عن الحق الوكيل والأحاديث عن المصطفى الجليل . وأقوال السلف
للصالح من كل قبيل إلا القليل من الجزيل والوجيز من الطويل . بل شرحه
بالوارد الإلهامى من الكلمات المطابقات التى لا يفهمها إلا أهلها نفع الله بهم .
ومن هذا الجنس من كلام الشيخ على المذكور قوله في خطبة شرحه على
كتاب الحكم للمطائبة : وأنا انتظر ما يلقى في الفؤاد من فيض الوداد فأخذه
بلا تقليد اه فافهم لحوى قوله بلا تقليد .

ونحن الآن نورد كلامه بتمامه . ولا نخل بشيء من أحكامه . ولا نتقص
حبلاً من إبرامه . ولا نقصر أصلاً من مراده . ثم نتبعه بذكر ما قصدنا . ونشفعه

بوتر ما أردنا : ليكون هذا الشرح إن شاء الله كاملا شاملا موفيا بالتصود
 لجميع وثلا يكون لشيء من مقاصده تضييع . ولكي يشرب من مشاربه
 للمذبة المضالم والضليع والرفيع والوضيع . والمذور والاستطيع . مما يسره الله
 الكريم اللتان . الموقى الإنسان للاحسان . من الفوائد الحسان . مما ورد في
 الاستمادات والأذكار والأدعية من ذكر فضائلها . وقواضلها ونشر شمائلها .
 وشرح مسائلها .

مقدمة

ونقدم على ذلك كله مقدمة لتسكون بين يدي قدومنا مقدمة . فيها
 خمسة فصول .

الفصل الأول : في الحث على ذكر الله ونشر فضائله .

الفصل الثانى : في منافع الدعاء واتصال وسائله .

الفصل الثالث : في منافع الأوراد والحث على المداومة عليها .

الفصل الرابع : فيه سبع فوائد من آداب الذكر ومسائله .

الفصل الخامس : نذكر فيه من منافع الأسماء ما يحصل به عظيم الأنوار .
 وجسيم المواهب وكريم الأسرار لقائله ، ثم بعد ذلك نلخص في مقصود الكتاب
 وبث فرائضه ونوافله . ونورد فيه من الهدايا . والمطايا ما تقر به المينان لقارئه
 وسامعه ونافله .

الفصل الأول

في فضائل الذكر والحث عليه

(أما الآيات) فقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وصبحوه بكرة وأصيلاً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (أتمم للصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاذكروني أذكركم) وقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله). وقال تعالى (ذلك نلقوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) وقال تعالى (ولذكر الله أكبر). وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب). وقال تعالى (ولا نطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) وقال تعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقال (وأذكر ربك في نفسك الآية). وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له ممة شنة منكنا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي لا يمكن حصرها بل القرآن كله. والحديث جله إنماها سائقان وشائقان إلى ذكر الله قولاً واعتقاداً. وعملاً واعتقاداً فافهم الإشارة من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وصبحوه بكرة وأصيلاً) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذكرات) وقوله (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) واحذر من تقليل ذلك والاعراض عنه أو

التعاضد عن سبيله أو اشتزاز القلب من أهله أو النسيان لفضله فيجري عليك
 القدم في قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى
 الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) . وقوله تعالى
 (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) وقوله تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن
 نقبض له شيطاناً فهو له قرين) . وقوله تعالى (وإذا ذكر الله وحده أشتأرت
 قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وقوله (استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر
 الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) فأنهم والزم
 تسلم وتغنم وتسكروا .

(وأما الأخبار عن المختار) فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام
 مالك بلاغات عنه « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف القارين وذاكر
 الله في الغافلين كمن أخضر في شجر يابس » وفي رواية « مثل الشجرة
 الخضراء وسط الشجر اليابس » وذاكر الله في الغافلين مثل المصباح في بيت
 مظلم وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقمده في الجنة وهو حي . وذاكر الله في
 الغافلين يغفر له بمدد كل فصيح وأعجم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يسير في طريق مسكة فر على جبل يقال له جُحْدان فقال سيروا سبق
 المفردون . فقيل وما المفردون يا رسول الله . قال الذَّاكِرُونَ الله كثيراً
 والذِّكْرَاتُ ، وقيل المفردون من أفردوا الحق عن غيره بمحسن التوحيد في العقائد .
 وحين الاخلاص في الأعمال .

وفي كلام الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا كَيْلَ مر أهلك أن
 يروحوا في كسب الكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه
 الأصوات ما من أحد أودع في قلب سروراً ألا وخلق الله من ذلك السرور
 لطفاً فإذا نزلت نائمة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد

غريبة الإبل فإذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة . وقد علمنا أن ذكر الله أفضل من هذا .

وفي حديث قدمي « يقول الله تعالى أهل ذكرى أهل مجالستي وأهل شكرى أهل زبادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل مصبتي لا أظلمهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم فأبى أحب الثائبين . وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ابتليهم بالمصائب لأظهرهم عن المعائب » .

وورد أيضاً أن الله تعالى أوحى إلى موسى إنى أريد أن أجاورك فلما سمع موسى قام وقعد فأوحى إليه يا موسى إذا ذكرتني فقد جاورتك .

نقله والذي قبله بمض الكبار ، ثم قال وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب قد أنعمت على كثير فدلني أن أشكرك كثيراً . قال أذكرني كثيراً فإذا ذكرتني كثيراً شكرتني كثيراً . وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وذكر البيهقي أيضاً في كتاب شمع الإيمان عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قال موسى يارب ما الشكر الذى ينبغى لك . فأوحى الله عز وجل إليه أن لا يزال لسانك رطبا من ذكرى . وقال مكحول ذكر الله شفاء وذكر للناس داء وقال الشاعر

إذا مرضنا تدأوبنا بذكركم ونترك الذكر أحيانا فننتكس
ونقل أن رجلا قال للحنن يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبى . قال أدبه بالذكر .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه إن أعظمكم هذا الليل أن تسكابدوه ومخلم بالمال أن تنفقوه وجبتكم عن المدو أن تقائلوه فاكثروا ذكر الله عز وجل ، نقله بعض الكبار فى تعليقه له فى فضل الأذكار . ثم قال ومن اتخذ ذكر الله

شماره وأنس به أخيه وأحب ما يحبه فلا يبقى شيء أحب إليه من القيام بأمره
يسر وسهولة وطيب الطبع وسماحة للنفس أئبته أئبته وخصوصاً ذوى الفطرة
القليلة الالتباس والتخبط وأن الامتحان يؤدى إلى العيان .

وقال كعب الأحبار من أكثر ذكر الله فهو برىء من النفاق . وذلك لأن
الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكر الله إلا قليلاً .

وعن أبي بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا ذهب ثلث الليل قام فقال يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه . الحديث أخرجه الترمذى . الراجفة النفخة الأولى
التي يموت بها الخلائق . الرادفة النفخة الثانية التي يحيون بها يوم القيامة .

وعن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أشد الأعمال ثلاثة إعطاء
الحق من نفسك ، وذكر الله تعالى على كل حال ، ومواساة الاخ بالمال

وعن مالك أنه بلغه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال لا تسكثوا
الكلام بغير ذكر الله فتمسوا قلوبكم وإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن
لا تعملون . ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب وأنظروا فى ذنوبكم
كأنكم عبيد فانما الناس ، بتلى ومعا . فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله
على العافية .

وعن عمرو بن عبسة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجداً
ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه الترمذى ، وعن ابن أبى أوفى رضى الله
عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ولا يقول ألفو وبطيل
الصلاة ولا يأنف أى لا يكره أن يمشى مع الأرملة والمساكين فيقضى لهم الحاجة
أخرجه الترمذى . ألفو المذر من القول .

وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ومعنى فقد لنوت . أى قلت ألفو

وهو الكلام للفقى الساطع الباطل المردود . وقيل معناه مات عن الصواب . وقيل معناه تسكمت بما لا ينفع .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض بنادى بعضها بعضاً يا جارة هل مر بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله فإن قالت نعم رأت أن لها بذلك فضلاً . ونفس من غارف أفضل من صلاة الصالح عمره كله .

وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله . ومن تكبر وضعه الله . ومن أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى .

وقال عليه السلام يقول الله أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال عليه السلام من قدم مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عاياه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عاياه من الله ترة . قال الامام النووي ترة بكسر التاء المثناة فوق وتخفيف الراء معناه نقص وقيل تبة .

وعن مما زين جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله إني لأحبك في الله . فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في « دبر كل صلاة » أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

ومن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولدك الله أكبر) قال ذكر المبدأ الله تعالى بلسانه كبير وذكره له وخوفه منه إذا أشفى على ذنب فتركه من خوفه أكبر من ذكره بلسانه من غير زرع عن الذنب أخرجه رزين . وقال صلى الله عليه وسلم من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن . ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن . رواه الثعالبي والواحدى ونقله صاحب كتاب البركة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ظلمونة ملعونة ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومعملًا رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله . قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع .

وقال عليه الصلاة والسلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم فقالوا ما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب . وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي ، وقال عليه السلام كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله تعالى ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارب وددت أن أعلم من تحب من عبادك فأحبه قال إذا رأيت عبدي يكثر ذكرى فأنا أذنت له في ذلك . وأنا أحبه . وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فآخبرني بشيء أنشئت به . قال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله رواه الترمذي ونقله النووي وقال الترمذي حديث حسن .

وعن بعض الحكماء أنه قال ثلاثة تفرج الفصص ذكر الله تعالى ولقاء

الأولياء وكلام الحكماء . وعن أبي قال الحصون ثلاثة المسجد حصن وذكر الله حصن وقراءة القرآن حصن وروى في الخير من غدا إلى المسجد يذكر الله تعالى ويذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله .

وصلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أمرى بى برجل منيب فى نور المشرق قلت من هذا ملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه مطلق بالمساجد ولا يسب والديه . قال بمضى العلماء وهذا حديث مرسل .

وكان داود عليه السلام يقول إلمى إذا رأيتنى أجاوز مجالس القداكرين إلى مجالس النافلين فأكبر رجلى فانها نعمة تنعم بها على .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه . وقال عليه السلام لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله .

وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله . فانظر إلى هذه المنفعة العظيمة . والفائدة الجسيمة وما يدفع الله بالذكر عن الكل .

وقال عليه السلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر من ذكر الله .

وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة .

وقال عليه السلام قال الله تعالى إذا ذكرنى عبدي فى نفسه ذكرته فى

تفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملته وإذا تقرب مني
شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلى
هرواوت إليه . ومعنى بالهرولة سرعة الإجابة .

وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى من شغلته القرآن وذكرى عن
مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله سبحانه على سائر
الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وقال عليه السلام يا أيها الناس ارتموا في رياض الجنة قالوا وما رياض الجنة
قال مجالس الذكر ثم قال اعذوا وروحوا أذكروا الله من كان يحب أن يعلم
عنزله عند الله فليُنظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله
من نفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربّي أصمّني أن يكون نطقى ذكراً
وصمتى فكرة ونظري عبرة .

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكثر ذكر الله فقد رىء من الإيمان أخرجه
الطبراني في مسنده عن أبي هريرة .

وقال أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن
حبّان والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري .

وقال أذكروا الله ذكراً حتى يقول المنافقون انكم مراؤون أخرجه للطبراني
عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال بعض العلماء عند إيراد هذا الحديث وهذه
معمجة له صلى الله عليه وسلم فانه قد ظهر من يقول لهذا كرين الله انكم مراؤون
ويضربونهم ويخرجونهم حتى من المسجد الحرام اه فلا يمد في ترك الذكر
أحد الا المغلوب على عقله .

والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم نوع من أنواع الذكر وسياى

فى اللأ وأكثر ذكرى أكثر لك من الرزق .

ومما كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد فى حرب القادسية أمّا بعد فإن الله عز وجل أنزل فى كل شيء رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين المدل فى للتيرة والذكر لله فلا رخصة لأحد فيهما فى حالة من الحالات ولم يرض إلا بالكثير قلت وأشار عمر فى ذلك إلى قوله تعالى فى الحث على الذكر (يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) وفى الحث على المدل إلى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الآية .
رجعنا إلى تمام كلام عمر فى كتابه .

قال وأمّا المدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ولا فى شدة ولا فى رخاء . والمدل وإن رُئىَ ليناً فإنه أقوى وأطغى للحرب وأقمع للباطل من الجور وإن رُئىَ شديداً انتهى كلام سيدنا عمر بن الخطاب .

وقال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها فى حال للمعسر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً يتمنى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على عقله وأمرهم به فى الأحوال كلها . فقال فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم وقال أذكروا الله ذكراً كثيراً أى بالليل والنهار فى البر والبحر فى الصحة والسقم فى السر والملاينة .

وقال مجاهد الذكر للكثير أن لا تنساه أبداً نقله للبغوى فى تفسيره .

وقال بعض العلماء فيقرب الساعة يقل ذكر الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة فى الأرض من يقول الله الله فاغتنم أيها القادر على ذلك فقل

لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد خلق الله بدوام الله .
وقال الفضيل بن عياض بلغنا أن الله يقول ابن آدم أذكرني بمد الصبح
ساعة وبمد العصر ساعة أكفك ما بينهما .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وصليا أو صلى ركعتين جميعا كتبنا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات رواه أبو داود .

وقال بعض العلماء إن الله تعالى يقول أيما عبد أطلمت على قلبه فرأيت
الغالب عليه التمسك بذكرى توأيت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيبه .

وروى الامام البيهقي بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام
عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه
حتى يعود إليه ورجلان نجايا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله
عز وجل ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه .

وقال الحسن البصري الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله تعالى .
ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله .

وقال الغزالي ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا ذاكر الله .
وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه يرفقه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا
على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها ، ونقل النووي من كتاب ابن السني
عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل إذا أوى
إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول لك اللهم اختم بخير ويقول الشيطان
اللهم اختم بشر فإن ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك بكلوه .

(وأما فضيلة مجالس الله كره) فقد قال عليه السلام ما جلس قوماً مجلساً يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ، وقال أيضاً ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مقفورا لكم ذنوبكم قد بدلت حيثانكم حسنات ، وقال أيضاً ما قدم قوم مقعداً لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم خسارة يوم القيامة ، وقال أيضاً المجلس الصالح يكفر من المؤمنين أنى ألف مجلس من مجالس السوء . وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء يترأون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله كما يترأ النجم للفائر في الأفق .

وقال الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين رضى الله عنهما إن الصاعقة تصيب للمؤمن والكافر ولا تصيب ذاكر الله عز وجل وما من شيء أحب إلى الله ممن يسأله ولا يدفع القضاء إلا الله .

وفي كتاب بستان المعارفين للإمام النووي قال قال الإمام الشافعي رضى الله عنه أفضل الأعمال ثلاثة ذكر الله ومواساة الأخ وإنصاف الناس من نفسك بمعنى أن هذه الثلاثة من أفضل الأعمال لأنها من أشق الأشياء على النفوس وفي الحديث أفضل الأعمال ما أكرهتم عليه النفوس .

وقال كعب الأحبار لو أن ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه .

وقال الربيع بن خيثم رأيت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع للماليم خاف واستترجع عن ذنوبه وانصرف

إلى منزله وما عليه ذنوب فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخاف على الأرض تربة أعز عليه من مجالس الذكر ذكره حجة الإسلام القزالي في الأحياء .

وفيه أن صاراً راهب رأى مسكينة للظفارية في المنام وكانت من الموابيات على خلق الذكر : فقال مرحباً يا مسكينة . فقالت هيهات هيهات ذهبت للمسكنة وجاء الغنى فقال له فقالت ما تسأل عن أبيحت له الجنة بمذاخيرها قال فبم ذلك قالت بمجالس أهل الذكر انتهى .

وفي تهذيب النووي روي عن سعدان بن نصره قال قال سفيان بن عيينة قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين ولما بلغت خمس عشر سنة قال لي أبي يابني قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاختلط بالخير تكن من أهله واعلم أنه لن يسمد بالعلماء إلا من أطاعهم فأطعهم تسمد واخدمهم تقتبس من علمهم فجلت أميل . إني وصية أبي ولا أعدل عنها اه وقال سفيان بن عيينة أيضاً إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول للشيطان الدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فإيهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ها هنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً قال فإذا رأيتم قالوا رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض الأخبار المرفوعة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله قال الذين إذا رُؤوا ذكر الله عز وجل ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكركم .

وفي كتاب الفصول المهمة في مناقب الأئمة من آل الرسول من كتاب
عيون الأخبار لابن قتيبة عن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى بن عمران عليه السلام لما
تأجى ربه قال يارب أبعيد أنت فأناديك أم قريب فأناجيك . فأوحى الله إليه
يا موسى أنا جليس من ذكرني . قال موسى يارب إني أكون في حال أجلك أن
اذكرك فيها . قال يا موسى اذكرني على كل حال .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال لما نزلت (والذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله) كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
أسفاره فقال بعض أصحابه نزلت في الذهب والفضة ولو علمنا أي المال خير
أخذناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر
وزوجة صالحة تمين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي .

وفي حديث آخر أخرجه أبو داود قال لمعروء ألا أخبرك بخير ما يكتنز
المعروء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها
حفظته .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقعد
مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من
اعتق أربعة من ولد إسماعيل . ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من
صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من أن اعتق أربعة أخرجه
أبو داود .

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي
الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين

في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قريبا يذكرون الله تعالى نادوا
 هلموا إلى بنيتكم فيجبون فيحفون بهم إلى سماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى
 على أي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يمدونك ويمجدونك
 وبسبحونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني فيقولون
 لو رأوك لكانوا أشد لك تسبيحا وتحميدا وتعجبا فيقول لهم من أي شيء
 يتمودون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها
 فيقولون لو رأوها كانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول وأي شيء يطلبون
 فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها
 لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنني قد غفرت لهم
 فيقولون فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما مر حاجته فجلس فيقول وله قد
 غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم أخرجه الشيخان والترمذي .

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث فضيلة الذكر
 وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركه ، وفضل مجالسة الصالحين
 وبركتهم ،

ذكر القلب وذكر اللسان

ثم قال قال القاضي عياض وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر
 باللسان وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع لأذكار وأجلها الفكر في
 عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياترسمواته وأرضه . ومنه الحديث
 خير الذكر الخفي والمراد به هذا والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهي
 فيمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه ، وأما ذكر اللسان
 مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث .
 ثم قال قال القاضي وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر

القلب واللسان أيهما أفضل ثم قال القاضي والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتلهيلاً وشبههما وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخلق الذي ذكرناه أولاً فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله . وإنما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فإن كان لاهياً فلا ، واحتج من رجع ذكر للقلب بأن عمل للسر أفضل ومن رجع ذكر اللسان قال إن العمل فيه أكثر فانه زاد باستعمال اللسان فافتضى زيادة أجر ، ثم قال قال القاضي واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها . وقيل لا يكتبونه لانه لا يطالع عليه غير الله تعالى ثم قال شيخنا النووي قلت الصحيح أنهم يكتبونه وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده والله أعلم .

وقال الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الفشيري في رسالته المشهورة أعلم أن الذكر ركن قوى في طريق الحق سبحانه بل هو المدة في هذه الطريقة ولا يصل أحد إلى الله عز وجل إلا بدوام الذكر ، قال والذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذكراً بلسانه وقلبه فهو السكامل في وصفه في حال سلوكه ثم روى عن شيخه أبي علي أنه يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن ساء الذكر فقد عزل . وقال بعضهم إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفته إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والمظلة فإذا وقع بصره على الجلال والمظلة خرج عن حسه ودعوى نفسه ويحصل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع مالم يسمع ويفهم مالم يفهم .

وقال ذو النون المصري من ذكر الله ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وسئل الشيخ أبو عثمان فقيهل ما لنا نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة .
فقال أحمداً الله على أن زين جارحة من جوارحك بطاعته .

قلت أشار إلى ذلك الشيخ أحمد بن محمد بن عطاء الله الشاذلي^(١) في كتاب الحكم حيث يقول لا تترك الذكر لمدم حضورك مع الله تعالى فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره فمسي أن يرفئك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود حضور رفع إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز .

وعن أبي موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت أخرجهُ الشيخان .

الذكر غير مؤقت بوقت ولا مقيد بحال

وقال الأستاذ أبو القاسم في رسالته : ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت . بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله فيه إما فرضاً وإما ندباً . قال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ . قال الإمام ابن فورك رحمه الله : معنى قياماً أى بحق الذكر ، وقعوداً عن الدعوى فيه .

وقال القشيري : ومن خصائص الذكر أنه جمل في مقابلة الذكر له يعنى

(١) هو الإمام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الحذاق السكندري الشاذلي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ .

لذا كر ، قال تعالى : ﴿ اذكروني اذكركم ﴾ ، وفي خبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : « أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم » ، فقال : وما ذاك يا جبريل ، قال : قوله ﴿ اذكروني اذكركم ﴾ .

قراءة القرآن أفضل الأذكار

وقال الإمام النووي : اعلم أن للذهب المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار ، قال : وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ذكره في التبيان . وقال في كتاب الأذكار له : اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار وأكثر كدها ، فينبغي المداومة عليها فلا يخلو عنها يوماً ولا ليلة وبحصل أصل القراءة بقراءة الآيات التليدة .

قال : وقد روينا في كتاب ابن السني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ في يوم وليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين » الحديث . وقد قال تعالى : ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله إلى قوله ... يرجون تجارة لن تبور ﴾ وقوله : ﴿ أنزل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾ الآية .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ، ولكن أقول الف حرف ولام حرف وميم حرف » أخرجه الترمذي وصححه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا القرآن واقرءوه وقوموا به فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل

مكان . ومثل من تعلمه ورقده عنه وهو في جوفه كمثل جراب أو كي على مسك «
أخرجه الترمذى عن أبي هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قام بمشر آيات لم يكتب من الغافلين
ومن قام بمائة آية كتب من القانتين . ومن قام بألف آية كتب
من المنقطين » .

وقال على كرم الله وجهه : من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له
بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف
خسون حسنة ، ومن قرأه خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف
خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف
عشر حسنات .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وقال
صلى الله عليه وسلم : « من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة . ومن جعله وراء
ظهره ساقه إلى النار » الحديث .

وقال من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ، ومن
قرأها كانت له نوراً يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل عبادة أمتي
تلاوة القرآن » .

وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن البكري في كتابه : « نتائج التمسك في
حقائق الذكر » في أثناء كلام له نقله بعض العلماء : ألا ترى الحداد إذا أدخل
حديدته ليحجمها في النار بعد أن كانت قاسية وباردة تراها محمرة اللون بعد أن
كانت سوداء مظلمة ، وأضاء نورها وقوى إشراقها وانفدح شررها ، فالاستغراق
في المذكور بالتخلي عن السوى والتعلى بشهود نهوت ذى الجلال مستغرقاً له
فيها تذهب أوصاف البشرية بما يكسبه الذاكر من أنوار المعارف القدسية

غيبديل وصفه وتنغير حُلَّاه . وتشرق أنوار علاه . فهناك تذهب الرسوم ويتجلى
الحى القيوم وإلى ذلك الإشارة بقولى :

أنوار ذاتك أشرقت فى ذاتى فعبت عن كونى وكل صفاتى
وخرجت عن كل الوجود حقيقة لجمال وجهك فأتى الله ذاتى
إنتهى كلامه المبكرى .

وقال سهل بن عبد الله التستري : ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى
« عبدى ما أنصفتنى ! أذكرك وتنسأنى ، وأدعوك إلى وتذهب إلى غيرى ،
واذهب عنك البلاء وأنت متمسك على الخطأ ، يا ابن آدم ما تقول غداً
إذا جئتنى » ، وقال أبو سليمان : أن قيماناً فى الجنة فإذا أخذ القاكرون فى
الذكر أخذت لللائكة فى غرس الأشجار ، فربما يقف بعض اللائكة فيقال له
لم وقفت فيقول فتر صاحبه .

وقال الحسن البصرى : تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء : فى الصلاة والذكر
وتلاوة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق . وزاد غيره وعند
الصدقة وبالأشجار .

وقال سفيان الثوري : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن
الذكر ، وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع « أى
الشيطان » كما يصرع الإنسان إذا ادنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين ،
فيقولون : ما لهذا الشيطان فيقال قد مسه الإيس . وقال سهل : ما أعرف مصيبة
أفبح من نسيان هذا الرب ، وأنشد الشبلى :

ذكرتك : لا أنى نسيك لحظة وأبسر ما فى الذكر ذكر الهان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخلق هان
فلما أراى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجوداً بكل مكان

نظاميت موجوداً بغير تكلم ولا حظت معلوماً بغير عيان

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

وإن شئت أن تحظى بقلب منور نقي عن الأغيار فأعكف على الذكر

وواظب عليه في الظلام وفي الضياء وفي كل حال باللسان وبالسر

فإنك إن لازمته بتوحيده بدا لك نور ليس كالشمس والبدر

ولكنه نور من الله وارد أتى ذكره في سورة النور فاستقر

أراد بقوله في سورة النور قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾

الآية فاتهم .

وقال أيضاً :

والذكر لازمه وواظبه على صر الزمان مع الحضور الأجمع

اشتغال الراتب على جميع أنواع الذكر

(فإن قلت) حقق لي جميع أنواع الذكر الذي وردت فيه هذه الفضائل

واختص بهذه المنافع الجليلة في العاجل والآجل . (قلت) : اعلم أن جميع

أنواعه قد شتمها واحتوى عليها هذا الراتب العظيم البركة أعني راتب سيدنا

عمر للنفس من كل هلكة . فإنه لم يترك نوعاً من أنواع الذكر إلا دخل فيه

كما يعرف ذلك من تأمله وبالله التوفيق .

(فإن قلت) لم اختار سيدنا عمر غالب أعداد هذا الراتب ثلاثاً ثلاثاً .

سبب جعل أعداد الراتب ثلاثاً

(قلت) : لما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً

أخرجه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد الكلمة ثلاثاً لتمقل عنه أخرجه الترمذى ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى صلى جزور بنى فلان فيضنه بين كتفى محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وضمه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهره ، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى أنطلق إنسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تستمهم ، فلما قضى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاث مرات ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاثاً ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال اللهم عليك بفلان وفلان إلى آخر الحديث أخرجه الشيخان والنسائى .

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك يقولها ثلاث مرات رواه أبو داود .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على بعيره خارجاً يريد سفرأ كبير ثلاثاً ، ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا الآية إلى آخر الحديث . فافهم سر الثلثيات فى غالب أعداد هذا الراتب .

(فإن قلت) فهل وردت هذه الأعداد فى جميع تلك الأذكار المذكورة فى هذا الراتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هو من اختيار سيدى عمر (٣ - ١١ قرطاس)

نفع الله به . (قلت) : بل هي جميعها مما وردت بها الأحاديث الصحيحة الصريحة كما يعلم ذلك من ٤ إطلاع ومعرفة بالسنة وكما سترى تحقيق ذلك في مواضعه من هذا الشرح مبسوطاً محرراً إن شاء الله تعالى .

وأيضاً فقد كان سيدى عمر للذكور ممن يكلمه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة في البقعة بل كان لا يفعل شيئاً ولا يتركه إلا بأمره لأنه في مقام الوراثة والنباية عن جده . وقد قدمنا أول الكتاب في فصل الحكايات ما روينا عنه ، أنه كما نقل الشيخ أبو العباس المرسى ، فيما حكى عنه الشيخ ابن عطاء أنه قال : لو احتجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسى من المسلمين ، بل زاد سيدنا عمر على ذلك فقال : كيف يحتجب عنا وهو عين وجودنا صلى الله عليه وسلم اهـ .

وسياتى إن شاء الله تعالى في ذكر فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآخر هذا الشرح عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرائى^(١) صاحب كتاب اليهود واليزان وطبقات الصوفية الكبرى أن بين الولي وبين الآخذ عن رسول الله في البقعة وسماع صوته مشافهة من قبره بالرد عليه عائناً ألف مقام وسبعة وأربعين ألف مقام وتسعة تسعين مقاماً ألف ألا واحداً . ثم قال من ادعى هذا اللقام طالبا أن يتكلم معنا على هذه المقامات فإذا رأيتاه لا يعرفها كلها كذبتاه اهـ .

ونقل الشعرائى أيضاً عن الشيخ أحمد الزواوى أنه كان يقول طرقتنا إن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصير بحالنا بقعة ونصحه مثل الصحابة رضى الله عنهم ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها وما لم يقع لنا ذلك فلنا من الأكثرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

(١) من علماء الصوفية وندبانية أبي شعرة من قرى المنوفية بالفطر المصري وتوفى بالقاهرة

وقال الشعرائي أيضاً كان الشيخ أبو العباس للرمي الذكور بصلى الصلوات
 الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أيضاً وكذلك كان أخى
 أفضل الدين رحمه الله وقال أيضاً لاني سمعت سیدی علی الخواص تقع الله به
 يقول لا يحق لأحد قدم الولاية الحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه
 وسلم وبالحضر والياس عليهما السلام وقد درج الصادقون كلهم على ذلك
 ولا يقدح فيه إنكار بعض المحجوبين .

وكان مالك بن دينار يقول من لم يجالس للنبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر
 وعمر فقد خابت عزلة قیل له وكيف ذلك قال يدرس القرآن بالتدبر وينظر في
 أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعال أصحابه وأقوالهم فن فعل ذلك فقد
 حادث الله تعالى وحادث رسوله صلى الله عليه وسلم وحادث أصحابه رضى الله
 عنهم فافهم وتزم تظم وتسلم والله أعلم وأحكم ، والصلاة والسلام على
 رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اللهم يا حكيم يا حلیم يا علی يا عظیم وقفنا للممل
 بكل خلق كريم واصرفنا واصرف عنا كل خلق ذميم .

وقد حكى عن عبد الواحد بن زيد قال مررت في بعض البلاد بشيخ أسمى
 مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج بصرع في كل وقت والزناير تنهش
 من لحمه والدود ينثأر من جوانبه وهو يقول الحمد لله الذي عاقاني مما ابتلى به
 كثيراً من خلقه قال فتقدمت إليه وقلت له يا أخى وأى شيء عافاك منه والله
 ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك . قال فرفع رأسه وقال لى يابطال إليك عنى
 حقانه عاقاني إذ أطلق لى لساناً يوحدہ وقلبا يعرفه وفى كل لحظة يذكركه .

فائدة

قال الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد النفرى فى شرح الحكم وقد وصف
 الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء

الناس فقيل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) يعنى خالصاً فسمى الخالص كثيراً . وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى . ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الإخلاص ووجود رياء للناس . فقال تعالى (يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) يعنى غير خالص .

فائدة أخرى

قال الشيخ داود الشاذلى في كتابه [اللطيفة المرضية] الذى شرح به حزب البحر للشيخ أبى الحسن الشاذلى نفع الله بهما : اعلم أن الله تعالى كاف الخلق أجمعين بطاعته ونهاهم عن كل معصيته قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) . جاء في التفسير مرفوعاً هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر وقال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) الآية . وقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ثم قال وفى ذلك أعظم دليل على أن الله كافنا أن نخرج عن كل ذنب نهانا عنه وأن نفعل كل طاعة أمرنا بها ، والكتاب والسنة مشحونان بذلك .

خاتمة

نحتم بها هذا الفصل الذى أشار إلى قطرة من بحر فضائل ذكر الله تعالى الشهيرة ومنافعه الكثيرة وفيها فوائد .

قال حجة الإسلام الفزائى فى كتاب الأربعين الأصل . واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال وسكن له أيضاً قشور ثلاثة من حيث حال الذكر وإخلاص نيته وصفاء طويته أو الضد من ذلك . وأما صيغة الذكر فهى واحدة وإنما الفرق بين أحوال الداعين أن بعضهم أقرب

إلى قلب من بعض . وله لب من وراء القشور الثلاثة ، وإنما فضل القشور
تسكونها طريقاً إليه . فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط ، والثاني ذكر القلب
إذا كان القلب يحتاج إلى المراقبة حتى يحضر مع الذكر ولو تركه وطببه لاستمر
في أودية الأسكار ، والثالث أن يستمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث
لا يحتاج إلى تكلف مراقبة ولا يصرفه عن الذكر صارف إلى غيره كما يحتاج
في الثاني إلى تكلف في قراره معه ودوامه عليه ، والرابع وهو الباب أن يستمكن
المذكور من القلب ويستولى عليه وينصق الذكر وينحن وهو الباب المطلوب
وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق المذكور جملة .
ثم قال بعد كلام ذكره هناك فإذا فهمت الفناء في المذكور فاعلم أنه أول
طريق وهو الذهاب إلى الله تعالى وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب
تسكفاً ثم ذكر القلب طبعاً ثم استيلاء المذكور على القلب وإنما الهدى بعده
وأعنى بالهدى هدى الله تعالى وهو الذي أشار إليه بقوله (إني ذاهب إلى ربي
سبيدين) فأول الأمر ذهاب إلى الله ثم ذهاب فيه وذلك هو الفناء في الله
والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق أولاً يكون كبرق خاطف قل أن يثبت
ويدوم فإن دام ذلك وصار عادة راسخة . وهيئة ثابتة عرج به إلى العالم الأعلى
فطالع الوجود الحقيقي الأسمى فإذا صار كذلك انطبع فيه نقش الملكوت
وتجلى له قدس اللاهوت وأول ما يمتثل له من ذلك العالم جواهر اللائكة
وأرواح الأنبياء والأولياء في صور جميلة بفيض الهى يرى بواسطتها بعض
الحقائق وذلك في البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال فيسكن في بصريح الحق
في كل شيء وذلك حقيقة الهدى فإذا نظر إلى هذا العالم المجازى الذى هو
كالظلال نظر إلى الخلق نظر مترحم عليهم بحرمانهم عن معاملة جمال حضرة
القدس وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم الخيال
فليس يكون معهم حاضراً بشخصه غائباً بقلبه يتمتع بهم ومن حضورهم ويتمتعون

هم من هيئته فهذه ثمرات لباب الذكر وإنما مبدؤها ذكر القلب تسكفاً ثم ذكر القلب طبعاً ثم استيلاء المذكور وانعقاد الذكر ، وهذا سر قوله عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله تعالى بل سر قوله عليه الصلاة والسلام يفضل الذكر الخفي على الذي يسمعه الحافظة سبعين ضعفاً ، ثم قال وأنا عالم أن كل ذكر يشعر به قلبك يسمعه الحافظة فإن شعورهم يقارن شعورك ومادام القلب يشعر بالذكر وينتفت إليه فهو معرض عن الله غير متفك عن شرك خفي حتى يصير مستغرقاً بالواحد الحق فذلك هو التوحيد ، قال وكذلك في المعرفة فمن طلب للمعرفة المعرفة فقد قال بالثاني . ومن وجدها فكأنه لا يجدها بل يجد للعروف بها فهو الذي استمكن من حقيقة الوصال وحل حظيرة القدس ، ثم قال بعد أن شرح الأحوال وضرب الأمثال للرجال الأبطال أهل الوصال والكمال والجمال : فهذه أمور نهت عليها لتسكون متشوقاً إليها إلى أن نصير من أهل الذوق بها فإن لم تكن فمن أهل الدلم بها فإن لم تكن فمن أهل الإيمان بها فيرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . وإياك أن تسكن من المتسكنين لمساكني العذاب الشديد إذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كفت منه تحيد وقيل لك كفت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد انتهى كلام الغزالي . المقيد فتدبره بالنظر الأكيد ففيه كما قال تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وقال عبد الله بن المبارك : من حتم نهاره بذكر الله فهو كن ذكره .
النهار كله .

وقال الشيخ ابن عطاء الله في صدر كتابه مفتاح الفلاح القسم الأول في ماهية الذكر وبيانه : الذكر هو التخلص من الغفلة والتسبان بدوام حضور .

القلب مع الحق، وقيل ترديد اسم للذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر الله تعالى أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء، أو ذكر رسوله أو أنبيائه أو أوليائه أو من ينسب إليه، أو يقترب إليه بوجه من الوجوه، أو يسبب من الأسباب، أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية. قاله الحكماء ذاكر والمدرس ذاكر وللغنى ذاكر والواعظ ذاكر وللتفكير في عظمة الله تعالى وجبروته وآياته في أرضه وسمواته ذاكر والممثل ما أمر الله به وللتبهي مما نهي الله عنه ذاكر.

قال والله قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان، وقد يكون بأعضاء الإنسان. وقد يكون بالجرم والاعلان. والجامع لذلك كله ذاكر كامل وذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو الذكر الظاهر وله فضل عظيم شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار. فنه لا يقيد بالزمان والمكان. قاله قديم بهما كالتذكر في الصلاة وعقبها والحج وقبل النعم وبعد الليقظة وقبل الأكل وعند ركوب القنطرة وطرفي النهار وغير ذلك. وللطلاق وهو ما لا يقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال. منه ما هو ثناء على الله تعالى كافى كل واحدة من هذه الكلمات وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ومنه ما هو ذكر فيه دعاء مثل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا الآية. أو مناجاة، وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد وهو أشد تأثيراً في قلب المبتدئ من الذكر الذي لا يتضمن مناجاة لأن الناجي يشعر قلبه قرب من يداجيه وهو ما يؤثر في قلبه وتليه الخشية ومنه ما ذكر فيه رعاية أو طلب دينوى أو أخروى والرعاية مثل قولك الله تعالى معي، الله ناظرى أو ناظر إلى أى يرانى فإن فيه رعاية لمصلحة القلب فإن فيه ذكراً يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه والتحرز من

الذلة والاعتصام من الشيطان الرجيم . وحضور القلب مع العبادات انتهى كلام
ابن عطاء الله نفع الله به .

قائدة لغوية

قال أهل التنية الذكر ذكران ذكر بالاسان وذكر بالجنان . فالذكر بالاسان
ضد الانصات وذاته مكسورة . وذكر بالقلب ضده النسيان وذاله مضمومة قاله
الكسائي ، وقال غيره هما لفتان بمعنى واحد حكاه للاوردي في تفسير سورة
البقرة ونقله الأزهري في شرح أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك .

قائدة

قال بعض العلماء اعلم أن العلماء اختلفوا في الإنسان أى وقت يدخل في
زمره الذكركين الله كثيراً والذاكرات المشار إليهم بقوله تعالى : (والذاكرين
الله كثيراً والذاكرات) فقال قال الواحدى قال ابن عباس المراد أنهم يذكرون
الله أديار للصلوات وغدراً وعشياً . وفي المضاجع وكلما احتيةظ من مدامه وكلما غدا
أوراح ذكر الله .

وقال مجاهد لا يكون منهم حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وقال عطاء من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فيهم ثم قال وهذا
نقل الواحدى وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدرى قال . قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا بقظ الرجل أهله وصلياً أو صلى ركعتين معاً كتباً في الذكركين
الله كثيراً .

وسئل الشيخ أبو عمر بن الصلاح عن الفدر الذى يصير الإنسان به منهم
قال إذا واطب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً وفي الأوقات والأحوال
المختلفة ليلاً ونهاراً وهى مثبتة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذكركين

الله كثيراً ثم قال إن الظاهر والذي يفهم من أقوال الأئمة أن الإنسان إذا صار
الذكر غالب أوقاته فهو من الذاكرين الله كثيراً بالاجماع .

فائدة أخرى

تذكر فيها الحديث الذي قال فيه من نقله من الكبار إنه حديث عظيم
شريف المقدار ينبغي لكل مسلم أن يحفظه لعموم فائدته وميسر حاجة الخلق
كلهم إليه . ومعناه أن الذكر نجاة من الأعداء . قال وهو حديث صحيح رواه
الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المدينية . والترهيب من
الخلال المردية . وبني كتابه كله عليه وجعله شرحاً عليه . وقال هذا حديث
حسن صحيح جداً رواه عن سعيد بن المسيب وعمر بن ذر وعلي بن زيد بن
جذعان وهلال بن جبلة وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن
سميرة بن جندب قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن في صفة
بالدينية فقام علينا وقال رأيت البارحة عجبا رأيت رجلاً من أمي أتاه ملك
الموت ليقبض روحه فجاءه به بوالدته فرد عنه ملك الموت . ورأيت رجلاً من
أمي بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوء فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلاً من
أمي قد احبوسه ملائكة العذاب فجاءته صلواته فاستنقذته من أيديهم ورأيت
رجلاً من أمي يلثم عطاء كلما دأ من حوضي طرد ومنع فجاءه صيام شهر
رمضان فاستقاه وأرواه . ورأيت رجلاً من أمي ورأيت الأنبياء خلقاً خلقاً
كلادنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه جنبى . ورأيت
رجلاً من أمي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة
ومن فوقه ظلمة وهو متعبر فيه فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه
النور . ورأيت رجلاً من أمي يتقى بيده وهج النار وشررها فجاءته صدقته
فصارت سعة بينه وبين النار وظللاً على رأسه ورأيت رجلاً من أمي يكلم

المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته رحمه فقالت يا ممشر المسلمين كان وصولاً لرحمه
فكلموه فكلمه المؤمنون فصاغهم وصاغوه ورأيت رجلاً من أمتي قد
احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيّه عن المنكر فاستنقذه وأدخله
في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله
حجاب فجاءه حُسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلاً
من أمتي قد ذهب بصيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ
صيفته فوضمها بيمينه . ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراده
يعني أولاده الذين ماتوا قبله فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على
شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلاً من
أمتي قد هوى في النار فجاءته دمهته التي بكى بها من خشية الله عز وجل
فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد
السمكة في ريح عاصفة فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعده ومضى . ورأيت
رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويمتلق أحياناً فجاءته صلته
على فأقامته على قدميه وأنقذته ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة
ففلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة

الفصل الثاني

في الدعاء وأحكامه وفضائله

وأقسامه . وما يتملق بذلك

قال الله تعالى (واسألوا الله من فضله) وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني
فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليست بجهنم) والي وأؤمنوا لي لهم
يرشدون) قال الإمام البغوي الإجابة من الله المطاء ومن المبد الطاعة . وقيل

فلستجيبوا لي أي ليستدعوا مني الإجابة . وحقيقته فليطيعوني . ثم قال (فإن قيل) وجه قوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) وأمثالها وقد يدعى كثيراً ولا يجيب (قلنا) قد اختلفوا في معناه فقيل معنى الدعاء ههنا الطاعة . ومعنى الإجابة الثواب ، وقيل معنى الآيات خاص وإن كان اللفظ عاماً . تقديره أجيب دعوة الداعي إن شئت كما قال فيكشف مائدة من إليه إن شاء أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إن لم يسأل محالاً . وفي الحديث يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم أو يستعمل ، قالوا وما الاستعمال يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب ولا أراك تستجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء وقيل هو عام . ومعنى قوله أجيب أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة فأما إعطا الأمانة فليس بذكر فيها . وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنه لا محالة عند حصول الدعوة ، وقيل معنى الآية أنه يجيب دعاءه فإن قدر له ما سأل أعطاه وإن لم يقدر له أدخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه به سوءاً انتهى .

وقال (تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) وقال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني مُمِدُّكُمْ بأنف من الملائكة مُرْسِلِينَ) نزلت يوم بدر لما أُلح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه في الدعاء وقال عز من قائل (فاذكروا فضل الله علىكم فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا

حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله صريح الحساب).

قال علي بن أبي طالب في الدنيا حسنة امرأة سالحة وفي الآخرة حسنة الجنة وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للدنيا كلها متاع وخير متاعها للراة الصالحة ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال تعالى (ما يعقبكم ربى لولا دُعَاؤُكُمْ) وقال تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .

قلت الحمد لله الذي لم يشترط في اجابة دعاء المضطر إذا دعاه الا اضطراره واقتضاره وضعفه وذله وانكساره ولم يشترط ان يكون من المتقين بل قال أمن يجيب المضطر إذا دعاه .

وبهذا حصلت منى النجاة حين استسقيت في سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف وقد بينت ذلك بياناً شافياً في ترجمة قصيدة لى في ديوانى المسنى قلاند الحسان وقرأت الأسان التى مطالها .

ألا يا الله بجاه للظلل بالنامة تولد للمبد وأهدرة وبسر له مرامه ترى ضيقك على الباب عجل بالكرامه

(تبصرة وتذكرة) اعلم انه ورد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا مزيد عليه من التصريح الصريح الصحيح بالوجوب للدعاء والتلميح مثل الفاتحة وغيرها ، وورد أيضاً الأمر بالنوئل إلى الله تعالى بأنبيائه وأسمائه وبالأعمال الصالحة مثل حديث آدم لما قال اللهم إني أسألك بمحمد أن تغفر لى خطيئتي وحديث أصحاب النار الذين سقطت عليهم الصخرة كما أورده البخارى فى صحيحه مراراً وسند كره بلفظه فى فضل تفسير الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشرح إن شاء الله تعالى وغيره .

ما جاء في القرآن من دعاء الأنبياء

والملائكة والمؤمنين

وورد من الآيات ما لا يحصى ولا يحمد ولا يستقصى منه الأدنى دون الأقصى من التعريف بدعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك تحقيق ما حقق به لهم من إنجاز وعده بالإجابة مثل قوله تعالى حاكياً عن آدم وحواء اذ قالَا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقال على لسان نوح عليه السلام (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيئناه وإياه من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) وأمره أيضاً بالدعاء فقال (فإذا أستويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) وقوله (فدعأ ربه أنى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء) الآية وقال على لسان إبراهيم عليه السلام (رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم) (رب أجمعنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا أغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقال على لسان يوسف عليه السلام (ربى قد أتيتنى من اللك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة. توفى مسلماً وألحقنى بالصالحين) ، وقال على لسان أيوب عليه السلام : ﴿ وأيوب اذ نادى ربه إنى مسى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر ﴾ الآية . وقال على لسان داود ومن معه : ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ وقال على لسان سليمان : ﴿ رب هب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بمدى إنك أنت الوهاب ﴾ ، وقال على لسان عيسى : ﴿ اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير

(الرازقين) ، وقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ رب انى لما أنزلت الى من
 خير فقير ﴾ ، ﴿ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ الآيات . وقال على
 لسان يونس عليه السلام : ﴿ وذا النون إذ ذهب مفاضباً فظن أن لن نقدر عليه
 فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا
 له ونجيناها من الغم وكذلك نفجى للمؤمنين . وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركنى
 فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم
 كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ ،
 وقال على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمره أن يدعو به : ﴿ وقل ربى
 أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً
 نصيراً ﴾ وأسمره والمؤمنين من أمته فقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
 وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله
 وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ، ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
 أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمداً
 مالا طاقة لنا به واعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
 الكافرين ﴾ . وقال على لسان التابعين إلى يوم الدين : ﴿ ربنا اغفر لنا
 ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك
 رؤوف رحيم ﴾ ، وقال حاكياً عن ملائكته المقربين وراضياً دعاءهم للمؤمنين :
 ﴿ الذين يمحسون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستقرون
 للذين آمنوا ربنا وسمت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
 وقهم عذاب الجحيم . ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من
 آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق
 السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

فافهم معانى الآيات فإنها إنما وردت للتعليم والإقتداء والتأسى والإعتداء

والإغراء بالدعاء والحث عليه ، وكم فرج الله بالدعاء من كربة ، وكم يسره من طلبه .
وفضائل الدعاء لا تحصى ، فالزمه تظفر إن شاء الله بكل مطلوب وتحظى بكل
مرغوب وتسكنى كل مرهوب في الدنيا والآخرة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ما ورد في الدعاء من الأخبار

وأما الأخبار فقد روى في الصحيح عن أبي ذر للتفاري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال : « يا عبادي
إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ولا تدابروا ،
يا عبادي كلهم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي كلهم جائع
إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلهم عار إلا من كسوته
فاستكسوني اكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر
الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلفوا ضري
فتضروني ولن تبلفوا نفمي فتتفموني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم
وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً ،
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل
واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته
ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا دخل البحر ، يا عبادي إنما هي
أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلمن إلا نفسه » رواه مسلم .

وفي الأحياء قال صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون
كربياً » . وقال : « إذا سألت الله تعالى فأعظموا الرغبة واسألوا للفرح دوس
بالأهل فإن الله لا يتماظمه شيء » .

وفي الإحياء أيضاً أن رجلين كانا عابدين متساويين في العبادة . قال فإذا
دخلنا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول : يا رب ما كان
هذا بأكثر منى عبادة فرفقته على في عليين ، فيقول الله تعالى : إنه كان
يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل
عبد سؤاله .

وفي جامع الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : يا ذا
الجلال والإكرام . فقال : قد استجيب لك فاسأل هكذا ، نقله عنه بعض
العلماء النقات .

ونقل أيضاً من مسند الإمام أحمد قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، فقال : أى الدعاء أفضل ، فقال : أن تسأل ربك المغفور والمغفيرة
في الدنيا والآخرة . ثم أتاه من اللقد فسأله فأجابه بذلك ، ثم أتاه لثالثة فقال
مثل قوله الأول ، ثم قال إنك إذا أعطيتهما في الدنيا والآخرة أفلحت .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من دعا على من ظلمه فقد انتصر » أخرجه الترمذى . قلت : ومعنى انتصر
أى حصلت له النجدة والمعون من الله تعالى على ذلك الظالم فلا يحتاج إلى نصرته
غير الله تعالى .

وقال عليه السلام : « ليس شئ أكرم على الله من الدعاء » .

وقال عليه السلام : « إن العبد لا يخطئه من الدعاء أحد ثلاثة ، إما ذنب
يفقر له ، وإما خير يعجل له ، وإما خير يدخر له .

وقال عليه السلام : « سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة
انتظار الفرج بالصبر » .

وقال عليه السلام : « الدعاء سلاح المؤمن وحماد الدين » الحديث .

وقال عليه السلام : « لا يرد القضاء إلا الدعاء . ولا يزيد في العمر إلا البر » .
وقال : « لا يهلك مع الدعاء أحد » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من عاد مريضاً لم يحضر أجله ، فقال : عنده سبع مرات أسأل الله العظيم
رب العرش العظيم أن يشفيك عافاه الله تعالى من ذلك المرض » أخرجه
أبو داود والترمذي .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري : الدعاء مفتاح قضاء الحاجات وهو
مستروح أصحاب الفاقة وملجأ للضطرين ومتنفس ذوى الألباب . وقد ذم الله
قوماً تركوا الدعاء . فقال (ويقبضون أيديهم) .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة من جملة حديث طويل عنه عليه الصلاة
والسلام قال : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة
المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الله : وعزتي
وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

وقال عليه السلام : « إن الله يحب للمحسين في الدعاء » .

وقال سهل بن عبد الله : خلق الله تعالى الخلق فقال ناجونى فإن لم تفعلوا
فانظروا إلى ، فإن لم تفعلوا فاسموا منى ، فإن لم تفعلوا فلوذوا بياى ، فإن لم تفعلوا
فأنزلوا حاجاتكم بى :

الله يفضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسأل يفضب

وروى الإمام البغوى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل
فيقول : أنا الملك من ذا الذى يدهونى فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه
من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له » .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ الآية » أخرجه أبو داود وهذا لفظه وصححه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة : وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأل المافية وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ولا يرد القضاء إلا الدعاء فمليكم بالدعاء » أخرجه الترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون المبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث دعوات مستجابات لا شك في إجابتهم دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » وقال أيضاً أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال وهو أن يكون صاحبه مضطراً إليه لا بد له مما يدعو لأجله وقال عليه السلام « والذى نفسى بيده إن المبد ليدعو الله ، وهو عليه غضبان فيمرض عنه ثم يدعو فيقول الله تعالى لملائكته أئبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له :

وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب وقيل الدعاء جزء من المعطاء .

وقال السكناوى لم يفتح لسان المؤمن بالممذرة إلا لفتح باب المغفرة .

وقال أبو حازم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد من أن أحرم الإجابة .

وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه » .

وفى كتاب الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « أدعو الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ساه » .

وعن ابن سيرين قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لما فيدعو الله لما من بعدهما فيكتبه الله من البارين » .

وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت وإذا بصاحب القبر يشكي لقد آذيتني منذ الليلة . ثم قال انكم لا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيراً أقرهم السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه فلما انتهى إليها قال اللهم إنهم جياع فأشبههم . اللهم إنهم حفاة فأحلبهم . اللهم إنهم عراة فاكسهم ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبموا أخرجه أبو داود .

وعن عائشة رضى الله عنها قال شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في للصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه قالت فخرج حين بدا حاجب الشمس فقمعد على المنبر فكبر وحده الله ثم قال انكم شكوتهم جدب دياركم واستنخار المطر عن إبان زمانكم وقد أمركم الله تعالى أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا نقيث

وأجمل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ، ثم رفع يديه حتى بدأ بياض أبطيه .
ثم حول إلى الناس ظهره ، وحول رداءه ، وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس
ونزل ، وصلى ركعتين فأنشأ الله سبحانه فرعدت ، وبرقت ثم أمطرت بإذن الله .
تعالى فلم يأت مسجده حتى سالت السيول . فلما رأى سرعتهم إلى السكين
ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأنى عبده
ورسوله » أخرجه أبو داود .

وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك
مثل ذلك » .

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان « يقول دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة
عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير . قال : الملك الموكل به آمين ولك
مثل ذلك » .

وفي كتاب الترمذى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد
أبلغ في الثناء » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفي كتاب أبي داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال استأذنت
النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن وقال لا تنسني يا أخى من دعائك .
فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا .

وفي رواية أشركنا يا أخى في دعائك . قال الترمذى حديث حسن صحيح
وكان يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه يقول إلهى كيف أدعوك وأنا عاص
وكيف لا أدعوك وأنت كريم .

وذكر الإمام النووي في كتابه الأذكار مما أورده حجة الإسلام في
الاحياء عن الإمام صفيان بن عيينة أنه قال لا يمنن أحدكم من الدعاء
ما يملئه من نفسه فإن الله أجاب شر الخلقين إبليس إذ قال (رب انظرني إلى
يوم يبعثون قال إنك من المنظرين) .

وقال سيدى الشيخ محمد بن محمد بن محمد العمري الخطابي الخزومي القرشي
في كتابه بحر الأنوار إن أردت استجابة الدعاء فمليك بأربعة أشياء . أولها
القوت الحلال . الثانى التوبة . الثالث الاخلاص . الرابع أن لا تدعو بمحرم
قال وأعلم أن من الرجال من يقول : بجوارحنا تقضى حوائجنا . ومنهم من
إذا مر الخاطر له بالقلب استجاب له الرب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم .

وقال الشعراني في المهود . ومن كسب اليدين بسطهما للدعاء . قالت
وأعلم أن الدعاء فرض واجب وحتم لازم بل يجب عيناً على العبد أن يدعو
الله كل يوم سبع عشرة مرة وذلك في قراءة الفاتحة في الصلوات الخمس لأن نصفها
دُعاء ونصفها ثناء فالمعجب كل المعجب ممن يقول السكوت ، والجود أتم منه
فإن قصد بذلك الرضا بما سبق من اختيار الحق فهو حاصل مع الدعاء .

قال الامام أبو القاسم القشيري في رسالته وقال قوم يجب أن يكون العبد
صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه لياتى بالأمرين جميعاً هـ .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى في شرح الرسالة ، ولم يزل العلماء
الراضون بقضاء الله الواقع يسألون الزيادة وذلك حسن وقد قال الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم وقل ربى زدنى علماً انتهى كلامه .

وقال الإمام عبد الله الخداد في رسالة المعاونة ، وأعلم أن الدعاء والإلحاح
لا يقدح في الرضا بل هو من الرضا كيف والدعاء معرب عن التحقق بالتوحيد

وهو لسان المعبودية ، وعنوان التحقق بالمعجز والاضطرار والقلة والافتقار ومن تحقق بهذه الأوصاف عرف ووصل وعلى غاية القرب من الله حصل .

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الدعاء منخ للمعبادة وسلاح المؤمن ونور السموات والأرض ، وأن من لا يسأل الله ينضب عليه . وقال مولانا جلت قدرته (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) . وقال تعالى (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم) قال ، وما وقع من الخليل عليه السلام من الإمساك من الدعاء حين طرح في النار إنما ذلك لسر اختص بتلك الحال وإلا فقد حكى الله عنه الدعاء في مواضع عديدة من كتابه بل لم يحك عن أحد من الأنبياء أكثر مما حكى عنه فتفقه في كتاب الله ، واستخرج بالمعوم منه فإنها يحملها مودعة فيه لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جلي ولا خفي . قال الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ٥١ .

قال وحكم الرضا بأفعال الله على وجه الاجمال أن تمتد أن جميع أفعال الله وقمت على وجه لا أحكم منه ولا أعدل ولا أفضل منه ولا أكمل ، وذلك واجب على كل مؤمن . قال وليس من الرضا في شيء ما يجده بعض الأغبياء من الطمأنينة عند ترك بعض المأمورات أو ارتكاب بعض المحظورات فإن فعل الماعصى وترك الطاعات مما يسخط الله تعالى فكيف يرضى هو بشيء لا يرضى به الله . (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه) وإنما يرضى هذا المسكين عن نفسه فظن أنه رضى عن ربه والرضا عن الله وعن النفس بعيد أن يجتمعا في موطن واحد . قال وما أحسن ما قاله الإمام الغزالي رضى الله عنه في رسالته إلى أبي الفتح الدمشقي رحمه الله الرضا هو أن ترضى بما يقبل الله باطناً ، وتفعل ما يرضيه ظاهراً وباطناً انتهى كلام الحداد فاقدر أحسن وأجاد فتدبره تفكر بالرشاد وتسلك سبيل السداد .

وقال الغزالي إن قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له . فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء اهـ .

وفي حديث صحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه بعد التشهد «ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ثم يسلم» .

وعن جابر بن سليم قال : رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه ، قلت من هذا قالوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليك . قال قلت أنت رسول الله قال أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك ، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك الحديث .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بنى سليمان بيت المقدس سأل الله خلا لا ثلاثاً سأله حكماً يصادف حكمه فأوتيه وسأل ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه وسأل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتية أحد لا تنزهه إلا الصلاة إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدت أمه أخرجه للنسائي . تنزهه أى تدفعه وتحركه .

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجازكم الله من ثلاث خلال أن لا يدعوا عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً . وأن لا يظهر الله تعالى أهل الباطل على أهل الحق وأن لا تجتمعوا على ضلالة أخرجه أبوداود ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم اجعل أجمل بالمدينة ضمة فى ماجعلت بمكة من البركة : أخرجه الثلاثة .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى من أسوأمتى شيئاً فشق عليهم فشق عنه . ومن ولى من

أمر أمي شيئاً فرفق بهم فافرق به « رواه مسلم .

فهذه الآيات والأحاديث وأقوال السلف من أدل الدلالات وأوضح العلامات على فضل الدعوات الصالحات وأنها مفتاح باب قضاء الحاجات . وإنما أوردناها مجملات . وهي كما هي مفصلات . وقد استفينا بالفاظها الواضحة . عن الكلام عليها لأنها لا تحتاج إلى شيء من الزيادات .

شروط الداعي

قالوا : ومن شروط الداعي أن لا يستبطيء الإجابة ولا يشك فيها فقد جاء في بعض الأخبار : يبعث الله عبداً فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إلى فيقول بلى وقد رفعتها إليك فيقول الله ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه . لكن أنجزت لك البعض في الدنيا وما لم أنجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذ الآن فيقول العبد : ليتني لم يقض لي حاجة في الدنيا . ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد في شرح الحكم وحكي أن الشيخ يحيى بن سعيد القطان رأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فقال الهى أدعوك فلا تستجيبني ؟ فقال سبحانه وتعالى يا يحيى أحب أن أسمي صوتك ، وقيل في اللغى :

دهوتك مضطراً وأنت سميع وجئتك محتاجاً فكيف أضيع
أنطردني عن باب فضلك سيدي وعندي هل طردى إليك رجوع
فلو كان لي رب سواك قصدته وأى حمى الاحماك من سميع
وانشد سيدي شبيب أبو مدين :

يا من علا فرأى ما في القيوب وما تحت للثرى وظلام الليل منمدل
أنت القيات لمن ضاقت مذاهبه أنت الدليل لمن حارت به الحيل
إنا دهونك والآمال واثقة فالكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فان عفوت فذو فضل وذو كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

وقال بعضهم :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت نضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجيل عفوك ثم إلى مسلم

آداب الدعاء وأوقات الإجابة

(تحقيق وتدقيق) وتنعم وتعليم في آداب الدعاء وأوقات الإجابة مختصر
من كتاب بحر الأنوار للممرى . قال أما آداب الدعاء فهي طهارة الباطن
والظاهر والنياب والبقعة . وخلق المدة وطيب الرائحة وتقديم العمل الصالح
والصدقة وإن قلت : (قلت) وينبغي أن يكون في الغالب بعد صلاة مستجابة
لأن أوقات الصلوات أفضل الأوقات لما روى في كتاب الترمذى ونقله محيى
الدين النووى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أى الدعاء أسمع . قال : جوف الليل الأخير ودُبُ الصلوات للكتوبات
وقال الترمذى حديث حسن .

رجعنا إلى كلام الممرى قال : وأن يكون مستقبل القبلة حانى الرأس مطرفاً
في الأرض مع توجه الهمة بالخشوع وقوة الخضوع بعزم وجزم في حصول
الإجابة . ولا يقل اللهم افعل لى كذا إن شئت فإن الله لا مكره له ، وأن يكون
الدعاء مع الرغبة والرغبة والرفقة والجحافة وهي الخفاة أى الرغبة والرغبة للمبر
بهما عن الرجاء في الله والخوف من الله المشار إليهما بقوله تعالى (ويدعوننا
رغباً ورهباً) يبدى حينئذ بلا تفن ولا نفقة إلا أن يكون في الطبع من غير
تكلف . ولا يدعو بمستحيل ولا بما لا يصح طلبه شرعاً مما اختص به الأنبياء
والرسل والملائكة وأن يؤمن من صممه ثلاثاً وإن يكون في أوقات الإجابة
وأما كتبها المباركة نحو ما فضل من ظرفي الزمان والمكان كسجد ووقت سحر

وعند نزول المطر وليلة الجمعة ويومها وقبل الغروب من يومها وعشية الخميس وساعة الجمعة بين الخطبتين وقبيل أمين من كل مصل ويوم عرفة وعقيب طهر أكبر وأصغر وتوبة وطاعة وشهر رمضان وطرفي الليل ووسطه وعند الاجتماع الحرب والاجتماع على فعل الخير وإقامة الصلاة وفي السجود وبعد التلاوة وعند ختم القرآن خصوصاً من القاريء وعند شرب ماء زمزم وعند تفضيل الميت واحتضاره وبين الجلالتين في سورة الأنعام جرّبه غير واحد وعند بقعة شريفة كعرة والحجر الأسود والملتزم ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل وعند قبور الأنبياء والأولياء سيما عند قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) يعنى وقوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وعند قبر شيخك يعنى إن كان قد مات وإلا فالحى أفضل وفي مكان التعميدات من المساجد لاسيما الثلاثة المساجد وعند الإفطار من كل صوم .

ومن آدابه أن يحمل يديه حذو منكبيه وأن يرفع بطن كفيه ويقلعها عند الاستعاذة كالمستدفع للشر لقوله تعالى (ويدعوننا رغياً ورهياً) وتكون اليدين مكشوفتين في الحالتين . انتهى كلام الصرى :

(قلت) ومن آدابه المهمة للثناء الكثير على الله تعالى وتقديسه وتنزيهه سبحانه عز وجل ، ومن جوامع الثناء الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافى مزيده ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحانه لا نعصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . إل آخره ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ووسطه وآخره .

ومن جوامع الصلاة عليه : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كلما ذكرك وذكره الذاكرون وسهواً وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وأن

تدعو للاخوان في الله الحاضرين والفائزين بما تحب أن تدعو به لنفسك ليقول الملك ولك مثله .

رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا طلبت خيراً لنفسك فاطلبه لغيرك . ورأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا خيراً يا شيخ من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره منه ، وكان بعضهم إذا أراد أن يطلب شيئاً يسأله من الله ليمض الإخوان .

ومن آداب الدعاء وهياته بسط الكف عند الدعاء ، والنظر إلى السماء كما قيل إن السماء للداعي كالكمية للمصلي .

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسترو الجدار . ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار » وسأله الله تعالى بيطون أكنفكم ، ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » أخرجه أبو داود .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبنى النجار ، ونحن معه إذ حادت به بغلته فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة فقال صلى الله عليه وسلم من يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال متى ماتوا قال في الشرك . قال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ولولا أن لا تدفنوا لدعوت الله أن يسممكم من عذاب القبر الذي أمتع منه ثم قال تمودوا بالله من عذاب القبر قالوا نموذ بالله من عذاب القبر . قال تمودوا بالله من عذاب النار قالوا نموذ بالله من عذاب النار . قال تمودوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا نموذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال تمودوا بالله من فتنة الدجال قالوا نموذ بالله من فتنة الدجال أخرجه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد

صالح يدعو له أخرجه الخمسة إلا البخاري . الصدقة الجارية للمستمرة المتصلة كالوقف وما يجري مجراه . فاعلم هذا الحديث ، وما قبله وما بعده فضل الدعاء وأعلم أنه يدفع الإنسان إذا دعا لنفسه في حياته ولو ألد به بد وقتها كما نص عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام إنه حلیم أوام منيب قيل أوام كثير الدعاء .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أتاني جبريل برسالة من ربي أيا رجل صنع إلى أخيه صنيمة فلم يجد لها جزاء إلا الدعاء فقد كافأه .

وعن سليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّها صِفراً أخرجه أبو داود والترمذي . الصفر الذي ليس فيه شيء .

وقال الشيخ محمد الممرى بل يكون مؤثراً أخاه يعني في الدعاء وانظر إلى فائدة الإيثار لما طلب المدهد لفيره الماء للجاجة أراه الأرض كزجاجة وعندما أثر نفسه بحبة هلك ولم ير الفخ .

قال عارف لما طلب موسى حاجة لأهله لهم يصطلون أوصله الله بالوادي المقدس ولما طلب الخضر حاجة لفيره أوصله الله بمد الحياة . وينبغي أن يدعو بما جاء من الدعوات في القرآن ، والسنة أو على السنة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء الصالحين لأن بذلك تحصل الإجابة . وذلك لأن الكلمات المؤيدة بتأييد العناية من أهل النبوة ، والولاية منطوية على خصوصية ، ونورانية وعلى القبول ، وربما كان فيها الاسم الأعظم من حيث لا يعلم ولا يفهم .

وقال بعض الأئمة إياك أن تدعو الله بدعوات من عندك بل تضرع إليه

كما ورد عن نبيك من الدعوات يفتح لك باب الإجابة فإن الدعوات الماثورة
تعرف طرق السماء اه .

خاتمة

قال حجة الإسلام في كتابه الأربعين : ولا تطئن أن معنى الرضا بالقضاء
ترك الدعاء ، بل ولا ترك السهم الذي أرسل إليك فلا تتقيه حتى يهلك مع
قدرتك على دفعه بالترس بل تمبذك الله تعالى بالدعاء بمعنى أنه فرضه عليك
ليستخرج به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب وزقته لتستمد به لقبول
الأنطاف والأنوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل إلى محبوباته بمباشرة
ما جعله سبباً لها بل ترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضائه فليس من
الرضا بالقضاء للمطشان أن لا يمد يده إلى الماء البارد زاحماً أنه رضى بالمعاش
الذى هو من قضاء الله تعالى . بل من قضاء الله تعالى أن يزال المعاش بالماء
وتزال العلة بالدواء . فليس من الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج من حدود
الشرع وترك رعاية سنة الله تعالى أصلاً بل معناه ترك الاعتراض على الله تعالى
إظهاراً وامتثالاً مع بذل الجهد في التوصل إلى محاب الله تعالى من عباده وذلك
بحفظ الأوامر وترك النواهي فافهم ما رقم نغم وتكريم .

(فائدة) قال بعض العلماء ، قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في
طبقات النعاة الصغرى له : رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة وجد بخط
الشيخ محي الدين النووي ما نصه : ما قرأ أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى
عقبها بشيء إلا استجيب له اه . قال ابن خلكان في تاريخه : قال الحافظ
أبو الخطاب ابن دحية : أنشدني يعني عبد الرحمن بن الخطيب الآتي ذكره
بمد الأبيات ، وقال : ما سأل الله أحد حاجته بها إلا أعطاه إياها وكذلك من

استعمل إنشادها وهي هذه :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| يا من يرى ما في الضمير ويسمع | أنت الممدد لكل ما يُتوقع |
| يا من يرجي للشدائد كلها | يا من إليه المشتكى والفزع |
| يا من خزائن رزقه في قول كن | أمنن فإن الخير عندك أجمع |
| مالى سوى فقرى إليك وسيلة | فبالافتقار إليك رى أضرع |
| مالى سوى قرعى لبابك حيلة | ولئن رددت فأى باب أفرع |
| ومن الذى أدعو واهتف باسمه | إن كان فضلك عن عبيدك يمنع |
| إن كان لا يرجوك إلا محسن | فالمذنب العاصى إلى من يرجع |
| حاشا لجودك أن تقطع عاصياً | الفضل أجزل والمواهب أوسع |

قال : وهي من كلام عبد الرحمن بن الخطيب أبى عمر أحمد بن أبى الحسن
أصبح بن حسين بن سعدون بن رضوان الله بن صوح الماتى رحمه الله تعالى .

(قلت) : وأنا العبد الفقير إلى الله على بن حسن العطاس مؤلف هذا
القرطاس قد خست هذه الأبيات مع زيادة [ياربنا] فى كل بيت وزدت بيتاً
بتعظيمه آخرها :

فقرى وضفى واقع . ذلى وعجزى واقع
ربى غنى قادر عز القسوى الأرفع
لما تحقق ذا وذا ناديقه أنضرع
يا ربنا (يا من يرى ما في الضمير ويسمع)
يا ربنا (أنت الممدد لكل ما يتوقع)

يا من لها إن لم تسكنها فى النكالى من لها
جارت هى العبد المكر وبتمضلات خلمها

ناداك لما كل من كل الكلال يحملها

ياربنا (يا من يرجى للشدائد كلها)

ياربنا (يا من إليه للشكوى والمفزع)

يا من هو المبدى المميد لما يريدنا بكن قد قلت إني عند ظن العبد ما شا فليظن

فاطف بنا فاذا لطفت فظننا الأسوا حسن ياربنا (يا من خزائن رزقه في قول كن)

ياربنا (أمنن فإن الخير عندك أجمع)

وعواطف إلا لديك من الأولى بلية هطالها لا ينتهى بنوالها مطلولة^(١)

وأنا الذى لى بافتقارى وصلة موصولة ياربنا (مالى سوى فقرى إليك وسيلة)

ياربنا (فبالافتقار إليك رضى اضرع)

أوصافنا أوصافنا فيها الميوب أصيلة وسناننا مما جرى فى الاجترام كلية

وعيون آمال طوال الإله طويلة^(٢) ياربنا (مالى سوى قرعى لبابك حيلة)

ياربنا (واثن رددت فأى باب أقرع)

يا من بدانا فى الوجود المستبين بملحه وأنا لنا من جوده ما نستسيم بوسمه

وبدا لنا بالחסنات من الصفات وحكمه ياربنا (ومن الذى ندعو ونهتف باسمه)

ياربنا (إن كان فضلك عن عبيدك يمنع)

أنت الذى فضلا واحساناً هلى الأسرى تمن

والمفوع عن أحسن الحسنى عبيدك ما يكن

ودلائل الآيات فوز الحسنين بما حسن ياربنا (إن كان ما يرجوك إلا بحسن)

ياربنا (فالذنب الماصى إلى من يرجع)

فارحم عبيداً فى بيدها للماصى قاصياً قاد الهوى والنفس والشيطان منه نواصياً

وبقا بأرواح الرجالك موصياً متواصياً ياربنا (حاشا لجودك أن تقنط عاصياً)

ياربنا (الفضل أجزل والمواهب أوسع)

(١) كذا هذا البيت بالأصل فيجهرز . (٢) كذا هذا الشطر بالأصل فيلجهرز .

يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا من يفرج بالمواهب كربنا^(١)
يا ربنا يا من يدبر بعدنا أو قربنا يا ربنا يا من يوفقنا إذا شأ شرنا
يا ربنا أنت الإله المستغاث الأنعم

وقال في كتاب زهر الأكام : ذكر الله تعالى في سبع طاعات سبع كرامات
في السجود للقربة قال تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ ، وفي الصيام التيسير قال
تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، وفي الزكاة الفلاح قال
تعالى : ﴿ قد أفلاح من تركي ﴾ ، وفي الحج الأمن من النار قال تعالى : ﴿ ومن
دخله كان آمناً ﴾ ، وفي الجهاد الجنة قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ، وفي الصدقة للتضخيم قال تعالى : ﴿ من
ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ ، وفي الدعاء
الإجابة قال تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ .

الخاتمة لهذا الفصل

في فضل إتمام الدعوات بالأمين وأن الفاتحة التي هي لكل خير فاتحة أفضل
الدعاء وأكمله ، وأوفاه وأجزله ، وأشفاه وأعدله . فيقتبين لك كما قدمناه في أول
الفصل أن الدعاء واجب على الإنسان كل يوم سبع عشرة مرة بعد ركعات
الصلوات الخمس المفروضات وفيها أعنى الخاتمة في الحديث الآخر منها كما
سيأتي أن الجماعة إذا اجتمعوا في غير الصلاة ودعاهم كبيرهم فهم يؤمنون عليه
كما في قراءة الفاتحة في الصلاة وكفى حديث المبالغة إذا أنا دعوت فأمنوا .

أورد الشيخ عبد العظيم المنذرى في كتابه للترغيب والترهيب عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال
الإمام غير المنضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين . فإنه من وافق قوله قول

الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ، رواه مالك والبخاري واللفظ له ومسلم وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه . وفي رواية للبخاري : إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي رواية لابن ماجه والنسائي : إذا أمن القارئ فأمنوا . وفي رواية للنسائي إذا قال غير المنضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين . فإنه إن وافق كلام الملائكة غفر لمن في المسجد .

وفيه آمين تمد وتقصر وتشديد الميم لغة ، قيل هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل معناه اللهم اسمع واستجب أو كذلك فاقبل أو كذلك فليكن .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين » ، رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وابن خزيمة في صحيحه ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك عنده اليهود فقال : « إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على الجمة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قوادنا خلف الإمام آمين » .

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولفظه قال : إن اليهود قد شتموا دينكم وهم قوم حُسد ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث رد السلام وإقامة الصفوف وقولهم خلف الإمام في المكتوبة آمين ، وفيه أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جلوساً فقال : إن الله أعطاني خصالاً ثلاثاً أعطاني صلاة في الصفوف ، وأعطاني التحية إنها التحية أهل الجنة ، وأعطاني التأمين ولم يطمه أحداً من النبيين قبلي إلا أن يكون أعطاه هارون يدعو موسى ويؤمن هارون ، رواه ابن خزيمة في صحيحه من رواية زعيم مولى آل المهلب ، وتردد في ثبوته .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(• - الفرطاس)

« إذا قال الإمام غير المفضوب عليهم ولا الضالين فقال الذي خلفه آمين والنفت من أهل السماء والأرض آمين ، غفر الله لهم ما تقدم من ذنبه . قال ومثل الذي لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فأقرعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فيقول ما لسمي ما خرج قالوا إنك لم تقل آمين » ، رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم .

وفيه أيضاً عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قال الإمام غير المفضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجيبكم الله رواه الطبراني في الكبير ورواه مسلم وأبو داود والنسائي في حديث طويل عن أنى موسى الأشعري قال : إذا صليتم فأقيموا صفوفكم وليؤمكم أحدهم فإذا كبر فكبروا وإذا قال غير المفضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجيبكم الله . وفيه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حدثتكم اليهود على شيء ما حدثتكم على قول آمين فأكثروا من قول آمين رواه ابن ماجه ..

وفيه أيضاً عن أبي مصبح المقرئ قال : كننا نجلس إلى أبي زهير النميري وكان من الصحابة يتحدث أحسن الحديث فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال اختمه بآمين فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة .

قال أبو زهير أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نمشي فأتينا على رجل قد ألح في المسألة ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوجب إن ختم ، فقال الرجل منا بأى شيء يحتم ، فقال بآمين فإن ختم بآمين فقد أوجب فانهرف الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الرجل فقال يا فلان أختم بآمين وأبشر ، رواه أبو داود .

ثم قال المنذرى ومصبح بضم الميم وكسر الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة .

والمقراى بضم الميم وقيل بفتحها والضم أشهر وسكون القاف وراء مهملة ممدودة .
نسبة إلى قرية بدمشق .

وفيه أيضاً عن حبيب بن سلمة الفهرى وكان محاب الدعوة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يجتمع ملائكة فيدعوا بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله رواء الحاكم ، وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن بتأمينه فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه . قال علماء العربية آمين اسم فعل ومعناه استجب .

وقال صلى الله عليه وسلم إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين يجيبكم الله رواء مسلم وهو بالجيم أى يستجيب . وفي رواية لمسلم إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل . وفي رواية قال الملك للموكل به آمين ولك بمثل . وفي رواية دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك للموكل به آمين وقت بمثل .

قال الإمام النووي في شرح مسلم . وفي هذه الأحاديث فضل الدعاء لأخيه بظهر الغيب أى في غيبته ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً . وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها اهـ .

(فائدة) قال المؤلف أعلم أنه يستحب الداعي رجاء سرعة الإجابة لدعائه أن يتوسل إلى الله بذاته وبأسمائه وبصفاته كالرحمة واللطف والحلم والحنانة والرفقة والاطف والفضل والكرامة ، ويتوسل إليه بأنبيائه صيا محمد

وآله وصحبه وأوليائه ، ومن أعظم ما يستجاب به للداعي أن يتوصل إلى الله بصالح أعماله كما جاء في حديث أصحاب الفار . قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم احتدل أصحابنا بمعنى فقهاء الشافعية بهذا الحديث بمعنى حديث أصحاب الفار على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوصل به إلى الله تعالى لأن هؤلاء يبنى أصحاب الفار فعلوه فاستجيب لهم وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصتهم حين وقعت الصخرة عليهم في معرض الثناء وجميل فضائلهم انتهى كلام النووي .

قلت وقد تقدم قريباً شيء من قصة أصحاب الفار وحديثهم وما يناسب ذلك والله أعلم . وسيأتي الحديث بكامله في آخر فصل فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم أحد تأويله إلا الله ، وقيل آمين درجة في الجنة تحب لقائلها . وقيل هو طابع الله على عباده يدفع به عنهم الآفات انتهى . وقد حرر القول في آمين الإمام النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات في أول قسم اللغات بما لا مزيد عليه فراجعه إن شئت فإن فيه من التحقيق ما شئت .

الفصل الثالث

في منافع الأوراد والحث على المداومة عليها

أما الآيات فقد قال تعالى : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تمد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) وقال تعالى : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً)

قال العلماء : ومعنى قوله خليفة أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك ما فات في أحدهما في الآخر . ومن ذلك الشكر والذكر معرفة مقادير الأوقات فيشتغل فيها بأنواع الطاعات وأعمال الخيرات .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم : أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله تعالى .

وعن معاذ الجاهلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الفجر لا يقول إلا خيراً غفر الله له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر أخرجه أبو داود ، والتسبيح ههنا صلاة النافلة .

قال الإمام الفزالي في أول كتاب العلم في بيان العلم الذي هو فرض عين عن الإمام مالك أنه سئل ما تقول يا مالك في طاب العلم فقال حسن جميل ولكن أنظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشي قالزمه .

وقال في كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات : أما بعد فاعلم أن الناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار والامر مسافته فسئونه مراحلهم ، وشهوره فرائضه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رؤوس ماله ، وشهوراته قطاع طريقه ، وربحه الفوز بقاء الله في دار السلام ، وخسرانه البعد من الله في دركات الجحيم فلا ينهض للماقل أن يضع نفساً من أنفاسه في غير طاعة الله تعالى .

الأوراد وتأكدتها وفضلها

وقال الشيخ العمري في كتابه بحر الأنوار : الورد هو فعل من الورد وورد الموارد الصفا هي حضرات القرب والشهود ، والأسباب للوصول إليها والدالة عليها هي الأوراد التي يجلي بها صداً للقلوب وتزال بها أكناد الشبهوات . ووساوس الصدر (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفي الحديث إذا صرتم

برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر ، فالورد سبب في حصول صفاء القلب .

ثم قال الممرى قال في اطائف اللين أعلوا أن الله أودع أنوار الملائكة في أصناف الطاعات فمن فاته من الطاعات صنف . أو أعوزه من الموانع . جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئاً من الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا لأنفسكم ما رضى به المدعون ، جرى الحقائق على ألسنتهم مع خلق قلوبهم من أنوارها ، وإن الحق سبحانه يحكمته جمل الطاعات الجارية على العبادة مستقرّة نيازب الغيب فمن قام بالطاعات والمعاملة بشرط الأدب لم يحتجب الغيب عنه قال والتطهر من المييب يفتح لك باب الغيب فلا تسكن عن بطالب الله لنفسه ، ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم الدد من الله ، والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن يطالب نفسه لربه ، ولا يطالب ربه لنفسه . فإن توقف الوقت عليه استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه .

ثم ذكر كلاماً طويلاً ، وفي كلامه نفع الله به تنبيهه على تأكد أمر الأوراد للواردين ، وعظم موقعها من الدين ، وأن مراعاتها من أحسن سمات المعارفين المهادين الراشدين المرشدين ، وأنها سبب صفاء القلب بل الدين كله أوراد . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

وقد رثى الجليل رحمه الله وفي يده سبعة فليل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبعة فقال نعم هي سبب وصولنا إلى ما وصلنا إليه فلا نتركها أبداً . وكان يدخل كل يوم حانوته وبسبل الستر ويصلي أربعاً ركعة ثم يعود إلى منزله . وقال احفظوا ساعانكم فإنها زائله غير راجعة والحسرة على الغفلة بقوائها . واقمة وصلوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة ولا يشغلكم عن الله قليل .

الدنيا فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة ، وقال لا يرتقى في الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أول البدايات وهى الفروض الواجبة ثم الأوراد الراضية ومطايا التفضل وعزائم الأمر فن أحكمها من الله عليه بما بعدها ، ورثى في النوم بعد موته قليل له ما فعل الله بك فقال ذهبت تلك المبارات واضمحلت تلك الإشارات وتبدلت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم . وما نفعا إلا ركعات كنا تركناها في السحر .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن اسماعيل بن إبراهيم عن خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال إنى لأصبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسيحة قيد ديتى أو قال قدر ديتى ، وفيه أخرج أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الحلية بسنده عن خالد بن معدان أنه كان يسيح في اليوم أربعين ألف تسيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات ووضع على سريرته ليفسل جعل يقول بأصبعه هكذا يحرکہا يهني بالتسيح . وفيه قال أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده عن سعيد بن عبد العزيز قال قلت لمعمر بن هاني إن لسانك لا يفتقر من ذكر الله فكم تسيح كل يوم وليلة قال مائة ألف إلا أن تخطي الأصابع ، وفيه أخرج عبد الملك في كتاب الله ذكر عن عبد الكريم أنه بلغه أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ربح قال أدلكم على خير من ذلك تسيحة وفيه قال أخرج ابن وهب في جامعهم عن ابن زيد بن أسلم أنه بلغه أن من قال بعد المغرب الله أكبر عدد كل شيء كتبه وعدد كل شيء خلقه وعدد كل شيء أحصى عدده «عشر مرات» شغل كاتبه من حين يمسي حتى يصبح . وإذا قال ذلك حين يصبح شغل كاتبه حتى يمسي .

وقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على المارقين أحسن من التيجان على رؤس الملوك .

وقال الشيخ أبو القاسم النضر أباذي التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتمظيم حرمان للشايخ ورؤية أعداء الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

وقال الشيخ أبو حفص عمر بن سالم الحداد من لم يزن أفعاله وأقواله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم ينهم خاطره فلا تمده من الرجال .
وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري لا يستعقر الورد الا جهول ، الوارد يوجد في الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار . وأولى ما يعنى به ما يتخلف عنك وجوده ، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلوبك منه ، ثم قال ورود الأمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار .

وقال أيضاً إذا رأيت عبداً أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الأزمان فلا تحتقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر غايه سيما العارفين . ولا بهجة الحبين . فلولاً وارد ما كان ورد .

ما أقيح الدعوى بلا شاهد ما وردك حين يردُ واردُ

يا ساهرا وقلبه رافدُ عن لغة الفكر والذكر

وقال بمضمون :

كل له ورد يكون وسيلة لمأشه ومماذه ومماذه

وجملت وردى في الخروج عن السوى وأكون مع مولاي تحت مراده

وقال ابن عطاء الله إن أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك .

الفرق بين الورد والوارد

تقدم قول ابن عطاء الله وأعلم أن الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة وباطنة . والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار وأسرار ومكاشفات أعتار ينشرح بها صدره . ويستقير بها قلبه وسره .

فالورد هو ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية ، والوارد هو ما من الحق سبحانه وتعالى للعبد من لطف وكرامة . فالورد أحق أن يمتنى به من وجهين أحدهما أن الورد يختص بهذه الدار الدنيا لا يقع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها فان بقاءها . فينبغي للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها إذ لا يمكنه خلف عما فات منها : والثاني أن الورد هو حق الحق منك . والوارد حظك منه ، وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالمبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها كذا ذكره العلماء .

فإذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استغفانه به من نهاية الجمل وكان المستحقر به جمولا :

ملازمة الورد والتنقل فيه

قال الشيخ العمري ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ، ويصلح لقوم التنقل في الأوراد من عبادة فعلية إلى ذكر قولي يعنى من ورد إلى ذكر ومن ذكر إلى ورد ، ويصلح لقوم من الأوراد الأسماء ، ولا ينتقل من اسم حتى يأتيه الاسم الذي يليه ولا ينتقل من اللفي والإثبات إلى الجلالة والهوية إلا كذلك .

ثم قال الشيخ العمري وينبغي المرید أن يشتغل أولا بقراءة الفاتحة عقب الصلوات الخمس وبقية النهار ألف مرة . ثم بالاستغفار كل يوم بعدها مائة مرة حتى تزول القساوة من قلبه .

قلت ويروى عن الفزالي ما هو أقرب من هذا في قراءة الفاتحة بعد الصلوات كل يوم مائة مرة وهي إحدى وعشرون بعد صلاة الصبح واثنان وعشرون بعد صلاة الظهر وثلاث وعشرون بعد صلاة العصر وأربع وعشرون بعد صلاة المغرب وعشر بعد صلاة المساء فتصح الجملة مائة ثم يشتغل بعد ذلك بالذكر .

وأنتفع ما اختاره السادة الاجلاء المارفون لا إله إلا الله . وقالوا هي أنفع شيء في علاج المريدين حتى ينقله الوارد إلى الجلالة ثم إلى الهويه . ومنهم من سلك الطريق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا ارتياب في ذلك . ومنهم من سلك بمداومة قراءة القرآن فليلتزم المريد مراقبة أורاده فأى ورد رأى زيادته فيه لازمه ودام عليه فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

قال الشيخ العمري وإذا كان المريد في حجر شيخه فلا يشتغل إلا بما يأمره به شيخه من الأذكار والأوراد وغيرها من سائر عباداته .

وقال محمد بن ثابت البناني رضى الله عنهما لما حضرت أبا الوفاء جعلت ألقنه الشهادة فقال لى يا بنى دعنى فأنى فى وردى السابع اه . نقله والذى قبله الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد فى شرح الحكمة .

ثم قال قال أبو طالب المسكى رضى الله عنه ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق للمابدين وهى بريد الإيمان وعلامة الإيقان .

وفى الخبران عائشة رضى الله عنهما سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة . وفى لفظ آخر كان إذا عمل عملاً أتقنه وأثبتته . وقال بمضهم الزم الأدب ظاهراً ، وباطناً فما أساء أحد الأدب فى الظاهر إلا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً .

وقال ذو النون المصرى إذا خرج المرید عن حد الأدب فإنه يرجع من حيث جاء . وقال النووى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت ممت .

وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة قال لا ولا من هم بالمعصية . وقال بعض العلماء موازين الليل والنهار أربعة من حفظها حفظ وقته ومن ضيعها ضيع وقته . وهى آخر الليل سحراً وبعد صلاة الصبح إلى الإشتراق . وقيل الغروب . وبين صلاة المغرب والمشاء حتى قال الشيخ أحمد بن سميد ابن حلى بن محمد بن عفيف الهجرانى الملقب بالوعار نفع الله به لأن بضرب وجهى بشملة من نار أحب إلى من أن يكلمنى أحد بكلمة بين المغرب والمشاء . وكان أيضاً إذا قرئ عنده صفات الأولياء ، ومنافق الأصفياء وكرامات الأنبياء يقول إن سبقونا بالمواهب سبقناهم بالأعمال يعنى المكاسب وذلك حث منه على ملازمة الأوراد والأذكار أثناء الليل والنهار طلباً لفتحات الرحيم للنفار وتمرضا لفيض فائضات فضله الفزار ومنع مواهبه السكار ففتح الله علينا بما فتح عليهم به بحاجه نبيه المختار وآله الأطهار آمين اه .

وحكى الشيخ ابن عباد فى شرح الحسك قال . قال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه كنت جالسا فى مسجد الشوينزية انتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النكس يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه لكان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شىء من الورد بالليل حتى البكاء وللصلاة وغيره فتفكر على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عينى فرأيت ذلك الفقير جاؤابه على خوان ممدود فقالوا لى كل لحة فقد اغتبطه . وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبطه ولكن قلت فى نفسى شيئاً فقبل لى ما أنت ممن برضى منك بمثله إذ ذهب واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيت فى موضع يلتقط

من الماء عند تردد الماء أوراها من البقل مما ينساقط من غسل البقل فسلت عليه فقال لي نعمود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك انتهى ما نقلناه من هذه الحكاية التي أمرها فليح وقدرها رفيع والله يتولى توفيق الجميع فإنه للداء سميع وبالإجابة سريع .

خاتمة

لهذا الفصل يكمل بها مبناه ويتم بها معناه

قال بعض العلماء ينبغي للمعبد أن ينتحل ما ترجعت حقيقة من الأذكار والأوراد ليكون مهيئاً له على مقصده بدوامه فإنه ما قصر حينئذ عن همة .
وبمين الله المعبد على قدر نيته . وما دخل فيه بالبسط كان أدعى إلى الدوام .
وإذا لازم شيئاً لا ينتقل عنه حتى تحصل نتيجةه وإلا فالمنقل قبل الفتح كحافر بئر لا يدوم على محل واحد . وكالمقطر قطرة على كل غل يريد تأثير الحل بالمقطر .
أترى يظهر لعمله مع ذلك أثر قبل ، والدوام على الشيء زيادة فيه باعتبار العمر لا باعتبار المدد ومن استوى بوماء فهو القى لم يعمل فيهما شيئاً . ومن احتوى بومه على خلاف أمسه فهو المحروم لأنه ليس عنده إلا عمل أمسه والأوراد تميم الأوقات بالمبادات التي هي القدوة والروحة والدجلة . فالقدوة للتفصيل والروحة للتفصيل والدجلة للتوصيل ووقت السحر للمناجاة . وذكر ما بعد صلاة الصبح مفتاح الطاعات وما بعد صلاة العصر للاستغفار من الواغبات . وقد صح الترغيب في الذكر أديار الصلوات . وبعد الصبح إلى طلوع الشمس وقبل الغروب إلى المغرب والسنة في ذلك معلومة مشهورة وأنواعها غير محصورة والله أعلم

حسن القصد في العبادة

قلت نعم أعلم أنه يحسن القصد في العبادة كلها وملازمة ما يعتاده من الأوراد كلها بحيث لا ينقص منها شيء البتة إلا لضرورة أو سفر أو مرض

أو هرم لحديث عائشة رضى الله عنها . قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير يحتجزه في الليل فيصلى فيه ويبسطه في النهار فيجلس عليه فجعل الناس يثبون إليه يصلون بصلاته حتى كثروا فأقبل عليهم فقال يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تنملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملاً أثبتوه أخرجه الستة ، وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه سدوا وقاربوا وأعدوا وروحوا وشيثاً من الدجلة والقصد القصد تبلغوا . وأعلموا أنه إن يدخل أحدكم عمله الجنة . قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة ، وفي أخرى للبخاري وللنسائي إن هذا الدين يسر ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه يحتجزه بالزاي يحمله كالحجزة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول لأصوم من النهار ولأقوم من الليل ما عشت . فقال أنت تقول ذلك فقلت له قد قلت يا أي أنت وأمي يا رسول الله . قال فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم . الحديث أخرجه الخمسة إلا للترمذي .

وفي حكمة آل داود بنبني لما قل أن لا يفنل عن أربع ساعات فساعة فيها يفتاحي ربه وساعة فيها يحاسب نفسه وساعة يفتي إلى إخوانه الذين يصدقونه عن عيوب نفسه . وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويحرم . فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات اه .

قال حجة الإسلام في بداية الهداية ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهمة فتشغل كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغي أن تحاسب نفسك وترتب أوردك ووظائفك في ليالك ونهارك فتعين لكل وقت شغلا لا تقعداه ولا تؤثر فيه غيره ولا تودع فيه سواء فبذلك تظهر بركة الأوقات ، وأما من ترك أوقاته

مهمة إعمال البهائم لا يدري بماذا يشتغل في كل وقت فينقض أكثر أوقاته ضائعا . وأوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله وكل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة له إذ لا بدل له فإذا فات فلا عود له فلا تكن كالحفي المفرورين إلى آخر ما قال نفع الله به آمين .

ونقل الإمام النووي في كتابه حلية الأبرار عن الإمام البغوي في كتاب شرح السنة قال : قال علقمة بن قيس بلغنا أن الأرض تمعج إلى الأرض من نومة العالم بعد صلاة الصبح .

قلت : والقصد القصد في جميع الأعمال مع المداومة والإكمال وعدم الاختلال والاملال وقد قال لي بمض مشايخي حصول الأحوال يكون بالإقبال . وهو كما تقدم من الحديثين السابقين قريبا . وكما روى أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندى امرأة من بنى أسد . فقال من هذه . قلت : فلانة لا تنام الليل . فقال مه عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه أخرجه مالك والبخاري ومسلم والنسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوسطها أخرجه رزين .

وقال الإمام النووي في حلية الأبرار ويتنبى لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة أو حالة من الأحوال فقاته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يمرضها . للنفوس وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييمها في وقتها . قال وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وحلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل .

تكملة لهذه الخاتمة

أقول : وما ينبغى لك أن تتخذ ورداً من سور القرآن العظيم (سورة الكهف) تقرأها ليلة الجمعة ويومها في الحديث أنها تحول بين قارئها وبين النار وأنها لذلك تسمى الحائلة . وورد أيضاً من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين المجتمعين رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وحديث من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت المعمور رواه الدارمي في مسنده . وسورة يس تقرأها بهد كل فريضة فقد جاء في الحديث للصحيح من قرأ (سورة يس) كان كمن قرأ القرآن عشر مرات فعلى هذا من قرأها بعد الفرائض كان كمن قرأ القرآن كل يوم خمسين مرة فافهم (وسورة الواقعة) تقرأها كل ليلة فقد ورد في الحديث أن عثمان بن عفان قال لمبد الله ابن مسعود حين عاده في مرضه ما تشكى قال ذنوبي فقال ما تشتهي قال رحمة الله . قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بمطاط . قال لا حاجة لي فيه . قال يكون لبنانك . قال أتخشى على بناتي الفقرا إنى أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ، وما ينبغى لك أن تتخذ قراءته ورداً لك وتلازمه في دبر كل صلاة (الفاتحة وآية الكرسي وشهد الله . وقل اللهم مالك الملك إلى غير حساب) لما في ذلك من جزيل الثواب . ولو لم يكن إلا ما رواه الإمام البغوي في تفسيره بسنده إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكان كفى - قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله
إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام . وقال اللهم مالك الملك إلى بغير حساب
مملقات ما يبدن وبين الله حجاب : قلن يا رب نهبطنا إلى أرضك وإلى من
به صيكت قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة
إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولأسكنه حظيرة القدس ولنظرت إليه
بمبنى المسكونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها
المغفرة الحديث .

وليكن أيضاً من وردك الدائم وبذلك اللازم وجدك للقائم قراءة (هذا الراتب
المذكور) المشهور بالبركة والنور أعني راتب سيدنا عمر المصور كل ليلة وذلك
بعد صلاة المشاء الأخيرة فقد أدركنا سيدنا الحسين بن عمر على ذلك مدة حياته
كما أخذه عن والده عمر . الذي أنشأه وبه أمر وسيأتي الراتب المذكور بعد تمام
المقدمة أصلاً ثم شرحاً . وإن اتفق مع جمع فهو حسن .

وليكن أيضاً من و ذلك قراءة (حزب البحر المشهور) بعد صلاة العصر
للشيخ الكبير القطب الشهير أبي الحسن الشاذلي نفع الله به ، ولا تنفل عن
قراءة (حزب البر) له ولو في السنة مرة وقد أثبتته في الجزء الثاني من
كتابي المسمى سقى البضائع وضميمة الضوائع ونقائمه من نسخة صحيحة بقلبي
وأخذت الإجازة فيه عن خالي سهل بن أحمد بن سهل بن اسحاق . وهو أخذه
عن الشيخ محمد بن أحمد النقشبندی الحساوي .

راتب للشارح رحمه الله

وهذا راتب جهته ، وللأخوان الصادقين ونفسي وضعته . فلازمه ان شئت
بعد صلاة الصبح : وسميته (الحصن المانع . والحرز الجامع . والسكنز الواسع .
والطب النافع) وهو هذا .

بسم الله والحمد لله «أربع مرات» والمنقذات وهن : السكوتر والكافرون .
 وإذا جاء وتيت والاخلاص والمعوذتان . «مرة مرة» (ومن أحسن قولاً ممن دعا
 إلى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين ولا تتجوى الحسنة ولا السيئة ادفع
 بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين
 صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
 بالله إنه هو السميع العليم) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، أعوذ
 بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برئ ولا فاجر من شر ما ذرأ وبرأ فى الأرض
 وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يمرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار
 إلا طارقاً يطرق بخير يارحم (اللهم) إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بميوبنا
 مطلعاً على عوراتنا يرانا هو وقيبله من حيث لا نراه اللهم فأيتسه منا كما أيتسه
 من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين
 جنتك إنك على كل شئ قدير ، (بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء
 الله لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله لا حول
 ولا قوة إلا بالله ، اللهم أنت ربى لا اله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش
 العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،
 أعلم أن الله على كل شئ قدير ، وإن الله قد أحاط بكل شئ علماً (اللهم) إني أعوذ
 بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط
 مستقيم (اللهم) يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغاظه للسائل ولا يبرمه الحاج
 للملحين صل على محمد وعلى آل محمد وأدقنى برد عفوك وحلاوة جنتك يا أرحم
 الراحمين ، «ثلاثاً» (اللهم) إني أسألك الصبر والعفة والصحة والمافية وحسن الخلق
 لا إله إلا الله أفنى بها عمرى ، لا إله إلا الله أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أخلو بها
 وحدى ، لا إله إلا الله ألقى بها ربى ، يا مدبر لى ولا أدرى إليك صرفت أمرى
 دبر لى يا الله بحسن تدبيرك : يارب كل شئ بقدرتك على كل شئ اغفر لى كل

شيء ولا نسألن عن شيء وأعطني من خير كل شيء واكفي من شر كل شيء
 (اللهم) صل على محمد اللهم صل عليه وسلم واذهب حزن قلبي في الدنيا والآخرة
 «سبحاً» (اللهم) أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها
 معاشي وأصلح لي آخري التي إلیها معادي واجمل الحياة زيادة لي في كل خير
 واجمل الموت راحة لي من كل شر (اللهم) زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
 وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا (اللهم) هب لي
 حَقَّكَ وأرض عني خلقك يا أحد يا واحد يا واحد يا جواد انفعنا منك بنفحة
 خير إنك على كل شيء قدير يا أرحم الراحمين . يا الله يارحم يارحيم يا حي يا قيوم
 يا ذا الجلال والإكرام يا إلهنا وإله كل شيء واحداً لا إله إلا أنت ربنا آتنا في
 الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (اللهم) إن العلم عندك وهو
 محبوب عني ولا أعلم أمراً فأختره انفسى وقد فوضت إليك أمري ورجوتك
 لمفاقتي وفقرى فارشدني اللهم إلى أحب الأمور إليك وأرضاها لديك وأحدها
 عاقبة عندك انك تفعل ما تشاء وأنت على كل شيء قدير ، اللهم أنت خلقتني وأنت
 تهديني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييני . «سبع مرات»
 (اللهم) ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي الله الله ربى لا أشرك به شيئاً «سبع
 مرات» : يا الله يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول
 يا غنى يا معفى يا فتاح يا رزاق يا علیم يا حي يا قيوم يارحم يارحيم يا بديع السموات
 والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حنان يا منان انفعني منك بنفحة خير تفيدني بها
 عن سواك (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) . (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) . (انصر
 من الله وفتح قريب) اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يارحيم يا ودود يا ذا العرش
 المجيد يا فاعل لما يريد أكنني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك
 واحفظني بما حفظت به الذاكرين وانصرني بما نصرت به المرسل انك على كل
 شيء قدير (اللهم) اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين مصيبتك ومن طاعتك

بما تبلفنا به جنتك ، ومن اليقين ما نهوّن به علينا مصائب الدنيا (اللهم) متّعنا
 بأسماعنا وابصارنا وقوتنا أبداً ما أبقيتنا وأجعل له الوارث منا واجعل ثارنا على
 من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا نجعل مصيبتنا في ديننا ولا نجعل الدنيا
 أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا (اللهم) نور بكتابتك
 بصري وأطلق به لسانى واشرح به صدرى وأستعمل به جسدى بحولك وقوتك
 انه لا حول ولا قوة الا بك ، لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، رب
 انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ومن عذابك
 استجير لا تنكلى الى نفسى ولا الى أحد من خلقك طرفه عين ولا أقل من ذلك
 واصلىح لى شأنى كله يا مصلح الصالحين يا قوى يا قائم يا قادر يا مقتدر ، ياغنى من
 لا فقير غيرك ، يا قوى من لا ضعيف غيرك ، يا قادر من لا عاجز غيرك ، يا عزيز من
 لا ذليل غيرك ، اجلسنى على بساط الصدق وأكسنى لباس التقوى الذى هو خير وهو
 من آياتك ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، يا دليل
 المذبحرين دنا إلى أقرب الطرق إليك (اللهم) اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن
 عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت ، سبحان ذى
 الملك والملايكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الملك
 القدوس سُبح قدّوس ربّ الملائكة والروح (اللهم) انى أعوذ برضاك من سخطك
 وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على
 نفسك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت استهفرك وأتوب إليك
 عملت سوءاً وظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً إنه لا يقدر
 الاذنوب إلا أنت انك انت الغفور الرحيم التواب الحليم الوهاب الكريم
 يا كريم يا كريم يا كريم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو
 رب العرش العظيم « سبع مرات » دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام

وآخر دعوانم أن الحمد لله ربّ العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم والحمد لله رب العالمين - تم الراتب المبارك .

خاتمة لهذه التكملة

قال في الطائيف لا تنفقد الوقت بظهور وارادات ، ولا بكثرة طاعات ولكن
انظر إلى تفتك بالله واجلالك لأوامر الله وترك الاختيار مع الله فان وجدت
واحد من ذلك عندك ولا يوجد واحد منها الا وجد بقيتها فاعلم ان الله بك عناية
أبداءها . وودائع أخفها . فاشكره على ما أسدى . وأحمده على ما أهدى .

الأذكار العشرة

(فائدة) قال المؤلف عفا الله عنه ولنختتم هذا الفصل العظيم الفائدة ،
العميم العائدة بهذا الورد الفائق وهو من أتم أو رادى . وأهم اجتهدى . اللاتى
بلفت بها أقصى مرادى . وأهديته لأهل ودادى من إخوانى وأولادى . وعظمت
به أعدائى وحسادى .

وقد عنى أن أذكره فى هذا الجزء الثانى من كتابى هذا مرتين
الأولى فى هذا الفصل ، والثانية فى آخر فوائده (بسم الله الرحمن الرحيم) ،
وذلك لأجل التقرير وزيادة للتنوير ، ولا يثبتك مثل خبير وهو ورد عظيم النعمة ،
كثير الفضل والسعة ، وهو من أوراد العباد والزهاد . ومن السكنوز العظيمة .
والحروز السكرية . وقد حافظوا على ترتيبه كل يوم بعد صلاة الصبح ، وكل
ليلة بعد صلاة المغرب ، فمن رتبته بعد صلاة المغرب كفاه الله ما أهمه ، فما
أعظم هذه النفاة ، وما أكرم هذه الشفاعة .

وقد لازمه أهل الفضل والصالح . وعرفوا فيه الخير والبركة والفلاح .
جربوه لتيسير الرزق وكفاية الهموم ، وتسخير الخلق ، والحفظ من كيد

بالأعداء ومن السحر والجن والشياطين ، والحفظ من كل عاهة في النفس والأهل .
 والمال ولشرح الصدر وحسن الثناء والدكر وغير ذلك مما لا يحصى ، هذا في هذه
 الحياة وفي الآخرة بفضل الله إن شاء الله وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .
 وهو هذه المشرة الأذكار ، السكاملة المشرقة الأنوار . الأول منها تقول :
 بسم الله الرحمن الرحيم «مائة مرة» الثاني تقول الحمد لله رب العالمين «مائة مرة» .
 ثلثا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم «مائة مرة» . الرابع لا إله
 إلا الله محمد رسول الله «مائة مرة» . الخامس سبحان الله وبحمده سبحان الله
 العظيم «مائة مرة» . السادس استغفر الله العظيم وأسأله التوبة «مائة مرة» .
 السابع اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن
 تغفر لي وترحمني «مائة مرة» . الثامن تقرأ قل هو الله أحد «مائة مرة» .
 التاسع حسبنا الله ونعم الوكيل «مائة مرة» . العاشر اللهم صل على سيدنا
 محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وسلم «ثلاثا» .

الفصل الرابع

فيه سبع فوائد هامة يحسن إيرادها هنا لتعلقها بما نحن بصدده ، تعلقاً
 وثيقاً والاستفادة منها في شرح الأذكار الآتية ونختمه بما يتعلق بأسماء الله
 الحسنى - نقلتها من شرح العباب لابن حجر ومن غيره .

الفائدة الأولى

فيما يتعلق بالأعداد الواردة والزيادة عليها

نقل الشيخ البكري عن أبي الفضل الزين العراقي ، قال اختلفت
 الأحاديث في التذبيح وما بعده ، يعني من الأذكار بعد الصلوات ، ففي حديث
 التذبيح ثلاث وثلاثون ، وفي آخر خمس وعشرون ، وفي آخر إحدى عشرة ،

وفي آخر ثلاثاً ، وفي آخر مرة واحدة ، وفي آخر سبعون ، وفي آخر مائة ..
 وفي حديث التميمي ثلاث وثلاثون ، وأربع وثلاثون ، وخمس وعشرون ،
 وإحدى عشرة ، وعشر ، ومائة . وورد التهليل عشرة ، وخمسا وعشرين ،
 ومائة . قال : وكل ذلك حسن وما زاد فهو أحب إلى الله . وجمع البغوي بين
 ذلك بأنه يحتمل صدور ذلك في أوقات ممتدة ، أو أن يكون ذلك على سبيل
 التخيير أو يفترق بافتراق الأحوال .

وظاهر كلام العراقي ترجيح الثاني وهو أن يكون على سبيل التخيير .
 لكن نقل عن بعض مشايخه أن هذه الأعداد الواردة في الأدكار مما ورد له
 عدد مخصوص مع ثواب مخصوص لا يحصل ذلك الثواب لمن زاد في
 أعدادها عدداً فعمله لحكمة نفوت بمجاوزتها ، ثم نظر العراقي فيه بأنه قد أتى بها
 فلا تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله . قال وقد صح ما يدل لذلك
 وهو حديث من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت
 أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه اهـ .
 قال ابن حجر : وفيما استشهد به العراقي نظر ثم قال : وقد يقال ما ذكره
 واضح فيما نحن فيه ونحوه من الأعداد المتماثلة ، لأن الزيادة تقطع الموالاة بينه
 وبين ما بعده . وربما كان للتوالي حكمة خاصة ، نقل الحافظ ابن حجر ذلك ،
 ثم بحث التفرقة بين أن ينوي عند الانتهاء إليه الامتثال ، ثم يزيد عليه ما يشاء
 فيثاب وبين أن يزيد بغير نية بأن يكون الثواب على عشرة فيرتبه هو مائة
 فيتجه عدم الثواب . قال ومثله بعضهم بالدواء أضره الزيادة فيه بمعنى تقسده
 نفعه . وبالمفتاح إذا زيد في أسنانه لا يفتح .

ثم قال ابن حجر : ومن ثم بالغ العراقي وقال إن الزيادة بدعة مكروهة ..
 ونقل بعض المتأخرين عن ابن الصلاح أن الزيادة تضاعف الثواب . ونقل
 عن الباقريني أنه يحصل له ثواب السنة وثواب الزيادة بالنية . ثم قال ابن حجر

الميتى بعد نقله : وهذا أوفق للمعنى ولكلام الحافظ ابن حجر المصقلانى .

ثم قال ابن حجر الميتى رحمه الله : ثم رأيت ابن الهادى قول المراقى أن لا ثواب عند الزيادة والنقص . ثم قال وهذا مردود لا يحل اعتقاده لأنه قول بلا دليل ، ولم يثبت المراقى على المعنى الذى لأجله سيق المدد ، ثم بينه وأطال فيه وساق فيه أحاديثه ، وقال : إنها تدل على عدم اختيار منع الزيادة والنقص وأن المقصود الإتيان بهذه الثلاثة أنواع من التذكر وأن أصل السنة يحصل بدون المائة وأن الأكل مائة بمدد أسمائه الحسنى وما زاد عليه أفضل ، انتهى وهو حسن والسكنه مقيد بما مر عن ابن حجر وهو الإتيان بنية الزيادة عند انتهاء المدد الوارد

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء عند قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى كل يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ، لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » . فى هذا دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة كان له هذا الأجر المذكور فى الحديث على المائة ويكون له ثواب آخر على الزيادة . قال وليس هذا من الحدود التى نهى الله عن اعتدائها ومجاورة أعدادها ، وأن زيادتها لأفضل فيها أو تبطلها كالزيادة فى عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة . قال ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو من غيره أو منه ومن غيره . وهذا الاحتمال أظهر ، وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور فى هذا الحديث لمن قال هذا التهليل مائة مرة فى يومه سواء أقامها متوالية أو متفرقة فى مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها فى آخره . لكن الأفضل أن يأتى بها

متوالية في أول النهار لتسكون حرزاً له في جميع نهاره .

ثم قال الإمام النووي : قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التهليل : « ومحيت عنه مائة سيئة » . وفي حديث التسبيح « حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر » ظاهره أن التسبيح أفضل ، وقد قال في حديث التهليل ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به . ثم قال : قال القاضي في الجواب عن هذا إن التهليل المذكور أفضل ويكون ما فيه من زيادة الحسنات ومحو السيئات وما فيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزاً من الشيطان زائداً على فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار ، فقد حصل بعتق رقبة واحدة تكفير جميع الخطايا مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة على الواحدة ومع ما فيه من زيادة مائة درجة وكونه حرزاً من الشيطان ، ويؤيده ما جاء في الحديث الآخر بمد هذا أن أفضل الذكر التهليل مع الحديث الآخر : « أفضل ما قلته أنا والنبليون قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له » الحديث ، وقيل إنه اسم الله الأعظم وهي كلمة الإخلاص ، وقد سبق أن معنى التسبيح التنزيه عما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقاً ، وسماوات الحدوث مطلقاً .

الفائدة الثانية في الذكر بالقلب واللسان

قال ابن حجر نقل بعضهم خلافاً في مجرد الذكر باللسان العري عن النية وأن ظاهر كلام القاضي عياض وغيره أنه لا ثواب فيه وهو بمنزلة أصوات مالا يفعل ، ثم قال : قال الجلال البلقيني وهو حق لا شك فيه ، ثم قال وقد ينظر في هذا القول .

قال النووي في الأذكار : الذكر يكون بالقلب واللسان والأفضل ما كان

يهما ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، وإذا واطب الإنسان على
الأذكار الواردة المأثورة صباحاً ومساءً ، وعند اختلاف أحواله اندرج وانتظم
في سلك الداكرين الله كثيراً والذاكرات اه .

وقال في الأذكار : وينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به
ولو مرة وإن كان الحديث ضعيفاً اه .

ومن كتاب الوظائف للحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن عيسى المدني
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من بلغه عن الله عز وجل شيء فيه فضيلة فأخذه إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه
الله عز وجل ذلك وإن لم يكن كذلك » .

ومن الكتاب المذكور ذكر بعضهم أن الفضل بن العباس بلغه الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع المؤذن مرحباً
بالمؤذنين عدلاً وبالصلاة مرحباً وسهلاً أعطاه الله مائة ألف حسنة ، ومحامده
مائة ألف سيئة ، ورفع له مائة درجة » . ففكر في نفسه وقال : كيف يكون هذا
إذا لا يبقى على أحد ذنب ، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له : إن ربك
عز وجل يقول : أنبئني يا فضيل وعبدى فلان بن فلان الملك قال لبعض
الشعراء أنشدني شعراً ، فقال له الشاعر : إن شعري لا يقاوم عطائك فإنك تكثر
المطاء ، فقال الملك : أعطوه مائة ألف درهم هذا الكلام ، ثم قال : إذا كان
المخوف يملأ كل هذا المطاء في كلمة ارتضاها فأننا لا أعطي ما بلغك والمخلوقون
بأجمعهم فقراء وأنا الفنى الحميد اه .

الفائدة الثالثة

فيما يتملق بالذكر والصدقة من الفنى والفقير

إن الذكر أفضل من الدعاء على الأصح عند ابن حجر لحديث من شغله

ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وأن الصدقة من الفنى
أفضل من الذكر منه مع الشح بالمال . وأن الذكر من الفقير أفضل من الصدقة
إذا عدم المال وتمنر عليه الجمل بينهما لأنه الكمال . قال بعض العلماء وَرَدَ
ما يقتضى تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث أحمد والترمذى إلا أنبئكم
بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق
الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا
أعناقكم قالوا : بلى يا رسول الله . قال ذكر الله عز وجل ، وحديث أحمد
والترمذى أى العباد أفضل عند الله يوم القيامة ؟ قال إذا كرون الله كثيراً .
قلت يا رسول الله ومن تنافى في سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه في الكفار
والمشركين حتى ينكسر ويتخضب دماً لكان إذا كرون الله أفضل منه
درجة . وحديث الطبرانى لو أن رجلاً في حجره دراهم يمسها وآخر يذكر الله
لكان إذا كرون الله أفضل . وحديثه أيضاً من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة
كانت له خيراً من عشر رقاب يعقها ومن سبع بدنان ينجرها ، قال وأخذ
بقضية هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا إن الذكر أفضل
من الصدقة بعدده من المال ، وبذل له أيضاً حديث أحمد والسنائى أنه صلى الله
عليه وسلم قال لأمره أنى سبى الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد
إسماعيل واحدى الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرعة تحملين
عليها فى سبيل الله . وكبرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلاة
متقبلة وهلى الله مائة تهليلة ولا أحسبه إلا قال تملأ ما بين السماء والأرض
ولا يرفع لأحد يومئذ مثل عملك إلا أن يأتى بمثل ما أنيت به . والأحاديث
فى فضل الذكر كثيرة ما أورده . (قلت) وبحسن أن يقال إن التسبيح والتهليل
والتهميد والتكبير من الفقير له فضل كبير لقوله تعالى (ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحو الله ورسوله ما على الحسنين من سبيل

والله غفور رحيم) إلى أن قال (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء
رضوا بأن يكونوا مع الخولاف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) .
وأما الفنى إذا شح بالمال أن ينفقه واستغنى عن ذلك بثواب التسبيح فذلك
غير مرضى منه والله أعلم .

وقد قال حجة الإسلام فيما يناسب هذا الكلام : والتحقيق فيه أن الفنى
الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخرج درهم له أفضل
من قيام الليل وصيام أيام وناهيك بقوله تعالى (إن الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بمذاب أليم يوم يحمى عليها في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم
فذكروا ما كنتم تسكنون) وقوله تعالى (ويل لسكل همة لمزة الذى جمع
مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه كلاً لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة
نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة .)

ومما يدل على أفضلية الصدقة من الفنى على التلاوة والذكر من غيره ما صح
عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال الصدقة
فإنها ستر من النار قال قلت بعد الصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس شيء بعد الصدقة أفضل منها فإنها تنجى يوم القيامة من ألف هول .
قال قلت قراءة القرآن المزيز . قال ثمرة واحدة ولقمة واحدة من خبز يتصدق
بها المؤمن خير له من قراءة القرآن المجيد ألف مرة .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قراءة القرآن المزيز قال عليك بالصدقة فإنها نور في القلب .
قال قلت فالتسبيح قال عليك بالصدقة فإنها مهوور الحور العين . قال قلت
فقيام الليل ؟ قال لا يقاس على قيام الليل ولكن الصدقة أفضل من قيام الليل
بألف درجة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له إن أردت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح رأس اليتيم .

وعن جابر بن عبد الله قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزبير إمساك خرج من منزله فقال أين الزبير فقيل له فى السوق فقبمه حتى لحقه فأخذ بمهامته فجذبه إليه ثم قال يا زبير أنا رسول الله إلى الخلق أجمعين أما وإليك خاصاً يقول الله تعالى ذكره أنفق أنفق عليك إن فى السماء باباً مفتوحاً ينزل منه رزق كل عبد من عبادى على قدر نفقته وصدقته ونيته فمن قال قللت عليه ومن كثر كثر عليه فكان الزبير بعد ذلك يعطى يمينا وشمالا حتى إنه إذا لم يجد ما ينفق فى سبيل الله وفى وجوه الخير أجمع تدبّر أو اقتصر وخبر مشهور .

وفى بعض الأخبار أن خليل الرحمن الرحيم نبى الله إبراهيم لما بنى البيت الكريم وفرغ من بنيانه صلى فى كل ربيع من أرباعه ألف ركعة فأوحى الله إليه يا إبراهيم ما أحسن ما فعلت ولكن لقمعة فى بطن جائع تنفقها عليه خير من هذا كله . فمعد ذلك اجتهد إبراهيم الخليل فى إطعام الطعام وبنى داراً سماها دار الضيفان وجعل يستدين ويستلف لأجل ذلك وهى بيت المقدس معمورة إلى الآن .

هذا فى فضل الإنفاق من الموسر ذى الإرقاق . وأما للمسر ذو الإملاق فصدقته كما أشار إليها الحبيب عبد الله الحداد فى مكاتبة لبعض الأتجاد بقوله وأجاد . وبلغنا أنه النفس دابة منك بعض أصحابنا أعنى من الأشراف فوهبتها منه وسرت ماشياً وكذلك أعطيت ثوبك لإنسان آخر فاسمع وفقت وامثل مانشير به عليك إن الجود وصف الله الأعظم به زين أنبياءه وأوليائه ولكن أنت تعلم فراغ يدك من الأملاك جملة ، ولأنه لا يصير إليك شيء إلا من

هذا المتاع الخبيث فواجب عليك أن تقتصر منه في نفسك على قدر الضرورة . وما زاد على ذلك فتمطيه لأولادك فاهم أجوج إليه من غيرهم والذين يسألونك ما هم بمحتاجين ولكن من قل حياؤه دخل مداخل سوء فلا ينبغي لك أن تساعدته فتكون شريكه . وأما إذا صادفت مؤمناً تقياً محتاجاً فلو أمكنك أن تجوده له بروحك لكان ينبغي لك أن تفعل وإن لم يسألك فطليك بالاقتصاد وهو وضع كل شيء موضعه فإن المبذر عند الله بمنزلة المقتتر والحمود عند الله ما هو بين ذلك ، هذا في حق من عنده شيء وأما من ليس له شيء كمثل ومثلك فما صدقاتنا إلا في الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل ، وذرة من ذلك من مثلنا خير من اتفاق ملء الأرض ذهباً من غيرنا والسلام اهـ .

الفائدة الرابعة في مراتب الذكر وأقسامه

قال بعض العارفين أعلم أن مراتب الذكر أربع لآخماس لها الأولى ذكر اللسان وهو ذكر لا إله إلا الله ، الثانية ذكر القلب المسمى الجنان . وذكر اللسان مفتاح ذكر القلب وذكر القلب الله الله واللسان مع ذكر القلب ساكنة ما لها حركة . الثالثة ذكر الروح ومفتاحه ذكر اللسان وذكر القلب معاً . ومعنى ذكر الروح أن كل منبت شجرة يقول الله الله . ومن هذا الذكر وهو ذكر الروح يسمع القادر ذكر جميع الكائنات بأذن رآه . الرابعة ذكر السر ومفتاحه ذكر اللسان والقلب والروح معاً وذكر السر هو ولأنه ما ذكره إلا بالهوية وهو يستوعب الأذكار كلها ويستغرقها استغراق النكوك والقمر والشمس فيظن صاحب ذكر الروح أنه مسلوب حيث فقد ذكر روحه وهو في مقام النهاية وهو مقام ذكر وهو قولهم الفناء في المذكور وهذا هو الغاية القصوى عند الموحدين والعارفين ومع هذا لا ينبغي له ترك الذكر باللسان أبداً لأن مواهب الحق ما لها نهاية .

(قلت) وأمل مرادهم بقولهم أهل المقام الرابع ، هو صاحب هذه المرتبة الرابعة

من مراتب الذكر ، أو يكون مرادهم بقوله أهل المقام الرابع هذا وقول بعض العلماء إنما هي أى المقامات أربعة وهى الجمل ثم العلم ثم المعرفة ثم المشاهدة^(١) والله أعلم .

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم قال القاضى عياض وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان . وذكر القلب نوعان (أحدهما) وهو أرفع الأذكار واجلها الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وما يكونه وآياته وسموانه وأرضه . ومنه الحديث خير الذكر الذكر الخفى والمراد به هذا (والثانى) ذكره بالقلب عند الأمر والنهى فيمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضغف الأذكار ولكنه فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث .

ثم قال : قال القاضى وذكر ابن جرير الطبرى وغيره اختلاف السلف فى ذكر القلب واللسان أيهما أفضل ، ثم قال قال القاضى والخلاف عندى إنما يتصور فى مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلاً وشيخراً وعليه يدل كلامهم لأنهم يختلفون فى الذكر الخفى الذى ذكرناه أولاً فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله وإنما الخلاف فى ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه . والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب . فان كان لا هياً فلا ، واحتج من رجع ذكر القلب بأن عمل السر أفضل . ومن رجع ذكر اللسان قال لأن العمل فيه أكثر فإنه زاد باستعمال اللسان فافتضى زيادة أجره ، ثم قال القاضى واختلفوا هل تكتب للملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويحمل الله له علامة يعرفونه بها . وقيل لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى ثم قال شيخنا النووى قلت الصحيح أنهم يكتبونه . وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده والله أعلم .

(١) كذا بالأصل فليحذر .

وقال بعضهم أعلم أن الذكر أربعة أقسام في اعتبارها . فالذاكرون كذلك في ذلك الإعتبار (القسم الأول) أن يكون الذاكر بلا تأمل شيء من كلالته الجلالية والجلالية بل بمجرد أنه حسن مندوب فهذا صاحب الحسنات إن باشر ذلك بالأدب والحضور .

(القسم الثاني) أن يكون مع ذلك ومع غلبة التفكير والتأمل والاستحضار لكلالته الجلالية فهذا القدا كيرطب عليه الحياء والخوف والورع والخشية والتقوى وأن الذكر كذلك يورثه ذلك ولكن ينبغي أن لا يؤدي ذلك إلى اليأس لا تياسوا من روح الله .

(القسم الثالث) أن يذكر مع الحضور والأدب والاستحضار كلالته الجلالية من الفضل والرحمة واللاطف والكرامه وغيرها . فهذا قلب عليه المحبة والشوق والرجاء والانبساط وهذه الغلبة ذات خطر إن لم يتدارك الخوف والخشية . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(القسم الرابع) أن يذكر مع الأدب والحضور ومع التأمل والاستحضار في كلالته الجلاليات والجلاليات بلا غلبة أحدهما على الآخر فهذا يورث الاعتدال في الخوف والرجاء والقبض والبسط وهذا الاعتدال الحمدي ولا طيران إلا باعتدال الجناحين والذاكر الطالب لهذا الاعتدال الأولى به أن يذكر باسم من أسماء الذات لا باسم من أسماء الصفات . أو يمثل ياذا الجلال والإكرام وقد ورد أليظوا بياذا الجلال والإكرام .

الفائدة الخامسة في عدّ الذكر بالأنامل والسبحة

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقد التسبيح بيمينه رواه أصحاب السنن الثلاثة وابن حبان في صحيحه وروى البيهقي بسند ضعيف أعقدوه بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات . قال ابن حجر وهذا يشمل أنامل كل من اليمين

والشمال ظمناً أن يحمل على ما يوافق الأول أى بأنامل اليمين، وأوذاك لبيان الأنضل
وهذا لبيان ما يحصل به أصل السنة قال وظاهر كلام: لأذرعى أن المراد بالمقدمة هنا
ما يتعارفه الناس وقال غيره المراد عقد الحساب لا الذى يمله الناس وعلى تسايمة
فالظاهر أن الأول يحصل السنة بكاملها إن لم يدرف غيرها ويؤيده ماورد بسند
ضئيف عن على مرفوعاً نعم المذكر السبعة. وعن أبى هريرة أنه كان له خيط
فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وفى رواية كان يسبح بالنوى والروايات
فى التسبيح بالنوى والحصى كثيرة عن الصحابة وبعض أمهات المؤمنين .
رأها النبي صلى الله عليه وسلم وهى تسبح بالحصى وأقرها على ذلك قيل : وعقد
التسبيح بالأنامل أفضل من السبعة وقيل إن أمن الغلط فهو أولى وإلا فهمى أولى
بمعنى السبعة وهو الأقرب لبعده عن مواطن الرياء والله أعلم

الفائدة السادسة فى الذكر باللسان وبالقلب

المحدث والجنب ونحوهما

قال النووي فى كتابه الأذكار اعلم أن الاسرار بالقراءة والتكبيرات وغيرها
من الأذكار للشروعة فى الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شيء
منها ولا يمتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض
به فإن لم يسمع لم تصح قراءته ولا غيرها من الأذكار بخلاف هـ .

وقال أيضاً أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب والسان للمحدث والجنب
والخائض والنفساء وكذلك فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء وغير ذلك وأمكن قراءة القرآن حرام
على الجنب والخائض والنفساء سواء قرء وأمن القرآن قليلاً أو كثيراً حتى بعض
آية ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير تلفظ وكذلك للنظر فى المصحف
وامراره على القلب . قال أصحابنا ويجوز للجنب والخائض أن يقولوا عند
المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون وعند ركوب الدابة سبحان الذى سخر لنا هذا

الآية ، وعند الدعاء ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة الآية إذا لم يقصدا به القرآن . ولها أن يقولوا بسم الله والحمد لله إذا لم يقصدا به القرآن سواء قصدا به الذكر أو لم يكن لما قصد ولا يأتان إلا إذا قصدا به القرآن ، ويجوز لها قراءة ما نسخت تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة . وإما إذا قال الإنسان خذ الكتاب بقوة ، أو قال ادخلوها بسلام آمين ونحو ذلك فإن قصدا غير القرآن لم يحرم . وإذا لم يجد الماء تيمما وجاز لها القراءة ، فإن أحدث أحدهما بعد ذلك لم تحرم عليه القراءة كما لو اغتسل ثم أحدث ، ثم لا فرق بين أن يكون تيممه لعدم الماء في الحضر أو في السفر فله أن يقرأ القرآن بعده وإن أحدث . وقال بعض أصحابنا إن كان في الحضر صلى به وقرأ به في الصلاة ولا يجوز له أن يقرأ خارج الصلاة والصحيح جوازه كما قدمناه لأن تيممه قام مقام الفصل ، ولو تيمم الجنب ثم رأى ماء يلزمه استعماله فإنه تحرم عليه القراءة وجميع ما يحرم على الجنب حتى يفتسل ، ولو تيمم وصلى وقرأ ثم أراد التيمم لحديث أو فريضة أخرى أو أمير ذلك لم تحرم عليه القراءة هذا هو المذهب الصحيح المختار ، وفيه وجه ضئيف لبعض أصحابنا أنه يحرم ، أما إذا لم يجد الجنب ماء ولا تراباً فإنه يصلي لحزمة الوقت على حسب حاله وتحرم عليه القراءة خارج الصلاة ويحرم عليه أن يقرأ في الصلاة ما زاد على الفاتحة . وهل تحرم عليه الفاتحة ؟ وجهان أحدهما لا تحرم بل تجب فإن الصلاة لا تصح إلا بها وكما جازت الصلاة للضرورة تجوز القراءة ، والثاني تحرم بل يأتي الأذكار التي يأتي بها من لا يحسن شيئاً من القرآن اهـ .

وقال النووي أيضاً : من لم يجد ماء فتيمم حيث يجوز له التيمم فيجوز له مس المصحف سواء كان تيممه للصلاة أو لغيرها مما يجوز له التيمم ، قال وأما من لم يجد ماء ولا تراباً فإنه يصلي على حسب حاله ولا يجوز له مس المصحف لأنه محدث جاز له الصلاة للضرورة فلو كان معه مصحف ولم يجد من بدعه (٧ - القرماس)

إياه وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة . أما إذا خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع نجاسة أو حصول في يد كافر فإنه يأخذه وإن كان محدثاً للضرورة اهـ .

قال وينبغي لذاكر أن يستقبل القبلة ويكون متذلاً متخشعاً متواضعاً لربه تعالى بسكينته ووقار مطرقاً رأسه ، في موضع نظيف خال عما لا يليق ، ويجتنب التدكير في حالة الجلوس على الخلاء فإنه مكروه وكذا في حالة الجماع وفي حالة الخطبة إذا لم يسمع هو صوت الخطيب ، وكذا في القيام في الصلاة بل يشتغل بالقراءة ، وكذا في حالة النعاس ، ولا يكره في الطريق ، ولا في الحمام اهـ .

الفائدة السابعة

في الحث على اقتناء كتاب الأذكار للهووي

اعلم أيها الأخ للناسح لنفسه القاصد رضى ربه أنه ينبغي لك أن تحصل على نسخة من كتاب الأذكار المشهور المسمى « بحلية الأبرار » تصنيف الإمام للنووي وأن تلازم المطالعة فيه وذلك بمد أن تحققه قراءة على شيخ يوضح لك معانيه ويبين لك مبانيه . ويظهر لك خوافيه ويفهمك ما فيه ، فإن فيه ما تشتهي من الآداب والمعارف ، والمسائل واللطائف ، وتحقيق الحقائق ، وتدقيق الدقائق ، وتوضيح الطرائق . وما يطلبه القاصد والوارد من المطالب والموارد والأوراد والمنافع الدينية والدنيوية والأخروية ، بحيث لا يخلو وقت من أوقات الإنسان وتقلباته في أطوار عبوديته وعباداته وعاداته وجميع حماملاته . للخالق ومخلوقاته . من لدن مولاه إلى وقت وفاته له وعليه إلا وقد حققه هذا الإمام وأشار إليه في هذا الكتاب وهو « بنية ألباب الأباب » . وقد قال مصنفه رحمه الله كتاب الأذكار الذي لا يستغنى طالب الآخرة عن

حمله . وسمعت شيخنا الوالد الحسين بن عمر نفع الله به في حال قراءتي عليه فيه كثيراً ما يقول قالوا من لم يقرأ كتاب الأذكار فليس بذكر وايس بذكر . وقال للشيخ أحمد بن عبد اللطيف يا جابر العنذلي ثلاثة كتب لا ينبغي لطالب العلم أن يخلو عنها أو أحدها كتاب رسالة الإمام القشيري وكتاب بداية الهداية . وكتاب الأذكار المذكور فله دره من كتاب لقد احتوى على نفائس الآداب التي لم يكتب مثلها في كتاب .

وقال السيد عبد الله بن علوي الحداد في كتاب للنصائح الدينية : اعلم أنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذكار والأدعية المطلق والمقيدة . بالأوقات المتعاقبة والأحوال المتغيرة ما كثر وانتشر ، وقد رتبها صلى الله عليه وسلم ورغبهم فيها لتكون سبباً لهم إلى نيل الخيرات والسلامة من الشر والآفات الواقعة بمشيئة الله في تلك الأحوال والأوقات ، فمن حافظ عليها نجى وسلم وقاز وغنم . ومن فرط فيها وأهل العمل بها فلا يلومن إلا نفسه وما ربك بظلام للعبيد .

ثم قال : وقد جمع الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار جملة مستكثرة من ذلك ، وضم إليها من الإيضاح والبيان ونفائس الأحكام ومهمات الفوائد ما يطمن به القلب ويشرح له الصدر ، شكر الله سميه وجزاه عن المسلمين خيراً أه .

فانظر رحمك الله إلى هذا الشأن العظيم والتبجيل الفخم لهذا الكتاب من السادة الأقطاب ، والصالحين من أولى الألباب ، أهل الفضل والإنصاف والآداب ، فعليك به .

فصل الخامس

في فوائد تتعلق بالأسماء الحسنى

نقلتها من كتاب بحر الأنوار لسيدي محمد العمري وغيره

(أما الآيات) فقد قال الله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ . وقال عز من قائل : ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

(وأما الأخبار) فقد روى في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله علمني اسم الله الذي إذا دعيت به أجاب . قال : « قومي فتوضي » وأدخل المسجد وصلى ركعتين ثم ادعى حتى أسمع « ففعلت وقالت : اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته . فقال صلى الله عليه وسلم : أصبته أصبته مرتين .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كثر همه فليقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نوراً بصري وريحاً قلبي وجلاء حزني وذهاب همي ونعي . ما قالها عبد قط إلا أذهب الله همه وأبدله فرحاً » رواه في السنن .

خصائص بعض أسماء الله الحسنى

وهذا أو ان الشروع في مقصودنا بهذا الفصل من ذكرنا منافع بعض
الأسماء الحسنى هدية للاخوان ، والأبناء والخلان والأصدقاء قال الشيخ العمري
في صدر كتابه بحر الأنوار :

(فائدة) في منافع الأسماء : الاسم الأول اسمه تعالى ﴿ فعال ﴾ من تلاء
بمعد جملة وهي (ف ع ا ل) مائة وإحدى وثمانين مرة في كل يوم
انقطعت عنه الخواطر المذمومة ، وإن واطب على قراءته من غير عدد
كل يوم فذلك أسرع في إزالة الخواطر المذكورة ، ومنهم من يستعمله على
عدد اسم التالي .

الثاني اسمه تعالى ﴿ الخالق ﴾ من داوم على قراءته تكلم يعلم لا يفهمه
إلا من سلك مسلكه ، ويكون له عملا في الأعمال ، ولا سيما لمن يريد أن
يبتدع الحسنة .

والثالث اسمه تعالى ﴿ المبدى ﴾ من داوم على ذكره ألف العلوم انسانية
ونفق بالعلوم الحسكية وتكلم بالشعر .

الرابع اسمه تعالى ﴿ المميت ﴾ ما دام أحد على ذكره ثم ذكر من أراد
هلاكه إلا أهله الله .

الخامس اسمه تعالى ﴿ الصمد ﴾ ذاكره لا يحس بألم الجوع البتة ما لم يدخل
عليه ذكر غيره .

السادس والسابع أسماء تعالى ﴿ السميع البصير ﴾ تسرع بهما الإجابة .

الثامن اسمه تعالى ﴿ المقيت ﴾ من اتخذ ذكره أقيت بأنواع الحكم
الكثرة ورودها عليه واضيف إلى ذلك الأدهية اللاتفة به . يا مقيت أعذنا

باطائف أنوارك وأثبت في من غرائب أسرارك .

التاسع اسمه تعالى ﴿ المحيط ﴾ من داوم على ذكره إلى أن يغلب عليه منه حال رأى ببصيرته ما في ضمير غيره وهو من أسماء المكاشفات لا يستطيع حمله إلا أرباب الأحوال لأنه يندرج لهم منه نور يقضى فيرون منه جميع الأسرار والآيات .

العاشر اسمه ﴿ الفاطر ﴾ اسم لا يكاد يعرفه إلا الآحاد وهو من المفردات ليس له أخ ولا نظير وهو من الأسماء التي بها قوام الأرواح فمتى داوم على ذكره سالك انبسط سره في الوجود وظهرت عليه براهين المحبة والإجابة ونفذ أمره في العالم .

الحادى عشر اسمه تعالى ﴿ الحميد ﴾ من داوم على ذكره هانت عليه المصائب وتروحنت روحه وقوى جلوه وأتاه الله رزقه رغداً .

الثانى عشر اسمه تعالى ﴿ ذو الجلال ﴾ من داوم عليه هابه كل من رآه وصار له تصريح في الأرواح ينسب إليه وهو من بديع الأسماء .

الثالث عشر اسمه تعالى ﴿ العليم ﴾ من داوم على ذكره تكلم به لم يكن يعلمه وظهرت على لسانه الحكمة .

الرابع عشر اسمه تعالى ﴿ الحكيم ﴾ من داوم عليه حكم في جميع الأرواح أجمع . قال الشيخ الأجل محمد العمري بمد إيراد هذه الأسماء وخبرها الذى سماها وتما ومن هنا حصل لى الفتح من الجمع بين الأسماء .

ثم قال الخامس عشر اسمه تعالى ﴿ البديع ﴾ ذاكره لا يزال مبدعاً للعلوم الإلهية وينبع الله العلوم على لسانه .

السادس عشر اسمه ﴿ النور ﴾ اسم تام من جملة ذكره أوقدح الله للنور في قلبه وأثار باطنه وكوشف على الخلق .

السابع عشر اسمه تعالى (الظاهر) من داوم على ذكره إلى أن يظهر عليه منه حال لا يخفى عليه من أمور الخلق شيء .

الثامن عشر اسمه تعالى (الباطن) من داوم على ذكره إلى أن تصحبه عوالمه وتذكره معه فإنه لا يأتي إلى أرض إلا وفزع إليه أهلها بالبر والطاعة وتنبه سائر العوالم وكل من وقع عليه نظره أجاب دعوته .

التاسع عشر اسمه تعالى (الكريم) من داوم على ذكره رزقه الله من غير مشقة .

المشرون اسمه تعالى (ذو الطول) من أراد أن تأتيه الدنيا راغمة صاغرة فليصم ثلاثة أيام متوالية ويداوم ذكره فيأتيه أمره دون سؤال . ومن كتبه سبع صرّات في سبع نسخ من سبعة أشهر بنية ما يرومه على ذكر وطهارة يسره الله عليه ومن أكل الحلال سبعة أسابيع ونام على طهارة مستقبلاً القبلة يقول يا ذا الطول يا عزيز رأى في العالم الروحاني عجبا .

الحادى والمشرون اسمه تعالى (الوهاب) من داوم على ذكره من السالكين رأى الأرزاق كيف تقسم على الخلائق ولم يسأل من أحد شيئاً إلا أعطاه إياها اه .

ثم قال الشيخ محمد الممرى فعلى هذا قال الشيخ المارف بالله خلف بن يحيى في رسالته إلى العميان ولا شك في تأثير الأسماء . قال بعض المارفين آثار الأسماء أبدت بدائع اه .

وقال سيدى الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس يخاطب بعض الظلمة من ولاية الأمور لما حصل منه القدوم على بعض من يلوذ بالشيخ وحصل من ذلك السلطان إدبار عن سيدنا الشيخ بعد الإقبال فقال :

لا ترجفوني فأننى لا أجزع من رجفكم كلا ولا أنزعزع

عندى محقق أن كل رجوفكم بى لا تضر وودكم لا يرفع
أتم أفل أذل من أن تجلبوا نفماً ولستم للضرائر ترفعوا
للنافع الضار المهيمن ربنا ان شا يذل عبیده أو يرفع
ما إن ذكرت تقرباً منكم مضى إلا وكدت لذكره أتقطع
أيقناً على بذر الجليل ببقمة بطعاً سباحاً بذرها لا يزرع
خالآن قد عاهدت نفسى يا فتى عهداً وثيقاً لا إليكم أرجع
حسبى بيمدى عنكم لى راحة ما شئتكم من بعد هذا فاصنعوا
ما مثلكم فى الحق إلا نملة قالت ترانى لاشوامخ أصرع
فإن احتيت بسيفك المندى فلى سيف إلى ضرب الفارق أسرع
سيفى هو اسم الله لا عظم حصنى أرنا به جدى الشجاع الأورع
وإن التجأت لحصنك المالى أنا حصنى أعز لى الخصام وأمنع
حصنى هو القرآن والأسماء العظا م فمن هنا يا ذاك حصنى أرفع
فإن اعتزيت لنا بمجد ظالم جدى الذى فى العالمين يشفع
الهاشمى المصطفى خير الورى ذخرى إذا بالهول شاب الرضع
وإذا صرخت إلى عما كرك التى لا يبلفك جمعها ما تطمع
ناديت كل الصالحين فأبرموا أمراً به تلقى الملاك فأجمعوا

وقال سيدى للفقير الأجل عمر بن عبد الله نخرمه نفع الله به :

قللى اقطع مما ليق الطاعات باليأس

واعدم النفس وازجرها عن الخوض فى الناس

كيف ما كان واغلق عنهم أبواب لاهجاس

واعلم أن القنى بالناس وأشياهم إفلاس

وإن دنوا منك واستدنوك من ميد لإيفاس
 فابق ما بينهم مثل الذى ما له إحساس
 والى مبنى الثقة فى القلب بالله على ساس
 واعتصم به ولذ به وادعه إن حل بك بأس
 وامس له جار واجعل لك من أسماء حراس
 فإنها والله أحى من كليب وجساس
 وإن دنا منك شيطانك بشك أو بوسواس
 أو بدا لك بتمويه أو بتزوير لباس
 قل هو أوقل بدلها الله إذا دارك الكاس

﴿ خاتمة ﴾ فى ذكر أسماء الله الحسنى التى من أحصاها دخل الجنة وذكر
 معرفة ما لله من الأسماء والصفات وما ينبغى أن ينسب إليه . وما ينبغى أن
 ينزه تعالى عنه مما لا يليق بجلاله جل وعلا ، وذكر أقسامها نقلا وحكاية من غير
 مخالفة فى تحقيق ما لها من اللطائف وما عليها من المباني من حيث اللحن واللفظ
 وغيرها إثباتاً للاختصار وترغيباً للأخيار فى سرعة تناول مجانى تلك الآثار ثم
 نختم ذلك بتعدادها المذكور فى الحديث الصحيح الحسن المشهور .

قال حمارة بن يزيد أحد رواة الحديث الذى فيه ذكر الأسماء المذكورة
 فكانت أطلبها وأسأل عنها أهل العلم فلم أجد أحداً يخبرنى بها على هيأتها حتى
 وجدت رجلاً ذاهمة واستنباط وهو من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 عالماً ناسكاً ورعاً بحجاب الدهوة فسألته من هذه الأسماء فقال لى بعد تلون وامتناع
 لولا ثقى بك وعلى برغبتك فى العلم ما أخبرتك فلا تعلمها أحداً إلا من تثق
 به فان فيها الاسم الأعظم فإذا أردت الدعاء بها فصم يوم الخميس وادع بها
 لميلة الجملة فى وقت السحر فوالله الذى لا إله إلا هو لا بدعوبها عبد مؤمن إلا

أجابه الله تعالى حتى لو سأل الله أن يمشى على الماء أو على متن الريح لأجيب -

ما في القرآن من الأسماء الحسنى

قال حمارة فقلت له: بين لي هذه الأسماء برحمتك الله فقال هي في كتاب الله فمنها خمسة أسماء في الفاتحة . وهي يا الله يارب يارحمن يارحيم يا مالك وثلاثة وعشرون في البقرة وهي يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا ثواب يا بصير يا واسع يا صميع يا بديع يا كافي يا رؤف يا شاكر يا واحد يا غفور يا حلیم يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا على يا عظيم يا ولي يا غني : وفي آل عمران أربعة أسماء وهي يا قائم يا وهاب يا سريع يا خبير . وفي النساء ستة أسماء وهي يارقيب يا حسيب يا شهيد يا غفر يا مقيت يا وكيل . وفي الأنعام خمسة أسماء وهي يا فاطر يا قاهر يا ظاهر يا قادر يا لطيف . وفي الأعراف إسمان وهي يا محيي يا مميت . وفي الأنفال إسمان وهي يا نعم المولى ويا نعم النصير . وفي هود سبعة أسماء وهي يا حفيظ يا قريب يا مجيب يا حميد يا مجيد يا فعال لما يريد يا ودود . وفي الرعد إسمان وهي يا كبير يا متعال وفي سورة إبراهيم اسم واحد وهو يا منان . وفي سورة الحجر اسم واحد وهو يا خلاق ، وفي سورة مريم اسمان هما يا صادق يا وارث ، وفي الحج اسم واحد وهو يا باعث . وفي المؤمنون اسم واحد وهو يا كريم . وفي النور ثلاثة أسماء وهي يا حق يا مبين يا نور . وفي الفرقان اسم واحد وهو يا هادي . وفي سبأ اسم واحد وهو يا فتاح ومن فاطر اسم يا شكور . وفي المؤمن أربعة أسماء وهي يا غفار يا قابل التوب يا شديد العقاب يا ذا للطول . وفي الذاريات ثلاثة أسماء وهي يا حي يا رزاق يا ذا القوة المتين . وفي الطور اسم واحد وهو يا بر . وفي القمر إسمان هما يا مليك يا مقتدر . وفي الرحمن ثلاثة أسماء وهي يارب المشرقين يارب المغربين يا ذا الجلال والإكرام . وفي الحديد أربعة أسماء وهي يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن . وفي الحشر أحد عشر اسماً وهي يا مالك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز

يا حبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور . وفي البروج أسمان وهما يا مبدئ
يا معيد . وفي الإخلاص اسمان وهما يا أحد يا صمد .

قال عمارة فدعوت بهذه الأسماء غير مرة فرأيتها قريبة الإجابة . وكتبها
جماعة وكلهم أخبروني أن إجابتها سريعة .

وقال القاضي محمد الدين الشيرازي مسند حديثها فوالله الذي لا إله إلا هو
لقد دعوت بها مراراً كثيرة عند مهمات خفت على نفسي منها الملكة فخلصني
الله تبارك وتعالى منها والله أعلم .

وقال للشيخ الإمام عبد الرزاق القاشاني رحمه الله في كتاب شرح أسماء الله
الحسنى أعلم أن الله تبارك وتعالى له أسماء ذاتية لا صبيل للسكون إلى معرفتها
فهي مستأثرة عنده في غيبه لأن رتبة المخلوقات المربوبات تأتي ذلك ولسكون
قوايلهم لا يمكنها معرفة ذلك فهي أعنى الأسماء الذاتية المستأثرة من خصوصياته
وحده سبحانه ، وله أسماء مستأثرة عن بعض خلقه مباحة لبعض فهي من
خصوصيات خواصه تعالى . وله أسماء تترفع بها إلى خلقه وهي كثيرة لا تحصى .
قال ويجمعها مائة وتسعة وثلاثون اسماً تسمى بها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز
قال ويجمع هذه الأسماء المائة والتسعة والثلاثين أسماؤه الحسنى التي هي تسعة
وتسمون اسماً ويجمع هذه الأسماء الحسنى اسمه الرحمن ويجمع ما تضمنه اسمه الرحمن
الإسم الذي هو تمام المائة وهو اسمه (الله) وهو للمخلق لا للمخلق .

أقسام الأسماء الإلهية

نم قال اعلم أن سائر الأسماء الإلهية تنقسم إلى قسمين أسماء سلب وأسماء
إيجاب فأسماء السلب كلها ذاتية . وأما أسماء الإيجاب فتقسم إلى أربعة أقسام .
القسم الأول هي الأسماء الذاتية . القسم الثاني هي الأسماء النفسية . القسم
الثالث هي الأسماء الصفاتية . القسم الرابع هي الأسماء الفعلية . فالأسماء الذاتية
منها أسماء ذاتية هي الإطلاق . ومنها أسماء ذاتية على التقييد فهي من وجه

أسماء ذات ومن وجه أسماء صفات . فالأسماء الذاتية المطلقة نوعان . مظهرية ومضمرة . فالمظاهرة ثلاثة : اسمه الله واسمه الأحد واسمه الحق والمضمرة سبعة . وهى هو وأنا وكاف الخطاب وباء التكلم وتاء المخاطب ونون التكلم وباء الإضافة . فهذه عشرة وهى الأسماء الذاتية المطلقة . والأسماء المقيدة يعنى التى تفيد معنى الوصفية من وجه على أنها أسماء ذاتية هى سبعة الرحمن والواحد والفرد والوتر والحمد والقدوس والنور قال . وأما الأسماء النفسية فسبعة وهى الحى المليم المرید القادر السميع البصير المتكلم .

وأما الأسماء الصفاتية فهى أربعة أقسام ، قسم هى الأسماء الكمالية وهى أربعة عشر أسما الرحمن من وجه لاجل المرتبة الرحانية والملئ والرب والمهيمن والحكيم والحكم والولى والقيوم والوالى والتمال والمقسط والجامع والغنى والكامل . وقسم هى الأسماء الجلالية وهى ثمانية عشر اسماً الكبير للمعزز العظيم الجليل القهار الماجد الجبار المتكبر الواسع القوى المتين ذو الجلال المحيط الديان الجيد الشديد رفيع الدرجات ذو العرش .

وقسم هى الأسماء الجمالية وهى ستة عشر اسماً الرحيم السلام للؤمن اللطيف الخبير الحسيب الجميل الخليم الكريم الجيد الدائم الباقي الواجد بالجيم الرؤف ذو الطول الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قال وقسم هى الأسماء الإضافية وهى ستة أسماء الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد فهذه أربعون اسماً هى الأسماء الصفاتية .

وأما الأسماء الفعلية فهى على قسمين قسم يتعلق بالجلال . وقسم يتعلق بالجلال وهذا القسمان هما المشار إليهما بقدمي الرحمن المتدليتين على السكرونى . قال قال قسم الذى يتعلق بالجلال من صفات الأفعال سبعة عشر اسماً القابض والخافض والمذل والرفيع والشهيد والمعيد والمميت والمنتقم والمانع والضار والوارث . وذو البطش وشديد العقاب والمضل والغنى والعدم والقاهر .

قال والقسم الذى يتعلق بالجمال من صفات الأفعال أربعة وأربعون اسما
البارى والمصور والخالق والرازق والفقار والوهاب والفتاح والباسط والرافع
والمرتفع والمغنى والحفيظ والمقيت والباعث والوكيل والمبدى والحى والواجد والمبقى
والنصير بالنون وواسع المغفرة والصبور والثواب والفقور والمنعم والشكور
والمعطى والجواد والنافع والهادى والحسن والمغيث وحسن التجاوز والبدیع
والرشيد والجمل والجيب والكفيل والحنان والنعان والشافى والمغافى والموسع^(١).

قال رحمه الله فهذه مائة وثمانية وثلاثون اسما يكرر فيها الرحمن مرتين
فبقيت مائة وسبعة وثلاثون انتهى كلام الشيخ القاشانى رحمه الله فتدبره فانه
مفهم بهم ومحل عقد الخطب للدهم وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق
قال والإسم (الله) هو الجامع لها الذى لا يختص بمرتبة دون أخرى بل هو
سار فى جميع المراتب وظاهر فى جميع الظاهر ومتصرف فى سائر الأفعال وبارز
فى سائر الشئون وهو اسم يتعلق بمحضرة الحضرات ومرتبة المراتب وجامع
لسائر الصفات ومتسم بسائر أسماء الذات وهو اسم الله الأعظم انتهى .

وقد قال الإمام الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى المقرئ المالكي فى كتابه
الأحوذى فى شرح الترمذى . قال بمض الصوفية لله عز وجل ألف اسم وللنبي
صلى الله عليه وسلم ألف أسم . قال ابن العربى فاما أسماء الله فهذا المدد حقير
فيها . وأما أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فلم احصها إلا من جهة ورود الظاهر
بصفة الأسماء المبينة فوعيت منها أربعة وستين اسما ثم قال وله وراء هذا أسماء
نقله عنه محبى الدين النووى فى تهذيبه .

(تكملة) ثبت فيها ما وعدنا به من الختم بذكر تمداد أسماء الله الحسنى
ذوات النور الأسنى التى من أحصاها دخل الجنة . قال الله تعالى (والله الأسماء
الحسنى) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .

إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب
الوتر وهي هذه :

هو الله اقدس لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق
الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المزمز المذل السميع البصير الحكم العدل
اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحبيب
الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد
الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي للبدى للعيد الحي المميت الحي
للقيوم الواحد الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم المفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال
والإكرام المقسط الجامع الفنى المبقى المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي
الوارث الرشيد الصبور . انتهى عدد الأسماء وسمت بعض مشايخي يقول
بمدها ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

قال الإمام النووي في كتاب الأذكار هذا الحديث رواه البخارى ومسلم
إلى قوله يحب الوتر وما بعده حديث حسن رواه الترمذى وغيره . قال وقوله
للفيت روى بدله المقيت باللقاف والتاء المثناة . وروى القريب بدل الرقيب .
وروى المبين بالياء الموحدة بدل المتين بالثاء فوق والمشهور المثناة فوق قال
ومعنى أحصاها حفظها هكذا فسر البخارى والأكثرون ويؤيده أن في
رواية في الصحيح من حفظها دخل الجنة . وقيل معناه من عرف معانيها وآمن
بها . وقيل معناه من أضافها بحسن الرعاية وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها
وبالله التوفيق .

وقال أبو إسحاق الأسفراينى من أحصاها دخل الجنة على العاقبة . إمام

بالتوبة من الذنوب في الدنيا وإما بالشفاعة في الآخرة .

انتهاء المقدمة والبداءة في الشرح

قلت وقد انتهت للفصول الخمسة المحكمة . التي جعلناها لهذا الشرح مقدمة وعن بعض مهماته مترجمة . وبقطرة من بحر فضائله متكلمة . ولقمارقين بعمانيه حنيفة . وللملأء العلماء بعمانيه معلمة ومعلمة . ولما نقص من لواحقه مكملة ومتممة . وفيها من الفوائد موائد مفتومة وأسرار من الأسرار المكتومة . ونسأل الله الكريم . البر الرحيم . الذي لا يخيب من قصده وأمه . أن يتقبله منا بواضع الجود وفيض الفضل والرحمة . وأن يجعله خالصاً لوجهه ومبرئاً من كل عيب ووصمة . بجاه شفيع الأمة ، ونبي الرحمة . وكاشف الغمة .

خطبة شرح الشيخ علي بن عبد الله بارأس

وهذا أو ان الشروع في المقصود . من شرح الراتب المقصود . والدر المنضود . والمنهل للعذب المورد . ونبتدى أولاً بإيراد خطبة شرح الشيخ علي بن عبد الله بارأس ثم نتبع ذلك بفصل فيه أصل الراتب منقول من نسخ معتمدة ومحفوظ من أفواه المشايخ الأجلاء المسندة . الذين أخذوه بالتلقى عن صاحبه وأجلهم مولانا الوالد الحسين ابن سيدنا عمر فانا بحمد الله قد سمعناه عنده ومنه وعليه مدة وهو شيخنا الذي أخذناه عنه . وعليه بمد الله ورسوله الاعتماد . ومنه الاستعداد على الإطلاق في أخذ هذا الراتب العظيم وغيره ورجو من كرم الله الكريم وخيره ان يجعلنا من محبيه السائرين بسيره .

قال الشيخ علي في شرحه : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمده الأقدم واسمه الأعظم ، وقوله الأقوم . وأصله وأسلم . صلى نبيه الأشرف محمد الأفخم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد فقد استغرت

الله تعالى ولجات إليه بكلية الافتقار وجمعية الاضطرار . وقد كنت منذ زمان
أجد الإشارة الضمنية في تطبيق كلمات تنبيه الغافل وتوجد الواصل . إلى منال ما
انطوى عليه مجموع راتب رتبة وجهه قطب الزمان ، وكنز العرفان . سيدي
عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوى نفع الله بهم . ونظمت في منظوم صلحهم
وقد ألح على في ذلك بعض الإخوان فلم يسمنى أيضاً إلا قبول إشارته وإسمائه .
بما أمد الله من نفثات أبرزها مخرج الحب في السموات والأرض ، وأما ما وردت
به الآيات وما صحت به الروايات من الأخبار والآثار في فضائل هذا الراتب فأكثر
من أن نحصر وأشهر من أن تذكر فقد جاء في الكتاب العزيز من الاستعاذات
من كافة شرور الدنيا ودفع ضرائرها للضارة عن أسماء الجلال ومحركات آثار
للمدل . فمن ذلك أول من استماذه ولاذ به . الاستعاذة بالاسم الأعظم الجامع
لمظاهر الألوهية . انتهى ما أورده الشيخ على في خطبته على الشرح .

فصل

في بيان اسم هذا الراتب المبارك وبيان أعداد كلمات أذكاره وبيان
الوقت الذي يختار ويحسن قراءته فيه . وبيان ما يرتب بعده من قراءة الفواتح
وغير ذلك من الفوائد الجليلة .

فأما اسمه فهو [عزيز المنال وفتح باب الوصال] .

الراتب وما يذكرك قبله وما يذكرك بعده

وأما تمديد كلمات أذكاره . فالذكر الأول قبل أن يقرأه اخترت زيادته .
وآثرت إفادته ، قوله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو
الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

المزبذ الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له
الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (ثم
يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ثلاثاً .
(الثالث) (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء
وهو السميع العليم) ثلاثاً .

الرابع (بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) عشرًا .
الخامس (بسم الله الرحمن الرحيم) ثلاثاً .

السادس (بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا على الله) ثلاثاً .

السابع (بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه) ثلاثاً .

الثامن (سبحان الله عزَّ الله سبحانه الله جلَّ الله) ثلاثاً .

التاسع (سبحان الله و بحمده سبحانه الله العظيم) ثلاثاً .

العاشر (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) أربعاً .

الحادي عشر (يا لطيفاً بخلقه يا علماً بخلقه يا خبيراً بخلقه أطف بنا يا لطيف
يا عليم يا خبير) ثلاثاً .

الثاني عشر (يا لطيفاً لم يزل أطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل أطف
بنا والمسلمين) ثلاثاً .

الثالث عشر (لا إله إلا الله) مائة أو سبعين . أو أربعين . ويقول : تمام
المائة (محمد رسول الله) . مرة .

الرابع عشر (حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعاً .

الخامس عشر (اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم) إحدى عشرة مرة .

السادس عشر (استغفر الله) إحدى عشرة مرة ، ثم يقول تائب إلى الله « مرة »

السابع عشر (باقة بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة) ثلاثاً ، انتهى .

ويقول بعده ما اخترت زيادته . وآثرت لأهل هذا الراتب إفادته .

قوله تعالى (غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا
ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) آمين .

وقد بينت بمض ما في ذلك بقولي (قلت) :

ويتنبى لمن أراد الشروع في قراءة هذا الراتب أن يقرأ قبله ثلاث آيات
هن آخر سورة الحشر ، وسياق الحديث الشهير ، الذي هو إلى فضلها وإلى
أنها كائنة من جلته مشير . ولا ينبئك مثل خبير ، قريباً إن شاء الله تعالى .

ثم يقول بعد تمام الراتب (غفرانك ربنا وإليك المصير) إلى آخر سورة
البقرة ، وقد دعوت إلى ذلك جماعات من أهل الإنصاف والمدل ، والائتلاف
والفضل فعملوا عليه ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه ، تقبل الله منهم وأجزل
نوابهم لديه .

ذكر التوحيد

وما يحسن بعده أن يأتي بذكر التوحيد . وهو الذي أخذه على هذه الصفة
المعروفة سيدنا عمر عن الشيخ عمر بن عيسى باركوه السمرقندي « المتقدم ذكره
عند ذكر مشايخ سيدنا عمر في الجزء الأول من هذا الكتاب » وهو أن يقول :
(لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثلاثاً ، ثم يقول (لا إله إلا الله) خمس مرات
ثم يقول (الله الله) خمساً وعشرين مرة ، ويحسن أن لا ينقص عن ذلك فإن زاد
أو نقص فلا بأس ، ثم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثلاثاً (ثم لا إله
الله) « خمس مرات » وهذا المدد المذكور اختيار من غير تقييد فإن زاد زيد له
في الثواب . وإن نقص نقص عليه ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وقت قراءة الراتب

وأما وقت للقراءة لهذا الراتب والأتان به فالأحسن والختار والمنول به سلفاً وخلفاً أن يكون بعد صلاة المشاء الأخيرة ، كذا أدركنا شيخنا الوالد الحسين بن عمر نفع الله به يأتي به بعد صلاة للمشاء مع من حضر من أصحابه . وأما في شهر رمضان فهو قبل الصلاة أعنى المشاء لثلا يفصل بين الصلوات بكثير شغل ، (قلت) والأحسن لمن كانت له همة عالية في طلب الخير ، وحرص عليه أن يقرأ هذا الراتب صباحاً ومساءً لأن جملة ما جاء فيه من الأذكار وردت السنة بالإتقان بها صباحاً ومساءً كما يعلم ذلك من له أدنى إشراف على كتب الحديث . وكما سيأتي في مواضعه هنا إن شاء الله تعالى .

الفواتح بعد قراءة الراتب

ثم بعد تمام قراءة الراتب يرتب (الفاتحة) لسيدنا الفقيه القدم محمد بن علي باعلوى وأصوله وفروعهم وكافة ساداتنا آل باعلوى أينما كانوا وجميع أولياء الله ممن مشارق الأرض إلى مغاربها أن الله يملئ درجاتهم وينفعنا ببركاتهم ويحمينا بحمايتهم في الدنيا والآخرة .

(الفاتحة الثانية) : لسيدنا عبد الرحمن بن عجيل وسيدنا صاحب الراتب عمر ابن عبد الرحمن وسيدنا عجيل بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن وصالح ابن عبد الرحمن وحسين بن عمر وأصولهم وفروعهم وأهل تربهم وجميع الآخذين عن سيدنا عمر واللائذين به والمتسبين إليه في جميع أقطار الأرض أن الله يفرحهم ويرحمهم ويملي درجاتهم ويميد علينا من أسرارهم وأنوارهم وبركاتهم في الدنيا والآخرة .

(الفاتحة الثالثة) أن الله يصلح أمور المسلمين وينزل غيثهم ويفرز أمطارهم ويرخص أسفارهم ويشفي أمراضهم ويصالح نضاتهم وولاتهم ويحمد

نار الفتن ما ظهر منها وما بطن ويصالح الشأن كله ويحتم لنا بالحسنى في خير
وعافية لكم ولنا وأن الله يحملنا وإياكم من القبولين ويوفقنا وإياكم لما يحب
ويرضى من القول والعمل ويحفظنا وإياكم من الزيف والزلل .

(الفاتحة الرابعة) يرتبها للسكان إن قرىء الراتب في مسجد أو بيت .
لمن عمر هذا المسجد وأقام فيه وتصدق عليه وصلى فيه وصلى إليه بخير أن الله
يتقبل من الجميع ويجمعه خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إلى جنات النعيم .
أو لصاحب السكان أن الله يكون في عونته ، ويتقبل منه ويسر عليه ويحمل
حاله ويفقر لوالديه ويمطيه مطالبه في الدارين . ويزيد وينقص بحسب الحالة في
ترتيب الفاتحة كيف شاء مع التخفيف ، ثم يدعوا بهم فإذا ختموا الدعاء تصالحوا
مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

(فائدة)

قولهم الراتب مأخوذ من ترتيب الحرس للحماية . فإذا كان في القرية جند
يحمونها قيل لهم رتبة . وإن كان فيها واحد قيل له راتب أى دائم لا ينفك عن
حمايتها . وهذا مناسب للمعنى أو هو مأخوذ من دوام الملازمة له . وقال أهل
اللسان وأصل الترتيب من رتب بتخفيف التاء رتباً إذا ثبت ولم يتحرك .
وقولهم ترتب الأمر أى ثبت واستقام فهو مستقيم دائماً .

الذكر الأول وشرحه

ومن هنا ابتداء سيدنا عمر بالاستعاذة لتقدمها فقال : (أعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم) « ثلاثاً »

قال الشيخ على بن عبد الله بارس في شرحه . وصفه تعالى بهذين الاسمين
يعنى (السميع العليم) وهما الوصفان الجامعان لعالم الغيب والشهادة إذ الاسم
السميع مجلى الاسم الأعظم في عالم الغيب ، ثم قال والغيوب خمسة : غيب

فى اللسكوت ، وغب فى الجبروت ، وغب فى السماء ، وغب فى العرش ،
وغب فى الصور . وهذا الاسم - شامل لهذه الغيوب كلها ، وتجلى السميع على
سائر الصور والمانى وما احتوى عليه هذا الاسم من التجليات الحسيات
والمعنويات ، وكل أسمائه الوصفية تصيح بتجلى سائرها . قال والشيطان هو
الحاذق بدقائق الأمور وجلالها . وهو البعيد عن الرحمة القائم بمظاهر الفتنة
والنقمة . والرجيم هو الطريد عن الحضرة القائم فى مقام الخزى واللعنة وهو
البعيد عن الرحمة المستعاذ من شروره ومكائده ودواعيه ومصائده الباطنة .
والظاهرة ، انتهى ما أورده الشيخ بكاله .

ونحن نشرع فى تحقيق ما قصدنا وإنجاز ما وعدنا وإليه صمدنا وله أردنا وفيه
اجتهدنا ، فنقول :

مبحث الاستعاذة من الشيطان الرجيم ما جاء فيه من الآيات

أما الآيات فقد قال الله الكريم : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾
فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴿ وقال : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾
فاستعذ بالله إنه سميع عليم ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون ﴿ وقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾
وقال تعالى : ﴿ قل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب
أن يحضرون ﴾ وقال جل ذكره : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ
برب الناس ﴾ للسورتين ، وقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جملنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا ﴾ ، فينبغى أن يتموذ ثم يقرأ من
القرآن ما تيسر لدفع وساوس الشيطان كذا قاله العلماء .

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه خواص القرآن للمعيز : عن ابن قتيبة أنه قال تخيل لرجل في الليل خيال جفري على لسانه ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ ، فقال له الذي تخيل له : أتدرى ما الحجاب المستور ، فقال : لا ، فقال اقرأ ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ إلى قوله : ﴿ أساطير الأولين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمهم وأبصارهم وأولئك هم الفاعلون ، أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؛ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يدها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴾ . هذا هو الحجاب المستور الذي جعله الله بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة . ثم انصرف ذلك الشخص عنه .

وقال بعض العلماء قوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ نفورا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ، هاتان الآيتان لطرد المردة من الجن والشیاطين وتخويقهم إذا كتبت للخائف المذعور الذي تخيل له الخيالات الفاسدة ذهب ذلك عنه بعون الله تعالى .

ما ورد فيه من الأخبار

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه : « اقرأ يا جابر ، قلت : وماذا اقرأ يا أبي أنت وأمي ، قال : اقرأ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ؛ فقرأتهما ، فقال : اقرأ بهما فان تقرأ عنهما ، أخرجه النسائي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« للشیطان جأش على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خَسَّ ، وإذا غفل
وسوس له » أخرجه البخاری تعلیقاً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين حتى
إذا قضى التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا وأذكر كذا
لما لم يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى » ، متفق عليه .
(التثويب) الإقامة .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « ما من ثلاثة لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان
فمليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه أبو داود ،
بإسناد حسن .

وروى الإمام أحمد والطبرانی بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « للشیطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية ، إياكم والشعاب
وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد » ، وفي رواية لمسلم « إن الشيطان آيحهض
أحدكم عند كل نبيء من شأنه حتى يحضر عند طعامه فإذا سقط من أحدكم
اللقة فليُمِط ما كان بها من أذى فليأكلها ولا يدعها للشيطان » .

وفي صحيح مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال إذا كان جنح
الليل أو أسيتم فأكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنشر حينئذ فإذا ذهب ساعة
من الليل فخلّوهم وأغلقوا الباب واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً
مفلقاً وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخروا آنيتكم واذكروا اسم الله
لو أن تعرضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم » اهـ الحديث نقله الإمام النووي

في شرح المذهب . وقال جنتح الليل بضم الجيم وكسرها ظلّامه . قال وفائدة
التفطية ثلاثة أشياء : أحدها ما ثبت في الصحيح أن الشيطان لا يحل سقاء
ولا يكشف إناء . الثاني جاء في رواية لمسلم أن في السنة ليلة ينزل فيها وباء
لا يمر بإناء ليس له غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء .
الثالث صيانتة من النجاسة وشبهها والله اعلم . وقوله تمرضوا بضم الراء وروى
يكسرها والضم أفصح ، ومعناه يضع عوداً أو نحوه عرضاً اه .

ونقل الإمام النووي عن ابن السني وغيره من العلماء بإسنادهم عن معقل
ابن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين
يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث
آيات من سورة الحشر ، وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه
حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان
بنتك المنزلة .

السّر في العدد وفي قراءة آخر الحشر قبل الراتب

(قلت) فلهذا الحديث المشهور وما فيه من الفضل المذكور وأمثاله من
الأعداد التي تمدها من المأثور اختار سيدنا عمر أعداد كلمات هذا الراتب
ثلاثاً ثلاثاً لو رودها عن جده عليه الصلاة والسلام كما قدمنا التنبيه على ذلك .
والتوجيه لما هنالك في آخر فصل فضل الذكر وكما سيأتي في موضعه ، ولأجله
أيضاً زدت هذه الآيات التي هي آخر سورة الحشر في أول هذا الراتب تقرأ
قبل الشروع فيه . وهي قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو

الله الخالق البارئ للصُّور له الأسماء الحسنى يسبِّح له ما فى السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم .

فينبغى المحافظة على قراءتها قبل الراتب لهذا الحديث . واقوله صلى الله
عليه وسلم « من قرأ آخر الحشر غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر » .

وقال بعض العلماء من أراد أن يدعو الله باسمه الأعظم يقرأ أول سورة
الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور وآخر الحشر هو الله الذى لا إله إلا هو
إلى آخرها . ثم يقول اللهم يا من هو هكذا ولا يزال هكذا وليس هكذا
أحد غيره أأهلك أن تفعل لى كذا وكذا ولو دعا بها على ميت لحى .
وذكر أنه وجدها مروية عن البراء بن عازب عن على رضى الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

وعن الفقيه العالم على المقدسى أن الاسم الأعظم على اختلاف مذاهب
الناس فيه هو هذه الكلمات يا حليم يا عليم يا على يا عظيم يا حى يا قيوم
يا ذا الجلال والإكرام برحمتك استغيث لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
من الظالمين وكان الفقيه الكبير أحمد بن موسى بن عجيل يقول ذلك .

قال بعضهم إن إدمان قولك يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت يورث حياة
القلب والعقل ، قال وكان بعض المشائخ لهجاً به جداً قال ومن قال بين ركعتي
الفجر وصلاة الصبح يا حى يا قيوم برحمتك استغيث حصلت له حياة القلب
ولا يموت قلبه أبداً .

وحكى بعض العلماء عن ابن قتيبة قال : كان رجل يعرف بالزيت وكان
فى وسطه منطقة فيها حروف مقطعة ، وكان يدخل أبناءه وأراد ولا يرى . فلما مات
أخذت المنطقة وجمع ما فيها من الحروف فإذا هن : هو الله الذى لا إله إلا هو
عالم للغيب والشهادة إلى آخر سورة الحشر وآخر سورة براءة حسبي الله

لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

وقال الإمام النووي روي في كتاب ابن السني عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلاً إذ أخذ منجماً أن يقرأ سورة الحشر قال إن ميت مت شهيداً أو قال من أهل الجنة انتهى .

وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن اسم الله الأعظم فقال للسائل عليك بآخر سورة الحشر قاله مراراً رواء الثعالبي ونقله الحبشي في كتاب البركة فافهم والزم تكريم وتغنم والله أعلم .

عود إلى القول في الاستعاذة

وفي صحيح البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد الصحابي رضي الله عنه قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسنبان وأحدهما قد أحرر وجهه وانتفخت أوداجه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد . فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال وهل بي من جنون .

وفي صحيح البخاري رحمه الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن استعاذني لأعيذنه وإن استنصرني لأنصرنه » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفافك من عنفوتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أخرجه أصحاب السنن .

وقال عليه السلام « إذا غضب أحدكم فقال أعوذ بالله سكن غضبه » .

كيد الشيطان للإنسان

وروينا في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال أمنتك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نقله قبل هذا ورأيناك تبسط يدك ، قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت أمنتك بلعنة الله التامة ثلاث مرات فاستأخر ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثوقاً بلمب به ولدان أهل المدينة (قلت) أراد بدعوة سليمان قوله ربى هب لى ملكاً لا ينبئى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب المشار إلى قبولها بقوله فسخرنا له الريح تجري بأمره إلى قوله والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد . ثم امتن عليه فقال هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب .

(قلت) أيضاً ومعنى قوله بغير حساب . إما أنه مأخوذ من ترك العدَّ المشار إليه بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أو هو مأخوذ من ترك الحاسبة فى الآخرة على عدم القيام بشكر النعم . إما لخصوصية اختصاصها سليمان أو لأن آل دواود قد وفقهم الله للشكر الذى هو العمل فى نعم الله بطاعة الله . قال الله اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور فافهم والله أعلم .

وقد اختلف العلماء فى قوله لا ينبئى لأحد من بعدى . على أقوال كثيرة منشورة شهيرة . أحدها أنه على ظاهر ما أشار إليه ظاهر هذه الآيات . وقال بعضهم لا أراد سليمان بقوله لا ينبئى لأحد من بعدى طلب الأمان من الساب لأن

أكثر من يخاف مكر الله أنبياء الله ، وللعلماء في هذا كلام طويل محل بسطه
كتب تأويل التنزيل .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المرأة
تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم من امرأة ما
يمجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه » أخرجه أبو داود والترمذى . وقال
أبو الليث السمرقندى قال رجل في الزمان الأول لا إبليس أحب أن أكون مثلك
قال أترك الصلاة ولا تخاف صادقاً (قلت) أشار الله له لهدى المستشير له
بأن يكون مثله للخصم اللتين طرد ولعن بسببهما وهما عدم السجود لآدم
عليه السلام لما جعله الله كعقبة ، والثانية أنه أول من أقسم بالله كاذباً لما أراد
إغواء آدم عليه السلام وحواء فدلاهما بفرور وقاسمهما أى حلف لهما بالقسامة
بالله أنه لهما لمن الناصحين حيث علم أنهما بصدقانه لظنهما أنه لا يجسر أحد على
الحلف بالله كاذباً .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إذا تناهب أحدكم فليمسك يده على فمه فإن الشيطان يدخل » ، رواه مسلم .
وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب » رواه أبو داود ، والترمذى
والنسائى بأسانيد صحيحة ونقله عنهم النووى فى رياضته وقال قال الترمذى حديث
حسن ، وفيه عن ثكل بن حميد رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله علمنى
دعاء ، قال « قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر
لسانى ومن شر قلبى ومن شر مني » رواه أبو داود ، والترمذى وقال حديث
حسن ، وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم
إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسوء الأسقام ، رواه أبو داود
بإسناد صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه يثس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة
فإنها بثت البطانة ». رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم « من تأنى أصاب أو كاد . ومن عجل أخطأ أو
كاد . والمجلة من الشيطان » .

وعن الإمام الأوزاعي أنه قال نخيل لي خيال ففرغت منه فقلت : أعوذ
بالله من للشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . فقال لي لقد استعذت به ظيم
وانصرف عني .

وقال الإمام النووي روينافي سنن أبي داود والنسائي بإسناد الصحيحين
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استعاذ
بالله فأعيزه ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم بالله فأجيبوه ومن صنع إليكم
معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد
كافأتموه » .

وروى مسلم في صحيحه « من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان
وكل الله به ملكا يرد عنه الشياطين » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأى أحدكم الرؤيا يبرها فليصق عن
يساره ثلاثاً وليستمذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذي
كان عليه » .

وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تموذت بالله من
شياطين الجن والإنس قلت يا رسول الله وهل للإنس من شياطين قال نعم هم
شمر من شياطين الجن » .

وقال مالك بن دينار إن شياطين الانس أشد على من شياطين الجن وذلك
لأنى إذا تموزت بالله ذهب عنى شيطان الجن . وشيطان الإنس يجيئنى فيجبرنى
على للمامى .

وقال عليه السلام « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فأنما هى من الله فلا يحدث
بها إلا من يحب . وإذا رأى غير ذلك مما يكرهه فأنما هى من الشيطان فليستمد
بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لانضره » رواه البخارى، قال بعض العلماء
سوفظ التمود أن يقول أعوذ بالله رب موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى ومحمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم من شر ما رأيت فى رؤياى أن تضرنى فى دينى ودنياى
سوأخرتى عز جارك الله وجل ثناء الله وتقدس أسماء الله ذكره فى تجريد الصحاح .

(فائدة) يحسن ذكرها هنا لأنها مجربة فى أن من قالها عند النوم فإنه إذا
رأى رؤيا كانت صالحة صادقة نافعة . وهى مانقة الإمام النووى فى الأذكار عن
عائشة رضى الله عنها، أنها كانت إذا أرادت النوم تقول اللهم إنى أسألك رؤيا
صالحة غير فاسدة ، صادقة غير كاذبة ، نافعة غير ضارة وكانت إذا قالت هذا عرفوا
أنها غير متكلمة بشيء حتى تصبح أو تستيقظ من الليل . فالزم هذا الدعاء عند
النوم فإنه عجيب للتجريب من فضل القريب الحبيب .

ورويانا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم
حديث حسن رواه أبو داود باسناد جيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال النبي صلى الله عليه وسلم إن
الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفى يده غر فأصابه شيء
فلا يلومن إلا نفسه أخرجه أبو داود والترمذى ونقله النووى ثم قال حساس

تحميد الحس والادراك . لحاس كثير الحس لما يصل إليه وللضمير بفتح الميم
ريح اللحم وزهومته .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتموذج من الجان ومن عين الإنسان فلما نزلت للموذتان أخذها وترك ماصواها
فأخرجه الترمذى .

وعن أبي وائل قال دخلنا على عروة بن محمد السمدى فكلّمه رجل فأغضبه
فقام فتوضأ . فقال حدثني أبي عن جدى عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما
تطغى النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ أخرجه أبو داود .

وعن جابر رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عرش
ابليس على البحر فيميت سراياه فيفتنون الناس وأعظمهم عنده منزلة أعظمهم
فتنه فيجىء أحدكم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا . ثم يجىء
آخر فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويلتزمه فيقول نعم أنت
أخرجه مسلم ، وعن أبي أوفى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله تعالى مع القاضى ما لم يجز فإذا جار تخلى عنه . ولزمه الشيطان أخرجه
الترمذى .

وعن أبي السائب رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
بالمدينة جنا قد أسلموا بمعنى الحيات فإن رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن
بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان أخرجه مسلم ومالك وأبو داود ومعنى
فآذنوه هو أن يقول له أنت فى حرج إن عدت إلينا فلا تأمنا أن نضيق عليك
بالطرد والتنبع .

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا أراد أن

يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس وأجلبت واجتمعت كما يجتمع النحل على بمسوها . فإذا قام أحدكم من باب المسجد فليقل اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم يضره . والعصوب أمير النحل .

وفي سنن أبي داود وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل القراءة في الصلاة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . قال النووي وجاء في تفسير الحديث أن همزه الموتة وهي الجنون ونفخه الكبير ونفثه الشمر يعني المحرم والله أعلم .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهن كاس وإذا شيطان للمؤمن مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظلم جائعاً وإذا شرب سمى الله فأظلم عطشاً : وإذا أدهن سمى الله فأظلم أشعث وإذا لبس سمى الله فأظلم عارياً . فقال شيطان الكافر والى كفى مع رجل لا يفعل شيئاً مما ذكرت فأنا أشاركه في طعامه وشرابه انتهى من الأحياء .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بأننى عام أنزل منه آيتين ختم بها سورة البقرة لا يقرءان في دار ثلاث مرات فيقر بها شيطان أخرجه الترمذى .

وفي الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى من قرأ آية الكرسى حين يأوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقر به شيطان حتى يصبح .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة يابن آدم وللملك لمة^(١) فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب

(١) اللمة بفتح اللام المس أو قابل منه .

بالحق . وأما لمة الملك فإيماد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً
فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتموذ بالله من
الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر) الآية أخرجه الترمذى .

ونقل الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال
قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتموذ
بالله وانفل عن يسارك ثلاثاً » ففعلت ذلك فأذهب الله عني .

وفى البغوى بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له
الولطان فاتقوا وسواس الماء ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس
يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجىء أحدهم .
فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيئ أحدهم فيقول ما تركته
حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت . قال الأعمش .
أراه قال فيلتزمه .

وهذه استعاذة الشيخ الكبير محمد بن واسع ذكرها حجة الإسلام في
كتاب شرح عجائب القلب من الأحياء أحببت ذكرها لما فيها من كراهة
إبليس لها . كان محمد بن واسع يقولها كل يوم بعد صلاة الصبح فتعرض له إبليس
يوماً في طريق المسجد فقال له يا بن واسع هل تعرفنى . فقال ومن أنت قال
اللعين قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك
أبدأ قال لا والله لا منعتها لمن أرادها فاصنع الآن ما شئت وهى هذه :

اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعبادنا مظلماً على عوراتنا يرانا هو
وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فأبئس منا كما أبئسنا من رحمتك وقنطه منا كما قنطته
من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شئ قدير .

(قَلْبِيهِ) قال المؤلف « غفر الله له سيئاته . وتقبل حسناته ، وأصلح نيته »
 اعلم أيها الأخ الشفيق ، الناصح الرفيق ، الواقف على هذا التأليف وفقنا الله
 وإياك لمرضاته ، وجعلنا من القائمين بوظائف طاعته الذاكرين الشاكرين
 للتفكيرين في ملكوت أرضه وسمواته . أنى أكثر ما أعتمد عليه في نقل
 الفضائل وإيراد الحجج والدلائل في هذا الشرح على الآيات القرآنية ، والأحاديث
 النبوية ، وما صح ووضح وملح من أقوال السلف الصالح فأوردها غالباً في الحل
 المطابق لها من غير توطئة كلام قبلها وبمدها إلا القليل رغبة في كثرة إيراد
 الآيات والأحاديث في الكتاب واكتفاء بكلام الله ورسوله وأوليائه عن غيرها
 ومتى أمكن لي البسط في ذلك بسطت الكلام رغبة في زيادة الخير وتحصيل
 الفائدة لي وإخواني المشار إليهم في آخر التمرير من الجزء الأول فينبغي لمن
 أراد مطالعة هذا الكتاب أن يقصد بذلك تحصيل الفوائد للكثيرة ولا يمل
 من الخير الطويل فإن كل سطر منه محتو على فائدة أو فوائد كثيرة كما لا يخفى
 بذلك على من له أدنى بصيرة .

وفي الحديث ما شيع مؤمن من خير قط حتى يكون منتهاه الجنة . وفي
 الحديث الآخر منهومان لا يشبهان طالب علم وطالب دنيا .

ثم اعلم أيضاً أني اخترت في غالب هذا الشرح تقديم ذكر الفضائل على
 ذكر شرح المعاني . وذلك لعل بقله الرغبات وضعف العزمات وفتور الحمم
 عن المطالعات فقدمت ذكر الفضائل أولاً ليراه الناظر مقدّمة في هذا الشرح
 فيغريه ذلك بملازمة قراءة هذا الراتب والأعمال بالنيات .

فصل

في معنى قوله . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

اعلم أن (معني أعوذ) أستسكني وألوذ وأعصم وآوي . قال البخاري في صحيحه ومعني الاستمادة الاعتصام بالله ، قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن فاستمعوا لله ومن الشيطان الرجيم) ومعناه إذا أردت أن تقرأ فاستمع كقوله إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا أردتم القيام للصلاة وروى سليم عن حمزة ابن حبيب الزيات السكوني أحسن القراء السبعة أنه كان يتعوذ بعد القراءة أخذاً بظاهر هذا اللفظ .

واعلم أن التعوذ مستحب ليس بواجب وهو أيضاً مستحب من كل قارئ سواء كان في الصلاة أو في غيرها ويستحب في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين فإن تركه في الركعة الأولى أتى به في الثانية . ويستحب التعوذ في التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة على أصح الوجهين - ذكر ذلك كله النووي في كتاب التبيان .

واعلم أنه يستحب أن يكون التعوذ جهرًا في ابتداء القراءة إذا كانت بحضرة مستمع وسواء أكان في أول سورة أو جزء أو آية . لا في أثناء دراسة ويسر بها في الصلاة مطلقاً .

ثم اعلم أن الاستمادة قد روى فيها عن أهل الحرمين والعراق والشام وغيرهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وروى عن أبي عمرو . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . والمشهور المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كذا ذكره العلماء .

ثم اعلم أن التعوذ مقدم على البسملة في جميع المواضع التي يدخل الخلاء فيقدم بسم الله ، ولا يزيد عليها الرحمن الرحيم ثم يتعوذ ، قال ابن حجر وإنما تقدم التعوذ عليها أي البسملة في القراءة لأنها منها .

وقوله (بالله) أى ابتدئ متبركاً مستعيناً ومتموذاً لانك بالله^(١) إذ من فوائد
هذا الإسم تمام الأمر المبدوء به فيه . وكله ونماؤه أخذاً من قوله صلى الله عليه
وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله وفي رواية بذكر الله فهو أبت
مقطوع البركة . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع . وفي رواية بحمد الله . وفي رواية
بالحمد فهو أقطع وفي رواية أجزم ، وفي رواية لا يبدأ فيه بذكر الله وفي رواية
بيسم الله الرحمن الرحيم ذكر هذه الألفاظ الإمام النووي في شرح صحيح مسلم
ثم قال روينا كل هذه الألفاظ في كتاب الأربعين للحافظ عبد القادر الراوى
بسماعنا من صاحبه الشيخ أبى محمد عبد الرحمن بن سالم الأنبارى عنه ثم قال .
النوى أقطع قليل البركة وكذلك أجزم بالجيم والذال المعجمة ويقال منه جزم
بكسر الذال يجزم بفتحها والله أعلم .

والباء فى قوله (بالله) للاستعانة نحو كتبت بالقلم وقيل الباء للإصاق
أى بالله تكونت الموجودات وبالله قامت . فإذا قال المبتدئ بسم الله فمعناها
أبتدئ باسم الله وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد .
قال سيدى محمد العمري فى كتابه بحر الأنوار وأكثر أهل العلم على أنه
اسم الله الأعظم . قال وقد ذكر هذا الإسم وهو اسم الجلالة فى القرآن وهو الله
فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمت عليه
الأمة ، ولم يسم به غير الله ولو تمتنا فى الكفر بخلاف الرحمن ، وهو أصل
جميع الأسماء الواردة اهـ .

وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمع رسول الله

(١) هذا المعنى الأخير هو المناسب لما نحن بصدده وللعانى الأولى مناسبة للبسطة فى ابتداء
كل ذى بال أمر .

صلى الله عليه وسلم عمر يحلف بأبيه فقال «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ايصمت» أخرجه السنة.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره» أخرجه البخارى .

وعن أبي أمامة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله قال وإن كان قضيباً من أراك» رواه مسلم وفى الحديث «ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وويل للصانع من غدر وبعد غد» .

فضل سورة الاخلاص وآية الكرسي

وفى مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن قال النووى قال القاضى عياض قال لما ذرى وقيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص . واحكام . وصفات الله تعالى . وقل هو الله أحد مختصة بالصفات فهى ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء . وفى مسلم قال صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب أى آية من كتاب الله معك أعظم قال الله لا إله إلا هو الحى القيوم . قال النووى فى شرح صحيح مسلم قال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة . قال وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات اهـ .

خصائص اسم الجلالة « الله »

وقال سيدي العمري في كتاب بحر الأنوار في خصائص اسم الجلالة الله ومن خصائصه أنه لا ينقص بنقص بعض حروفه فتقول الله فإذا أسقطت الألف تقول لله فإذا أسقطت الألف واللام الأولى تقول له فإذا أسقطت الألف واللامين تقول هو . وهو الاسم الباطن . قال العمري وللملاء فيه عشرة أقوال . الأول ونسكتفي بذكره هنا وهو أنه غير مشتق لا يجري مجرى الأعلام لأن جميع الأسماء تضاف إليه فتقول الرحمن الرحيم العظيم الجليل من أسماء الله . ولا تقول الله من أسماء الرحمن ويجتمع فيه حرف اللداء مع الألف واللام يعني من غير زيادة فيه بهما ولا نقص منه بتركهما فتقول يا الله ولا يجمعان في غيره من الأسماء قال حجة الإسلام الغزالي هو أعظم الأسماء المذكورة يعني الله قال لأنه يدل على الموجود الحق الجامع لصفات الالهية المفرد بموت الربوبية . قال وجميع ما ذكر في اشتقاقه تصف وإنما أثر معرفة هذا الاسم استغراق القلب بذكر الله عز وجل اهـ .

وقال سيدي العمري أيضاً ويقال إن هذا الاسم يعني اسم الجلالة الله هو أكثر الأسماء ثواباً وأكثرها تعظيماً . والرب تعالى مختص به فلا يسمى به غيره شرعاً . وقبض الألسن والعقول عن التسمي به طبعاً ، وله سبحانه في هذا الاسم أوصاف . وهي القدرة على الإيجاد وأنه لا يكون إلا ما يريد وأنه القاهر الذي لا يقهر . والغالب الذي لا يظلم وأنه لا يصح التكليف إلا منه ولا تجوز العبادة إلا له ولا ترفع الرغبة إلا إليه ولا تسكون للرغبة إلا منه ، المبتدئ منه والمنتهى إليه وأنه لا ينتظر المنع والمطاء إلا منه .

وقال ومن آثار معرفة هذا الاسم التبهرى من الحول والقوة ، وأن تسلم إليه كلك ونحمل عليه كلك ، وأن لا تنزع من الفقر والذل ولا تنفرح بالفنى والصحة وترك تدبيرك لشهود تقديره ، والتسليم لمراده والرضا بقضائه ، وامتنال أسره .

واجتناب نهيه والخوف من مكروه والأمان من غيره ، قال ومعرفة هذا الاسم تعدل معرفة معاني جميع الأسماء فإن لاله الحق من له الأسماء الحسنى وللصفات العلى فهو كامل الالهية تام الربوبية هو الله كَلَّتْ ألسن الخلق كلهم ولم يبلغوا حق التوحيد فقف بين يدي مولاك بوصف الافتقار ونكس رأس الذل والانكسار ولا تبرح أبداً عن الباب فمضى أن تقرب مع الاحباب وعليك بالتفرد في الخلوات والتضرع في الليالى المظلمة والتوجه إلى مولاك بذكره في جميع الحالات إلى أن يصير اتذكر لك أنبأ والوجود سميراً وجلياً ففي روض معاني أسماء الله تعالى رياض سنية وموارد من بحار التوحيد الفياض هنية ففائدة ذكرك يعود نفعها إليك وثمرة شكرك ترجع بالزيادة إليك فإن الله تعالى لا يتجمل بذكر الذاكرين ولا ينفعه شكر الشاكرين وإنما ذكره شرف العارفين وخدمته زين العابدين الذين أنشئ الله عليهم في كتابه المبين وهو أصدق القائلين (القائون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) مدحهم بما مننهم وأنشئ عليهم بما أسدى إليهم وعلمهم كيف يشنون عليه ضمن طي ونشر (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو للآلئ القدوس) إلى آخر سورة الحشر . فرتع بسرك في معاني أمجائه وأمر أوقانك بذكره وثنائه . فلا عيش إلا معك ولا عز إلا بالاستناد إلى جنب الله ، من اعتمد على مولاة كفاه جميع أمره وسخر له الكون بإمره .

ثم قال سيدى العمرى وينبئى لمفقر أن يحمل له كل يوم ولو ساعة ورداً بالجلالة على الكيفية المملومة عند العارفين في موضع لا يراه فيه مخلوق ويتوجه بقلبه إلى الله عز وجل ويطرح نفسه في مقام الفاقة ويرى مع ذلك أنه لا يصاح للمفاجة ولا للخدمة مع مراقبة نظر الحق إليه لولا أن الله يتفضل عليه بذلك ويصير كما أمره

هملى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالفداء والمشي يريدون وجهه)
 خيّنال المقصود بالوجه . فإن من قرع الباب وليجّ وليج يا هذا إذا أعرضت عن
 مولاك أين تذهب ؟ وإذا لم تطلب منه فقيمن ترغب هل تعلم أحداً بفنيك
 عن بابه أو من تلجأ اليه غير جنابه وكل شيء دان لجبروته وشهيد بدوام
 ملكوته ، وأمارات انفراده بالصنع على الجميع لأئمة . ودلائل الفقه على الكل
 صائغة . ولا يصلح بذل المبهج الا في طلب الأعز .

سهر العميون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير هجرك ضائع
 وقال غيره :

لئن كان هذا الدمع يجري صباية على غير ليلي فهو لاشك ضائع
 من ذا الذي يحسن كاحسانه ؟ وأى فضل كفضله وامتنانه ؟ هو الذى اصطفاك
 فى القدم . وجعلك من خير الأمم . وحاك من السجود للصنم . ورباك بيره
 وزينك بذكره . وإن دعوته أجابك . وإن أطعته أثابك . وإن عصيته أمهلك
 وإن تبت إليه قبلك . كن له مطيعاً يكن لك ولياً وبك حفيك (رب السموات
 والأرض وما بينهما . فاعبده واصطبر لمبادته هل تعلم له سميّاً) .

(فائدة) قال سيدى العمري الله اسم مجوف من داوم على ذكره فى خلوة
 واعتكاف ظهر له فى العالم تصريح لا بدفع أمره فيهم وإذا رسم فى مربع
 وحمله صاحب الحى البلمبية ذهب عنه ومن شكله على
 المياها اذهبها لوقتها وهذه صورة وضعه قال وهو ذكر
 للموليين من أرباب الأحوال اه من كتاب بحر الأنوار .

| | | | | | |
|----|----|---|----|----|----|
| ا | هـ | ا | ل | ا | ل |
| ل | ل | ا | ل | هـ | هـ |
| ل | ل | ل | هـ | ا | ا |
| هـ | ا | ل | ل | ل | ل |

وقال الجلال التبريزي : اسمه تعالى هو الله الذى لا إله إلا هو كل من

قرأ كل يوم ألف مرة يا الله يا هو جملة الله من أهل اليقين .

وفى كتاب الشرحى قال ذكر بعض العلماء أن من كتب اسم الله في إناء
مكرراً بحسب ما يسمع الإناء ورش به وجه مصروع احترق شيطانه . ثم قال :
قال طليوني وقد أمرت بذلك رجلاً كان له غلام يصرع منذ أربعين سنة ،
فأغياه أمره ، فاعتكف ثلاثة أيام فكتبه ورش به عليه فاحترق عارضه
ولم يمد إليه ، قال : وهو من أسماء السكال والتمام وهو يذهب للعالم كلها .

معنى كلمتى السميع العليم

وأما قوله ﴿ السميع العليم ﴾ فمعناها السميع الأقوال العليم بالأحوال ، فهما
اسمان عظيمان جليلان قد اشتملا على ما لا يمكن تفصيل إجماله ، وهما يأتیان
كثيراً مقرونان بالاستكفاء للمؤذيات وطلب الولاية والرعايات والحمايات ،
يفهم ذلك من تدبر الآيات والأحاديث النبويات . قال تعالى عند ذكر ضمانه
بالرزق لجميع المخلوقات فى الأرضين والسموات : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل
رزقها ، الله برزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فسيكفئكم
الله وهو السميع العليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل ربى يعلم القول فى السماء والأرض
وهو السميع العليم ﴾ ، وقال : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها
ونستكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ .

وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه
الأصوات لقد كلمت الجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت وأنا
عنده لا أسمع ، وقد سمع لها وهى خولة بنت ثعلبة جاءت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة مرغوب
فى ، فلما خلا منى وبدت بطنى - أى كبر ولدى - جعانى كأمه . وكان الظهار
فى الجاهلية محرماً ، قال صلى الله عليه وسلم : قد حرمت عليه ، فقالت : والله

ما ذكر طلاقاً ، فهذه مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والتجاوز مراجعة الكلام . والكتاب العزيز والسنة للفراء مشحونان من ذلك فلا نطاول بذكره . وقد سبق بعض ذلك قريباً .

وأما معناها فقد قال الشيخ عبد الرزاق القاشاني في كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، وأما السميع البصير من أسماء الصفات فهما صفتان له تعالى من الصفات القديمة موجودتان قبل وجود السموعات والمبصرات ، وهو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي بسمع ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء وخفي جريان الماء ، وقيل السميع الذي أجاب دعوتك عند الاضطراب وكشف محنتك عند الافتقار وغفر زلتك عند الاستغفار ، وقبل ممزتك عند الاعتذار ، ورحم ضمفك عند الذلة والإنكسار .

قال وأما العليم فهو الذي يعلم ماهية الأشياء كما هي عليه جملة وتفصيلاً ومحيط بكل شيء ظاهره وباطنه دقيقه وجليله أوله وآخره وعاقبته وفاتحته . قال وهذا الاسم اسم صفة وصفته العلم وهو عبارة عن تجل إلهي إدراكي ، فيه أوجد الله أعيان الحقائق على حسب ما اقتضاه شأنه القديم . وهو أم الكتاب فتعينت المعلومات في العلم على حسب ما اقتضته الشئون الذاتية الأولية التي هي أم الكتاب والعلم الإلهي هو من مظهر تلك الشئون والله أعلم .

وقال الإمام حجة الإسلام في عقيدته التي هي شفاء الأسقام : السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، ولا يحجب سمعه بُعد ولا بدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وأذان ، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق .

قال وأما العلم فهو تعالى عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يمزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذرّ في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والإنتقال انتهى ما ذكره حجة الإسلام .

(فائدة)

اسمه تعالى السميع خاصيته استجابة الدعاء فمن قرأه يوم الخميس خمسمائة مرة بعد صلاة الضحى كان محاب الدعوة .

وفي شرح الأسماء الحسنى للشيخ زروق وغيره اسمه المليم خاصيته تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه للذي يليق به تعالى .

وفي كتاب الفوائد للشيخ أبي الخير الشرحي رحمه الله قال : حكى عن الألبان بن سعد أنه قال : رأيت عقبة بن نافع ضريراً ثم رأيت بصيراً فقلت له : بم رد الله عليك بصرك ، فقال لي : أتيت في منامي فقيل لي قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفاً لما يشاء ردّ عليّ بصري ، فقلت ذلك فردّ الله عليّ بصري .

وفيه أيضاً قال حكى عن بعض أهل العلم أنه قال : أقت مدة في الطلب ولم يفتح عليّ فاجتمعت ببعض الصالحين فكاشفني شيئاً في خاطري ، فقلت له : يا سيدي بحق من أعطاك ادع لي ، فقال لي : قل اللهم يا من مقاليد الخير

كلها بيده وإليه يرجع الأمر كله ، يا فتاح يا عليم افتح على فتحة قريباً يا فتاح
يا عليم يا فتاح يا عليم يا فتاح يا عليم . قال : قلت ذلك فلما تمت تلك
الليلة قال قائل لى فى المنام قد فتح الله عليك . قال : فوالله ما قرأت شيئاً
بمدها إلا فتح الله على فيه ببركة الكلمات المباركات وبركة الشيخ
نفع الله به آمين .

إبليس وطرده وحسده

وأما قوله : ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾ فهو إبليس وهو من الجن كما قال تعالى :
﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق
عن أمر ربه ﴾ الآية . والجن خلقهم الله من نار السموم وهى الريح الحارة
التي فيها وقود النار ولقح الشرار كما قال تعالى : ﴿ وخلق الجن من مارج
من نار ﴾ وإبليس كان يسمى عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث . فلما عصى
غير اسمه وصورته فقيل لإبليس لأنه أبلس من رحمة الله أى ينس منها .

والشيطان هو المتمرد العاتى من الجن والإنس ومن كل شئ . وأصله
البمد يقال بثر شطون أى بميد القمر وسمى الشيطان شيطاناً لامتداده فى الشر
وبعده من الخير . قال الامام النووى : والشيطان كل جنى مارد ونونه أصلية .
وقيل زائدة فعلى الأول من شطن إذا بمد . وعلى الثانى من شاط إذا
احترق وهلك .

وأما الرجيم فهو المرجوم بالشبه . قال تعالى : ﴿ وجعلناها رجوماً
للشياطين ﴾ قال العلماء : كان إبليس لعنه الله فى سابق علم الله من الكافرين
الذين وجبت عليهم الشقاوة وأبلس من رحمة الله .

وفى ابتداء أمره اختلاف بين أهل العلم . فقيل انه أسرته الملائكة

لما حاربت الجن من بينهم وهو صغير فعبد الله سبحانه وتعالى واجتهد وترقى مع
 الملائكة وفاق عليهم في شدة العبودية وآداب الربوبية فلكه الله سبحانه وتعالى
 هلى العوالم ثم إنه أعجب بما أعطاه الله سبحانه وتعالى فاقبلى بما ابتلى به من
 وجود آدم وأمر الله سبحانه الملائكة بالسجود له وامتناعه من ذلك فطارذ ونفى
 عن حضرة الله سبحانه وتعالى وابلس من رحمته ورضوانه فهو أول من أعجب
 ولما أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم وذلك هلى جهة التعظيم
 والخضوع والامثال لأمر الله سبحانه وتعالى بادرُوا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى
 فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . قائلا .
 أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . فهو أول من امتنع وخالف أمر
 الله سبحانه وتعالى وتكبر وطعن فى حكمة الله سبحانه وتعالى واستدل على الله
 سبحانه وتعالى بالقياس الفاسد فهو مبدأ الشر والعناد والكفر والشك والشقاق
 والنفاق نسأل الله العافية ، وكان سبب ما حل به من العقوبة والبعد والطارذ
 والامنة قوله أنا خير منه لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار خير من
 الطين . قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من قاس إبليس فأخطأ القياس
 فمن قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله مع إبليس . قال ابن سيرين ما عبدت
 الشمس إلا بالمقاييس .

تفضيل الطين على النار

قال محمد بن جرير ظن الحديث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل
 لما جعل له الفضل وقد فضل الله تعالى الطين على النار . وقال الحكيم للطين
 فضل على النار من وجوه منها أن جوهر الطين الرزاق والوقار والحلم والصبر وهو
 الداعى لآدم بمد المساعدة انتهى سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته

الاجتناب والتوبة والهداية ، ومن جوهر النار الخفة والعايش والحلدة والارتفاع
وهو الداعي لا بليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والاصرار فأورثته
الامنة والشقاوة ، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ، ولأن
التراب سبب الحياة فان حياة النبات والأشجار به . والنار سبب الهلاك فلما
صدرت منه هذه للكباثر العظام طرد ومقت وسلب ما كان فيه من الخدمة
والتعريف وأخرج عن حضرة الله سبحانه وتعالى فهبط إلى الأرض وسكن البحر
ووضع له سريراً وكرسياً يتشبه بالحق جل شأنه وبصعد إلى السموات والعالم
الملوى متجسماً متفقداً ولما أخرجه الله سبحانه وتعالى من عبودية التخصيص
طلب من الحق جل شأنه الإنظار وطول الامهال والإعمار في دار الخراب
والفيار والزوال من غير استقرار كما قال في كتابه الكريم (قال رب أنظرني
إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) فأجابه الكريم
سبحانه وتعالى إلى مطلوبه وأعطاه عمراً إلى فناء الدنيا وجملة إماماً للشرور
ثم كان منه ما كان من إغوانه لآدم وحواء عليهما السلام وذلك بتقدير الله ثم
أخرج الله الجميع إلى الأرض وقال (اهبطوا بمضكم ببعض عدوٍ ولكم في الأرض
مستقر ومتاع إلى حين)

عداوة الشيطان للإنسان

وأعلمنا سبحانه بمداوته أننا ثم أمرنا بأنخاذ عدواً فقال تعالى (إن الشيطان
لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً) وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج
أبويكم من الجنة) وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم
عدو يس للظالمين بدلاً) وقال تعالى (وقالوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان
كان ضعيفاً) وقال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وهواً أو ليس

بضارهم شيئاً إلا بإذن الله . وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) .

وقد شهد الهمين على نفسه بمداوته لجميع المخلوقين فقال (فلما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدوا كثرتهم شاكرين) إلى غير ذلك من الآيات أعاذنا الله بقدرته للقاهرة وحجبنا عنه بسر أسمائه الباطنة والظاهرة آمين .
 فهو الكلب المقور الذي لا يسلمنا منه إلا مالكة القهار ذو البطش الشديد وهو العدو المبين بشهادة رب العالمين فأى عداوة أشد من عداوته إذا كانت تحزنه منا الطاعات وتسره المعاصي والمخالفات : كما روى في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار ، وفي حديث آخر عن طلحة ابن عبد الله بن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى شيطاناً يوماً هو فيه أصفر ولا أدهر ولا أحقر ولا أغيب منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان في يوم بدر فقبل وما رأى يوم بدر قال أما إنه قد رأى جبريل وهو يزرع الملائكة ومعنى يزرع يرتبهم . ويصفئهم فكانه يكفهم عن التفرق والانتشار والتقدم والتأخر قاله في النهاية .

وسوسة الشيطان للإنسان وخطرها

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد في شرح الحكم ومن شأن العدو . يعنى الشيطان لعنه الله أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله تعالى فيه ليحقره .

عندك لتطلب غير ما أقامك الله تعالى فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وظيفك ،
 وذلك أنه يأتي للمتسبين فيقول لهم لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشركت عليكم
 الأنوار ولصفت منكم القلوب والأسرار قائلًا وكذلك صنع فلان وفلان ، ويكون
 هذا العبد ليس مقصوداً بالتجريد ولا طاقة له به إنما صلاحه في الأسباب فينزله
 إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بأمر الرزق
 فيرمى في بحر القطيعة وذلك قصد المدومنه لأنه إنما يأتيك في صورة ناصح
 إذ لو أنك في غيرها لم تقبل منه كما أتى أبوبك فيما أخبر الله تعالى عنه (وقال ما نهاكا
 ربكنا عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما
 إني لساكن الناصحين) .

قال وكذلك يأتي المتجردين فيقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم
 تعلموا أن ترك الأسباب تنقطع معه القلوب إلى ما في أيدي الناس ويفتح باب
 الطمع ولا يمكنه الاستعفاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون
 منتظرًا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت في الأسباب يبقى غيرك منتظرًا
 ما يفتح به عليه منك إلى غير ذلك ، ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط
 نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب
 فتصيبه كدرتها وتفشاه ظلمتها ويعود الدائم في سببه أحسن حالاً منه لأن ذلك
 ما سلك طريقاً ثم رجع عنها ولا قصد مقصداً ثم انعطف عنه فافهم واعنهم
 بالله منه . ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم إلى آخر ما قاله
 نعم الله به :

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله الشيطان كالذكر والنفس كالأنثى وحدث
 الذنب بينهما كحدث الولد من الوالدين الأب والأم لا أنهما أوجدها ولكن
 عنهما كان ظهوره :

ومعنى كلام الشيخ هذا أنه كما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأب والأم ولا من إيجادهما ولا من ينسب إليهما لظهوره عنهما كذلك لا يشك مؤمن في أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لانهما فلظهورها عنهما نسبت إليهما فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافة واسناد ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد وكما أنه خالق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعد له . (قل كل من عند الله فما لؤلؤ القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) .

ونقل ابن عباد عن أبي طالب المكي أنه حدث أن المؤمن إذا قام يتوضأ للصلاة تباعد منه الشيطان في أقطار الأرض خوفاً منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه . وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال الله أكبر أطلع الملك في قلبه فإذا كان ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول . قال فيتنشع من قلبه نور يخلق بمسكوت العرش فينكشف بذلك النور مسكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك حسنات . قال وإن الغافل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوشن الذباب على نقطة العسل فإذا كبر أطلع الملك في قلبه فإذا كان في قلبه أكبر من الله فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك أكبر كما تقول . قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن المسكوت فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه ولا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين له فينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيها . وقال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل في بطنه .

وعن حاتم الأصم رحمه الله قال ما من صباح إلا ويقول للشيطان لمه مانأكل وماتلبس وأين تسكن . فأقول آكل الموت وألبس السكفن وأسكن القبر .

وروى أن موسى عليه السلام أتى إبليس في طريق الطور فمرقه فرفع للمصا
ليضربه . فقال إبليس ياموسى إني لا أخشى المصا وإنما أخشى من قلبه فيه
صفاء قال له وما علامة الصفاء قال ترك الحسد وحفظ الجسد وانتظار الرصد
يعنى الصراط . ولا شك أن الحاسد شيطان وخصوصاً إذا قارنه البغى والدوان .

التحفظ من الشيطان بقراءة القرآن

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب مشارق الأنوار : أخذ علينا
العمد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتحفظ من الشيطان كما نريد
النوم وذلك بالنوم على طهارة باطنة وظاهرة وبقراءة الأذكار الواردة فى ذلك
فإن من نام على حدث وعدم قراءة الأذكار فمن لازمه عدم مفارقة الشيطان له
فلا يزال يوسوس له بكثرة النوم ويريه المنامات الرديئة ليحزنه حتى يستيقظ .
فاعمل يا أخى بالأذكار الواردة عند النوم ونم على طهارة إن أردت الحفظ من
الشيطان ، ثم قال وسمعت سيدى علياً الخواص يقول إنما يفرغ فى النوم من غفل
عن الله فى اليقظة وخاف من الخلق وإلا فمن أكثر من ذكر الله أنس بكل شئ
واستأنس به كل شئ من ناطق وصامت . فاعمل على جلاء مرآتك يا أخى
حتى تصير لا تخاف أحداً إلا الله . وإلا لازمك الخوف من الجن والانس وغيرها
وعدم استئناسك بهم ، ثم قال وقد كان فى بيتى امرأة من الجن فكانت إذا قربت
منى قامت كل شعرة فى جسدى فكنت أذكر الله فتباعد عني من وقتها ، ثم لما
خرجت من البيت كانت تقف فى طريق المسجد فى الظلام فما فرغت منها قط
بل كنت أمر عليها فى الجواز فأقول لها السلام عليكم وما نفر خاطبى منها قط
مع أن طباع الانس تنفر من الجن قال وسكن عندي مرة أخرى جماعة من الجن
أيام الغلاء فكنت أقول لهم كلوا من الخبز والطعام بالمعروف ولا تضروا إخوانكم
المسلمين فكنت أسمعهم يقولون سمعاً وطاعة . ثم قال الشعرانى بعد أن ذكر

أشياء جرت له معهم : ولى وقائع كثيرة مع الجن وإنما ذكرت ذلك لتعلم أن من قرأ الأوراد الواردة في عمل اليوم والليلة فليس للجن ولا للإنس عليه سبيل فانه لولا الأوراد التي أتوها لكانت خفت ضرورة من هؤلاء الجن كغيري فاعمل في ذلك والله يتولى هداك انتهى كلام الشمراني في المهود .

خطر مجالسة الجن

وقال في كتاب اليواقيت والجواهر (فان قيل) فهل مجالسة الجن ردية أو محمودة . (فالجواب) هي ردية غير محمودة . قال ومن أثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فإن الغالب عندهم الفضول كالأنس الفسقة فالعاقل من يهرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحداً جالسهم وحصل له أبداً خير وذلك لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة . ومن كثرت حرركه كان الفضول أسرع إليه فالجن أشد فتنة على مجالستهم من النار فانهم قد اجتمعوا مع فسقة الإنس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل قال وقد قال الشيخ محي الدين ابن عربي في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس أحد الجن وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة إذ هم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جالسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يقع في العالم ومن العالم أن ذلك من كرامة الله له وهيئات فان غاية ما يمنحونه لمن مجالسهم أن يطاعوه على شيء من خواص النبات والاحجار والأسماء والحروف وذلك محدود من علم الكيمياء فما اكتسب هذا منهم إلا مكتسب العلم الذي ذمته الشرائع .

وما جرب أن من أكثر من مجالستهم صار عنده تكبر على الناس . ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والأخبار انتهى .

ثم قال الشمراني وقد أطال الشيخ ابن عربي الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين .

وقال الثمراني أيضاً في كتاب البواقيت (فإن قيل) فهل ثم من الجن من يقسم الإنسان عليه بسم الله تعالى فلا يبر قسمه أم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) لهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرُونَ على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الإنس : ثم قال الشيخ أبو طاهر ويقال إن الجن لا يجيئون إلا بالعزائم وأنها إذا قرئت على الجفون كان لها شمع كشمع الشمس يقع على الجن فتحترق وتردهم إلى الطاعة طوعاً بحيث لا يمكنهم العصيان ولتلك كانوا مسخرين لسلطان عليه السلام كما سخرت الريح : وهم أجسام لطاف كالريح يدخلون أجساد بني آدم دخول النار في الفضة المذابة فتراها تضطرب في البوطة يعنى الكعج وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه . وفي حديث إن الشيطان ليحرق من ابن آدم بحرق الدم أدل دليل على ذلك .

مداخل الشيطان إلى القلب

(خاتمة مهمة) قال حجة الإسلام في الاحياء بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب أعلم أن مثال للقلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه . ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلته ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه ومداخله . وحماية القلب من فساد الشيطان ووساوسه واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه هي صفات العبد بمعنى المذمومة وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرق الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان (فمن أبوابه العظيمة الحسد والحرق) وهما من إبليس فصار شيطاناً رجياً (وهما المعضب والشهوة) فإن المعصية غول العقل فإذا غضب الإنسان لعب به الشيطان

كما يلعب الصبي بالكرة فإذا غضبت فاذا ذكر أن هذا منه (ومنها حب التزين من
 الثياب والأثاث والدار) فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان
 باض فيه وفرخ (ومنها الشيع من الطعام) وإن كان حلالاً صافياً فإن الشيع
 يقوى الشهوات وهي أسلحة الشيطان (ومنها العجلة وترك الثبوت في الأمور)
 قال النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان . والثاني من الله (ومنها الدراهم
 والدنانير) وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد
 على قدر القوت والحاجة فهو مستقر للشيطان وكل شيء منها يجر إلى شيء آخر
 حتى يقع الإنسان في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواء (ومنها البخل
 وخوف الفقر) فإن ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى
 الإدخار والسكر والعبادة والمذابح وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن
 العظيم (ومنها) التمسك بالمذاهب والأهواء والحق على الخصوم والاشتغال
 بذكر نقصانهم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق
 والمبائدين جميعاً وقد كان سيدنا أبو بكر الصديق يضع حصاة في فيه تمنعه من الكلام
 فيما لا يمينه (ومنها) حل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على
 التفكير في ذات الله تعالى وفي صفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى
 يشككهم بذلك في أصل الدين أو يخيل إليهم في ذات الله تعالى خيالات
 يتمنى الله عنها فيصير بها كافرين أو مبتدعين وهو به فرح مسرور مبتهج بما
 وقع في صدره يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأن ذلك انكشف له
 بزيادة عقله وذكاؤه وأشد الناس حاقة أقوام اعتقاداً في عقل نفسه . وأثبت
 الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه وظنه وأحرصهم على السؤال من العلماء . (ومنها)
 سوء الظن بالمسلمين . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن)
 ومن حكم على غيره بشراً مجرد الظن بمنه الشيطان على أن يطول فيه لسانه

بالفنية فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بميند الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من الملهكات وقد منع الشرع من التعرض لمواضع التهم ، لهذا يجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس إلا شراً فإذا رأيت إنساناً يسمى الظن بالناس طالباً للمعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن فإن المؤمن يطلب المآذير . وللمنافق يطلب المعيوب . والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق انتهى مختصراً من كلام الأفاضل .

ثم قال آخره فلهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه ففي هذا القدر ما ينبه على غيره . فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله .

ثم قال (فإن قلت) فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله . (فاعلم) أن علاج ذلك إنما هو بسد هذه الدخائل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره . ولسكن إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ، وبمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا جدوى له ولا سلطان على القلب فلا بدفع سلطان الشيطان عنه ولذلك قال الله عز وجل (إن الذين اتقوا إذا هم طائف من الشيطان تذكروا) فخص ذلك بالمتقي .

ثم قال الامام حجة الإسلام ومثل الشيطان مثل كلب ضار جائع يقرب منك فإذا لم يكن بين يديك لحم أو خبز فإنه ينزجر بأن تقول له احسناً فجرد الصوت يذفقه . فإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فإنه

يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام . فإن للقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر فلما للشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حوائش القلب فلم يتمكن من سوبدائه فيستقر الشيطان في سوبداء القلب . وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فإنه يطردها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستمع بالله الآية . وسائر الآيات والأخبار الواردة في ذلك . قال الحسن أخبرني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسي وقال عليه السلام ما سلك عمر فجعاً إلا سلك الشيطان فجاء غير فجع .

ثم قال الإمام حجة الإسلام . وهذا لأن هذه القلوب كانت مطهرة عن مرغى الشيطان وهي الشهوات فمما طمعت أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر بغير تقوى كما اندفع عن عمر كان محالاً وكنت كمن يطعم في أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بفايض الأطعمة ويطعم أن ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخليئة الجاطن . فالذكر دواء والنزوى اجتماع يخلى القلب من الشهوات . فإذا نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع اللعنة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة . قال تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو التي السمع وهو شهيد) وقال تعالى (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير) .

ثم قال ومن يساعد الشيطان بمعله فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه وقال وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر إلى نفسك

فليس الخبر كالمأينة وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك ، كيف يتجاذبه الشيطان إلى الأسواق ؟ وحساب الممايلين وجواب المماندين ، وكيف يمر بك في أودية الدنيا وممالكها حتى إنك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ؟ ولا تزدهم الشياطين على قلبك إلا إذا صليت ، والصلاة محك القلوب وبها تظهر مساوئها وعماستها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا ، فإن شئت الخلاص من الشياطين فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدوام الذكر ، يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه .

ولذلك قال وهب بن منبه رضى الله عنه : اتق الله ولا تسب الشيطان في الملانية وأنت صديقه في السر ، أى مطيع له . وقال بعضهم يا عجبا لمن يمعى الخن بعد معرفته بإحسانه . ويطيع الدين بعد معرفته بطغيانه . ثم قال حجة الإسلام : فسكا أن الله قال ادعوني استجب لكم . وأنت تدعو فلا يستجاب لك ، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط التذكر والدعاء انتهى كلام القرالى .

وفي تفسير البغوى عند قوله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴿الآية﴾ قال البغوى : إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ، ثم قال وروى مجاهد قال الشعبي قال : إني لقاعد يوما إذ أقبل حامل ، فقال : أخبروني هل لإبليس زوجة ، قلت : إن ذلك المرس ما شهدته ، ثم ذكرت قول الله عز وجل ذكره : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) فقلت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت : نعم .

وقال قتادة : يتوالدون كما يتوالد بنو آدم ، وقيل : إنه يدخل ذنبه في

ذرية فيبيض فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ، قال مجاهد : من ذرية إبليس لا فيس وولمان وهو صاحب الطهارة والصلاة ، والحفاف ومرة ، وبه يكنى وزلبور وهو صاحب الأسواق يزبن اللغو والحلف الكاذب ومدح للسامة ، وثبر وهو صاحب المصائب يزبن خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب ، هو الأعور وهو صاحب الزنى ينفخ في أحليل الرجل وفرج المرأة . ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقبها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا . وداسم وهو صاحب البيوت الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه ، فإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل وشرب وجامع معه .

وقال الأعمش : ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرايت مضره فقلت ارفعوا وخاصتهم ، ثم أذكر فأقول داسم داسم اه من البفوى .

وفي الإحياء قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : بلغنا أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال : يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لا تمنني عليه لا أقوى عليه . فقال الله تعالى لآدم : لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك . قال : يا رب زدني . قال : أجزى بالنسنة السيئة وبالحسنة عشراً إلى ما أريد . قال : يا رب زدني . قال : باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح .

قال إبليس : يا رب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تمنني عليه لا أقوى عليه . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد . قال : يا رب زدني . قال : تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتاً . قال : يا رب زدني . قال : أجاب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدم ، فما يعدم الشيطان إلا غرورا .

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا فقال له :
أنصحك ، فقال : لا أريد ، واسكن أخيرني عن بني آدم ، قال : هم عندك
ثلاثة أصناف :

أما صنف منهم فهو أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن
منه ، ثم يفرغ إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدر كنناه منه ،
ثم نعود عليه فيعود ، فلا نحن نياس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا ، ففحن
منه في عناء .

وأما الصنف الثاني فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تعلقهم
كيف شئنا قد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء .

قال الحسن رضي الله عنه : بلغنا أن إبليس قال سوات لأمة محمد صلى الله
عليه وسلم الماصي فقطعوا ظهري بالاستغفار ، فسوات ذنوباً لا يستغفرون الله
منها وهي الأهواء فلا يفعلون أنها ذنوب يعني فلا يستغفرون الله منها .

وقال خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه : إن الشيطان يقول ما غابني
ابن آدم غلبة فلن يغابني على ثلاث : أن أمره بأخذ المال من غير حقه وإنفاقه
في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان رحمه الله : ليس للشيطان سلاح مثل
خوف الفقر . (قلت) : أشار سفيان رحمه الله بذلك إلى قول الله تعالى : ﴿ الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ . وعندى أنه يأتي الشاب الذي قل ماله فيخوفه
الفقر بسبب النكاح ، فهذا إيماده بالفقر ، ثم يسول له عمل الفاحشة وإتيان
الحرمات فهذا أمره بالفحشاء . عصمنا الله منه بما شاء إنه لطيف لما يشاء

وروى أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس ، فقالت :
أصبحت الأصنام قد نكست رؤسها . قال : هذا حادث قد حدث . مكانكم .

فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئاً . ووجد عيسى عليه السلام قد ولد فإذا الملائكة قد حفت حوله فرجع إليهم ، وقال : إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا قابئسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة^(١) ، ولكن ابتوا بني آدم من قبل المجلة والخفة .

وقال بعض الأنبياء : لإبليس بأى شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب وعند الهوى ، وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول : قال إبليس يارب أما ترى حب عبادك لك ومع ذلك بمصونتك وكثرة بفضهم لى مع كثرة طاعتهم لى . قال الله عز وجل : إني قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى لمحبتهم لى وتجاوزت عن كثرة طاعتهم لإبليس بكثرة بفضهم له .

وروى أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما ركب السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمر ، رأى فيها شيخاً لم يعرفه ، فقال له نوح : ما أدخلك ، قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، قال نوح : أخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم ، فقال إبليس : خمس أهلك بهن بنى آدم وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بشئتين . فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك إلى الثلاث مره فليحدثك بالثنتين . فقال : ما الثنتان . فقال : هما اللتان لا تكذبانى ، هما اللتان لا تخلفانى بهما أهلك للناس الحسد والحرص . وبالْحَسَدِ لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً . وبالْحَرَصِ أعنت على أن أغويت آدم فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص اه وهو كلام نفيس فتدبره لتعلم من أين أتيت . ونسلم من هجوم العدو فى البيت . وإن تقدر على ذلك إلا بتوفيق الله تعالى وإعانتة لك ما حيت .

(١) كيف هذا وقد عبت الأصنام بعد عيسى ، وقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم والأصنام تعبد حول السكبية وفى الجزيرة العربية ، ولا زالت الأصنام تعبد إلى الآن فى الهند والصين وغيرهما .

وفي شرح الحكم لابن عباد قال : قال سيدى الشيخ أبو عبد الله القربشى :
 رضى الله عنه شكى بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد
 لها حلاوة في قلبه . فقال : لأن عندك بنت إبليس وهى الدنيا ولا بد للأب أن
 يزور ابنته في بيتها ، وهو قلبك ولا يؤثر دخوله إلا فساداً اهـ .

حقيقة التقوى

(قلت) : واعلم أن حقيقة التقوى الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه
 ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وأنه كله من الله . وأن تشهد أن لا إله
 إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج
 البيت وتنصح للمسلمين ، فلا تحسد أحداً منهم على نعمة أنعم الله بها عليه في دينه
 أو دنياه فلا يمد المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومن حسن إسلام
 المرء تركه مالا يعنيه :

ولانك عياباً ولانك حامداً ولانك ذا غش ولانك ذا غدر

وأن لا تأخذ على أحد شيئاً ولا تفعل في أحد من أهل دائرة الإسلام فعلاً
 سيئاً ، ولا تقول في أحد مقالة بكرهها ، ولا تنظن بأحد من المؤمنين سوءاً
 ولا نخوض فيما لا يعنينا ولا تبخل بما لا يعنينا . فإذا كنت كذلك وقلت
 أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فرب الشيطان منك وبالله التوفيق
 والاعانة . على تمام تحقيق الإبانة . والهداية إلى أفصح طريق . وصحبة أسعد
 فريق . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الذكر الثانى وشرحه

ولما استماد سيدنا عمر نفع الله به من الشيطان الذى هو أعدى الأعداء
 للإنسان . بشهادة الملاك الديان في قوله عز وجل : ﴿ إن الشيطان لكمدوٌّ

فأخذوه عدواً . فأفرد الاستعانة منه خاصة ثم عم بالاستعانة بكلمات الله التامة من شر جميع المخلوقات عامة فأنه تعالى هو الملاذ والاستعاذ ونعم المولى ونعم النصير فقال :
(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) (ثلاثاً) .

قال الشيخ علي رضي الله عنه : واستعاذ بالكلمات العظام وكل ما ظهر في التكوين هو من الكلمات . لكن المستعاذ هنا بكلماته التامة من نبي مقرب ، لك إذ هم الكلمات . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً . وكونها تامات بوصفهم إلى ما برز عنهم من أوصاف المبودية ، من شر ما خلق في عالم الخلق والاختراع وما احتوت عليه الصور والطبائع والأوضاع مما يصدر عنها من التصرفات السحريات والسماوية وإرسال الهمم الدنيات والتصرفات بالأفعال السميات والخسيات بالأمور المضرات التي تجر على فاعلها أسباب الشقاوات كالإرسال الألسن والأيدى وخبائث الطويات فتكون تلك الكلمات التامات حجاباً واقياً عن مضار السميات والأفعال الملهكات كما ورد في الأخبار النبوية من قالها حين يمسي لم يضره شيء حتى يصبح . ومن قالها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي . وورد أيضاً أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وسامة ، قال الشيخ : ومعناها والله أعلم الهامة ذرات الهمم . والسامة ذوات السموم .

وقال وهذه الاستعانة والتي قبلها من هذا الراتب ثلاثاً ثلاثاً لأن مراتب الألوهية تنليتها مظهر الألوهية ذوقاً ووصفاً وفعلًا كما تقتضي الاستعانة منه ذاتاً من همة . ووصفاً من فطرته وفعلًا من حيث ما يخلق الله من المضرات من جوارحه وأركانه من الأفعال . قال : وقد ثبت في الحديث تنليث ذلك كما ورد في الأذكار اه ما أورده الشيخ .

معنى كلمات الله تعالى التامات

ونحن نزيد عليه من المنقول مما جاء عن الله والرسول فنقول . قال تعالى (قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) وقال تعالى (لا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) وقال تعالى (فلما اقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكنته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله) الآية . وقال تعالى (وكلمة الله هى العليا) وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) وقال تعالى (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) وقال تعالى (ونؤان مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال تعالى (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات فمعناه الكلمات اللاتى لا يدخلها نقص ولا عيب . وقيل هى النافعة الشافعة . وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن وقال بعض العلماء الكلمات التامات هى النافعات الكلمات الشافعات الواقيات فى كل ما يتمود منه . وقال البيهقى إنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون فى كلامه عيب أو نقص كما يكون فى كلام الآدميين قال وبلغنى عن الإمام أحمد أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

قال أهل التفسير وكلمات الله هي الكتب أي المصحف المنزلة على إدريس وغيره من الأنبياء والكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والقرآن . وكلماته أي جميع ما كلم الله به أنبياء وملائكته وغيرهم وجميع ما ذكره في التوح المحفوظ وغيره . وقرىء شاذاً وصدقت بكلمة ربها وكتابه . أي بمبىي وكتابه المنزل عليه وهو الإنجيل . قال أهل التفسير في قوله تعالى وكتبه ألقاها إلى مريم هي قوله كن فكان بشراً من غير أب إلى غير ذلك من الآيات المنزلات بالأنوار وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه خلق الله كل شيء بكن فلو كانت كن مخلوقة فخلق خلق مخلوقاً وهو محال . وقال سفيان بن عيينة ألاله الخلق والأمر إن الأمر هو القرآن ففصل بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر والدليل على أن القرآن هو الأمر . قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) وقال بعض الأئمة . ذكر الله الإنسان في القرآن في ثمانية وعشرين موضعاً . وقال أنه مخلوق . وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق بل هو صفة قديمة قائمة بذاته ليست بصوت ولا حرف لأنهما عرضان حادثان ويستحيل اتصاف القديم بالحادث . وهذا مذهب أهل الحق . ولما جمع بينهما نبه على ذلك فقال (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) وقال تعالى (وما كان للناس إلا أمة واحدة فاختلفوا . ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما هم فيه مختلفون) .

مبحث الروح

وقد روى الشيخان والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من يهود فقال بعضهم سلوه عن الروح . فقال بعضهم لا نسأله إلا بسمعكم ما تكرهون فقالوا له يا أبا القاسم حدثنا عن

الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه . ثم قال (ويسألونك عن الروح
قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وفي رواية الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا أوتينا علماً
كثيراً وأوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي علماً كثيراً . فنزلت
(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات
ربي) الآية .

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما أن الروح ملك له سبعون ألف وجه
لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تلك
اللغات كلها . يخلق الله جل وعلا من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة
إلى يوم القيامة .

وعن الحسن أن الروح للقرآن ويشهد له قوله تعالى : (وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا) ومعنى من أمر ربي أي من وحيه . وعن جماعة من
المفسرين أن الروح هي التي يحيا بها الحيوان .

وعن علي بن عيسى الروح جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان
قال فكل حيوان روح وبذن .

وقال النووي في كتابه المجموع قال أصحابنا المتكلمون الروح تذكر
وتؤنث وهي أجسام لطيفة . وقال الشيخ جلال الدين السيوطي : الروح من
علم الله الذي لا تعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى لقوله تعالى : (ويسألونك عن
الروح قل الروح من أمر ربي) الآية . وقال الشيخ تاج الدين السبكي في جمع
الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها اهـ .

وفي كتاب ذكر الموت وما بعده من الأحياء عند ذكر حقيقة الموت .
قال الإمام الغزالي فيه : أعلم أنه لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت

إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول ما قيل له : قل الروح من أمر ربي فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه . وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت إلى آخر ما ذكره الفزالي في كتابه الإحياء .

قلت وقد أكثر حجة الإسلام الفزالي وغيره من تفصيل الكلام على الروح والعقل والنفس في كتابه الإحياء بما فيه مفتح وليس من باب السؤال عن الروح المنهى عنه ولا من باب الخوض في ماهية الروح الذي استأثر الله بعلم حقيقته . فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وإنما ذلك من باب التعريف بالنفس المشار إليها بقوله تعالى (سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) وفي الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومعناه إن تعرف نفسك بالفقر والضعف والعجز والذلة فحينئذ تعرف ربك بالقوى والقوة والقدرة والعزة وقوله (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقوله تعالى : (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) .

وما أظن المنهى عنه من ذلك إلا السؤال عن السكيفية والسمية والابتينية ونسبة صفات الإلهية إلى صفات البشرية ، على أن العلماء في جميع الأعصار والأمصار قد أكتروا في الكلام على تفصيل ذلك . قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال المازري الكلام في الروح والنفس عما يعمض ويدق ومع هذا فأكثر الناس فيه الكلام وألقوا فيه التآليف ، قال الإمام

أبو الحسن الأشمري هو النفس الداخل والخارج ، وقال الباقلاني هو متردد بين هذا الذي قال الأشمري وبين الحياة ، وقيل هو جسم لطيف مشارك للأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة ، وقال بعضهم لا يعلم الروح إلا الله تعالى لقوله تعالى (قل الروح من أمر ربي) وقال الجمهور هي معلومة واختلفوا فيها على هذه الأقوال ، وقيل غير ذلك .

ثم قال النووي وليس في الآية دليل على أنها لا تعلم ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمها وإنما أجاب بما في الآية لأنه كان عندهم أنه إن أجاب بتفسير الروح فليس بنبي ، وفي الروح لفتان الذكير والأنثى انتهى من شرح صحيح مسلم .

كلام ابن تومرت في العقل والروح والنفس

قلت وأحسن من حقق ذلك ودقق ما هنالك الشيخ العلامة محمد بن علي ابن تومرت الأندلسي في كتابه « كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق الشريعة ودقائق عالم الطبيعة » وقد أحببت أن أنقل الباب الثالث منه بجملة وأثبتته هنا برأيه لأنه أحسن ما رأيت في معرفة حقيقة العقل والروح والنفس ، قال رحمه الله .

الباب الثالث

في معرفة العقل والروح والنفس

أعلم هداك الله تعالى أن العقل والروح والنفس ثلاثة أرواح لطائف روحانيات ركبها الله تعالى في الإنسان تدبره بقدرته وإرادته وحوله وقوته سبحانه (فأما العقل) فهو نور شريف ألطف من الروح والنفس ومنشؤه من نور العقل السكامل الأقدم الذي خلقه الله أولاً من نور وجهه الأكرم كما قدمنا في الباب الأول الذي قبل هذا ، ومصدر فعله وروحانيته من روح

الأمر الذى ذكرنا أنه أصل الأرواح كلها ، وهو معدن وحى الأمر ومنه
 مصدر العلم والقدرة والإرادة الربانية ومنه الواردة التى كانت ترد على
 النبي صلى الله عليه وسلم إلهاماً فيتحدث بها فتكون وحياً فى حقه وإلهاماً
 فى حق غيره . قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) فن أجل
 ذلك تقضى السنة على الكتاب لأن ذلك وحى مشروع لقوله تعالى (وما ينطق
 عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) فالمقل نور إلهامى ونور نورانى يستمد للعلم
 والمعرفة والقدرة والإرادة الربانية عن روح الأمر عن الله عز وجل ثم يلقى به
 إلى الروح الحيوانية المحركة التى جعلها الله تعالى ساكنة فى القلب وهى الروح
 الحيوانية للبدن . فإذا أفاض عليها المقل هذه الأنوار والعلم والإرادة تحركت
 بها فى القلب أولاً فإذا سمعها بأذنه ووعاها تحرك وانتمش بها وقاضت عليه
 أنوار الإلهام من الملك العلام بسرّاً ما أودع الله فيه من الغالبية لهذا العلم والإرادة
 الربانية فيتجلى بها وتشرق أنواره من ظلام السكون على الجميع بواسطة نور
 التمثيل الإلهامى جعله الله مرآة للمعارف يستضيء بها فيتشمش نوره بتلك الصفات
 والحقائق النورانيات من رب الإرادات فهذه فى الصفات التى وصف الله تعالى
 بها نفسه حين أقام إرادته مقام ذاته . فقال تعالى ما وسعنى سمائى ولا أرضى
 ووسعنى قلب عبدى المؤمن أى وسع نور علمى وقدرتى وإرادتى ففى فيه
 صفتى ، وإلهاماً أيضاً أشار بقوله تعالى (أؤمن شرح الله صدره للإسلام فهو على
 نور من ربه) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « النور إذا دخل القلب انشرح
 وانفسح » . ففور العقل الذى يلهم الإنسان بالعلم والقدرة والإرادة هو نور
 الله الذى أودعه فى قلب المؤمن ثم نبه عليه بقوله تعالى (الله نور السموات
 والأرض مثل نوره) أى فى قلب المؤمن يعنى النبي محمداً صلى الله عليه وسلم
 (كمشكاة) يعنى صدره (فيها مصباح) يعنى نور العقل (المصباح فى زجاجة)
 يعنى بالزجاجة قلبه (الزجاجة كأنها كوكب دري) شبه القلب بالكوكب

الدرى حين أشرق بنور العقل والعلم والمعرفة فتجلى بذلك واتصف به وقوله تعالى (توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) يعنى شجرة العلم والمعرفة التى غرسها الله تعالى فى قاب للعبد المؤمن ففهمها حكمة الله وحكمه الذى يقضى به فيعدل ولا ينجور ولا يميل يميناً ولا شمالاً ولا شرقاً ولا غرباً (يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار) زيتها يعنى به نور العلم والمعرفة الذى يستمدد نور العقل من روح الأمر عن الله عز وجل فسكانت المادة كثريت الدور يستمدد للصباح لقوام نوره فيقع النور على نور منته . وهو قوله تعالى (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) .

فهذه صفة العقل وأنواره البديعة الجارية بحكمة الله الرفيعة ، وفى هذا دليل على أن العقل حين خلقه الله تعالى ثم قال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقال وعزنى وجلالى لا أركبكن إلا فى أحب خلقى إلى هو عقل محمد صلى الله عليه وسلم لأن إقباله استمداده العلم والمعرفة من الله عز وجل وإدباره إمداده الخلق بما أودعه الله فيه من ذلك .

قال وفيه أيضاً دليل آخر لمن قال إن العقل مسكنه القلب على الحقيقة وإن زعم زاعم أنه فى الدماغ أو فى سائر البدن ففلك أنواره التى تخرج أولاً من القلب بما أراد الله تعالى من الإلهام ثم تعود إليه والله أعلم .

(قلت) والذى أجزم به من مضمون كلام العلماء أن مراكز العقل ومحله هو القلب وأنه يملأ منه فيكون الدماغ سقفة المسكين الذى يحيطه ويمنعه ويحفظه ويجمعه وأن القلب قراره المسكين ومنبعه وهذا علم ذوق وفهم يقينى حق ، فمن قال من العلماء إن العقل محله القلب فقد صدق لما سبق ، ومن قال محله الدماغ فقد صدق لما سبق ، وهنا كلام فى هذه المسألة لا نودعه الكتب

المتناولة . وإنما محله المشافهة والمقابلة والله أعلم .

ثم قال الشيخ محمد (وأما الروح) فإِنَّها روح لطيفة حيوانية ألطف من النفس طبعها الحياة والحركة ومنشؤها ومصدرها فقلها من العقل الإلهامى ومسكنها القلب لأنها من الطبيعة الوسطى المعتدلة جماعها الله تعالى سببا لحياة البدن ولا نعيش القلب أولا بما ألهمها العقل وأفاض عليها من نور العلم والمعرفة والقدرة والإرادة التى هى من صفات الله تعالى كما قدمنا فتصدر تلك الإرادة بالأنوار إلى القلب عن الروح عن العقل عن روح الأمر عن الله عز وجل ومصدر روحانيتهما من مهبط الروح الأمين ، ومنه الواردة التى كانت ترد على نبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وغيره من الحديث بالوحي الظاهر على قلبه كما قال الله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) فيكون ذلك وحيا فى حق النبي صلى الله عليه وسلم وإلهاما فى حق غيره بواسطته .

قال وإنما كان القلب بيت الحياة الحيوانية ومعدن الأنوار الإلهية ومبدأ الحركات الإلهامية ومصدر الإرادات الربانية كانت الروح محلا لمصدر إرادة الله تعالى من القلب عضدها الله تعالى بالحرارة الفريزية فأسكنها معها فى القلب تهيئاً للبدن بالسخونة وقبول الروح عند السريان بها إلى سائر البدن فحيى تصدر أولا من القلب مع الروح بما ألهمها العقل من العلم والإرادة فى عرقين عندشيين من القلب صاعدين إلى الدماغ الذى هو بيت الروح النفسانية الحساسة للشهوانية حتى إذا دارت الحرارة الفريزية فى الدماغ الذى هو بارد رطب سخن واستعد لقبول الروح فتدخل على النفس فتودعها حركة الحياة وما جاءت به من علم الله سبحانه وإرادته ويكون ذلك غاية فعلها مفردة بعد ذلك مع النفس ممزوجة والله أعلم :

ثم قال الشيخ محمد (وأما للنفس) فإنها روح لطيفة حارة مفرطة الحرارة : لأن الله تعالى خلقها من القسم الأهل الذي انفق أولاً من العقل الكامل كما قدمنا ، ثم أسكنها في الدماغ الذي هو أبرد ما في البدن وأرطب ليمتدل له طبعه بها .

قال : والدماغ في الرأس هو بيت الحواس الخمس جملة الله تعالى بنبوءة ، للحس والحركة النفسانية ، ومصدر الإرادات الإلهية إلى الإنسان ، ومصدر روحانية النفس من مهبط روح القدس للظاهر ، الذي هو روح وحى الله الباطن ، ومنه الواردة التي كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وحيًا بالقرآن الكريم إلى داخل قلبه ، فيسمعه منه قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) . ومن أجل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ينطق بالقرآن قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، فنهأه الله عن ذلك وأمره أن لا يمجعل بما حصل في سمع قلبه الباطن من وحى روح القدس ، حتى يسمعه بالسمع للظاهر على قلبه من جبريل عليه السلام ، ليتأيد ما عنده بما أتى به جبريل عليه السلام ، فيكون ذلك أكد لإبلاغ الرسالة وأقوى حجة لما أوحى الله به إليه ، فقال عز وجل : (ولا تمجّل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) .

ومصدر فعل النفس عن الروح عن العقل عن روح الأمر عن الله عز وجل ، فهي تتصرف في الحواس بجميع ما أودعها الله تعالى وألهمها بواسطة روح الحياة ، وتحرك بإرادة نفسانية خلقها الله تعالى فيها ، تصدر عن إرادة الله تعالى بما قضاه من خير أو شر أو نفع أو ضرر أو طاعة أو معصية حتى يتقاعل .

ما كان سابقاً في علم الله تعالى وما أبرمه بحكمه ومشيتته ، فيخرج ذلك من عالم
الغيب إلى عالم الشهادة فالله تعالى هو ملهم النفس على الحقيقة فمل ما أراد بقوله
(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . (قلت) : ومع تسخيرها سبحانه
لنفس وإرادته منها ما أراد ، وإلهامه لها ما قدره عليها من الفجور أو التقوى ،
فهو الذي مدحها على فعل الخير وأتابها عليه وقبحها على فعل الشر وعاقبها
عليه . فقال على تلو (فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب
من دساها) . وقد قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل
مثقال ذرة شراً يره) .

ونمود إلى نقل كلام الشيخ محمد قال في وصف النفس : فهي مسخرة
مقهوره بيد قدرة الله تعالى كسائر المخلوقات الجارية بمشيئة الله وتديره للملك
بما شاء كيف شاء ، تبارك من له العلم والقدرة والحول والقوة في كل شيء ومن
بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

ثم قال الشيخ محمد : والأصل في فعل النفس أن الله تعالى جعلها روحاً
واسطة بين الروح والجسد ، فطرفها الأسفل متصل بدماع الجسد الذي
هو مبدأ الحواس ، وطرفها الأعلى متصل بالروح ، فمن أجل ذلك تكون
النفس ساكنة في بعض الأحوال لاتصالها بالجسد الساكن عند الجود ،
وتارة تكون متحركة وذلك عند الإرادة لاتصالها بروح الحياة المتحركة أولاً .

قال : (أما الروح) فبها لا تبرح تتحرك بسر الحياة مادام النفس باقية
مدة عمر الإنسان ولهذا لا تبرح تفارقه عند النوم كفراقته أفعال الحس
النفسانية ، لأن النفس عند النوم تنجذب إلى القلب ببخارات ترتفع إلى الدماغ
من الجوف فتنبو عنها تلك البخارات لاعتدالها ، لأن أصلها من الأربع
الطباع المركبة التي تخدم القلب كما ذكرنا أولاً في تركيب الإنسان ، فترجع

للحواس عند أفصالها المفارقة بالنفس لها وهو النوم الطبيعي الذي خلقه الله تعالى للإنسان ليسترخ به من تمب الحركات الجسمانية والنفسانية التي تكون عند اليقظة ، فإذا دخلت النفس إلى الجوف اجتمعت الأرواح في القلب أعنى العقل والروح والنفس فتكثر الروحانية هناك ، فلماذا قد يرى النائم شيئاً في منامه فيسكون حقاً كالوحي لكثرة الروحانية واجتماعها في القلب ، فيصير ما رآه وحياً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

والدليل على أن النفس تنجذب إلى القلب عند النوم كثرة الروحانية كما ذكرنا وكثرة الحرارة التي تهضم الطعام عند النوم لدخولها بزيادة الحرارة إلى الجوف فيقوم النائم وقد استمرأ كثرة برودة ظاهر البدن لسكون الحركة واجتماع الحرارة التفرزية في الجوف . قال : ولذلك يطلب النائم الدثار .

وفي جميع ما ذكرناه من أفعال النفس دليل لمن قال إن النفس خلاف أرواح خلافاً لمن قال : إنها واحد ، واحتج بأن الأرواح كلها روح واحدة . وهذا عائد إلى أن الأصل في الأرواح جيمهم ! اللطافة فقط والصحيح ما ذكرنا لكونها متفرقة في الجسم فهي متعددة ، وبمضامها اللطف من بمض كقولنا عقل وروح ونفس اسكل واحدة فعن ، فإذا اجتمع الجميع كحالة النائم كثرت اللطافة وقويت الروحانية المناسبة في أصل الجنس منها فيقوى قوامها وكثت من ترقى من كثافة جهل النفس إلى لطافة حلم العقل ، والدليل على ذلك حالة النبي صلى الله عليه وسلم لما فزيت نفسه في لطافة روحانيته المجتمعة على العقل الكامل حبس عنه شيطانه وفعلت حواسه عند النوم كعملها في اليقظة لكثرة الروحانية فيه . فقال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيناي ولا ينام قلبي » .

قال : وأقوى دليل على أن الأرواح متعددة قول الله تعالى حيث قال :
 (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في مقامها فيمسك التي قضى
 عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) ، وقول النبي صلى الله
 عليه وسلم : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
 منها اختلف » .

(قلت) : وأما قول الشيخ محمد إن الروح ينقسم إلى أرواح متعددة بمعنى
 في الصورة الواحدة وبعضها ألطف من بعض فلا تظن أن مراده أن الروح نفسها
 يتجزى لأنه لا يقبل التجزى كما هو قول الجاهل ، وإنما هذا مأخوذ من تفصيل
 حكم حال الروح في كل عضو من أعضاء الإنسان تسمية فقط كتسمية سواحل
 البحر بالتصل المتباعد الأرجاء الغير المنفصل ، فيكون له في كل ساحل من
 سواحل اسم يسمى به في ذلك الساحل وهو بحر واحد كقولهم في العرق
 المسمى الوتين إنه عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم ، وله شرايين تتصل
 بأكثر البدن ، فالذي في الرأس منه يسمى النامه ، ومنه قولهم : أسكن الله نامته
 أى أماته . وإليه أشار الحريري بقوله في الذي مات : فلما سكنت نامته وشالت
 نعمامته . ويمتد إلى الحلق فيسمى فيه الوريد . ويمتد إلى الظهر فيسمى فيه
 الأهر . ويمتد إلى الصدر فيسمى فيه الوتين والفؤاد متعلق به . ويمتد إلى الفخذ
 فيسمى فيه عرق النسا . ويمتد إلى اللسان فيسمى فيه الصافر . ويمتد إلى أبهمة
 أصابع اليدين والرجلين فيسمى اللباج . وهو في كل موضع يظهر فيه من
 الإنسان من المقاتل بأذى صوب ، فيبجان للصانع الحكيم المبدع العالم
 الواسع الخليم الجامع الرحمن الرحيم .

ويقولون فيه أيضاً : الوتين هو عرق مستبطن الصلب أبيض غليظ كأنه

فضة معلق بالقلب يسقى كل عرق في الإنسان ، ويقال لمعلق للقلب من الوتين النباض . فإذا تحققت قولا أن افتراق تلك التسميات هو من حيث مواضع أطراف الشيء فتدبر أيضاً ما نقله بعض العلماء الكبار عن الشيخ شهاب الدين السهمودي أنه قال : إن النفس لها رتبة الأنوثة بوضع الجبلة ، وأنها سفلية المختد وأن الروح العلوى له نسبة الذكورة وأنه قيم عليها . وقال وهذه الذكورة والأنوثة للروح والنفس في عالم الأمر كالذكورة والأنوثة بين آدم وحواء في عالم الخلق وكما حصل من ازدواجهما الذرية بمعنى الصورية والانحداد في جنس الإنسانية فكذا من إزدواج الروح والنفس والقلب والعقل واتحاد المرتبة الأمرية المشار إتيها بقول باري البرية : (وبسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) . أى لا يعلمه إلا هو حقيقة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) انتهى ، ثم نعود إلى تمام الباب الذي عقده إمام أولى الألباب .

قال : وانرجع إلى أصل فعل النفس ولما كانت النفس واسطة بين الروح والجسد تم فعلها واستيلاؤها على جميع البدن لقربها منه ، فإذا أراد الله تعالى إلهام النفس شيئاً ألهم العقل أولاً بواسطة روح الأمر والعقل يلهم النفس بواسطة الروح ، فإذا صدر جميع الإلهام بإرادة الله تعالى إلى النفس أرادت واستولت على البدن في بيتها الذي هو الدماغ ومبدأ حركات الحواس ، ففعلت ما ألهمت به من خير أو شر أو نفع أو ضرر ، واكتسبت ما قدر عليها من طاعة أو معصية لأن علمها كله في الأصل مخلوق .

قال الله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) . وقال : (ولو شاء ربك ما فعلوه) ، وقال : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ، وقال : (والله خلقكم وما تعملون) فيكون ما أراد الله تعالى قدبماً في سابق .

علمه محدثاً بإرادتها بعد إرادته محكماً في ديوان حكمته وتقدير ملكه وعلمه وقدرته . قال : ومادة النفس من الروح ومادة الروح من العقل ومادة العقل من روح الأمر ومادة روح الأمر من الله عز وجل ، فيتصل ذلك جميعه بالجسد كائناً ما كان لأن الجسد متصل بالنفس التي هي روح حسه والنفس متصلة بالروح التي هي روح حيانه ، والروح متصل بالعقل الذي هو روح الهامه ، والعقل متصل بروح الأمر الذي هو من حيز ربه يظهر إليه ما في وجوده من علمه وقدرته وإرادته والجميع حكمة الله وصنمته التي اخترعها ليدل بها على وجوده ومعرفة وعلمه وقدرته وإرادته ، وذلك أن الله تعالى أقام إرادته مقام ذاته ، فيتجلى بمحاسن صفاته من جميع موجوداته فدل على معرفته نفسه فقط ، كما قال تعالى : (كنت كنزاً مخفياً لم أعرف خلقت خلقاً وتعرفت لهم في عرفوني) فهو محرك بالإرادة لروح الأمر ، وروح الأمر محرك للعقل والعقل روح محرك لروح الحياة ، وروح الحياة روح محرك للنفس ، والنفس روح محرك للجسد يتصرف فيه بجميع الأفعال النفسانية وإرادتها الصادرة عن إرادة عالم الغيب والشهادة ، وكل روح من هذه الأرواح عقل عاقل وممقول بعقل ، أي جامع ومجموع ، فجامع لما يصدر منه إلى ما تحته مما صدر إليه مما فوقه ، فالنفس عقل للجسد ، والروح عقل للنفس ، والعقل عقل للروح ، وروح الأمر عقل للعقل ، والباريء جل جلاله عقل عاقل أي جامع لجميع العقول الماقلات والمعقولات . ومنه مصدرها وإليه يؤول أمرها كلها ، فهو قاءها وصانها على الحقيقة وكل واحد منها طبيعة مطبوعة ، أي كتابة مكتوبة بيد قدرة الله تعالى لأن الطبيعة مشتقة من الطبع الذي هو طبع الخاتم المكتوب الذي يطبعه في الشمع فتنتقل الكتابة والصورة التي في الخاتم إلى الشمع في دفعة واحدة .

قال وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى كن فيكون ما أراد من تلك الخلقات

لتصلات بعضها ببعض فتتقل تلك الصورة المعنوية الروحية وذلك الطبع المطبوع من الوجود الأعلى إلى الوجود الأسفل من كل طابع ومنطبع فيقع الاتصال بين كل طرفين فتكون صورة النتيجة المجمعة من كل واحد منهما كما اتصل الخاتم بالشمع وظهر بينهما صورة الرسم المطلوب وقد تميز الطابع من المنطبع بمشاهدة معرفة العارف .

ثم قال هذا حكم ما ينتقل من الموجودات إلى بعضها ، بعض وأما ما ينتقل من وجود الله تعالى إلى وجود المخلوقات من العلم والمعرفة والإرادة فينطبع كما ينطبع الشيء المنظور في المرآة الصغيرة فإنك إذا قابلت بها سماء أو أرضاً أو جبلاً تصور مجسم أجزائه فيها وحصل علمه ومعرفة من غير اتصال بها ولا انفصال عنها فهو متصل بمشاهدة النظر إلى الطبع المطبوع فيها فقط لاتصال الفاعل بالمفعول باللمس المتصل من الطرفين وهو منفصل عنها بالسكينة لأن ذاته غير ذاتها وإنما شوهد منه ما انطبع بالفعل من الصفة للمنطبعة في طبيعة المرآة كغيب العارف بالله عز وجل فما تصور فيه وانطبع من العلم والمعرفة والإرادة ففى صفات الله تعالى الذى يتجلى بها للقلب وبطبعها فيه فينفذها من وجوده إلى وجود الإنسان العارف فيجدها بعد المدم فإذا أراد الله تعالى ظهورها من عالم غيب الإنسان إلى عالم غيب شهادته ألهم النفس فجورها أو تقواها فتحركت إرادتها عن إرادة الله عز وجل بما أودع الله تعالى فيها من الطبيعة المطبوعة وظهر بفعل النفس كأنها ما كان .

ثم قال الشيخ محمد جزاء الله خيراً فهذا القدر كاف فيما أردناه من علم العقل والروح والنفس وقصدناه في ذلك من علم الطبيعة وجعلناه أساساً لما نحن ذا كروه في كتابنا هذا والله الموفق للصواب انتهى هذا الباب الذى هو من لب الابواب مع زيادة لانتفى على أولى الألباب ، والحمد لله الذى هدانا لهذا هذا الكتاب وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله إلى الصواب .

والله لولا الله ما اهتدينا إلى سبيل الرشاد
ولا تصدقنا ولا صلينا ولا عرفنا اعتقاد
إن الولاة قد بنوا علينا أهل الخطا والمعناد
إذا أرادوا فتنة أيينا إلا الهدى والسداد
فأنزلن سكينتنا علينا يا ربنا يا جواد
وثبت الأقدام إن لائنا بالمرهفات الحداد
واجعل رياح النصر منك فينا والروح فهو المراد
تأيد بالأيدى التى لأيينا من قبلنا والآياد
نصرًا وفتحًا ظاهرًا مبينًا فى المبتدأ والعواد
وكن لنا يا ربنا معينًا فى النائبات الشداد
نحن قال الحى كن حيننا فأوجد ومد المداد
وبالهداية منه اهتدينا هو خير داع وهاد
وألقى لنا الإسلام خير ديننا نعيمه بالجهداد
والمصطفى خير الأنام فينا خير الحدود الجداد
إليه نسبتنا وبه دعينا فى العاجلة والمعاد
صلى عليه الله كل حيننا عد المداد والمداد
وآله وصحبه ثم تابعينا إلى نهار الحصاد

ثم نعود إلى تعداد الاستمازات من شر المخلوقات بالذات والكمالات
وهى النافعات الشافعات من الآيات والأحاديث والآثار فتقول .

الكلام فى المعوذتين والتعوذ

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق
ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد
إذا حسد) .

وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الناس ملك الناس
إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من
الجنة والناس) .

فهاتان السورتان من أقوى المعوذ . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم
أن من قرأ المعوذتين مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يصبح وثلاثاً حين يمسى
كفتاه من كل شيء ، وورد أيضاً أنه قال ما تمعوذ المتموذك بمثلها معنى
قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس وناهيك باسمهما دليلاً
على رسمهما .

وقال الإمام النووي رويناً في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ
بالمعوذات ومسح بهما جسده . وفي الصحيحين أيضاً أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ
قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما
ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ،
يفعل ذلك مراراً - النفث نفخ لطيف بلاريق .

وقال النووي في كتابه الأذكار رويناً في صحيح مسلم وموطأ مالك
وكتاب الترمذى وغيرها عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خاف لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .
ورويناً عنه أيضاً في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لاغنى
البارحة فقال « أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق

لم يضررك، ذكره مسلم متصل بحديث خولة المتقدم هكذا قال، ورويناه في كتاب ابن السني أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً . قال الهروي وكلمات الله هنا هي القرآن ، وفي كتاب الترمذي من قال ذلك حين يمسى ثلاث مرات لم تضره حمة تلك الليلة، وروى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن إبراهيم كان يعوذ بها اسماعيل وإسحاق يعني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

قال الإمام النووي الهامة بتشديد الميم وهي كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها والجمع الهوام وقد يقع الهوام على ما يذب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات وغيرها لحديث كعب بن عجرة أبوذريك هوام رأسك أي القمل . وأما العين اللامة فهي بتشديد الميم وهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء .

وفي سنن أبي داود ، والنسائي والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل . قال بأرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يذب عابك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية واللامقرب وساكن البلد ومن شر والد وما ولد ، ساكن البلد الجن ، وقيل الوالد وما ولد ابليس والشياطين .

وفي سنن أبي داود ، والنسائي وغيرهما بالإسناد الصحيح عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول عند مضجعه « اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك للتامة من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم اللهم لا يهزم جنودك ولا يخاف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانه وبحمده ، نقله والذي قبله الإمام النووي في كتابه الأذكار .

ومن الأخبار ما روى أبو داود ، والترمذى وقال حسن والنسائى والحاكم
والافظ للترمذى مرفوعاً قال عليه السلام « اذا فرغ أحدكم فى النوم فليقل أعوذ
بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن
يحضرون فانها ان تضره » .

وكان عبد الله بن عمر يلقنها من عقل من ولده ومن لم يعقل منهم كتبها
له فى صك ثم علقها عليه . وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والإمام
مالك مرسلأ أيضاً عن عبد الرحمن بن حنبل التميمى أنه قيل له هل أدركت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم فقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة كادته الجن فقال إن الشياطين تحدت تلك الليلة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شملة من النار
يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط إليه جبريل عليه
السلام فقال يا محمد قل كما أقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً
وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يمرج فيها ومن شر فتى الليل
والنهار ومن شر كل طارق الا طارقاً بطرق بخير يا رحمن . قال فطعنت نارهم
وهزمهم الله تعالى انتهى .

ونقل الإمام النووى بسنده من سنن أبى داود ، والترمذى وابن السنى
وغيرهم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر
عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون . قال وكان عبد الله بن عمر يعلمهن
من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فملقه عليه . قال النووى قال للترمذى حديث
حسن ، وفى رواية ابن السنى جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى إليه
أنه يفزع فى منامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أويت إلى فراشك فقل

أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين
وأن يحضرون فقالوا فذهب عنه .

وقال النووي أيضاً روي في كتاب ابن السني عن محمد بن يحيى بن حبان
يفتح الحاء وبالباء الواحدة أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أصابه أرق فشكى
ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتعوذ عند منامه بكلمات الله التامة
من غضبه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، هذا الحديث
مرسل محمد بن يحيى التابعي قاله النووي . وقال قال أهل اللغة الأرق هو السهر .
وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خرّج النسائي في مصنفه عن علي بن أبي
طالب رضى الله عنه أنه كان يقول عند مضجعه اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم
وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف للمغموم والمأثم
اللهم لا يهزم جنودك ولا يخلف وعده ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانه
وبحمدك .

وفيه قال خرّج ابن وهب في جامعه عن أسد بن رفاعة قال خرّج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجة وزينب رضى الله عنها تذكر الله في مسجدها ثم رجع
وهي بحالتها تلك فقال يا زينب ما زال هذا حالك قالت نعم يا رسول الله . قال
لقد قال رسول الله أربع كلمات رددته ثلاث مرات لوجع ما ذكرت من أول النهار
إلى آخره ثم جعل في كفة وجعلت في كفة لرجلته أو نوزنته . قال سبحانه الله
رضا نفسه وسبحان الله عدد خلقه وسبحان الله مداد كلماته وسبحان الله ملء
عرشه .

وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .
(قلت) في هذا الحديث إشارة إلى أن الصدقة أفضل أسباب النجاة وأن من
لم يجد ما يصدق به فصدقته الله كالمشار إليه بقوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب)
فقد روى في التفسير أنه قول لا إله إلا الله وغيرهما من الذكر . والحق أن الصدقة
(١٢) - الفرقان

من الغنى أفضل من الذكر منه مع الشح بالمال . والذكر من الفقير أفضل من الصدقة إذا عدم المال . وتقدم تحقيق ذلك مبسوطاً في الفصل الرابع من المقدمة . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

وفي تفسير البغوي بسنده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضى الله عنهما قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبة يوم عرفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولستم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً تكرهون فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولعن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصممه السبابة يرفعونها إلى السماء وينسكها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد ثلاث مرات . ونقل النووي من كتاب ابن السني عن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله إني أجد وحشة قال إذا أخذت مضجعتك فقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضررك ولا تقربك انتهى .

قائدة

في استعاذات نبوية من أمور أخرى

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في باب الدعوات والاعتوذ أما استعاذته صلى الله عليه وسلم من (فتنة الغنى وفتنة الفقر) فلائهما حالتان تخشى الفتنة فيهما بالسخط وقلة الصبر أو الوقوع في حرام أو شبهة للحاجة ويخاف

فى الفنى من الأثر والبطر والبخل بحقوق المال وإنفاقه فى إسراف أو فى باطل أو مفاخرة وأما (الكسل) فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه .
وأما (المعجز) فعدم القدرة عليه وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسوية به وكلاهما تستحب الاستمادة منه .

ثم قال . قال الخطائى إنما استماد صلى الله عليه وسلم من الفقر الذى هو فقر النفس لافلة المال ثم قال قال للقاضى وقد تكون استمادته من فقر المال والمراد الفتنة فى احتماله وقلة الرضا به . ولهذا قال فتنة الفقر ولم يقل الفقر قال وقد جاءت أحاديث كثيرة فى الصحيح بفضل الفقر . وأما استمادته صلى الله عليه وسلم من (المهرم) فالمراد به الاستمادة من الرد إلى أرذل العمر كما فى الرواية التى بعدها وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلاط العقل والحواس والضبط والفهم ونشوبه بعض المنظر والمعجز عن كثير من الطاعات والتساهل فى بعضها .
وأما استمادته صلى الله عليه وسلم من (المفرم) وهو الدين فقد فسرته صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث السابقة فى كتاب الصلاة أن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف ولأنه قد يعطل المدين صاحب الدين ولأنه يشتمل به قلبه ورغباته قبل وفائه فبقيت ذمته مرتهنة به .

وأما استمادته صلى الله عليه وسلم من (الجبن والبخل) فلما فىهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله وإزالة المنكر والإغلاظ على المعصاة ، ولأن بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات وتقوم بنصر المظلوم والجهاد وبالسلمة من (البخل) تقوم بحقوق المال وتنبت الانفاق والجود ومكارم الأخلاق وتمنع من الطمع فيما ليس له .

ثم قال قال العلماء واستمادته صلى الله عليه وسلم من هذه الأشياء لتكمل صفاته فى كل أحواله وتشرعاً وتعالماً لأمة .

ثم قال وفي هذه الأحاديث دلائل لاستحباب الدعاء والاستمادة من هذه الأشياء المذكورة وما في معناها . وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى في الامصار في كل الاعصار ، ثم قال وذهبت طائفة من الزهاد وأهل المعارف إلى أن ترك الدعاء أفضل استسلاماً للقضاء . وقال آخرون منهم إن دعا للمسلمين حسن وإن دعا لنفسه فالأولى تركه وقال آخرون منهم إن وجد في نفسه باعناً للدعاء استحب وإلا فلا قال ودليل الفقهاء طواهر القرآن والسنة في الأسر بالدعاء وفعله والاخبار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بفعله وفي هذه الأحاديث ذكر اللائم وفيها فتنة الحياء والممات أى فتنة الحياة والموت .

قال وقوله إنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شناعة الأعداء ومن جهد البلاء .

أما درك الشقاء فالشهور فيه فتح الرأى وحكى القاضى أن بعض رواة مسلم رواها ساكنة وهى لغة . وجهد البلاء يفتح الجيم وضمها والفتح أشهر وأفصح . وأما الاستمادة من سوء القضاء فيدخل فيها القضاء فى الدين والدنيا والمال والأهل وقد يكون ذلك فى الحائمة وأما درك الشقاء ، فيكون أيضاً فى أمور الآخرة والدنيا . ومعناه أعوذ بك أن يدركنى الشقاء ، وشناعة الأعداء هى فرح العدو ببلىة تنزل بعدوه يقال منه شمت به بكسر الميم يشمت بفتحها فهو شامت وأشتمه غيره .

وأما جهد البلاء فروى ابن عمر رضى الله عنهما أنه فسر به بقله المال وكثرة العيال . وقال غيره هى الحالة الشاقة .

ثم قال وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات قيل معناها الكلمات اللاتى لا يدخلها نقص ولا عيب وقيل النافعة الشافعة وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن .

خاتمة

(١) في الكلمات التي أتمها إبراهيم عليه السلام

قال تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قال أهل العلم
بمعنى عشر خصال . فرق الشمر وقص الثارب وتقليم الأظفار والسواك
والمضمضة والاستنشاق والختان والاستحداد والاستنجاء وتنف الأبط .

وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي عن الحسن البصري . وإذا ابتلى
إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فوجده صابراً ثم ابتلاه بالقمح
فوجده صابراً ثم ابتلاه بالشمس فوجده صابراً ثم ابتلاه بالنار فوجده صابراً ثم
ابتلاه بذبح ابنه فوجده صابراً ، وفيه قال وروينا في موطأ الإمام مالك عن سعيد
ابن المسيب قال كان إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم أول الناس ضيف الضيف
وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال
يارب ما هذا فقال الله تعالى نور ووقار فقال يارب زدني نوراً ووقاراً : وفيه
عن كعب الأحبار وآخرين أن سبب وفاة إبراهيم أنه أتاها ملك في صورة شيخ
كبير فضيفه فكان يأكل ويسيل طعامه ولعابه على لحيته وصدره فقال له إبراهيم
يا عبد الله ما هذا . قال بلغت الكبر الذي يكون صاحبه هكذا . قال وكم أتى
عليك . قال مائتا سنة ولإبراهيم يومئذ مائتا سنة فكره الحياة اثلاً بصير إلى
هذا الحال فأتى بلا مرض .

وعن أبي السكن الهجري قال توفي إبراهيم وداود وسليمان صلى الله عليهم
وسلم فجأة . وكذلك الصالحون وهو « بمعنى موت المفجأة » تخفيف على المؤمن
المراقب . وعقوبة للفاسق الغافل .

قال وإبراهيم أسم أعجبي وفيه لفات أشهرها إبراهيم ، والثانية إبراهيم
وقرى بهما في السبع . والثالثة والرابعة والخامسة ابرهم بكسر الهاء وضمها وفتحها
انتهى . وقال غيره وإبراهيم بالسريانية : أب رحيم .

(٢) وفي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

وقوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)
 فعفا الله سبحانه وتعالى عنه وأقبل عليه وأوحى إليه وعلمه صلاح معاشه ومماده
 واختلف في الكلمات التي تلقاها آدم وكانت سبب توبته فقيل هي
 أنه لما خلقه سبحانه وتعالى رفع طرفه إلى العرش فنظر مكتوباً على قوائم العرش
 وأطرافه وأكتافه لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما وقعت منه الزلة وأهبط إلى
 الأرض دعا ربه سبحانه وتعالى قائلاً اللهم إني أتوسل إليك بمحمد صلى الله
 عليه وسلم أن تغفر لي خطيئتي فقبل الله سبحانه وتعالى دعاءه فغفر له ورضى عنه
 وقال له سبحانه بسم عرف محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارب رأيت أسمه
 مقترناً باسمك فعلمت أنه أفضل خلقك وأعزهم لديك فاهذا توسلت به إليك .

ونقل للشرحي من بعض مصنفات الإمام البوني^(١) أن الكلمات الثمانيات
 هي عشرة أسماء وهي المحيط العالم الرب الشهيد الحبيب الفعال الخلاق البارئ
 الخالق المصور قال وهي من أعظم الأذكار ما استندام أحد ذكرها إلا تبسر له
 المطلوب في العاجلة . قال وفيها أسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به
 أعطى ولأهل المسكاشفات بها إمام ، ومن ذكرها في انتصاف الليل يرى عجائب
 وفيها حفظ النفس والجسم من المؤلم وقهر الاعداء ولا يستديم أحد ذكرها إلا
 ويرى من العالم العلوي أسراراً ويسخر له كل عالم .

وقيل (الكلمات) التي تلقاها آدم من ربه هي قوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا
 وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، وقيل هي لا إله إلا أنت
 سبحانه إني كنت من الظالمين . ومحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني نسبة إلى بونه بأفريقيه على الساحل
 نوا بالفاخرة سنة ٦٢٢ هـ وله رسالة في ترويح الاسم الأعظم وأخرى في فضل البسملة .

على إنك أنت الثواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربى عملت سوء وظلمت نفسي فارحمنى إنك أنت أرحم الراحمين .

وقيل هى أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيت بشيء أبغضته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على قبل أن تخلقنى قال الله لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك . قال يارب كما قدرته على فاغفر لى .

وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والبكاء والدعاء .

وقيل إنها مناسك الحج وهو أنه لما نزل (بشر نديب) وهو جبل بارض الهند عن شمال القائم المتوجه إلى المغرب جاءه جبريل عليه السلام فأمره بالحج وسار معه حتى أتى المزدلفة واجتمع بحواء فلهاذا سمي جمعا . وتعارفا بعرفة فلم يذا سميت عرفة فوقفوا بها إلى أن غابت الشمس من اليوم التاسع ثم أقاموا إلى المزدلفة فباتوا بها ثم أتيا منى فرموا الجمار خلقا ونفرا ثم أتيا البيت الشريف وطافا به سبعة . فمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أهبط الله آدم إلى الأرض قام تجاه الكعبة فصلى ركعتين فأنهم الله هذا الدعاء (اللهم) إنك تعلم سرى وعلايتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطني سؤالى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (اللهم) إني أسألك إيمانا يباشر قلبى وبقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبته لى ورضى بما قسمت لى . فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت لك ذنبك ولن يدعوك هذا الدعاء أحد إلا غفرت له ذنبه وكفيتهم الأمم من أمره وزجرت عنه الشيطان وانجرت له من وراء كل تاجر وأقبلت إليه الدنيا راغمة وإن لم يردها .

(قلت) فهذه الأقوال فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فكانت سبب توبته وهناك أقوال آخر ليست ممتدة فى هذا الباب تركناها خوف الاسهاب

فكتاب الله سبحانه وتعالى على آدم للتاب ورجع الله سبحانه وتعالى عليه بالاقبال والرحمة لما رجع وآب . فهو أول من تاب . إلى الله سبحانه وتعالى من البشر وأناب . وكانت هذه سنة وطريقة لذريته وأولاده إذا وقع منهم تقصير أو مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى تابوا إليه وأنابوا ورجعوا وآبوا فيقبل الله سبحانه وتعالى منهم كما تقبل من أبيهم آدم المشار إليه بقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم أجتباها ربه فتاب عليه وهدى) وفي التنزيل خطاباً للحميم يبشر به أمته للقائلة حسبنا الله ونعم الوكيل (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأوفى الله ما عاهد من أمته) .

شروط التوبة

وللتوبة شروط أولها الاقلاع عن المعصية . الثاني عقد القلب على أن لا يعود . ثالثها الندم على التفريط . رابعها رد المظالم إلى أهلها إن كانت المعصية من حقوق للمعاد ، والتوبة فريضة على كل مسلم قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وسيأتى بيان شروط التوبة وآدابها وفرائضها وفضل التائبين مختصراً في موضعه من هذا للشرح عند قوله تائب إلى الله ، ومعنى تلقاها استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كانت على أنها هي التي استقبلته وتلقته .

وآدم من أديم الأرض أو أدمتها وهو وجهها فاشتق اسمه عما خلق منه وقيل من الأدم وهو الجمع لأنه خلق من الطين الخفيفة . وقيل اسم أعجمي وكنيته أبو البشر كنيته الملائكة . وقيل أبو محمد صلى الله عليه وسلم كذا ذكره العلماء ، وهو غير مصروف للمجعة والتمريف .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن آدم قال : يا رب ألم تخافني بيلدك ،

قال : بلى ، قال : ألم تنفخ في الروح من روحك ، قال : بلى ، قال : ألم تسكني جنتك ، قال : بلى ، قال : يارب إن تبت وأصلحت أراجمي إلى الجنة ، قال : نعم أنتهي .

وأصل معنى الكلمة السكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر كالسكلام والجراحة ، ومنه الحديث « والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك » الحديث .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما من مكلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » متفق عليه . ومعنى (فتاب عليه) أي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة . قال البيضاوي : وإنما رتبته بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الإعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه ؛ ومعنى (التواب) إرجاعه على عباده بالمغفرة والذي يكثر إيعاتهم على التوبة ، وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف به اتعبد كان رجوعاً عن المعصية إلى الطاعة ، وإذا وصف به البارئ تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة .

ومعنى (الرحيم) اللبالي في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد الثائب بالإحسان مع العفو والله أعلم اهـ .

(نكتة) اختيار العلماء أربع كلمات من أربع كتب : من التوراة : من قنع شمع . ومن الزبور : من سكنت سلم . ومن الإنجيل : من اعتزل نجا . ومن القرآن : (ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .

(نكتة) أخرى : قال الشيخ ابن حجر في حاشية الفتح أجمع أهل اللل على تحريم هؤلاء الكلمات الخمس وهي النفوس والفروج والأعراض والمقول والأموال . فهذه كلها لم تحمل في ملة من اللل . وقال أصحاب الإشارات لا تقل

أربع كلمات فتقع في الملهكات ، لا تقل أنا ولا لى ولا عندى ولا نحن .
فإن لللائكة قالوا : نحن نسبح بحمدك ، فوقمت النار فأحرقتهم^(١) . وإبليس
قال : أنا خير منه ، فلمن إلى يوم القيامة . وقارون قال : إنما أوتيته على علم
عندى ، نخسف به . وفرعون قال : أليس لى ملك مصر ، فأغرق .

وفى كنز العلوم لابن تومرت الأندلسى عن الأحنف بن قيس أنه قال :
أخرج الناس من كلام الحكمة أربعة آلاف كلمة ثم أخرجوها فى أربعة كلمات
ثم أخرجوها فى أربعين كلمة ، ثم أخرجوها فى أربع كلمات ، أولها : لا تحمل
معدنك ما لا تطيق . والثانية : لا تنفق بالنساء . والثالثة : لا يفرك المال وإن
كثر . والرابعة : يكفيك من المال ما تنفق به .

(فائدة) روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : بينما عيسى ابن مريم
ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضاً ، فقال عيسى
ليحيى : قل تلك السمكات ، فقال : أى السمكات ، فقال : حنه ولدت مريم ،
ومريم ولدت عيسى ، الأرض تدعوك يا ولد أخرج يا ولد أخرج يا ولد أخرج .
قال حماد بن زيد : فما يكون فى الحى امرأة ماخض فيقل هذا عندها
إلاً تضيع بيذن الله تعالى ، ويحيى أول من آمن بعيسى عليه السلام
وصدقه ، قال تعالى فى وصف يحيى : (ومصدقاً بكلامه من الله وسيداً وحجوراً)
وكان يحيى وعيسى ابني خالة ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، ثم قتل
يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام .

(فائدة أخرى)

قال بعض العلماء : وما يدفع به شر الحية والمقرب أن يقرأ عند النوم
ثلاث مرات أعوذ برب أوصافه سمية . من كل شر وحية . سلام .

(١) كذا بالأصل فايحرق .

على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين أعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق اه .

الذكر الثالث وشرحه

ولما أكمل سيدنا عمر ذكر الاستمادات خصوصاً وعموماً ابتداءً في الذكر
الجامع لمفترقات المنافع الذي هو عن الذكر به لكل ضرر دافع فقال :

(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو
السميع العليم . ثلاثاً) .

قال الشيخ هلى : « مع اسمه » أى الجامع لمراتب الأسماء ومظاهر الألوهية
كذلك « شيء » من الآثار النسوية إلى الأغيار من المظاهر الجسمانية « في الأرض
ولا في السماء » . من التأثيرات السماوية والكواكب النفسية ، فمع قدرة
الذكر بهذا الاسم الأعظم يكون حجاباً للذاكر من هذه التأثيرات وصوناً
لعماني الروحانية عن طرق الدمار الشيطانية الداعيات إلى المخالفات والأمور
الحجابيات ، وذلك الجعم مما يطلق عليه الشيطان في الأمور المضرة والشهوات
نفسانية من المستعبد على غيره ومن غيره عليه « وهو السميع العليم » الواقع
لجميع ما أحاطت عليه الدائرة الوصفية من المكيات المملكو تيات العليم ، والواقع
أيضاً لما أحاط به العلم من الحسيات والروحانيات والحسابيات والمقربات
يقول ذلك ثلاثاً كما قدمناه قبل اه . وهو كلام عجيب غريب كما تراه ظاهر النور
والبركة لكل من له من حسن الظن في الأولياء نصيب .

ثم نشرع الآن في تبين الأصول ، وتخرج الفصول من المنقول فنقول :
قال الله تعالى : (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً) وقال تعالى : (قد أفصح

من تركى وذكّر اسم ربه صلى) وقال تعالى : (واذكّر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بانفدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم) .

القول فى الاسم الأعظم

وهذا الذكر الذى أورده هنا سيدنا عمر هو الاسم الأعظم كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى فى حزبه المسمى بحزب النور اللهم إنى أسألك بالاسم الأعظم الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، فهذا دليل أن المراد فى هذا بالاسم هو الأعظم . لا ما أومأت إليه الأقوال الخائفة فيما ذكره بعض الشراح لحزب البحر اهـ .

وقال فى موضع آخر من حزب النور جل ربى أن يوجد بشىء أو يفقد بشىء إنه لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم . غافهم أن المراد الاسم الأعظم ، ولهم فى تعيين الاسم الأعظم كلام مختلف . وقول الأعظم إنه الله والحق القيوم ولا إله إلا الله وبالله يارحم يارحيم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إلها وإله كل شىء إلها واحداً لا إله إلا أنت ، ويمكن أن يقال إن كل من فتح الله عليه باسم من أسمائه الحسنى ذوات النور الأسمى فهو الأعظم فى حقه . ومن هنا قيل ليمضهم علمنى اسم الله الأعظم فقال لا قائل : وأنت علمنى اسم الله الأصغر فافهم والله أعلم .

وكتابتنا هذا مشحون من التعريفات بمعرفة هذا الاسم الميمون ، فأين المشركون المعتنمون لتلك المنافع الفادرة التى لا يعقلها إلا العالمون .

(ومعنى سبح) أى اذكره بالتنزيه بتلاوة أسمائه العظام انحطى بنيل الترام وتبلغ أعلى كل مقام .

ما ورد في فضل هذا الذكر

ولنذكر الآن بعض ما ورد في الحديث الشريف من منافع هذا الذكر ، بحسب الطاقة وإمكان التفكير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات إلا لم يضره شيء » رواه الترمذي وأبو داود وعثمان بن عفان ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال النووي : هذا اللفظ للترمذي ، وفي رواية أبي داود لم نصبه لحاجة بلاء .

وقال العلامة للفقير الطيب إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي الأزرق ، في كتابه تسهيل المنافع : روينا في بعض كتب الطب عن أنس قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إني رجل سقيم ولا يستقيم الطعام والشراب في معدتي فادع الله لي بالصحة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أكلت طعاماً أو شربت شرباً فقل : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم يا حي يا قيوم ، فإنه لا يضرك داء وإن كان عظيماً » .

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن علي الحنفي في شرحه على اللمعة البونية في الكلام على اسمه تعالى « باسط » أن جارية لأبي الدرداء أطعمته السم أربعين مرة فهاضره لأنه كان يقول بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم كلما أراد الأكل .

وذكر ابن ظفر في كتابه النصائح كما نقله عنه الدميري^(١) في كتاب حياة

(١) هو أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري المصري الشافعي ولد ونشأ بالقاهرة وتوفي بها سنة ٨٠٨ هـ كان خياطاً ثم أقبل على العلم ودرس وأفتى وكانت له حلقة بالأزهر وأقام مدة بمكة والمدينة وله أرجوزة في الفقه وكتاب الحيوان .

الحيوان . وقال : فيه إنها قالت لأبي الدرداء من أى جنس أنت . قال : أنا آدمي مثلك قالت كيف تكون آدمياً وقد أطمعتك السم أربعين مرة فلم يضرك . فقال أما علمت أن ذا كرى الله تعالى لا يضرهم شيء وإني كنت أذكر الله باسمه الأعظم . قالت وما هو قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم قال وما الذى حملك على ذلك . قالت بفضك . قال أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت فى حل مما صنعت انتهى .

وروى الطبرانى فى كتاب الدعوات عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبی صلى الله عليه وسلم قال من قال إذا ركب دابة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء سبحانه ايس له سمي سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام إلا قالت الدابة بارك الله عليك وأنجح حاجتك ، نقله الدميرى أيضاً فى كتاب الحيوان فى أول حرف اللام الميملة عند ذكر الدابة .

ما قيل فى كلام الحيوانات والجمادات

قلت ولا أستبعد قول الدابة لهذا القائل هذا الذكر : بارك الله عليك وأنجح حاجتك . فإن الشمرانى نقل من كلام الدواب والحيوانات بل والجمادات جملة فى ^(١) كتابه المهود من ذلك أن بعضهم ركب أتاناً فخطر بباله ياليت شمرى هل أنا أفضل من هذه الأتان أم هى أفضل منى . فقالت له الأتان

(١) انظر أن ما كان معجزة لاني يجوز أن يقع كرامة للولى إذا لم يكن المقول له و هذه العبارات من الأولياء كانت هذه الكلمات مما وضع على السنة الحيوانات والجمادات وعظه والتعليق فصلاً بل تمكينا من النفوس فضل تمكين وذلك أسلوب معروف قديم والله أعلم .

بل أنا أفضل منك لأنني حملتك من موضع كذا إلى هذا الموضع وأنت لا تقدر على أن تحملني خطوة واحدة فتمال لها وأنت تفهمين الخطاب . فقالت كيف اطلمت على خاطرك الذي في ضميرك ولا أفهم القول الذي تقوله بلسانك ثم قالت أما عملت أنه البارحة ركبني رجل قمو العجيزتين سمين فأثقلني فحين بلغت به المكان الفلاني قال قومي لك المثير^(١) فهلا قال قومي رحمك الله وسقى مراعيك .

وقال الشمراني عند ذكر كلام الجادات إن للشيخ فلانا تخلي في مكان فلما أراد الاستنجاء كان كلما أمسك حجارة ليستنجي بها قالت له بالله عليك لا تنجسني فلما أعياه ذلك قال - لواحدة من الحجارة حين أمسكها وقالت له ذلك بالله على أن أنجسك لأن الله ورسوله قد أمراني بذلك .

بركة الابتداء بذكر اسم الله تعالى

قول الشيخ شرف الدين الشاذلي في كتابه « اللطيفة المرضية » الذي شرح به حزب البحر الإمام أبي الحسن الشاذلي نفع الله بهما عند قوله بسم الله ياينا أعلم أن الله تعالى شرع للعبد إذا ابتداء في شيء أن يذكر اسم الله تعالى عنده إشعاراً له بأن كل شيء كائن باسم الله تعالى فيعلم ذلك فيعوي إيمانه ويتأكد ، وأيضاً إنه إذا ذكر اسمه تعالى في شيء بورك له في ذلك الشيء ، كما بين ذلك في الحديث فيبقى القليل كثيراً والضرار نافعا ببركة اسمه تعالى كما جاء عن موسى عليه السلام أنه اعتل قميل له اذهب إلى غار كذا فقيه نبات فيه شفاؤك فذهب فاستعمله فشفاه الله تعالى ثم اعتل بمثل تلك الملة بعد وقت فذهب فاستعمل ذلك النبات فلم يشف فقال يا رب الملة واحدة والنبات واحد فما هذا ، قال لأنك في المرة الأولى ذهبت بأمرنا فشفيك وفي هذه المرة ذهبت بنفسك فلم

(١) أي الكبوة يدعو عليها بذلك .

تشرف ألم تعلم يا موسى أن الدنيا وما فيها سم قاتل وإلما يصلحها ذكر الله تعالى عليها . قال وهذا من تأديب الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام حتى لا يمتنعوا بشيء سواه وليكونوا لمعباده قدوة .

ثم قال إذا علمت ذلك فلا شيء يفتح بابه إلا باسم الله تعالى في الحقيقة فإن ذكره المؤمن بورك له اقيامه بعبوديته فحق على العبد أن لا يفعل شيئاً ولا يفتح باب شيء حتى يذكر اسم الله تعالى عليه ليقوى إيمانه وليقارن أفعاله ببركات اسم الله تعالى عليه .

قال واعلم أنه ما من شيء يخرج من العدم إلى الوجود إلا ببركات اسم الله تعالى وبقدرته حركة كانت أو سكون ، نظرة كانت أو خطرة في السماء أو في الأرض ففلا كان أو ذاتاً فالغيب مطلق على الإنسان حتى يفتح بابه بقدرته الله تعالى وعظيم تدبيره وإنشائه كما قال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) فأعلمك تعالى أن مفاتيح الغيب عنده يفتح بها أبواب غيبه فيخرج ما يشاء من العدم إلى الوجود . وقد سمي نفسه الفتح المليم إلى آخر كلامه .

وأورد السكلاعي في كتاب السيرة المسماة بالاكتماء : أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه لما فتح الحيرة بالعراق ، بعد ما قتل من الجيامة والشام خرج إليه عمرو بن بقليلة رأس من رؤساء الحيرة يخاطبه فرآه خالد معانقاً كيساً في حقويه فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه في راحته . وقال : ما هذا يا عمرو ، قال : هذا سم ساعة ، قال : ولم تخفيه ، قال : خشيت أن تكون على غير ما رأيت والموت أحب إلي من مكروهه أدخله على قومي ، فقال خالد : إنه لن تموت نفس حتى تأتى عليها أجلها ، وقال : بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه داء ، وابتلع السم فلم يضره فقال عمرو : يا معشر العرب والله لئلمسكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرناء .

وفي كتاب النصائح لابن ظفر كما نقله الدميري عنه أن خالدا لما وضع السم في راحته وأرد شربه قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثم شربه ويقال إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره وتغصبه عرق ثم سرى عنه فانصرف الرجل إلى قومه . وقال لهم جئتم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما شاء وأخرجوه من أرضكم راضياً فهم ذلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم فصالحوه على ثمانين ألف درهم فبضه انتهى .

ومن غرائب ما حكى عن كسرى أحد ملوك الفرس أنه أحضر سم ساعة وجهه في قارورة وخبأه في خزانته الخاصة وكتب عليه هذا ترياق من شربه زاده في قوة الباه أضعافاً مضاعفة على المدة . فاتفق أن ولده قتله واحتاز خزانته فلما فتح الخزانة المذكورة قرأ تلك الأرقام المسطورة أكل من الحلوى المذخورة فمات في ساعة فانظر في حيل الملوك وأخذها بالنار وهي في الثرى انتهى .

فائدة

ينفع لوجع الرأس ، بضع العازم يده على رأس الوجع ويقول بسم الله خير الأسماء . بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي اسمه بركة وشفاء بسم الله الذي الشفاء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه سم ولا داء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم يكرر ذلك ثلاث مرات أو سبع مرات يبرأ باذن الله تعالى اه من كتاب الفوائد للشيخ أبي الشرحى الحنفي .

فائدة أخرى

في كتاب الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي القهائل مما سمعته

على الإمام الفقيه مفتي الحرسين الشريفين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف^(١) البجلي، في مكة مما أخرجه من مسموعاته محذوف الأسانيد قال يكتب لكل شيء من المرض والصداع والشقيقة والحمى والمائلة والمين والنفس والصرع وأنواع الجنون والفرع وجميع الآفات وغير ذلك . بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أعيد حاملاً كتابي هذا بوجه الكريم العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات كلها التي لا يتجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون من شر نفثهم وفسخهم ومن شر كل دابة ربي أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم هذا الغلام أو هذه الأمة أو هذه الدابة انك على كل شيء قدير .

فائدة

روى الدميري في حياة الحيوان عن الإمام الحافظ نضر الدين عثمان بن محمد بن عثمان البووي نزول مكة انشرفة أنه قال كنت أقرأ بمكة الفرائض على للشيخ آقاي الدين بن الجوزاني فيماني نحن جلوس وإذا بمقرب نمشي فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها فوضعت الكتاب من يدي . فقل أقرأ فقلت حتى أتم هذه الفائدة . قال هي عندك . قلت ما هي قال ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء وقد قلتها أول النهار .

(١) هو الفقيه الشافعي البجلي محمد بن إسماعيل بن عيسى بن أبي الصيف أصله من زييد وأقام بمكة ونوف بها سنة ٦٠٩ هـ أو سنة ٦٠٧ هـ وله كتب منها الأربعون حديثاً جاءها عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة وكتاب اسمه زيارة الطائف اهـ من الأعلام .

خاتمة

قال شرف الدين في آخر كتابه اللطيفة المرتبة عند شرح هذا الذكر وهذا دعاء جليل مأثور عظيم النفع والبركة ينبغي للمبد أن يلزمه كل صباح ومساء ، فقد ثبت في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث صرات فيضره شيء » رواه الترمذى في جامعه ، وقال فيه حديث حسن غريب صحيح وقال رواه غيره .

وفيه أن أبان بن عثمان رواه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه . وروى أبو الزناد عن أبان وكان أصاب أبانا فالج فجعل الرجل ينظر إليه . فقال له أبان : ما تنظر أما الحديث فهو كما حدثك ولكنى لم أقله يومئذ أيقضى الله تعالى على قدره .

ثم قال فانظر إلى عظيم قدر هذا الحديث يعنى هذا الذكر وجليل فائدته أنه يسان العبد ببركات ذكره من كل ضرر في الدين والدنيا لموم قوله صلى الله عليه وسلم : إذ معناه لم يضره شيء ، فيكون في ضون ذكر الله تعالى وبركات كلام نبيه صلى الله عليه وسلم . وذلك مع تحقيق الإيمان وتصديق القلب وقوة اليقين فيصان العبد على حسب يقينه عند ذكره ؛ قال ولن يمدم العبد المؤمن خيراً وإن نزل مقامه عن الرتبة العليا لموم بركات الكلام والذكر . قال وقوله عليه الصلاة والسلام عام في نفي الضرر مطلقاً أى لا يضره شيء ما . قال وشيء في سياق النفي بعم وكذلك الفعل في سياق النفي والنفي عام والفاء جواب للنفي المتقدم أى أن الضرر منتف عند وجود القول أى لا يجتمعان فالوجه إذا نصب فيضره شيء لأن المعنى عليه ، وهذا مثل ما ذكر سبويه

رحمه الله في الكتاب في مسألة ما تأتينا فتحدثنا على أحد وجهي النصب
واستشهد بقوله تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا) .

قال وقوله صلى الله عليه وسلم بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في
الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم يحتمل أربعة معان (أحدها) أن
يكون قوله الله مدلوله الذات العظيمة أى باسم الله ربنا تعالى اسمه . من أسمائه
الحسنى إذا ذكر كان دافعا للضرر ويكون قوله هو السميع العليم راجعا إلى
مدلول اسم الله تعالى (المعنى الثانى) أن يكون باسم أى هذا الاسم الخاص
الذى هو الله وخاصية الذكر به نحصيل هذا النفع المقصود فكأنه قال باسم
الذى هو الله أحد الأسماء الحسنى ويكون المضاف هاهنا هو المضاف إليه
كقوله إلى الخول ثم أسم الله عليك ويكون الضمير والصفاتان عائدة إليه
على أن الاسم هو المسمى .

(للمعنى الثالث) أن يكون باسم الله الذى إذا ذكر باسم الله الذى
يكون أثر الذكر به هذا وأثره وإن لم يكن مذكورا أى بسم الله الذى
هذا الأثر أثر الذكر به لكن على هذا عين ذلك الاسم غير مذكور
هنا ويكون صلى الله عليه وسلم استأثر بعلمه وعلم هذا الذكر فيحصل المقصود
بما أخذ عنه صلى الله عليه وسلم وإن كان الذكر لا يعلم عين ذلك كما يقول
الإمام أسألت باسمك الأعظم وإن كان لا يعلم عينه وكما جاء في الحديث
المنهور أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك
أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في غيب عنك . فقد شرع
السؤال بأسماء لا يعلمها .

(للمعنى الرابع) أن يكون الاسم هو الله وهذا الاسم خواص عظمى
عند الذكر به لكن على حسب حضور الذاكر وعلمه ووجهة قلبه وتوجهه

وقصده وقرأته بذكر ما . وأسماء خاصة فتكون البركة والنفع على حسب ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم أطلمه الله على ما شاء من علمه فاذا علمه صلى الله عليه وسلم فله من النفع والبركة ما لا يظلم عليه عموم انعماء نبيكون الاسم الذي هو الله إذا قرن بالاسمين الجليلين الذين هما الرحمن الرحيم كان له ضروب من البركات والثواب والخيرات إلى ما لا يستطيع حصره وكذلك عموم الأذكار والمبانيات التي وفق الله تعالى عباده المؤمنين بفعلها أسرارها عظيمة . وخيورها وبركاتها جسيمة . يقع الإيمان بالثواب عليها ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله .

وإذا قرن الاسم بما ذكره صلى الله عليه وسلم من قوته بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء بالاسمين العظيمين الذين هما السميع العليم يكون للعبد المذاكر ما وعد صلى الله عليه وسلم من النفع والبركة إلى غير ذلك قال وبسط شيء من ذلك مما يبدو من علم معاني الأسماء .

والأذكار بحر عظيم والمقصود التنبيه على فضيلة هذا الذكر فينبغي للعبد المؤمن أن يلازمه صباحاً ومساءً كما ذكره صلى الله عليه وسلم لتحصل له هذه البركة العظيمة ودفع الضرر عنه وله مع ذلك الثواب على الذكر مع حصول فائدته لأن ذكر الله تعالى يثاب للعبد على فعله . وله أيضاً بركات متابعته صلى الله عليه وسلم وامتنال أمره فكل ذلك خيرات وفضل من الله تعالى عظيم انتهى من اللطيفة المرضية .

(فائدة) أما قوله بسم الله فسيأتي شرحه ، مناه عند قول سيدي عمر بسم الله الرحمن الرحيم وعند قوله بسم الله تحصنا بالله وسيأتي هناك كثير من فضائل التسمية وأحكامها وفوائدها ومنافعها ، وأما معنى الجلالة وشرحها فتقدم عند قوله أعوذ بالله السميع العليم . وأما لفظة الذي ولفظة لا النافية ولفظة مع ولفظة

شيء ونقطة في نقطة لأمع الراوي في طلب إعرابهم من كتب الفن لأن تعرضنا لذلك نادر في هذا الشرح فلا نطول به مع التطويل في الفضائل وإن كان الطالب لا يستغنى عنه ولا يفهم مقاصد الأشياء إلا به ومنه فقد أشرنا إليه ونهيناه عليه وأغريناه به والله أعلم .

الذكر الرابع وشرحه

ثم أورد سيدنا عمر رضي الله عنه هذا الذكر الجامع لمعاني توحيد الله السميع العليم . الذي هو الشفاء لكل سقيم : وهو انكسر التثني المثنى لكل بئس وعديم زخو .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم « عشراً »)

قال الشيخ علي : وذلك من أرفع الأذكار في تكرره انذاكر عشراً وذلك لرفعة مرتبته وعلو منزلته لأنه أتى بهذا الاسم الأعظم بمظهر الرحمة العامة والرحمات المدخرة التي إليها مقتهن سائر الدارين ونهاية مفتحي السكوبين وهو الرحمة الوجوبية ، والامتنانية التي رسمت كل شيء ، وأثر هذه الرحمة في الحول والفعل والقول والقوة فصار القوي للوجودية يتجول حضرة القبر والبقاء لأنه صار غير ناكث في كنيته في سائر أحواله في حضرة التحول البايات في بسمع وبى يبصر تعالى الله عن السكيف والابن له المثل العظيم وانظهور العظيم في الحسوسات والمعنويات والحركات والسكنات ظهوراً كبيراً لا يقابل ولا بصاويل ولا يحاول . وإذا قيل بسم الله حراسة العالم السماوي عن الأرواح الفارسية الهوائية عن استراق السمع . وإذا قيل إذا قابلتها الجن والشیاطین ذابت كما يذوب

الرصاص من النار وتحرق ونموت أو نخجل . وكانت هذه التسمية شراً لعلو مرتبتها ونمالي محبتها بالمراتب الأبدية والمظاهر الأزلية . انتهى .

- ونحن نقول أعلم أن فضائل هذا الذكر لا تنتهي ولا يمكن الايمان بأدناها فضلاً عن أفصاها وأصغرها إذ هي من فواضل الفضائل وهي البصر الذي لا يدري له ساحل . ونحن نشير إلى يسير من كثير فتأمل .

أما الآيات فقد قال تعالى (وثقلاً إذ دخلت حنثت قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقال تعالى (أن اتقوه لله جميعاً) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى (ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقال تعالى (ورد الله الذي كفروا بنيظهم لم يتألموا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله فوفاً عزيزاً) وقال تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه أبو هريرة رضي الله عنه « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها أكثر من كنوز الجنة » قال مكحول فن قالها ثم قال لا منجاة من الله إلا إليه كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر أخرجه الترمذي .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خراج العقيلي عن أبي طالب رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن ألا أعلمك كلمات تقولن : إذا أصبحت وإذا أمسيت فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإني ثلاثاً فأنهن شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم .

وفيه قال خرج ابن وهب في جامعته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يقول يا ابن آدم ثلاث : لي واحدة ولك واحدة . وواحدة بيني وبينك . فاما التي لي فإن تعبدني ولا تشرك بي شيئاً ، واما التي بيني وبينك فإن سألتني أعطيتك . واما التي لك فإن تكثرت عندي كنزاً لا خزنك . أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

وفيه خرج البزار في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أصل رحي وإن أدبرت . وأن أقول الحق وإن كان مرأ . وأن لا تأخذني في الله لومة لائم . وأن أنظر إلى من تحتي ولا أنظر إلى من فوق . وأن أجالس المساكين وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال في اليوم عشر مرات . بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ووقاه الله سبعين باباً من بلاء الدنيا مثل الجنون والجذام والبرص والريح والفالج وكان أعظم عند الله من سبعين حجة وعمرة متقبلة بعد حجة الإسلام ووكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى الليل وهي رقية من تسمة وتسمين داء . رواه في الأربعين الحرره ونقله صاحب كتاب الخفائق عن رباح ابن ثابت عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى من قال لا حول ولا قوة إلا بالله قضى الله له مائة حاجة ثمانون منها في الآخرة وعشرون في الدنيا .

وقال عليه السلام يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تبارك وتعالى يصرف بها ما يشاء من البلاء رواه ابن السني . قال الإمام الفووي بعد نقله .

والورطة خوف الهلاك . وخرج العقيلي حديث أكثروا من لاهول ولا قوة إلا بالله فانها تدفع سبعين باباً من الضر أدناها الهم . وسيأتي ذلك قريباً . وسيأتي أنها كنز من كنوز الجنة .

ومن فضائلها أنها سبب لبقاء نعم قائلها ولجلب خيري الدنيا والآخرة وينظر الله إليه كذا جاءت به أحاديث .

وفي حديث أخرجه الجندی في فضائل مكة ونقله للفاكهی في شرح البداية لما حج إبراهيم بعد بنائه البيت فلقبته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال ماذا تقولون في طوافكم . فقالوا كنا نقول قبل أتيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال إبراهيم زيدوا فيها الملى العظيم فقالت الملائكة الكلمة انتهى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن ^(١) سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته أخرجه أصحاب السنن ونقله العلامة عبد الرحمن بن علي كشير بابن الدبيع ^(٢) في كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، وقال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح إخلاصك بالتبهي من الحول والقوة ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد ^(٣) في شرح الحكم . وقال الشيخ علي بن محمد وفا الاسكندري

(١) أي سجود التلاوة .

(٢) الشيباني الزبيدي الشافعي المحدث المؤرخ المتوفى بزييد سنة ٩٤٤ هـ .

(٣) هو أبو عبادة محمد بن إبراهيم بن عبادة المعروف بابن عباد الحبري الرندي من أهل

رندة بالأندلس تنقل بين فاس ونفسان ومراكش وطنجة واستقر خطيباً لمسجد القرويين بفاس وتوفى بها سنة ٧٩٢ هـ وله غيت الواهب المليّة شرح المحكم المطانية وغيره .

المصري^(١) إذا ذكرت ذنوبك فلا تقل لا حول ولا قوة إلا بالله فانك به تبرئ نفسك منها وتضيفها إلى حول الحق وقوته وتريد عدم الحجة عليك بنقل رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم .

ورأيت في بعض التماثيل لبعض العلماء من أهل التحقيق أن المسجون أو الأسير إذا قال ما شاء الله كن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل أننى مرة في مجلس واحد خلاصة الله تعالى مبعجلاً جرب ذلك وصح والحمد لله قلت وإذا قرأ المسجون أو الأسير في جنبه قوله تعالى أله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين مكرراً ذلك فرج الله عنه وأخرجه من حبه بحوله وقوته^(٢) . وقد وقع ذلك لبعض الصالحين مع الحجاج بن يوسف الثقفي . وإذا قرأ قوله تعالى (وقال يا أيت هذا بأمريل روي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن وجاءكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) يكررها مراراً أخرجه الله من السجن بحفي نطقه ولطف مشيئته .

وفي كتاب الفوائد للشرحي من قرأ بين سنة الصبح والفريضة سورة الفيل لم تركب فقل ربك بأصحاب الفيل إلى آخر السورة إحدى وأربعين مرة وذكر هذه الأسماء المذكور وهي . الله المقادر المقتدر القاهر كل جبار عظيم . ناصر الحق حيث كان له الحول والقوة إن كانت إلا صبيحة واحدة فاذا هم خامدون . من فعل ذلك رأى في عوده ما يسره فليتيق الله ولا يملأه إلا المستحق .

وفي الكتاب المذكور عن بعض العلماء أنه قال من صلى الصبح ثم قال بعد

(١) توفي بمصر سنة ٨٠٧ هـ وقد ذمه السخاوي .

(٢) أي إذا كان خروجه معلماً أزاله من الأتيان بهذا الدعاء .

الصلاة قبل أن يتكلم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا حي يا قيوم يا قديم يا قائم يا فرد يا واحد يا صمد مائة مرة ثم سجد وسأل الله حاجته فانها تنفي كائنه ما كانت باذن الله صحيح نجرب .

وقال سيدى الشيخ الفقيه عمر بن عبد الله خرمة رضى الله عنه .

بالغريب انتهى بى السير وأوقف براقى

عند لا حول لا قوة فياهل السباق
من بغا نيل غاية مترقى كل راقى عند ليلى ولقيهاها بغير احتياق
يطرح الحول والقوة ويلقى للشقاق فالهجير الهجير اسموا على الاتفاق
وادخلوا الباب بيموا بزكم بالنفاق

واقصدوها بصافى الصدق قبل للفلاق
قبل لا ينبذ النقاد فلس النفاق حدوا السير هيا يا حداة النياق
لا تقولون بانرفق بها يارفاق فان فى إتباعها الترويح يوم التلاق
يوم يحتل بها الغنى بما ثم باقى والذى عندئذ أنه لاقى أو با يلاقى
يتضح له هناك أنه بلا غيد شاقى فالخذرو الخذرو الهيس من لاندماق
قم قمرى قه قمرى يا هل لتسبح والظراق

فانما يستقى ماها لذيذ المذاق
فى حماها ويمنى باللمامى الدقاق غير من سارقى مسرى الجنيد العراقى
اعطها اميد حقها والزم له حسن الأدب وأعلم أنك عبده فى كل حال وهورب

وله أيضاً :

إذا نظرت بديع الصنع فى الصور وكنت فى ذا المنظور ذا بصير
فلا يكن لك تدبير هناك وقل ما ثم شىء سوى التسليم للقدر
فإنه يفعل ما يشاء فى برهته كما يشاء فاستمعن بالله واصطبر

وقل أنا العبد لا حول لى ولا لى قوة فى وجود النفع والضرر

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال كل يوم مائة مرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لم يصبه فقر أبداً رواه التقي بن فهم فى كتابه الجنة باذكار للكتاب والسنة . ونقله الفاكهى فى شرح البداية .

وروى الديلمى كفى الجامع قال : قال عليه السلام يقول الله عز وجل قل لأمتك يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله عشراً عند الصباح وعشراً عند المساء وعشراً عند النوم أرفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا وعند المساء مكائد الشيطان وعند الصباح غضبى .

وقال عليه السلام أربع من كنز الجنة إخفاء الصدقة وكتان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من غرس الجنة فإنه عذب ماؤها طيب ثرابها فأكثروا من غراسها لا حول ولا قوة بالله .

وقال الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن أحزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بتفسير لا حول ولا قوة بالله . لا حول عن مصيبة الله إلا بمصمة الله . ولا قوة على طاعة الله إلا بعمون الله هكذا أخبرنى جبريل يا ابن أم عبد رواه ابن الجار عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على كلمة من ثمت للعرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول أسلم عبدى وأستسلم رواه أبو هريرة .

وقال أيضاً ألا أدلك على باب من أبواب الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله
رواه قيس بن سعد بن عباد الأنصاري سيد الخزرج ونقله صاحب كتاب الحقائق
من كتاب النسائي والترمذي بزيادة فيه عن قيس .

وقال صلى الله عليه وسلم كلام أهل السموات والأرض لا حول ولا قوة
إلا بالله رواه أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من
قول لا حول ولا قوة إلا بالله رواه الطبراني عن عقبة بن عامر .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء
كثير لم يحفظ منه شيئاً قلنا يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم تحفظ منه شيئاً .
فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول اللهم إني أسألك من خير ما أسألك
منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم رواه الترمذي وقال حديث حسن .

ونقل صاحب الفصول المهمة في مناقب الأئمة من كتاب نثر الدرر أن
موسى الكاظم بن جعفر الصادق ذكر له أن موسى الهادي بن محمد المهدي
المباني قدم به فقال لأهله ومن يليه ما تشيرون به على من رأى فقالوا
نرى أن تتباعد عنه وتغيب شخصك فإنه لا يؤمن شره فتبسم ثم قال :

زعمت مخيفة أن ستملاب ربهنا ولتغلبين بغالب الغلاب

ثم إنه رفع رأسه إلى السماء فقال ألمى كم من عدو شجذلى طبة مديته وذاف
لى قوازل سموه ولم تنم عين حراستك عنى فلما رأيت ضهفى عن احتمال
القوادح وعجزى عن كلمات الجوانح صرفت ذلك عنى بحولك وقوتك
لأجولى وقوتى وألقيته فى الحفيرة التى احتفرها لى خائباً عما أمله فى دنياه

متباعدا عما يرجوه في أخره فلك الحمد على قدر ما صحتنى به من نعمتك
وما توليتنى به من جودك وكرمك اللهم نخذه بقوتك واقل حده عنى
بقدرتك وأجعل له شغلا فيما يليه وعجزاً عما ينوبه اللهم وأعد عليه عدوا حاصره
يسكون من غيظى شفاء ومن حنقى عليه وفاء وصل اللهم دعائى بالإجابة
وأنظم شكائى بالتمبير وعرفه عما قليل ما وعدت به الظالمين . وعرفنى ما وعدت
به من الإجابة لمبيدك المضطرين إنك ذو الفضل العظيم والمن الجسم . ثم إن
أهل بيته أنصرفوا عنه فما كان إلا مدة بسيرة حتى اجتمعوا لقراءة الكتاب
الوارد على موسى السكاظم بموت موسى المادى وفى ذلك يقول بعضهم :

وسارية لم تسرفى الأرض تبغى محلا ولم يقطع بها الأرض قاطع

وروى أبو القاسم سليمان بن الحسن الطائري فى كتاب الدعوات باسناده
عن سويد بن علة كما نقله عنه الديرى قال أصابت على بن أبى طالب رضى
الله عنه فاقة فقال لفاطمة رضى الله عنها لو أنيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأنته وكان عليه الصلاة والسلام عند أم أيمن رضى الله عنها فدفقت الباب
فقال صلى الله عليه وسلم لأُم أيمن إن هذا لاق فاطمة ونقد أنتنا فى ساعة
ما عودتنا أن تأتينا فى مثلها فقوى فافتحى لما الباب قال فقامت أم أيمن رضى
الله عنها ففتحت لما الباب فلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم لها يا فاطمة لقد
أتيتنا فى ساعة ما عودتنا أن تأتينا فى مثلها فقالت رضى الله عنها يا رسول
الله هذه الملائكة طعامها للتسبيح والتحميد والتجيد فما طعامنا فقال صلى الله
عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا ما اقتبس فى بيت آل محمد نار منذ ثلاثين
يوما وقد أنتنا أعززة فإن شئت أمرت لك بخمسة أعززة وإن شئت علمتك
خمس كلمات علمنهن جبريل عليه الصلاة والسلام أنفا قالت رضى الله عنها
بل علمنى الخمس الكلمات قال صلى الله عليه وسلم قولى بأول الأولين وبآخر

الآخرين وبإذا القوة المتين وبإرحم المساكين وبإرحم الراحين . قال
فانصرفت حتى دخلت على علي رضي الله عنه فقالت ذهبت من عندك إلى
الدنيا فأتيتك بالآخرة وذكرت لك ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم من رأى شيئاً يحببه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله
لم تضره العين رواه ابن السني .

وفي الأحياء أن هذه الكلمات وهي بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله
ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله لا يسوق الخبز إلا الله ما شاء الله
لا يصرف السوء إلا الله : من قالها ثلاثاً إذا أصبح وإذا أمسى أمن من الفرق
والحرق والسرقة . وهن دعاء الخضر واليأس غايهما للسلام إذا التقيتا في
كل موسم .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا
الذوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
ومن أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا للطعام ورزقنيه من غير
حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وروى أوله ابن السني
وغيره وروى أبو هريرة آخره والترمذي وأبو داود وغيرهم .

وقال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسمة وتسمين
داه أيسرها المهم رواه ابن أبي الدنيا في الفرج عن أبي هريرة وروى الإمام
البخاري في صحيحه بإسناده عن أبي موسى رضي الله عنه قال لما غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيبر أشرف الناس على واد فرفوا أصواتهم بالأكبر
الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعوا

على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . وأنا خلف دابه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسمعني وأنا أقول لاحول ولا قوة إلا بالله فقال يا عبد الله بن قيس فقلت لبيك يا رسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يا رسول فذاك أبي وأمي : قال لاحول ولا قوة إلا بالله وقوله أريهموا هو بفتح الباء للوحدة من تحت قاله القاضي عياض : وقال الإمام محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم أريهموا بهمزة وصل وبفتح الباء للوحدة . ومعناه أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان ليمد من مخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس باصم ولا غائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ثم قال النووي ففيه للندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه إلا في مواضعه التي ورد الشرع برفعها فيها كالتلبية وغيرها فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتمظيمه .

رفع الصوت بالذكر وخفضه

(قلت) وقد اختلف العلماء في رفع الصوت بالذكر وخفضه أيهما أفضل . فرجح قوم السر بالذكر وقد سمعت مامراً في هذا الحديث وما قاله النووي في تفسيره من الإشارة إلى فضيلة الخفض بالذكر والخفية . وقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب للمعتدين) . وقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالهدوء والآصال ولا تكن من الغافلين) . ولقوله صلى الله عليه وسلم بفضل الذكر الخفي على الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعفاً ولما صح أنه قيل لابن مسعود رضي الله عنه إن قوماً اجتمعوا في المسجد يهللون ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويرفعون الأصوات فذهب إليهم ابن مسعود رضي الله عنه وقال ما عهدنا هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وما أراكم إلا مبتدئين فما زال يذكر ذلك حتى أخرجهم من المسجد .

ورجح قوم الجهر بالذكر وحجتهم أقوى ودلائلهم أظهر لأن الجهر بالذكر هو أصل إقامة شمار الإسلام وإشاعة منار الدين ونصب الأعلام ومنه الأذان لكل فريضة وتكبير الإحرام التي هي مفتاح الصلوات وتكبيرات الانتقالات فيها والتكبير للسنون على كل شرف وإقامة مفاسك الحج بالتلبية والتكبير وضجيج الحجيج بالمجيج والنجيج .

وكذلك قراءة القرآن فالأفضل فيها الجهر لأن الجهر به في الصلوات إنما شرع حين يسكن الخلق في ظلام الليل وهي المغرب والعشاء والصبح ، وآمين من الإمام والمأمومين بمد تمام الفاتحة بالجهر واستعمال مقام المذكرين والمؤذنين في مكة شرفها الله تعالى والاستغفار بالأسحار خصوصاً إذا قال صاحب زمزم يا أرحم الراحمين وضجت أرجاء مكة شرفها الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقام الذين هم محسنون الذين هم قليل من الليل ما يجمعون وبالأسحار هم يستغفرون من أدل الدلائل على أفضلية الجهر بالذكر لله وخفى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) وقوله تعالى (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) الشكر لإظهار الشيء والكفر إخفاؤه وذلك بمطى أن للراد الجهر بذكر الله وإشاعته وإذاعته . وفي الحديث وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه . وحديث لا أحد أحب إليه المدح من الله والمدح لا يكون إلا جهراً قال الشاعر :

جهرت بمدحى فيه لا متاجلجا ومن مدح الخبيب لا يتاجلجا

وكذلك الجهر بقراءة القرآن أفضل من الإسرار به لما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه ما أذن الله لنبي ما أذن لنبي حسن الصوت يتفنى بالقرآن يحمر به رواء البخاري ومسلم .

وما قال لأبي موسى الأشعري « لقد أتيت مزاراً من مزامير آل داود »
رواه البخاري ومسلم وما رواه ابن ماجه « لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت
بالقرآن من صاحب القينة إلى قيمته » وما رواه أبو داود والنسائي « زينوا
القرآن بأصواتكم » .

فهذه الدلائل من الآيات والأخبار تدل على أفضلية الجهر بذكر الله
وشكره وأنه أولى من إخفائه وسره وعمل النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه
يوم الميدين هو وأصحابه بمحزون بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (وقبل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن
وكبره تكبيراً) وقوله (اتؤمنوا بالله ورسوله وتزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
وأصيلاً) التمييز هو رفع الصوت بالحمد والثناء والتكبير ولا يثبتك مثل
خبير ؛ وأما حديث ابن مسعود فدليله منه أنهم اجتمعوا جماعة يذكرون الله
وغالبهم صحابة وتابعون من أهل القرن الأول فجاهم ابن مسعود وحده وأنكر
عليهم الجهر بالذكر لله وهم الكثير والجمع للعفير وابن مسعود قد خالف الجماهير
في جملة من القواعد والأحكام حتى إنه لم يثبت للمؤذنين في مصحفه وحتى إنه
نابذ الصحابة ومات مفاضياً لعثمان . وكل يؤخذ من كلامه ويترك من كلامه
إلا الأنبياء على أن اختلاف هذه الأمة رحمة .

وحديث أبي موسى الذي نهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهر
إنما هو ليعرفهم أن الله سبحانه قريب منهم لأنهم جهروا بالأصوات ورفعوها بالثناء
فشم منهم النبي صلى الله عليه وسلم رائحة اعتقاد بعد المنادى فأراد أن يزيل ذلك
بالتمريف لهم بقرب ربهم منهم كما أشار إليه النووي فيما تقدم من نقل ذلك عنه .
وأما إنكار من أنكر الجهر بالذكر فيرده عمل الأئمة من السلف
بالتوحيد المعروف ولا سيما وقد أخذه الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس
وغيره من الأئمة العارفين كما سأل عنه أخذه بالإسناد إلى الشيخ محيي الدين

عبد القادر الجيلاني وإسناد الشيخ عبد القادر إلى الحسين بن علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حققته في الجزء الأول من هذا الكتاب عند ذكر أخذ سيدي عمر ذكر التوحيد بالجهر المعروف بعد الصلوات وهو عمر كما تعرف أيها المرء .

وأما العلة في منع الجهر بالذكر فلم أدر ما هي إلا إن قالوا أنهم ربما يكون فيه تشبه بمن يظهر خلاف ما يضرر فهذا محله النية . والنية محلها القلب الذي لا بطلع على ما فيه إلا مقلب القلوب ولا شك أن الأعمال بالنيات أي قبولها بحسن النية والإخلاص وزدها بعدم ذلك .

والحاصل أن الله قد بين فضل الاقتصاد بين الجهر المنكر والاختفاء الذي لا يظهر وحقق أن خير الأدور أو ساطها بقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وابتغ بين ذلك سبيلا (ففهم والله أعلم وأحكم والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم .

تتميم معنى لا حول ولا قوة إلا بالله

ونعود إلى تمام ما تقدم فنقول في هذا المقيد النظم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا بالله ككنز من كنوز الجنة . فقال النووي قال العلماء سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتنويع إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره . والعبد لا يملك شيئا من الأمر ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم .

ثم قال : قال أهل اللغة الحول الحركة ، والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بشيئة الله تعالى . وقيل معناه لا حول في دفع شر ولا قوة

في تحصيل خير إلا بالله . وقيل لا حول عن مصيبة الله إلا بمصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته . وحكى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وكله متقارب ، ثم قال قال أهل اللغة ويمبر عن هذه الكلمة بالحوالة والحوالة وبالأول جزم الأزهري والجمهور . وبالثاني الجوهري ويقال أيضاً لا حيل ولا قوة في لغة عربية حكاهما الجوهري وغيره .

فضل لا حول ولا قوة إلا الله

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الخضر والياس يلتقيان كل عام بالموسم ويفترقان على هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ٢٩١ x sc ٢ ما شاء الله ما بكم من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال ابن عباس رضى الله عنهما من قالهن ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي أمنه الله من الحرق والفرق والسرقة والسلطان والشيطان والحية والمقرب . وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي المدون أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وذكر ابن أبي الدنيا أن قوماً مسلمين حاصروا حصناً في الروم فقالوا لهم وكبروا فانهزم الروم وانصدع الحصن ، وذكر أيضاً عن جماعة من مشايخهم بأنهم بلغهم أنه لما خلق الله تعالى حملة للعرش أمرهم بحمله فقالوا يا ربنا لا نطيق ذلك فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالوا فحملوه .

قال وهذه الكلمة تأثير عظيم في مماناة الأشغال للصعبة وتحمّل لما شاق . وفي الدخول على من يخاف شره .

ومن منافع لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وغيرها من الأذكار

حاجاه في حديث أبي الفرداء وذلك أنه جاءه رجل فقال له قد احترقت دارك . فقال ما كان الله ليفعل ذلك فبينما هو كذلك إذ أناه آت آخر فقال له إن النار لما دنت من دارك طففت وخذت . فقال قد علمت ذلك . فقيل له ما أدرالك إننا لا ندرى أى قوليك أعجب . فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قتلتهن في بومى هذا . قيل وما هن . قال هن اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم .

وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفى غضب الرب وصلة الرحم تزيد في انعم . وصنائع المعروف تقي مصارع السوء . وقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تدفع عن قائلها سبعة وسبعين بابا من البلاء أدناها زوال همه . ومن أهان فقيراً مسلماً لفقره واستخف به أهانه الله يوم القيامة على رؤس الأشهاد واستخف به .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اجتمعت برجل في سياحتى فأوصاني فقال ليس شيء في الأفعال أعون على الأفعال من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وليس شيء في الأفعال أعون من الفرار إلى الله والاعتصام بالله من قول واعتصموا بالله ومن يمتهم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . وقال إن أردت أن يكون الحق تعالى راضياً عنك فتباً من نفسك ومن حولك وقوتك إليه .

وفي صحيح البخارى بسنده إلى أبى موسى قال كنا مع النبي صلى الله عليه

وسلم في سفر فكننا إذا علونا ككبرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربموا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكن تدعون سميماً بصيراً ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله فقال يا عبد الله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة أو قال ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة . لا حول ولا قوة إلا بالله . وتقدم هذا الحديث قريباً بشرحه وتكلمنا عليه بما يشفي صدر طالب العلم ويؤذن بشرحه وإنما أهدناه لزيادة فيه ولأن إعادة الطيب طيبة وفي التكرار فوائد لا تحصى . وقد أعاده الامام للبخاري وغيره في كتابه الصحيح مراراً كثيرة . وقالوا بالتكرير يحصل التقرير وبالتقرير يحصل التأثير وبالتأثير يحصل التنوير . ولا ينبئك مثل خبير .

وعن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً . فمن قالها حين يصبح حفظ حتى يمسي . ومن قالها حين يمسي حفظ حتى يصبح .

وفي كتاب الفصول عن مالك بن أنس . قال قال جعفر الصادق لسفيان الثوري إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاها فأكثري من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات . يا سفيان إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح كل فرج وكنز من كنوز الجنة . وروى أن داود بن علي المصائبي قتل المولى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق فأخذ ماله فباع ذلك جعفراً فدخل إلى داره ولم يزل ليلة كله

قَائِمًا إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحَرِ سَمِعَ مِنْهُ فِي مُنَاجَاتِهِ وَهُوَ يَقُولُ يَا قُوَّةَ الْقُوَّةِ
لِلْقُوَّةِ يَا ذَا الْحَالِ الشَّدِيدِ يَا ذَا الْعِزَّةِ الَّتِي لَا تَرَامُ كُلَّ خَلْقِكَ لَهَا ذَلِيلٌ أَكْفَنَّا هَذَا
الطَّاعِيَةَ وَانْقَمَ لَنَا مِنْهُ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْعَمْرَاحِ وَقِيلَ مَاتَ
دَاوُدُ بْنُ حُلَيٍّ نَجَاةً .

وَفِي الْفَوَائِدِ لِلشَّرْحِيِّ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ عِنْدَ تَجَدُّدِ النِّعَمِ قَوْلُهُ تَعَالَى
(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قَالَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

وَفِي كِتَابِ رَبِيعِ الْأَبْرَارِ أَنَّ الْمَأْمُونِ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ ابْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ
أَصَابَهُ صَدَاعٌ فَمَوَّجٌ بِالْأَدْوِيَةِ فَلَمْ يَنْفَعِهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَعَلِمَ بِهِ قِيَمَرُ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ قَلَنْدُوسَةً
وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَلَقْنِي صَدَاعُكَ فَضَعْتُ هَذِهِ الْقَلَنْدُوسَةَ عَلَى رَأْسِكَ يَذْهَبُ عَنْكَ الصَّدَاعُ
وَيَسْكُنُ . نَخَفَ الْمَأْمُونُ أَنْ تَسْكُونَ مَسْمُومَةً فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ حَامِلَانِهَا فَلَمْ تَضُرَّهُ
ثُمَّ وَضَعَتْ عَلَى رَأْسِ مَصْدُوعٍ فَسَكَنَ صَدَاعُهُ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَسَكَنَ فَتَمَجَّجِبَ
فَشَقَّقَهَا فَإِذَا فِيهِ هَارِقٌ فِيهِ بِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ فِي عَرَقٍ سَاكِنٍ
وغير سَاكِنٍ حَمٍّ عَسَقٍ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ مِنْ كَلَامِ الرَّحْمَنِ تَخَذَتْ
الدِّيرَانُ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فصل

فِي النَّهْيِ عَنِ الطَّيْرِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْحَثِّ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَرَدِّ
الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَى مَنْ تَفَرَّدَ بِهِمَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَإِنْ تَصِبْهُمْ سَبِيحَةً يَطِّيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرٌ
عِنْدَ اللَّهِ) أَيْ شَوْمُهُمْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي قَضَى عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَقَدَّرَهُ
وَكَانَ ذَلِكَ بِصَدَمٍ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ فَتَفَاءَ الشَّرْعُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الطَّيْرَةُ

شرك . وخيرها الفأل » وروى الطبراني وابن أبي الدنيا أنهم قالوا يا رسول الله لا يسلم أحد منا من الطيرة والحسد والظن فما نصنع قال « إذا تطيرت قامضى وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق » .

وعن أم كرز أنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول أفروا الطير على مكثاتها^(١) . قال الشافعي معنى الحديث أن علم العرب كان في زجر الطير فكان الرجل منهم إذا أراد سفراً فخرج من بيته فرعى على الطير في مكانه ففره فإذا أخذ يميناً مضى في حاجته . وإذا أخذ يساراً رجع فقال صلى الله عليه وسلم أفروا للطير على مكثاتها . وروى البيهقي أن إنساناً سأل يونس بن عبد الأعلى عن معنى هذا الحديث فقال إن الله يحب الحق إن الشافعي قال في تفسيره كذا وكذا وكان الشافعي نسيج وحده في هذه المعاني . وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال من أرجمته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا وما كفارة ذلك . قال أن يقول أحدم اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته .

ثم قال الدميري :

(تنبيه)

مذهب الشافعي كراهية أخذ الفأل من المصحف وحزم ابن عربي بتحريمه اهـ .

وعن سليمان ابن أبي بردة عن أبيه قال ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك

(١) مكثاتها بفتح الميم وكسر الكاف وضما أى يبيضها جمع مكن ككنف ومكن يكثر الكاف وهو البيض .

حولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وعن عروة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحداً ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الأصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريضاً فيسمع يا سالم أو يا غيا فيسمع يا واجد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا صفر ولا هامة . قال أعرابي يا رسول الله ما بال الإبل تسكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي للبعير الأجر ب فيدخل فيها فيجربها . فقال صلى الله عليه وسلم فن أعدى الأول أخرجه الشيخان وأبو داود .

(قلت) واعلم أنه يجب على الإنسان أن لا يلقى نفسه إلى التهلكة بأن يدنو من مجذوم أو يقدم أرضاً معروفة بالوباء أو بترك للتداوى ويزعم أن ذلك توكل على الله تعالى فإن الله سبحانه قد أمر بالتداوى ونهى عن الإلقاء باليد إلى التهلكة . ووردت أحاديث فيها الأمر بالتداوى وذلك من باب الطب لا من باب العدوى . منها ما روى عن يحيى بن عبد بن بحير قال أخبرني من سمع فروة بن مسيك المرادي رضي الله عنه يقول قلت يا رسول الله عندنا أرض يقال لها أبين هي أرض ريفنا وميرتنا وهي وبئثة فقال دعها عنك فإن من القرف التلف أخرجه أبو داود « الريف » الأرض ذات الزرع والخصب « والميرة » الطعام . « والقرف » الدنو من الشيء وكل شيء دابته فقد قارفته . « والتلف » الهلاك . أراد أن من قرب من المريض ودنا منه تلف . نقل هذا الحديث الشيخ عبد الرحمن بن هلي الديبع في كتابه « تيسير الوصول » . ونقله الأسيوطي في كتابه « المنهج السوي والنهل الروي في الطب النبوي » ، ثم

نقل الأسيوطي قال الخطابي ليس هذا من باب المدوى وإنما هو من باب
الطب فإن صلاح الأهوية من أعون الأشياء على صحة الأبدان عند الأطباء
وفساد الهواء من أضرها وأسرعها إلى أسقام الأبدان عند الأطباء اهـ .

قلت : ومما جربته وعرفته أن الماء إذا دام مجراه على الطين والحصى يصعد
منه بخار وخم حتى يفسد منه الهواء فيسرع للارض إلى كل من يدخل ذلك
الوادي وهو مجرب في جهمتنا في الخج وحجر وعقرون وغيفة عين وساه وخصوصاً
وادي حجر ولهذا قلت :

لا تجي حجر واسمع قول في خط مشروح
حجر هي حشر بل هي قبر في ذر مفتوح

أنت تنزل تبا الراحة وهي تطلب الروح
بعد ميرادها تطرح تصيرك مطروح

تقصّر أعمار عاصمها ولو حلها نوح
ما ترى ما جرى كم راح في الوعك مذبح

من دواعن ومن دّين ونوح ولشموح
يا عجب من حلیم أسف وهو قد منصوح

كل ما شفت نجدى حلها شفه مليوح
كيف يلقي بيده في المهالك من الدوح

مثل من قام في الليفا ولا به ملفوح
واعتذر بالقدر ثم خر من رأس الخلوح

ما هي إلا شبيه الثور بالكورناطوح
هي وعقرون والغيفة وساه أسدم السوح

ومنها ما روى عن الشربيد بن صويد رضى الله عنه . قال كان في وفد

ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إنا قد بايعناك فأرجع
أخرجه مسلم .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا يورد ممرض على مصح .

قال الإمام النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم ومثال الجمع بين حديث
لا عدوى مع حديث لا يورد ممرض على مصح . أن الأمراض لا تعدى
بطبعمها ولسكن جمل الله سبحانه وتمالى مخالطتها سبباً للاعداد فنفى في الحديث
الأول ما يعمده الجاهلية من العدوى بطبعمها وأرشد في الثاني إلى مجانبية ما يحصل
عنده الضرر عادة بقضاء الله وقدره وفعله .

وروى الإمام البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العياقة
والطرق والطيرة من الجبت^(١) . قال بعض العلماء العياقة هى زجر الطير
والتقاؤل بأسمائها وأصواتها ومجرها وهو من عادة العرب كثيراً وهو كثير في
أشمارهم ، والطرق هو الضرب بالخصى الذى تفعله النساء . وقيل هو الخلط
بالرمل . والنطير التشاؤم بالشئ وأصله التطير بالسواخ والبوارح كالطير
والظباء وغيرها وكان ذلك يصددهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه
وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ولا دفع ضرر وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله
للعلی العظيم . قالوا الساخ ما أتاك من الميسرة والبارح ضده من الطير وكانت
العرب تتعامل بالطير فتدفعه فإن طار ميسره تطايروا ولم يقدموا عليه فتخى
الشرع عن ذلك وهو للتطير لأنه ورد أنه كان صلى الله عليه وسلم يحب النعال
وبكره الطيرة حديث صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم ليس منى ذو حسد ولا نعمة ولا كهانة ولا أنامنة .

(١) الجبت : الشجر والذى لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله تعالى هـ .

ثم تلا (والذين يؤذون المؤمنين واؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية .

وقال عليه الصلاة والسلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا الحديث رواه أبو هريرة ، وقال عليه السلام إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل فذلك من ستى .

وقال عليه السلام إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وقال عليه السلام لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد .

ونقل السهمودي بسنده عن محمد بن عبد الرحمن بن خلاد قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي والفضل بن عباس في مرض وفاته ، فخرج يمتد عليهما حتى جلس على المنبر وعليه عصاة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد أيها الناس ما تستنكرون من موت نبيكم ألم ينفع إليكم أنفسه وتنفع إليكم أنفسكم أم هل خلد أحد ممن قبلي فيمن بعثوا إليه فأخلد فيكم ألا إني لا حق بربي ، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله بين أظهركم تقرأونه صباحاً ومساءً فيه ما تأتون وما تدعون فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا إخواناً كما أمركم الله . ثم أوصيكم بعترتي أهل بيتي والأنصار الحديث .

وروى الإمام الباقوي أيضاً بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسكن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة .

وعن قتادة قال خلقت هذه النجوم لثلاث جعلها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما همز عن هذه الأنبياء والملائكة .

والله ما جمل في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته . إنما يفترون على الله
الكذب ويتمللون بالاجوم أخرجه البخاري استشهاده إلى قوله ما لا علم له به
وأخرج باقيه رزين .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه
قال بينما أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم
فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم . قلت : والله كل أمياه ما شأنكم
تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيديهم على أنفخاتهم يعضمتونني . فلما قضى صلى الله
عليه وسلم الصلاة بأبى هو وأمى ما رأيت مملعا قبله ولا بعده أحسن تعلما منه
فوالله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى ، ولكن قال إن هذه الصلاة لا يصلح
فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن . فقلت
يا رسول الله أنى حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام وأن منا رجلا
يأتون الكهان . قال فلا تأتهم . قلت : وإن منا رجلا يتطايرون . قال ذلك
شيء يجدونه في صدورهم . قلت ومنا رجال يخطون . قال كان نبي من الأنبياء
يخط من وافق خطه فذاك . قلت : وإنه كانت لى جارية ترعى غنما قبل أحد
والجوانية فاطلمت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل
من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة . قال فمظم ذلك على .
قلت : أفلا أعتقها . قال أتني بها فأنتبه بها . فقال لها أين الله . قالت : في
السماء . قال من أنا . قالت : رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة ، الكهر
الزبر والنهر . والتطير الشام بالشيء . والخط هو الذي يفعله النجم في
الرمل بأصابعه ويحكم عايه ويخرج به الضمير . والأسف الفضب . والصك
للضرب والطم .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه

كان يمتن الشؤم في شيء ففي الفرس والمرأة والسكن أخرجه الثلاثة البخاري
ومسلم ومالك .

قلت : سمعت من بعض السلف أنه قال إن كان الشؤم في شيء من الأيام
فهو في آخر ربوع من الشهر وهو يوم نحس مستمر لمن يحدث فيه سفراً أو عملاً
من الأعمال . وقد جربت ذلك والله أعلم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتطير
من شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإن أعجبه فرح به ورثى بشر ذلك
في وجهه . فإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه فرح بها وإن كرهه عرف
ذلك في وجهه أخرجه أبو داود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا سمع كلمة أعجبه قال أخذنا فالك من فيك أخرجه أبو داود .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا
خرج لحاجة أن يسمع ياراشد يا نجيع أخرجه الترمذي .

وعن ابن ميمون رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطيرة شرك قالها ثلاثاً . وما منا إلا فيه والسكن الله يذهب بالتوكل أخرجه
أبو داود . قوله وما منا إلا فيه فيه محذوف وتقديره وما منا إلا من يعتربه
الطيرة وتسبق إلى قلبه الكراهة . حذف ذلك اختصاراً واعتماداً على
فهم السامع :

فصل في بقية فضائل هذا الذكر

روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال
 أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسول
 الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قل حى على الصلاة فقال لا حول ولا قوة
 إلا بالله ثم قال حى على الفلاح فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله
 أكبر الله أكبر فقال الله أكبر الله أكبر ثم قل لا إله إلا الله . فقال لا إله
 إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة رواه مسلم فى صحيحه ونقله إمامنا فى الأذكار
 ونقل فيه أيضاً من كتاب ابن السنى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال ورلد فقال
 ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت .

فضيل الاستعانة بحول الله وقوته

وانذكر هنا شيئاً مما يحكى من عظيم قدرة الله وعجيب صنعه وخفى لطفه
 وحكميم بدعه وسرعة إجابته لمن استغاث بحوله وقوته .

حكى صاحب كتاب زهر الكلام عن بعض السادة قال بينما أنا أطوف
 بالكعبة فى ليلة مظلمة إذ سمعت صوتاً وأنيبنا بنطق من قلب حزين وهو يقول
 يا كريم يا كريم عهدك ولطفك القديم فان قابى على المهد مقيم . قال فتطأير
 قلبى لسماع ذلك الصوت فقصدت نحوه فاذا هى امرأة فقلت السلام عليك يا أمة
 الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت سألتك بالله العظيم ما المهد

القديم الذى قلبك عليه مقيم . فقالت لولا قسمك بالجبار لما أطلعتك على الأسرار
 أنظر إلى هذا النائم بين يدي فاذا صبي يفت في نومه . خرجت وأنا حامل به
 لأحج بيت الله الحرام فركبت البحر في سفينة فهاجت الأمواج علينا واختلفت
 الرياح فكسرت السفينة فنجوت على لوح منها فوضعت هذا الصبي فجعلته
 في حجرى فبينما أنا والصبي نائم فى حجرى والأمواج تضربنى إذا أنا بملاح
 من خدام السفينة قد وصل إلى وحصل معى على اللوح وقال لى مازلت أهواك
 وأنا فى السفينة وقد حصلت معك فكيفنى من نفسك وإلا رميتك من هذا
 المود إلى البحر قلت له ما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة أما تخاف الله ونحن
 فى بلية لا نرجو لخلاص منها إلا بالطاعة فكيف بالمعصية فقال قد رأيت مثل
 هذا مراراً فنجوت فأنا لا أبالى فلا بد من هذا الأمر وألح على فخفت منه
 وأردت أن أصانته فقلت مهلا حتى ينقضى الصبي فأخذه من حجرى ورماه فى
 البحر فلما رأيت جراته وما فعل فى الصبي طار قلبى وزاد كرى فرفعت بصرى
 نحو السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا العبد بحولك
 وقوتك إنك على كل شيء قدير فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام إلا
 وإذا بدابة قد خرجت من البحر وفتحت فاهها فابتلعته فبقيت وحدى وزاد
 اشتياقى إلى الصبي فلبثت طول يومى ذلك إلى الليل فلما أصبح الصباح إذا
 بسفينة فأخذنى أهلها من اللوح فاذا الصبي عندهم فأت إليه رقت ولدى
 والله وأخبرتهم القصة وشكرت ربه وناهدته أن لا أبرح من بيته .

وحكى الإمام ابن عقبة قال حدثنى رجل من بنى تميم قال كان لى غلام
 وكنت أحبه فاخذته ليلاً يبتاع لى أدماً فذهب يلعب مع الصبيان بعد غروب
 الشمس فصرع حبل إلى فقلت له يا هذا مالك مع ولدى فقال بلسان فصيح

هو وقت صلاتنا أو ليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا صبيانكم عند غروب الشمس فقلت بلى قال فما بالك أرسلت به يا أمي قالت ما أرسلته إلا ليشتري أدماً أخرج عنه بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال للنار النار وخرج منه ولم يعد نقله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الفزالي نفع الله به آمين .

وحكى أن المأمون صادر نصرانياً على خمسمائة ألف درهم فأرسل إليه فارساً فر للفارس والنصراني في الطريق ورجل معه وقر حشيش وكان قد اعوج حمله فسواه من جانب فقال إلى جانب آخر فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فاستمظم النصراني هذه الكلمة فقال له الفارس إذا عظمت هذه الكلمة فلم لا تؤمن بالله قال النصراني تعلمتها من ملائكة السماء فمجب الفارس من كلامه فلما قدم أخبر الخليفة بما رأى منه فقال كيف تعلمتها من الملائكة . قال كان لى عم موسر وله بنت جميلة فخطبها فلم يزوجنى وزوجها من آخر فلما كان ليلة الزفاف وخلا الختن بالمرس وقع الختن ومات مكانه . وخطبتها فلم يزوجنى وزوجها من آخر فلما كان ليلة الزفاف مات . وكذلك فى الثالثة . ثم خطبتها الرابعة فزوجنى لرغبة الناس عنها فلما خلوت بها استقبلنى شيطان مثل قطعة نار فصاح صيحة قال ابن تدخل قلت على أهلى قال أما عملت بما فعلت يا وائيك القوم قلت بلى قال إن رضيت هذه لى بالليل ولك بالنهار قلت رضيت . فأنى على ذلك أيام فلما كان ذات ليلة قال لى أريد أن اذهب الليلة إلى السماء واسترق السمع والليلة نوبتى فهل تراقبنى قلت نعم فلما كان بعد العتمة تحول الشيطان شبه جمل أبيض وقال اركب على ظهري فركبت وشد ركبتى بركبتيه وطار فى الهواء فسمعت الملائكة يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما سمع الشيطان (١٥٠ - القرطاس)

هذه المقالة انقلب وسقط. وسقطت قريباً منه فلما كان بعد ساعة افاق وقال غمض طرفك فغمضت فاذا انا على باب دارى . فلما خلوت بامرأتى قلت سدى كل ثقبه وكوة حتى لا يدخل البيت فسدتها كلها فلما أتى الشيطان وغشها ودخل الباب أغلقت عليه ثم وقفت على الباب وقلت لا حول ولا قوة الا بالله للمولى العظيم فسمعت فى البيت جلبة شديدة ثم قلت ثانياً وثالثاً فنادتنى امرأتى ادخل ادخل فدخلت فقالت لما قلت لا حول ولا قوة الا بالله للمولى العظيم قام للشيطان ليطلب منقذاً ليهرب منه فلم يجد فلما قلت الثانية نزلت من السماء نار فأحاطت به فلما قلت الثالثة أحرقتة للنار فصار رماداً وقد خلاصنى الله عز وجل من هذا الاعمين فلما سمع المؤمن ذلك أطلقه ووهب له تلك المصادرة انتهى :

فصل

فى معنى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

قد سبق غالب معناها فى خلال إيراد الأحاديث قريباً . ونزيده إيضاحاً وتقريباً فنقول . قال الهروى قال أبو الهيثم الحول الحركة يقال حال الشخص أى نظر هل يتحرك أم لا وكان القائل يقول لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله عز وجل وكذا قال أبو عمرو فى الشرح عن ابن العباس قال معناه لا حول فى دفع شر ولا قوة فى درك خير الا باذن الله . وقيل لا حول عن معصية الله إلا بمصمته . ولا قوة على طاعة إلا بموونه وحكى هذا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

ويقال فى التفسير من قولهم لا حوال الخ الحوالة بفتح الحاء وإسكان الواو وبمدها كاف ثم لام هكذا قاله الأزهري فى المذهب والأكثر من العلماء .

يقال الجوهرى فى صحاحه هى الحولقة بتقديم اللام على القاف والمشهور هو الأول . قال ابن الأثير رحمه الله فى شرح مسند الشافعى رضى الله عنه على الأول ليسكون الحاء من الحول والقاف من القوة واللام من الله تعالى وعلى الثانى الحاء واللام من الحول والقاف من القوة . قال فالأول أولى ، ومثل الحولقة . الحيملة والحمدلة والبسملة والهيئلة والسبجلة والجميلة والحسيلة . فلهيئلة حكاية قول لا إله إلا الله ، والبسملة حكاية قول بسم الله ، والحسيلة حكاية قول حسبنا الله والسبجلة حكاية قول سبحان الله والجميلة حكاية قول جعلت فداك ، والحمدلة حكاية قول الحمد لله ، والهيئلة حكاية قول المأذون حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، وهذه كلها مصادر .

وقال شرف الدين الشاذلى وفى حول لستان حول وحيل . قال وهى كلمة جلييلة فى استدفاع ما يرد على العبد فكأنه قال أذفع كل ما يرد على من سوء وأرد حول من أرادنى بحول الله تعالى وقوته فيستشعر العبد أنه إنما يؤتى عليه من رجوعه إلى حول نفسه ورد ما يخافه من بأس برجوعه إلى تقديره والتأس تدبيره لنفسه فإذا رجع إلى الله تعالى شاهد عظيم لطفه وخفى تدبيره وتبرا من الحول وللقة بين يدى مالك أمور أمده الله تعالى بمعونته ودفع عنه المكروه بحوله وقوته يدل على ذلك قوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه وحافظه .

وفى كتاب زهر الأكام قيل فى معنى قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) إنها الأفعال الصادرة من الإنسان فإن قال فعلتها بحول وقوتى فقد خان الأمانة . وإن قال فعلتها بحول الله وقوته فقد أدى الأمانة .

قائدة

قال الشيخ ابن هشام الأنصارى إذا قلت لاحول ولا قوة إلا بالله فلك فتح الاتمين ورفعهما والمقايرة بينهما قال لأن . لا . إذا كررت يجوز إفاؤها ويجوز إعمالها انتهى .

خاتمة

قال سيدنا عبد الله الحداد نفع الله به في كتاب انخاف السائل وأما ما يمبره به عن معنى للتبى من الحول والقوة فاعلم أن أجمع للبارات عن ذلك وأشمها قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال قال الإمام حجة الإسلام الفزالي رضى الله عنه الحول هو الحركة والقوة هى القدرة ولا حركة ولا قدرة لأحد من الخلق على شىء من الأشياء إلا بالله القوى للقادر وكل ما جعل للمخفوقين إلى فعله وإلى تركه سبيلاً كالتقيام بالكاليف فملاً وكفاً وكالسى اطلب الماش بأنواع الحركات من الحرف والصناعات وما فى معنى ذلك فالواجب على المؤمن أن يعتقد أن الله هو الخالق الخترع لإراداتهم وحركاتهم وسكناتهم . وأما ما يصد عنهم من الأفعال الاختيارية فنسبته نسبة إضافة إليهم سيما الكسب والعمل وعليهما يترتب الثواب والمقاب واسكنهم ما يشاؤون إلا أن يشاء الله ولا يقدررون على فعل شىء ولا على تركه إلا إن أقدرهم الله ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً . ولا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير .

وعلى القدرة والاختيار الذى جعل الله له باده ترتب الأمر والذهى فالأمور الصادرة عنهم بالقصد ومع الاختيار لها نسبة وإضافة إليهم وبحسب ذلك يثبتون

مو بما يقبون . فمضى لاحول ولا قوة إلا بالله نفي الاستقلال والاستبداد بالقوة
 هو الحول مع الاعتراف بوجود القدرة والاختيار التي جعلها الله للعبد فإن
 من زعم أنه ليس للعبد اختيار ولا اقتدار على شيء وأن أفعاله الاختيارية
 كالاضطرابية وأنه مجبور في كل حال فهو مبتدع جبري وقد أبطل بزعمه الفاسد
 فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب ، ومن زعم أن الإنسان يستقل بمشيئته
 وقدرة واختيار يقدر بها على امتثال ما أمره الله به وعلى اجتناب ما نهى الله
 عنه وأنه ليس مستقلاً بذلك ولا خالقاً له فقد أصاب السفة ودخل في الجماعة
 وسلم من البدعة ، ولهذا شرح طويل وهو سبيل وعرض قد تحبط فيه وضل عنه
 خالق كثير ونحته سر القدر حارت فيه الأبواب . وأمر بالامساك عن الخوض
 فيه - أي خوض من ليس من أهل البصيرة الفاذة والروية اليقينية القائمة بالشار
 إليها أبو كذلك زرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين -
 سيد المرسلين فليقمع العاقل بالإشارة وليكفه من ذلك أن يؤمن أن كل شيء
 خلقه الله وأنه لا يكون كائن بدون مشيئته . وقد رته ثم يطالب نفسه بامتنال
 الأوامر واجتناب المحارم وليقم الحجة لربها عليها على كل حال ، وفي الحديث
 لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة فإنهم الإشارة في كونه كنزاً
 تعلم أن معناه أنه من الأشياء الخفية الغامضة فإن الجزء من جنس للعمل كما قال
 صلى الله عليه وسلم ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فجعل ثوابها
 كنزاً مخفياً لوقوعها في وقت بهذه المثابة وهو الليل ، وورد أيضاً لا حول
 ولا قوة إلا بالله دواء من تسمه وتسمين داء أدناها الحم . وإنما كانت دواء
 للمؤمن لأنها إنما ترد غالباً عند فوات محبوب أو حصول مكروه فيستشعر
 الإنسان عند الفوات وحصول ما يكره عجزه وضعفه عن الوصول إلى ما يشتهي
 خبيثهم لذلك فإذا كرر على قلبه ولسانه معنى التبرى من الحول والقوة انتج له
 ذلك يقيناً يعلم به أنه عاجز وضعيف إلا إن قواه الله وأقدره فيذهب إذ ذاك

همه وتتسع معرفته بر به . ويتضح هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم من آمن بالقدر ذهب همه .

قال وفي إضافة الحول والقوة إلى اسمه الله الذى هو قطب الأسماء ورئيسها وإتباعه غالباً بالاسمين الكريمين الدالين على صفتين من صفات الذات المقدسة . وهما الملو وللظمة إشارة إلى نهاية التبرئة وغاية التقديس عن أوهام توهمها من ضل عن السبيل وهى عن الدلائل وخاض فى سر القدر وفى حركات العبادات بغير بصيرة فتنبهوا لذلك انتهى .

خاتمة الخاتمة

فيها فوائد تتعلق بفضل باجاء من أسماء الله الحسنى وغيرها فى هذا الذكر .

(الفائدة الأولى) قال الشيخ أبو العباس اللبوني إذا توجهت لشيء من أمور الدارين فاذكر بهذه الأسماء وهى يا قوى يا عزيز يا علیم يا قدير يا سمیع يا بصیر . وقال اللبوني أيضاً إذا كثرت عليك الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية . فقل يا ذا القوة بمعنى تكررره . وقال إذا استعوت عليك شهوة للطعام فاذكر بمد الوضوء يا قوى . وقال رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألت عن أسماء الخلوة فقال هى سبعة يا الله يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا نهاية النهايات يا نور الأنوار يا روح الأرواح .

(قلت) : ورأيت فى بعض المصنفات فى فضائل الذكر أن مما يمين على الأعمال الشاقة ويكف الأعواق المائقة تكرار هذه الأسماء الأربعة فإن لها تأثيراً عجيباً فى تمهيل كل صعب وإتهوين كل تعب وهى أن تقول يا قوى يا قاهر يا قادر يا متندر . وعندى أنه إما سبع مرات وإما سبعين مرة وإما سبعمائة .

وأما اسمه تعالى : ﴿ العلى ﴾ فمن كان فقيراً أو غريباً وأدام قرأته فتح الله عليه بالغنى والرجوع إلى بلده . وإذا كتب للضعيف كنى كل بلاء ، ومن خواص هذا الاسم العلى وجود القوة فإذا قرأه الصائم وكتبه على الثياب وبله ثم شمه قواه على ما هو به . ومن قرأه على كوز سبعا ثم كتب به عليه وكان يشرب فيه في السفر أمن من وحشة السفر لا سيما إن أضاف إلى ذلك قراءة سورة قريش صباحاً ومساءً فإنها مجربة لذلك .

(الفائدة الثانية) اسمه تعالى ﴿ العظيم ﴾ قال بعض العلماء في شرح أسماء الله الحسنى هذا الاسم من أدمن قراءته حصلت له العزة والجاه عند الناس ويكثر قراءته بقلبه وقال سيدى الشيخ أحمد زروق اسمه تعالى العظيم خاصيته دفع الآلام حتى إنه يكتب للمحسوم ثلاث مرات فيبرأ .

(الفائدة الثالثة) كتب بعض العلماء الناصحين إلى بعض خواصه كتاباً يقول فيه : قد آتفقت باسم الله الأعظم وهو أن تذكّر بعد صلاة الصبح وأنت على طهارة سبعين مرة ثلاثة أيام متوالية بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يا حى يا قيوم يا قديم يا دائم يا صمد يا ودود يا وتر . وقال له إياك أن تدعوه به على أحد .

(الفائدة الرابعة) دعاء عظيم للإمام الشاذلى ذكره ابن عطاء في لطائف اللين قال كان من دعاء الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه اللهم ارزقنى من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كدور الجنة واضربنى بها ضرباً يحق به من قلبى كل قوة واغنى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق ، وأخرجنى به عن ذل الفقر والتذبير والاختيار وعن الغفلة والشهوة وخشية النفس والقهر والاضطرار إنك على كل شيء قدير .

ومما يحسن ذكره هنا ما روى أن الخليفة المنصور المباسي أرسل رسولا إلى الإمام جعفر الصادق يستدعيه فلما بلغ الرسول إلى الإمام خاف من المنصور فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسار إليه فلما دخل عليه قال له المنصور يا أبا عبد الله إن فلانا الفلاني أخبرني عنك أنك تأخذ في سلطاني وتبغى لي الفوائت قتلني الله إن لم أقتلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإن أيوب ابتلى فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنا أطلب منك أن تحضر الرجل الذي بلغك عني ما قلت . فأحضر الرجل الذي سمى به فقال له المنصور أحقاً ما قلت عن جعفر فقال نعم . قال جعفر فاستحلفه على ذلك لحلف فقال جعفر يا أمير المؤمنين بحلف بما استحلفه به ويترك يمينه هذه فقال المنصور حلفه بما تخار فقال جعفر قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور نظراً منكراً خلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض ومات مكانه في المجلس وخرج الإمام جعفر من عند المنصور في غاية الأكرام ونهاية الاحترام .

قال الربيع لما وقف جعفر بين يدي المنصور رأبته بحرك شفقيه بشيء فلما خرج من عنده سأله بأي شيء كنت تحررها حتى سكن غضب المنصور وبدأ منه لك الرضا والاكرام فقال بدعاء جدي الحسين قلت وما هو يا سيدي قال قالت اللهم يا عدتي عند شدتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بيمينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمي بقدرتك على فلا أهلك وأنت رجائي اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف واحذر اللهم بك أدرا في نحره واستميد بك من شره إنك على كل شيء قدير . قال الربيع فما نزلت بي شدة ودعوت بهذا الدعاء إلا فرج الله عني .

(قلت) وقد وقعت لنا مع بعض الجن واقعة وهى أنه صرع جارية فلبث فيها أياماً حتى كاد يهلكها فحضرت عندها وقرأت عليها شيئاً من الآيات والأذكار فتكلم معنا بكلام طويل بعد أن سكنت عنا سكوتاً طويلاً حتى أعيانا فكان أول ما تكلم به حين سمع منى للقراءة أن قال والله لا أخرج منها ولوان تطرح المصحف على صدرى فحينئذ زدت فى القراءة وشدت عليه القراءة حتى صاح وطلب الخروج وباح فقلت له من شيخك فقال مالى شيخ وعسى أن تكون أنت شيخى فقلت مالى بك حاجة وأنت لا بد لك شيخ فقال مالى شيخ إلا أنى اهترى بالحبيب أحمد بن زبن الحبشى فقلت له ما اسمك فقال اسمى عمر بن سالم بن أحمد وقد دخلت هذه المرأة مرادى زواجها واسكنى الآن سأركها لأجلكم فأردنا أن نعهده بيمين جعفر الصادق هذه فامتنع أولم يخلف بها فمأهدها بغيرها خلف ووفى وخرج منها ولم يمد إليها . ولما أراد الخروج منها قال إن جميع الأقدية التى قيلت لكم باطلة . وكانوا قد أخرجوا عليها قريباً من خمسة عشرة فداء من الفم فقلت للحاضرين معنا من بلدهين أن يشهدوا على ما قال هذا الجنى وقصصنا معه طويلاً لا يمكن استقصاء ما جرى بيننا وبينه تلك الليلة .

ومن القوائد العظيمة لهذا الذكر العظيم ما ينبغي ذكرها هنا اتتم الفائدة إن شاء الله تعالى وهى ما أورده صاحب كتاب فضائل الأعمال أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءاً جيداً ثم ليقيم فى موضع لا يراه فيه أحد فليصل أربع ركعات يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات وفى الركعة الثانية بالفاتحة وقل هو الله أحد عشرين مرة وفى الركعة الثالثة بالفاتحة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفى الركعة الرابعة بالفاتحة وقل هو الله أحد أربعين مرة فإذا فرغ

من صلاته قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ثم ليقل لاحول ولا قوة إلا بالله خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة فإنه إذا كان عليه دين يقضى دينه وإن كان فقيراً أغناه الله وإن كان غريباً رده الله إلى وطنه وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له وإن لم يكن له ولد فسأل الله أن يرزقه ولدا رزقه الله ذلك .

ومن الفوائد أيضاً ما ذكره بعض شراح الأربعين . قال ومن الأدعية المستجابة إذا حصل لشخص أمر مهم يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستغاث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال وهي فائدة حسنة .

ومن الفوائد المناسبة ما ذكره بعض العلماء قال اسمه تعالى (العلي) المراد به علو القدر والمنزلة . لا علو المكان لأن الله تعالى منزّه عن التجيز . وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . قال ابن عطية وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى . ثم قال وعن عبد الرحمن بن قرط أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به سمع تسبيحاً في السموات العلى سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى والعلى وللعالى القاهر الغالب تقول للمرب فلان علا فلانا أى غلبه وقهره قال الشاعر :

فلما علونا واستقوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكأمر

ومنه قوله تعالى (إن فرعون علا في الأرض) .

قال وأما العظيم فهو صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف لا بمعنى عظم الجرم وحكى الطبري عن قوم العظيم معناه العظيم كما يقال العميق بمعنى

المعتق قال وذكر عن أقوام أنهم أنكروا ذلك وقالوا لو كان بمعنى معظم
لوجب أن لا يكون عظيماً قبل أن يخلق الخلق وبعد فئاتهم إذ لا معظم له
حينئذ انتهى .

قلت وهذان الاسمان أعني العلي العظيم هما اللذان ختم الله بهما آية الكرسي
التي هي أعظم آية في كتابه العزيز .

وقد روى أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي ما أنزل
عليك أعظم قال آية الكرسي ثم قال يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي
إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة . وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على
الحلقة خرجه الآجري وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده . وقال مجاهد ما السموات
والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة . وهذه الآية منبئة
عن عظم مخلوقات الله . ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله . وسيأتي ذكر
شيء من فضائل آية الكرسي في الفائدة الثانية من الفصل الثاني من فضائل
لا إله إلا الله اه باختصار وبالله التوفيق وإليه المرجع والمآب عند الصديق .

ثم قال سيدنا عمر نفع الله به

الذكر الخامس وشرحه

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثلاثاً)

قال الشيخ علي ثم أتى بالاسم الجامع لمراتب الأسماء بمظهر الرحمة الخاصة
والعامة دون غيرها من الأوصاف الجلالية . مشيراً إلى شمول الرحمة السابقة
المستفزة لسائر الوجود الصادر عنها وجود كل موجود التي مظهرها عن عوالم

الرحوت للعرشى الجامع لسائر الاكوان مستوى الرحمن قبل ظهور الأعيان
وانفلاق حبة التمين والأعيان وتدلى القدمان^(١) وكرر ذلك الذكر ثلاثاً
لاستفراقه لجميع مظهر الحقيقة ذاتاً ووصفاً وقملاً فما يصدر في العالم ثنى إلا عن
الحضرات المستفركة لها الرحمة الجامعة لسائر الأسماء الحسنى ولا يظهر مؤثر في
الوجود إلا عن أثر اسم من هذه الأسماء ونحت دأثراته وقد علمت استفراق
الرحمة لهذه الأسماء التى هى أصل لسائر الوجود هذا فى عالم الشهود والجمع .
وأمّا مظهر الفرق وهوالم الخلق فيسم الله الرحمن الرحيم يقوم بها سائر الموجودات
ويتراحم بها من فى الأرضين والسموات وهى رحمة الفروع للفاصلة على الناس
بالمسرات والنوح فى قوله عز من قائل (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)
الاية . وأما فضائل الأعمال فقد وردت الأحاديث النبوية بها وهى مفتتح السبع
الثانى التى تبتنى عليها سائر الأعمال والمباني وتدرج السبع بما حوته الأسرار
والمعاني فيها . قال ولو فتحنا فيها أحتوت عليه البسلة من الأسرار لنفدت
دردن الوقوف على ما أحتوت عليه من العلوم الأعمار ولم تشرف على سواحل
بحار ظمورها والأشراف على منصات منصاتها من الأسرار ولتقبض عنان
جواد اللسان عن دخول ذلك للبدان ولترجع إلى مانع يصدده من معاني
هذا الراتب الشريف وما احتوى عليه من الفضائل والأسرار وما يظهر للذاكر
به الملازم له من مشرقات الانوار انتهى .

• • •

ولنشرع فيما تيسر لنا جمعه من فضائل (بسم الله الرحمن الرحيم) مما يروق

برأيه رواق الرقيم ويسفر بشارقه الخندس الجديم . من مواهب الوهاب
الكريم للتواب الرحيم . الهادى إلى صراط مستقيم المبنى بفيض فضله
السجيم . كل بانس وعديم . الذى أفاض نعمات نسيم جوده وكرمه الدميم
على نبيه الخصوص بالخلق للمظيم وعمّ بذلك آله وصحبه وتابعيه من كل
بر مستقيم . على سنن منهجه الثابت القويم . باحسان إلى يوم ما يسلم فيه
إلا من أنى الله بقلب سليم ونجمل ذلك فى ثلاثة فصول .

الفصل الأول

فى ذكر شيء مما جاء فى فضل البسملة

قاما الآيات فقد قال الله تعالى فى مفتتح الذكر الحكيم . بسم الله الرحمن
الرحيم . ثم كررها فى أول كل سورة وهى على أصح الأقوال آية من كل
سورة إلا التوبة فانها لما جاءت فاضحة للمنافقين لم تثبت فى أولها ثم قال فى
مدح هذه البسملة على لسان القائلة (إني أتى إلى كتاب كريم . إنه من آيات
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم مفتاح القرآن التسمية وروى أن
أول ما جرى به القلم فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وأنه أول ما نزل
على آدم وأمان أهل السموات وأهل الأرض وأنه خاتم الله لعباده الموحدين
وأنه اسم الله الأعظم عند جملة من الموقنين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو آيت ، وفى رواية أجزم
ومعنى ذى بال أى حال يهتم بها .

وروى الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد النعظمي رحمه الله فى تفسيره بإسناده -
عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول -

خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلوم كلما خاف الدين جددوه
أعطوهم ولا نسة أجروهم فتخرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم
فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب براءة للصبي وبراءة المعلم وبراءة
لأبويه من النار .

قلت : وفي رواية ذكرها بعضهم كتب الله للصبي براءة ولأبويه براءة من
النار والله أعلم ، وبإسناده عن جابر رضى الله عنه لما نزلت بسم الله الرحمن
الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وعاج البحر وأصفت البهائم
بأذانها ورجت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه على شيء
إلا شفاؤه ولا يسمى اسمه على شيء إلا يورك فيه . ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
دخل الجنة ، وبإسناده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينجاه الله من الزبانية التسعة
عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً ليكمل الله بكل
حرف منها نجاته من واحد منهم قال الأستاذ أبو إسحاق ثم افتخر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية فحق له ذلك .

وروى بسنده عن أبي موسى الأشعري قال . قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان غيرى قلت بلى فقال بأى شيء
تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة : قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي ،
وورد أيضاً أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب على سبعة من الأنبياء .
وهم شيت : وإدريس . وإبراهيم . وموسى وداود . وعيسى . ومحمد صلى الله
عليه وسلم وأنه أودع ما فيها في أربعة منها وهي القرآن والتوراة والإنجيل
والزبور . وأودع ما في الأربعة في القرآن وأودع ما في القرآن في الفاتحة وأودع

ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وأودع ما في بسم الله الرحمن الرحيم في الباء
 قيل وأردع ما في الباء في نقطة الباء اه والله أعلم .

قال بعضهم بعد نقل هذا الحديث وسيأتي إن شاء الله أنها نزلت على عيسى
 ابن مريم عليه السلام بعد سليمان بن داود عليهما السلام قال ويمكن الجمع بينهما أنه
 نزل على عيسى عليه السلام أسرارها وحقائقها دون تفاصيلها والله أعلم ثم قال .
 قال ابن عباس رضي الله عنهما أساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة
 وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فإذا اعتكفت وإذا اشتكيت فعليك بالأساس
 تشفى بإذن الله عز وجل وهذا ما ذكره الأستاذ رحمه الله مما نقله عنه
 بعض العلماء .

ثم قال وفي الخبر من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعورها كتب الله
 له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ومن كتب بسم الله الرحمن الرحيم
 فجودها تمظيماً لله تعالى غفر له . ومن رفع قرطاساً من الأرض فيه بسم الله
 الرحمن الرحيم اجللاً لله تعالى أن يداس اسمه كتبه الله من الصديقين وخفف
 عن والديه العذاب وإن كانا مشركين . وما من كتاب يلقي بمضيعة من الأرض
 فيه اسم من أسماء الله إلا يمث الله سبعمين ملكاً يحفونه بأجنحتهم ويقدرونه
 حتى يبعث الله ولياً من الأولياء فيرفعه . ومن رفعه رفع اسمه في عليين وخفف
 عن والديه العذاب وإن كانا مشركين ، وعن سعيد بن أبي سكرية أنه قال بلغني
 أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نظر إلى رجل يكتب بسم الله الرحمن
 الرحيم فقال جودها فإن رجلاً جودها فغفر له . وعنه أنه قال بلغني أن تجويد
 بسم الله الرحمن الرحيم يحسن الوجه . وروى أن عيسى عليه السلام مر بقبر
 فرأى الملائكة يمدحون صاحبه فلما انصرف من حاجته رآهم ومعهم أطباق من
 مورقتمج من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أنه كان عاصياً وقد ترك ولداً فسلمته أمه

إلى المكتب فلحقه الجلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستعيت أن أعذبه وولده
 يذكر اسمي ، وعن عكرمة أنه قال سمعت علياً يقول لما نزلت بسم الله الرحمن
 الرحيم ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها فقالت قریش سحر محمد الجبال
 فبمث الله دخاناً حتى أظلم مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
 مؤمن يقرؤها إلا سبحت معه الجبال غير أنه لا يسم ذلك ، وعن عبد الله
 ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزل على من الوحي
 بسم الله الرحمن الرحيم .

وحكى أن تبعاً الأكبر كان غلاماً كاتباً للملك الذي قبله فكتب له يوماً
 كتاباً كتب أوله بسم الله الرحمن الرحيم الذي خلق كل شيء فقال له الملك
 ابدأ باسمي قبل اسم الذي خلق كل شيء فقال له لا ابدأ إلا باسم الذي خلق
 كل شيء إلهي وخالقي تبارك وتعالى ثم أعطف على حاجتك . فشكر الله له
 وأعطاه الملك وتابعه الناس فسمى تبعاً .

وبروى أن قيصر ملك الروم كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه إن بي صداعاً لا يسكن فأنفذ إلى شتاً من الدواء فأنفذ إليه قلنسوة
 فكان ذا وضعها على رأسه سكن ما به وإذا رفعها عاد إليه الوجع فتمجب من
 ذلك فأمر بفتش القلنسوة فإذا فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
 فقال ما أكرم هذا الدين وأعزه شفاني الله تعالى بآية واحدة منه فأسلم
 وحسن إسلامه .

وحكى عن منصور بن عمار أنه وجد رقعة في الطريق فيها مكتوب بسم الله
 الرحمن الرحيم فأخذها ولم يجد لها موضعاً فأكلها فرأى في النوم أن قائلاً قال
 له فتبع الله عليك باب الحكمة لاحترامك لتلك الرقعة فكان بعد ذلك
 يتكلم بالحكمة .

وحكى أن بعض المتقدمين أوصى إلى ابنه فقال له إذا مت وغسلت فاكتب على وجهي وصدرى بسم الله الرحمن الرحيم قال ولده ففعلت ذلك ، ثم رأيت في المنام فسألته عن حاله فقال لما وضعت في قبري جاءني ملائكة المذاب فلما رأوا مكتوباً على جبهتي وصدرى بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لي أمنت من المذاب .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ألا أعلمك شيئاً إذا وقعت في ورطة قلته قلت بلى يا رسول الله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم صرف عنه سبعون باباً من البلاء .

(قلت) وقد تقدم هذا الحديث قبله قريباً عند قوله بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإنما أعدتهما هنا لفرض لا يخفى على الواقف المعارف بالمواقف .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها إحدى وعشرين مرة .

ورأيت في بعض المتعاليق أن من قال عند النوم بسم الله الرحمن الرحيم إحدى وعشرين مرة أمن من للسرقة والحرق والفرق .

وروى القاضى محمد الدين الشيرازى بسنده للتصل للسلسل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن إسماعيل قال . قال الله عز وجل يا إسماعيل وعزى (١٦ - القرطاس)

وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفرع الأكبر .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له عبادة سبعمائة سنة فإن الله عز وجل لما خلق اللوح والقلم وكان للقلم مائة أنبوب ما بين كل أنبوب وأنبوب مسيرة خمسين سنة فنظره الله تعالى بالهيبة فانشق القلم فقال له الله تعالى له أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فقال بأى شيء أبدأ . فقال ابدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فكتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم فى مدة سبعمائة سنة من سنين الدنيا فقال الله عز وجل وعزنى وجلالى أئما عبد أو أمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال بسم الله الرحمن الرحيم مرة واحدة كتب له فى ديوانه ثواب سبعمائة سنة .

وفى الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسرى نى إلى السماء وعرضت على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار : نهر من الماء ونهر من اللبن ونهر من الخمر ونهر من العسل كما قال الله تعالى فى محكم كتابه ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ فقلت لجبريل من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب . فقال : تذهب إلى حوض الكوثر وأما الحجى فلا أدرى من أين تجيء ادع الله عز وجل أن يملكك أو يريك فدعاه به فجاء ملك فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال يا محمد اغمض عينيك فأغمضت ، ثم فتحت فإذا أنا عند شجرة فرأيت قبة زبرجد من درة بيضاء ولها باب من زبرجد أخضر وقفل من ذهب أحمر لو أن ما فى الأرض من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا

مثل طائر واقع على جبل فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل وكيف أفتح . قال في يدك مفتاحها . قلت وأين مفتاحها . قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فافتتح القفل . فدخلت القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة . فلما أردت الخروج قال لي ذلك الملك قد رأيت يا محمد . قلت رأيت . فانظر ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ونهر اللبن يخرج من ها الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فمرفت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من التسمية . فقال الله يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء الأربعة من أمتك بقلب خالص سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

قال بعض العلماء بعد ما أورد الخبر هكذا وجدت هذا الخبر منقولا في بعض الكتب والله أعلم^(١) ، ثم قال لكن في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف فقلت يا جبريل ما هذا قال الكوثر الذي أعطاك ربك . والقباب جمع قبة فثبت بهذا أصل هذا الحديث ثم قال ولا شك أن فضل اسم الله تعالى أعظم من ذلك والله أعلم .

وفي بعض الأخبار إذا كان يوم القيامة وزنت أعمال هذه الأمة فوزنت ركعة واحدة من صلاتهم ألف ركعة من صلاة بني إسرائيل فيقولون يا ربنا ما بال أمة محمد ركعة واحدة منهم تزن ألف ركعة معا فيقول لأن في صلاتهم

(١) أي الله أعلم بصحته وحسب البسطة فضلا أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة من سور القرآن العظيم . ولا حاجة إلى هذه القصة في بيان فضلها .

بسم الله الرحمن الرحيم اسم من يهفر الذنوب اسم من يقبل الحسنات اسم
يمحو للسيئات اسم من يرفع الدرجات اسم من يعلم الخفيات اسم من به تطيب
الخلوات اسم من به تقطع الزلوات اسم من به تصح الصلوات .

وفي الخبر عن رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعس الشيطان .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل كذلك فإنه يتماظم بذلك ولـكن قل
بسم الله فإذا قلت كذلك فإنه يتصاغر كالذباب . وقال بعضهم الإشارة فيه أن
ذنوب الأولين والآخرين إذا اجتمعت لم تبلغ ذرة من كفره بمعنى الشيطان وإذا
كان الشيطان يذوب مع كفره وخبثه فأولى أن تذوب ذنوبك عند قراءة
بسم الله الرحمن الرحيم .

وحكى أن شيطاناً سمياً استقبل شيطاناً مهزولاً . فقال للمهزول اللهم
إذا صرت في هذه الحالة فقال أنى مسلط على رجل إذا دخل بيته قال :
بسم الله الرحمن الرحيم وإذا خرج قال بسم الله وإذا قام قال بسم الله وإذا
قعد قال بسم الله وإذا أكل قال بسم الله وإذا شرب قال بسم الله فأكون
هابياً منه دائماً . فقال المهزول للمسمي أراك سمياً في حالة حسنة قال أنا مساط على
رجل يدخل بالغفلة ولا يقول بسم الله أشاركه في جميع هذا واركب على
عقه كالذابة .

ويقال لما قال الله المريح ادخل في آدم فدخلت فيه فعطس فقال الحمد لله
فقال الله تعالى برحمتك ربك . فكان ذلك رهناً عند آدم عاياه السلام حتى
أذن . فقال يا رب لك عندي رهن بالمفطرة وهو قولك برحمتك ربك . قال
الله تعالى قد غفرت لك ذنبك يا آدم قال كذلك كتب إليك كتاباً فجعل
عنوانه هـ بسم الله الرحمن الرحيم هـ فإذا عصيت قلت يوم القيامة يا رب
لك عندي رهن وهو بسم الله الرحمن الرحيم ثم عندك رهنان وعند آدم رهن

واحد لأن في عنوان كتابك بسم الله الرحمن الرحيم وهو يقتضى الرحمة مرتين
ومثل الشيخ أحمد بن محمد بن سهل إلى م تسكن قلوب المارقين قال
إلى بسم الله الرحمن الرحيم لأن في بسم الله هيبته وفي اسمه الرحمن عونه
ونصرته وفي الرحيم مودته ومحبته .

وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال من وضع ميتاً في قبره وقال
بسم الله الرحمن الرحيم سهل الله على الميت ضفطة القبر وضيقه وظلمته إلى يوم
ينفخ في الصور .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بسم الله الرحمن الرحيم أقرب
إلى الإسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

وروى البيهقي عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه
وبين اسم الله الأعظم إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب . قال بعض
العلماء بعد ما أورده معناه أن قولك بسم الله يشمل كل اسم لله تعالى فيدخل
فيه اسم الله الأعظم بطريق التضمن كما أن بياض العين متضمن لسوادها فصار
أقرب إليه من وجهه وهو هو من وجه آخر والله أعلم ، ثم قال وقال الفقيه
بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل رحمه الله تعالى في شرح الدعاء
روى أن الله تعالى لما خلق العرش كان يضطرب فكتب عليه بسم الله
الرحمن الرحيم فسكن . وقال بعض المارقين بسر بسم الله سلمت سفينة نوح
وبسر بسم الله كان مجراها ومرساها . بسم الله سلم النفس والروح ، بسم الله
سلمت السفينة من الطوفان ، بسم الله سلم المؤمن من النيران يبسم الله نالت
الأمّة إمامه يبسم الله دام على المؤمنين إكرامه بسم الله تطرد للشيطان بسم الله
ترضى الرحمن بسم الله تفيض المبرات بسم الله تسر المورات بسم الله تستجاب

الدعوات بسم الله تنزل البركات بسم الله تنجي من المهلكات بسم الله نور
الأرضين والسموات .

وفي بعض الأخبار أن الله تعالى كان وحده ولم يكن معه غيره فخلق نوراً
وخلق من النور اللوح والقلم ثم أمر القلم لجرى في اللوح بما هو كائن إلى يوم
القيامة فأول ما كتب على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم فجعل هذه الآية أماناً
خلقه ماداموا عليها وهي قراءة أهل السبع السموات وأول ما أنزلت على آدم
عليه السلام فقال أمنت ذريتي من المذاب ماداموا على قراءتها . ثم رفعت
بمده وأنزلت على نوح عليه السلام فأمر بقراءة شطرها عند ركوب السفينة
فيها جرت وورست وبها سلمت هي وأهلها من الفرق ثم رفعت بمده وأنزلت على
إبراهيم عليه السلام فقرأها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله النار عليه برداً
وسلاماً ثم رفعت بمده وأنزلت على موسى عليه السلام فيها قهر فرعون وهامان
وقارون ثم رفعت بمده وأنزلت على سليمان بن داود عليهما السلام فقالت
للالسكة تم والله ملك سليمان بن داود فلم يقرأها سليمان على شيء إلا خضع له .
وأمره الله تعالى يوم أنزل أن ينادى في بني إسرائيل ألا من أحب منكم أن
يسمع آيات الله فليحضر إلى محراب داود عليه السلام فلم يبق عابد حبس نفسه
في عبادة الله تعالى إلا خرج إليه ولا سائح إلا هرب إليه فرقى منهبر داود
عليه السلام وتلا عليهم آية الأمان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمها أحد إلا
امتلاً فرحاً وقالوا نشهد أنك رسول الله حقاً فيها قهر سليمان ملوك الأرض ثم
رفعت بمده . فأنزلت على عيسى عليه السلام فوحى الله تعالى إليه يا ابن المذرام
قد أنزلت عليك آية الأمان فأكثر من قراءتها في قيامك وقعودك وذهابك
ومجيئك ومضجك وصفودك وهبوطك فما من مؤمن وفي صحيفته بسم الله الرحمن
الرحيم ثمانمائة مرة إلا أعتقه الله من النار وأدخله الجنة وأقرأها في افتتاح صلواتك

فمن افتتح بها صلاته قبلها الله تعالى وهون عليه سكرات الموت ولم يزعجه مفكر
 ولا كبير وبعث من قبره أبيض اللون بطلاً لأرجحه نوراً وبجانب حساباً يسيراً
 وبثقل ميزانه وبمطى انوار النام على العرراط والجواز حتى يدخل الجنة وقد
 نودي له في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة .

ثم رقت بعد عيسى عليه السلام من صدور من بدل دينه من الزماني وقت
 في صدور من ثبت على الإيمان مثل بحيرا وأمثلة حتى بعث الله محمداً صلى الله
 عليه وسلم وأمره بقراءتها في أول السور وبكتابتها في صدور الصحائف والدفاتر
 والرسائل وبها فتح الله مكة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقرأها صلى الله عليه
 وسلم بالمدينة بسم الله وبعد الرحمن وبعد الرحيم كما رواه البخاري ومسلم : وقيل
 أنها نزلت مرة أخرى بالمدينة فكان نزولها فتحاً عظيماً . وروى أن الله تعالى
 أقسم بعزته أن لا يسمى به رجل مؤمن على شيء إلا باركت عليه وأن لا يقرأها
 مؤمن إلا قالت الجنة اللهم أدخل عبدك هذا في بحق بسم الله الرحمن الرحيم
 وإذا دعت الجنة لعبد استوجب دخولها .

وفي الخبر لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وإن من أمتى قوماً
 ياتون يوم القيامة وهم من القائلين بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم
 في الميزان فتقول الأمم ما أنقل موازين أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول
 الأنبياء والملائكة لأن ابتداء كلامهم وأفعالهم بثلاثة أسماء من أسماء الله المظام .
 لو وضعت في كفة الميزان ووضعيت سيئات الخلق كلهم في الكفة الأخرى
 لرجعت حسناتهم ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . ودخل وهيب ابن الورد
 على محمد بن المنكدر بنى طوى يموده فقال بيده يمسح عليه وقال بسم الله
 الرحمن الرحيم لو قرأها صادق على جبل لزال فاقلمت عنه الحصى والصداع .
 وقيل لابن عطاء إلى ماذا تسكن قلوب المارقين فقال إلى بسم الله الرحمن الرحيم

هو ذكر بمض الصالحين أنه صرعت - جارية له وبالت في الليل في موضع لم يمتد فيه البول فقال بسم الله الرحمن الرحيم الص طسم كهيمص يس والذآن الحكيم حمسق ن واقلم وما يسطرون . فسرى عنها ولم يمد إليها الصرع .

وقال الفقيه بدر الدين الأهدل رحمه الله تعالى افتتح نوح عليه السلام هند ركوب السفينة ببسم الله مجراها ومرساها ولم يذكر الرحمن الرحيم . لأن الحال حينئذ يقتضى المذهب والعقوبة تقتضى الهلاك والعياذ بالله ولهذا يستحب للذابح في الأضحية وغير ذلك أن يقتصر على بسم الله ولا يقول الرحمن الرحيم . وسليمان عليه السلام أمر أن يكتب إلى بلقيس فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تلعو على وأتوني مسلمين . فافهمها يعني بلقيس أنها تسلم باتصال بسم الله الرحمن الرحيم . وحصل باسلامها سليمان ثلاث فوائد . عرشها وزوجيتها وزيادة ملكه وكل ذلك ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . وكذلك المؤمن يحصل له ببركتها خير كثير في الدنيا والآخرة وسمت بلقيس كتاب سليمان كريماً لأن في أوله بسم الله الرحمن الرحيم فكيف لا يكون المؤمن كريماً وهو يقولها في كل يوم مراراً حتى قد يقولها في يوم ألف مرة أو أكثر .

وقال الفقيه بدر الدين الأهدل قال بعضهم من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سبعاً وسبعة وثمانين ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة واثنتين وثلاثين مرة فإنه لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه فإن واظب على ذلك كان محاب الدعوة . ومن أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى . وهى ثناء على الرحمن . وبها يدخل العبد في خير الأديان فيكتب له الغفران ويخالف ذوى الطغيان . ويطرد عنه الشيطان ويظهر قلبه وبدنه من الأدران . وينجو من الزبانية وبسم بها من النيران . ويحصل أخذ الكتب بالإيمان . ودخول الجنان . والنظر إلى وجه الرحمن . والنعيم الذى لا يملئه إنسان . قال بعض

العلماء بمد نقله هذه الكلمات الحسان . قال الزهري في قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) أنها بسم الله الرحمن الرحيم لأنهم أخذتهم حمية الجاهلية من كتابة النبي صلى الله عليه وسلم لها . وقال سائر المفسرين هي لا إله إلا الله .

(قلت) وعندى أنها بسم الله الرحمن الرحيم وأنها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقوله كلمة التقوى يجمعها مع ما معها من الكلام الطيب . إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه وكلمة الله هي العليا وأقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الخليم الكريم سبحانه الله رب المرش العظيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة والتسليم لا إله إلا الله محمد رسول الله نسأل الله أن يحمينا عليها وأن يميننا عليها وأن يميننا عليها من الأمنين المستبشرين المطمئنين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقال الفزالي في كتابه خواص كتاب الله وجاء في رواية عن ابن عباس قال إذا كروا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عند النجاشي قلنوسة إذا مرض أحدكم ووضعت على رأسه يبرأ فتمجيب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عمة العباس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي أما بعد فقد بلغني أن في مملكتك قلنوسة إذا مرض أحدكم ووضعت على رأسه يبرأ فانفذها إلى والسلام . فانفذها إليه فوضعت على رأس مريض فبرئ ففتشت فإذا فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الحق المبين شهد الله الآية الله نور وحكمة وبرهان وحول وقوة وقدرة وساطان قائم لا ينال لا إله إلا الله آدم صفوة الله لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله لا إله إلا الله موسى كلم الله لا إله إلا الله عيسى روح الله لا إله إلا الله محمد للمربي حبيب الله

ورسوله يألم بالذى إن يشأ يسكن الريح الآية أسكن بالذى سكن له ما فى الليل
والنهار وهو السميع العليم آية الكرسي الله الملك الحق المبين .

وفى الفوائد للشرجى عن بعض الصالحين أن من قرأ بسم الله الرحمن
الرسيم اثنتى عشرة ألف مرة آخر كل ألف يصلى ركعتين ثم يصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ويسأل حاجته ثم يعود إلى القراءة فإذا بلغ الألف فعمل مثل
ذلك إلى انقضاء العدد المذكور فمن فعل ذلك قضيت حاجته كائنة ما كانت .
بإذن الله تعالى .

وأعلم أنه نستحب التسمية عند جميع الأعمال والأحوال والأقوال والأكل
والشرب وردت بذلك السنة . وسيمأتى بيان ذلك مبسوطاً عند قوله بسم الله
نحسنا بالله . إن شاء الله ، ولو أخذنا نتنبع ما ورد من الكتاب والسنة وما فيها
من الآيات والأخبار والآثار فى فضائل البسملة لضاق الزمان والمكان وضف
النظم ونفذ العمر قبل أن نبلغ معشار ما رايناؤه فكيف ما لم نره وما لم نسمع به .
مع قلة علمنا وركعة فهمنا قال تعالى لأهل العلم تحريصاً وتأميلاً وتذكيراً وتأهيلاً
وتعليماً وتنبيلاً . وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . وفيها بالخصيص المنافع مالا
يحظر لك ببال فلازمها تظهر إن شاء الله بالخيرات والمسررات الجزال والنوال
عاجلاً وآجلاً فى الحال والمآل دنيا وأخرى سرراً وجهراً بغير استئصال وأعلم أن
القبول يحصل بالاقبال . وبه تنال سنيات الاحوال كما شافتمنى بذلك بعض
الرجال الابطال من آل فقال الاحوال بالاقبال والالام عليك ورحمة الله
ذى الجلال .

الفصل الثاني

في فضل البسملة ونضيف إلى ذلك جملة من الفوائد

قال تعالى : ﴿ فبسم ربك العظيم ﴾ قالوا معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم . وليبين هذا الفضل عقدنا هذا الفصل . إذا هو الأصل لكل أصل .

قال بعض العلماء الاختيار اعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم هي اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب وفيها أسرار المبتدأ والمنتهى وفيها الخير وجميع مراتب التوحيد لأن بسم الله قبالة شهد الله والملائكة قبالة الرحمن . وأولو العلم قبالة الرحيم فأول دائرة بسم الله الرحمن الرحيم كآخرها وظاهرها كباطنها وبها أقام الله شجرة الأكوان وأظهر بها أسرار المكنونات فمن أكثر من ذكر بسم الله الرحمن الرحيم رزق الهيبة عند العالمين العالم الملوئ والعالم السفلى ومن علم ما أودع فيها وكتبها على شيء لم يحترق بالنار لأن فيها سر الله الأعظم وفي الأسرائيليات لما شب عيسى عليه السلام وكبر أسلمته أمه إلى المعلم صغيراً فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقل للمعلم وما بسم الله الرحمن الرحيم قال لا أدري فقال عيسى عليه السلام الباهاء الله والدين سناؤه والميم مجده . والله إله واحد والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة .

(فائدة) للسحر وحل العقود يؤخذ سبع ورقات من ورقات سدر أخضر وترش بين حجرين ويوضع في ماء ويحرك بنحو سواك وهو يقرأ عليه الفاتحة وآية الكرسي والقلاقل قل أرحى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص والمودتين ويكرر ذلك ثلاثاً ويكتب فوق الثلاثي ويمحى به ويشرب منه

| ٤ | جريت | ٥ | ٦ |
|--|------|-----|----|
| وله قليلاً ويقتل بالباقي وهو هذا الوفق | ٢٧ | ٤٢ | ٣٥ |
| والله الشان بالاجازة من الشيخ طاهر | ول | ح ل | ٢ |
| والشيخ محمد ابناء الشيخ سميد سنبل | ع ١ | ٣٤ | ٣٩ |
| في آخر صفر يوم الاثنين سنة ١٢١٣ . | ٧ | ٨ | ٩ |
| ٦ في بندر جده عده ٢٠ . | ١٠ | ١١ | ١٢ |

(الفائدة الأولى) لقضاء الحوائج . قال عبد الله بن عمر بن الخطاب

رضي الله عنهما من كانت له حاجة فليصم الأرباء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وتصدق بصدقة قلت أو كثرت ما بين الرغيف إلى حافوق وما كثر فهو أفضل فإذا صلى الجمعة قال اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض وأسألك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الذي عفت له الوجوه وخضعت له الرقاب وخشمت له الأصوات ووجلت منه القلوب وذرقت منه السيون أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد وأن تعطيني حاجتي وهي كذا وكذا . وكان رضي الله عنه يقول لا تملوها سفهاءكم فيدعوا بعضهم على بعض فيستجاب لهم ^(١) .

(تلبيه) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في باب دعاء الكرب

قال القاضي : قال بعض العلماء هذه الفضائل المذكورة في هذه الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والطهارة من الكبائر دون للصالحين وغيرهم . قال القاضي وهذا فيه نظر والأحاديث عامة ، ثم قال الإمام النووي قالت الصحابة أنها لا تختص والله أعلم .

(١) سيأتي التصريح بأن الطالب أن لا يستجاب دعاء السفهاء وأما اللهم فاذهم ولا تفرط بطلان القول في هذا الباب (إنما يتقبل الله من المتقين) .

وفي كتاب الفوائد للشرحى قال : قال السكلى كان لى ولد كلما قرأ شيئاً من القرآن نسيه فرأيت فى المنام قائلاً : يقول لى أكتب له فى إنشاء الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ . وألقى عليه ما زمزم وأسقه ولداك يحفظ القرآن .

وقال جماعة من العلماء من تعمس عليه الحفظ فليكتب ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها وبشر بها فإنه يتيسر عليه الحفظ إن شاء الله تعالى . ونقل الشيخ المذكور عن بعض العلماء أن من مر الأولياء ودلائهم لكل من أهمه أمر أو نزل به كرب أن يتوضأ ويصلى المغرب من ليلة الجمعة ، ثم يستكف على صلاة وذكر الله ولا يكلم أحداً حتى يصلى المساء فإذا أوتر قال فى آخر سجدة يارب يارحم ياحى ياقيوم بك أستغيث يا الله بقول ذلك مائة مرة ثم يسأل حاجته ويحتجب أن يدعو على مسلم .

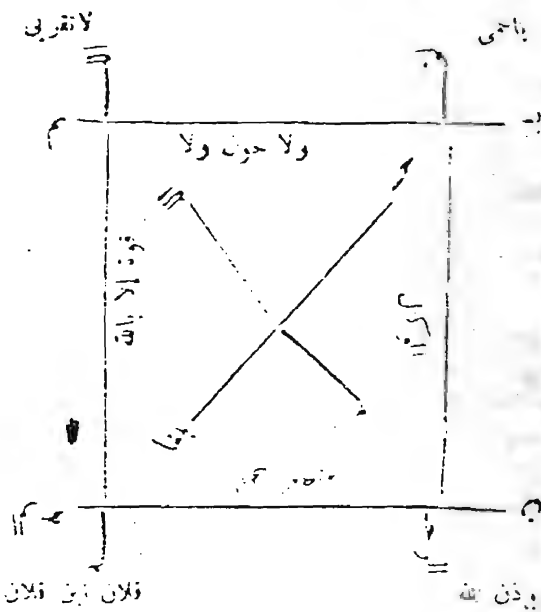
(الفائدة الثانية) قال بعضهم من دعا بهذا الدعاء مائة وثمان عشرة

مرة قضيت حاجته كأنه ما كانت وهو دعاء بسم الله الرحمن الرحيم وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بفضل بسم الله الرحمن الرحيم وبحق بسم الله الرحمن الرحيم وبهيبة بسم الله الرحمن الرحيم وعزلة بسم الله الرحمن الرحيم أرفع قدرى ويسر أمرى وامرئ صدري يا من هو كميته حمسق ألم الله المص والمرحم الله لا إله إلا هو الحى القيوم باسم الهيبة والقدرة باسم الجبروت والمظمة اجملنى من عبادك المتقين وأهل طاعتك الخبيثين واجمافى منهم يارب العالمين انتهى .

(الفائدة الثالثة) روى من الحفاظ أبى حاتم الرازى أنه قال : دخلت

مسجد أبي اليان الحكيم بن رافع فأخذتني الحمى فخرج أبو اليان من منزله ودخل
على وقال ما قصتك فقلت حمت يا أبا اليان فقال أين أنت من طلمح الحمى فقلت
ما هو فكتب في رقعة وجعلها تحت رأسي فلما قام أخذتها ونظرت إليها فإذا

فيها مكتوب ما هذا مثاله وهو
هذا قال أبو حاتم فما كان
بأسرع من زوالها عني وذهبت
ثم جاءني أبو اليان رضى الله
عنه فقال كيف حالك فقلت
في عافية بإذن الله تعالى فقال :
احفظها وعلمها ولادك والناس
فإنها نافعة إن شاء الله تعالى .



فلان ابن فلان

بذن الله

(الفائدة الرابعة) مما اشهرت منفعة وبركته لاصداغ يكتب في رقعة

ويجعل على رأس الجميع بسم الله الرحمن الرحيم كهمص ذكر رحمة ربك
عبدك زكريا إذ نادى ربه ناداء خفيا بسم الله الرحمن الرحيم جمعسق كذلك
يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم
كم من نعمة لله على كل قلب خاشع وغير خاشع وكل نعمة لله على كل عبد شاكر
وغير شاكر وكل من نعمة لله على كل عرق ساكن وغير ساكن أسكن أبها
الوجع بمنزلة من له ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم .

(الفائدة الخامسة) قال بعض العلماء التكبار وهذا مما تبين نفعه ووقفت

على بركته لمن كان به خوف من سلطان جائر أو راعه ظالم أو هاجه فزع أو ضلت
به طريق وهو أن يقرأ سورة يس ثم يقول بسم الله الذي لا إله إلا هو الحمى
القيوم بسم الله الذي لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام .

مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع المنيم ويقول حسبنا الله ونعم الوكيل فيسكنهم الله وهو السميع العليم اللهم إني أعوذ بك من شر فلان ابن فلان . أو دلتى على موضع كذا وكذا ويدعو بما شاء فان حاجته تقضى إن شاء الله تعالى .



(وهذه عزيمة لبسكاه الأطفاه) تكتب بسم الله الرحمن الرحيم اليوم نَحْتِمُ على أنفسنا بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم لا ينطقون بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همها بسم الله الرحمن الرحيم أفن هذا الحديث تمجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم صادون بسم الله الرحمن الرحيم له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله بسم الله الرحمن الرحيم الإخلاص إلى آخرها .

ونقل الشرجي من كتاب الصلاة والبشرى للقاضي مجد الدين حديثاً مسنداً أن الخضر وإلياس عليهما السلام قالَا سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا جلستم مجلساً فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم بوكل بكم ملكاً يمتكم من الفية حتى لا تقتابوا أحداً وإذا قمتم فقولوا أيضاً بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم فان للناس لا يفتابونكم فان الملك يمتهم من ذلك .

وذكر في حديث آخر أنه إن كان مجلس خيراً كان ذلك كالطابع له وإن كان مجلس شراً كان كفارة له .

وقال الشرجي أيضاً هذه رقية مباركة تكتب وتماق على عضد الخدوم يبرأ سريعاً بإذن الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله للمزير الحكيم إلى أم ملام للتي تأكل اللحم وتشرب الدم وتهشم العظم أما بعد يا أم ملام

إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنَةً فَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كُنْتُ يَهُودِيَّةً فَبِحَقِّ مُوسَى
السَّكِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ كُنْتُ نَصْرَانِيَّةً فَبِحَقِّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا أَكُلُ لِفُلَانٍ ابْنِ فُلَانَةٍ لَاحِدًا شَرِبْتُ لَهُ دَمًا وَلَا هَشَمْتُ لَهُ عَظْمًا وَنَحَوَلِي
عَمَّهُ إِلَى مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلًا خَرَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ وَالْأَقَانْتُ
بَرِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْكَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(الفائدة السادسة) سمعته تعالى (الله) من رتبته بعد صلاة الصبح مائة
مرة انكشفت له الأسرار . وقال الشيخ زروق إسمه تعالى (الله)
خاصيته زيادة اليقين وتيسير . اصد الحمودة في الذوات والصفات والأفعال فقد
قالوا من داومه كل يوم ألف مرة بصيغة يا الله يا هو رزقه الله كمال اليقين ، اسمه
(الرحمن) من قرأه كل يوم ألف مرة نال الرحمة العظيمة من الله تعالى .

قال سيدي أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي ثم القاسمي تشيير
بزروق^(١) (الرحمن) خام . صرف لتكروهه عن ذاكره وحامله . قال ويذكر
به مائة مرة بعد كل صلاة . جمع وخلوة فتخرج الغفلة والنسيان من القلب
بإذن الله تعالى ، اسمه (الرحمن) من قرأه كل يوم مائة مرة كان عزيزاً عند الله
أميناً عند الناس وعزيزاً . الشيخ زروق (الرحيم) خاصيته رقة للقلب
والرحمة للخلق فمن داومه يوم مائة مرة كان له ذلك . ومن خاف الوقوع
في مكروه ذكره مع الذي أو حمله انتهى كلامه .

قلت وأعلم أن تأثير أسماء غالباً إنما يكون مع تحقق الصديق وصفاء
المرآة من حيث صلاحية . اكر وحسن حاله . لا هذرمته ومقاله . ويؤيد
ما قلته الشواهد العقلية والعقلية . ومن ذلك ما رواه ابن عدي عن

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي العباس الصوفي المتوفى سنة ٨٩٩ بتكرين من قرى مسراته

عبد الرحمن القرشي قال حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال حدثنا ثابت
البناني عن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت
الله تعالى عن الإسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزوناً مخزوناً .
وهو : اللهم إني أسألك باسمك المسكنون الطاهر الطاهر للقدس المبارك الحى
القيوم . فقالت عائشة رضي الله عنها بأبي أنت وأمي علمنيه فقال صلى الله عليه
وسلم يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء انتهى .

فانهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام نهينا عن تعليمه بعد أن أخبرهم
بلفظه وتكلمه على صفة مبنى النحل قبل أن يكون فيه الملل الذى هو رأس
تكميله وتتميمه فلا تظن أن المقصود من ذلك الألفاظ الظاهرة فانها مقدور عليها
لعامة الكتاب وأنه قد علمهم إياها حين قرأ كما ترى ، وإنما المقصود من ذلك
تعليم الشرائط والطرائق الدالة على بلوغ الحقائق والدقائق التى هى ثمرة العلم
والعبادة وصفاء القلوب من أكدار الحسد والحقد ومن جميع العيوب وبالله
التوفيق والهداية إلى نيل كل مطلوب (١) .

وقد نقل المناوى فى طبقاته أن الامام سهل بن عبد الله التستري سئل عن
الاسم الأعظم فقال أروني الأصغر أريك الأعظم ، أسماء الله كلها عظيمة ،
أصدق وخذ أى اسم شئت .

وقال الشيخ أبو يزيد البسطامي للسبى طيفور لما قال له رجل علمنى الاسم
الأعظم فقال ليس له حد محدود وإنما هو فراغ قلبك ماشئت لوحدانيته فاذا
كنت كذلك فارجع إلى أى اسم شئت فتسير به من المشرق إلى المغرب -
يعنى قبل أن يرتد إليك طرفك .

وقال الشيخ إبراهيم الدسوقي الهاشمي كم رجل يتلو الاسم الأعظم ولا يدرى به

(١) كذا بالأصل هذه العبارة فلتحذر .

ولا بدري معناه . ومن ذلك أيضاً ما روى عن الشيخ أبي الحسن البزنطي
أنه أتاه إنسان باناء ليكتب له شيئاً بسم الولادة لامرأة تمسرت ولادتها
فكتب له الشيخ بسم الله الرحمن الرحيم . فلما فرغ انفاق الاناء فأتى باناء
آخر فكتب فيه مثله فانفلق ثم أتاه بثالث ورابع وهو كذلك يكتب وتنفق
الآنية . فقال له يا هذا أذهب إلى غيري فلو جئني بما أمكن أن نجبتني به لم
يكن إلا ما رأيت فأتى إذا ذكرت الله تعالى ذكرته بهيبة وحضور . ثم ولاء
هم الرجال . أهل المسكنة والانفعال . فينبغي لامثالنا إذا جرب شيئاً من هذه
الأمور ولم يحصل له المقصود أن يعلم أن ذلك إنما هو من جهة لا من جهة الاسم
الشريف كما قيل .

والنجم قد تفكر الابصار رؤيته والذنب للعين لا للنجم في الصفر

وقال الإمام الزهري في شرح صحيح مسلم في باب دعاء الكرب فيه
حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث جليل ينبئ بالاعتناء به
والاكثار منه عند الكرب .

ثم قال قال الطبري كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب .
ثم قال الإمام فإن قيل فهذا ذكر وليس فيه دعاء . فجوابه من وجهين
مشهورين . أحدهما أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما يشاء . والثاني
وهو جواب صفيان بن عيينة قال أما علمت قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن الله تعالى « من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »
وقال الشاعر :

إذا أتني عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشفاء

ثم قال : قال القاضي قال بعض العلماء هذه الفضائل المذكورة في هذه

الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والطهارة من الكبار دون الصغرين وغيرهم ثم قال : قال القاضي وهذا فيه نظر والأحاديث عامة .

ثم قال الإمام النووي قلت والصحيح أنها لا تختص . (قلت) واختصاصها عام وعمومها خاص لأن الغالب أنها لا تستجاب الدعوات وتنزل البركات إلا على ذوي الأعمال الصالحات . والنيات الخالصات . إذا تكلموا بالكلمات الطيبات . إليه يصعد الكلم الطيب . الطيبون للطيبات . وأما قول النووي فإن قيل فهذا ذكر وليس فيه دعاء يملئ دعاء الكرب ثم أجاب بما تقدم فالعجب منه حيث لم يستحضر ما جاء في كتاب الله عن نبيه ذى القنون الذي اصطفاه ونجاه وأجابه بما دعاه وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فهذا الدعاء كله أوله ذكر لله وتنزيه له وآخره اعتراف بالظلم وإس فيه شيء من الدعاء فكان الجزاء له من الله تعالى قوله (فاستجبنا له ونجينا من الغم . وكذلك تنجي المؤمنين) إذا ذكرنا مثل ذكره وطالبوا منا النجاة من أمر بما . مثل أمره وكشف ضررنا مثل ضرره للشار إليه بقوله في الوضع الآخر (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فإنه لم يكن له في مثل الموضعين لفظ دعاء . وإنما ذكر أولا التهليل وثانيا التسميح . وثالثا الإقرار بالظلم ورابعا حكاية الضر وخامسا المدح لمولاه بأنه أرحم الراحمين وجوابه ما تقدم والله أعلم .

وقال سيدنا عبد الله الحداد في كتابه المسمى بالتحف السائل : ربما داوم الإنسان على قراءة شيء من السور أو واظب على شيء من الأذكار أو الأدعية الموعود عليها شيء من المنافع الجارية فلم ير لذلك أثرا فلا ينبغي لمن وقع له ذلك أن يشك في صحة ما وقع به الوعد الصادق والذي ينبغي له أن يرجع على نفسه في الأئمة وينسبها إلى التقصير في يقينها وتوجهها . فان القاريء والذاكر

لا يسمى قارئاً ولا ذا كراً على الإطلاق إلا باجتماع شرائط فيه يقصر عن القيام بها أكثر الناس ، قال والمعدة في تأثير هذه الأشياء ، وحصول الجدوى بها تيقن القلب بأن ما ذكره كما ذكره من غير تشكك ولا قصد تجربة وصدق للتوجيه واجتماع الظاهر والباطن على الدخول في ذلك الشيء وامتلاء القلب بخالص حسن الظن بالله وكال الحضور معه تعالى . فقل أن تجتمع هذه الأشياء في متوجه بشيء من الآيات والأذكار في حصول شيء أي شيء كان إلا ويكون مطلوبه كأنه طوع يده وتحت حكمه وتصرفه فلا يلومَن عبد قدمت به همته وأخره جده وتشميره إلا نفسه وما الله بظلام للعبيد . قال وخواص السور والآيات للقرآنية والأذكار والأدعية النبوية أمر غير مجهول وكتب السنة طائفة به . وقد ألف الإمام الغزالي في ذلك كتابه « الذهب الأبريز في خواص الكتاب المميز » . وليس في ترتيب الواقعة ونحوها معنى من السور القرآنية والأذكار والأسماء النورانية لجلب المنافع ودفع المضار الدنيوية ما يقدم في عمل ولا نية . ثم قال نعم لا ينبغي أن يكون الباعث على قراءتها مجرداً عن المقاصد الدنيوية إلى آخر ما قال في انخاف السائل .

وقال بعض الكبار في كتاب ألفه في فضائل الأذكار واعلم أن الاستمادة والاستجارة بالله والمراجعة إليه لا تنافي مقام التوكل كاللغاء والاستمادة لأننا عبدنا بها والتعبدات لا تنافي مقام التوكل وأنه جائز بالأذكار للرضية كما ينبىء عنه . لا يسترقون في حديث السبعين ألفاً . وقوله بسم الله أرقبك والله يشفيك ، وحديث الرائق بام الكتاب بخلاف التائم فانها تنافي التوكل . فافهم قال والأدعية والاستمادات المأثورات أسرع إلى القبول .

(الفائدة السابعة) في ذكر ورد عظيم . فيه طب السقيم . وهو من أنتم أورادى اللاني بلغت بها أقصى مرادى . وأهديتها لأهل ودادى . وتد عن كلى

أن أذكره في هذه الجزء الثاني من كتابي هذا مرتين الأولى تقدمت في آخر
الفصل الثالث من الفصول الخمسة . وهو فصل فضل الأوراد والثانية هنا
وقد تقدم في فضله ما فيه الكفاية وهو المشرقة الأذكار للشرقة الأنوار .

الأول منها تقول بسم الله الرحمن الرحيم (مائة مرة) الثاني تقول الحمد لله
رب العالمين (مائة مرة) الثالث اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم
(مائة مرة) الرابع . لا آله إلا الله محمد رسول الله (مائة مرة) الخامس سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم (مائة مرة) السادس استغفر الله العظيم وأسأله
التوبة (مائة مرة) السابع اللهم إني أسألك قبل الخيرات وترك للنكرات
وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني (مائة مرة) الثامن تقرأ قل هو الله أحد
(مائة مرة) التاسع حسبنا الله ونعم الوكيل (مائة مرة) العاشر اللهم صل على
سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آل محمد (ثلاث مرات)

(الفائدة الثامنة) قال بعض العلماء أعلم أن في ذكر بسم الله الرحمن
الرحيم . وفي الأكثر منها وفي إدامتها غرائب ومجائب في تزيين القلب
وتلطيفه ثم قال وذكر بعض المشايخ الفارسية في بعض كتبه للوثوق به أن السالك
إن أعوزه وجدان الشيخ المرشد الربى المسد بكفيه في سلوكه ملازمة هذا الذكر
المبارك في كل يوم وليلة في بعض الأوقات بلا ترك لما التزم . وأدنى نصابه عدد
حروف البسملة بالجل الكبير وهو سبعمائة واثنان وعشرون فإذا أتى به بنوب
له مناب الشيخ وبسد مسده ثم قال وقيل في قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى أن
المراد بها كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال وفي بعض كتب المشايخ كلمة
بسم الله الرحمن الرحيم فائقة للزئوق مسهلة للوعور محبة للشرور شفاء لما في
الصدور أمان يوم النشور ثم قال ويكنى هذا الذكر بالمبارك شرقاً وكرامة
بفتح كل سورة من سور القرآن العظيم به فهو مفتاح كل خير وصعادة .

الفصل الثالث

في معنى البسملة وأعرابها وأقوال العلماء في معناها وبالله للتوفيق والهداية والإعانة على الابانة فأما إعراب البسملة فقد قال النحويون الاسم لفة سمة الشيء أى علامته واشتقاقه من السمو وهو الملو . أو من السمة وهى العلامة . والأول أصح واصطلاحاً ما كان دالاً على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان وعلامته أنه يعرف بالخفض في آخره . والخفض خفض بالحرف أو بالإضافة أو بالتبعية قالوا وقد جاءت هذه الثلاثة في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فاسم مجرور بالحرف ولفظ الجلالة مجرور بالإضافة والرحمن الرحيم جرراً بالتبعية عند الأكثر لأنها صفتان للجلالة السكرية والصفة تتبع للوصوف . قال ابن هشام وجملة البسملة إن قدر ابتدأى باسم الله فهى اسمه وهو قول البصريين . وإن قدر أبداً باسم الله فهى فعالية وهو قول السكوفيين . وهو المشهور فى التفاسير . ولم يذكر الزنجشبرى غيره إلا أنه يقدر الفعل مؤخراً ومفصلاً لما جمعت التسمية مبدأ له فيقدر باسم الله اقرأ باسم الله أحل باسم الله أرتمل . قال ويؤيد الحديث باسمك ربى وضعت جنبي . انتهى .

وأما بسم فهى لتحقيق إضافة طلب الاستعانة بالله ومعناها ابتدئ متبركاً ومستميراً على هذا الأمر بسم الله . وأصل اسم من السمو وهو الارتفاع حذف مجزؤه وعوض عنه همزة الوصل فوزانه افع . وقال بعضهم الاسم هو اللفظ الدال على مسمى فأسماءه تعالى كل لفظ دل على ذاته كالله الرحمن القدوس . أو على صفة من صفاته معنوية كانت كالحى للعليم القادر المرید المنكتم السميع البصير أو فعلية كالخالق البارئ المصور القهار الوهاب الرزاق هذا أحد الأقوال التى ذكرها العلماء . وقد قدمنا فى الفصل الخامس من المقدمة ما يوضح ذلك عن الشيخ القاشانى فراجع .

وأما الجلالة فقد سبق بيان معناها أيضا في شرح قوله أعوذ بالله السميع
العليم أول الراتب .

وأما الرحمن الرحيم فمعناها ما ذكره سيدي محمد العمري في كتاب بحر
الأنوار . قال رحمه الله الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة التي هي
رقة القلب وهي . كيفية نفسانية تستحيل في حق الباري تعالى فتحمل على غايتها
وهي الفضل والاحسان قال وأسماء الله للأخوذة من نحو ذلك إنما تؤخذ باعتبار
الغايات التي هي أفعال دون اللبدي التي تكون انفعالات فالرحمة في حقه تعالى
معناها إرادة الانعام والفضل الشامل العام فتكون صفة ذات أو هي الانعام
والاستعارة تمثيلية بأن مثلت حاله تعالى بحال ملك عطف على رعيته وورق له
فمعهم معروفه فأطلق عليه الاسم وأريد غايته التي هي إرادة الانعام أو فعله
لامبدؤه الذي هو انفعال من الرقة ، واسم الرحمن أخص من الرحيم إذ لا يسمى
به غير الله عز وجل ، وأما تسمية مسيلة الكذاب برحمان اليامة في قول
شاعرهم : وأنت غياث الوري ما زلت رحمانا فذلك من باب تمتعهم في الكفر
ومبالغتهم في مدح صاحبهم امنهم الله كما لعنه وخذله وقتله فلا يلتفت إلى قولهم
هذا . ولا يكون حجة في تسمية غير الله به ؛ ومعنى الرحيم المنعم على العباد بسد
الخلل في الدنيا والرحمن المنعم على المؤمنين بالإيمان والطاعة والاحسان والتفوز
في الآخرة بالأمان ، ورحمة الله تامة عامة . أما تمامها فإنه تعالى يريد الانعام
ويقدر عليه ويفعله . وأما عمومها فتعم المطيع والمأمى ويرحم الكافر في الدنيا
فيرزقه ويمهله وهو سبحانه منزّه عن الرقة بخلاف رحمة العبد المبيد فإنها رقة
تلتحقه . فنشر رحمته تعالى وهي إرادته لدفع العقمة ووصول النعمة إلى المرحوم
والرحمن هو الراحم للمعبود بنعم لا يقدر عليها العباد وذلك بإيجادنا أولا وهدايتنا
ثانيا وسما دتنا في الآخرة ثالثا والنظر إليه رابعا وإن تمدوا نعمة الله لا تحصرها

الآية . وقد أنزل الله هذين الاسمين الرحمن الرحيم مع اسمه الأعظم مفتاح الخطاب .

وقال ترجمان القرآن عبد الله بن النعمان رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، وقيل الرحمن مبالغة من الرحيم والرحيم مبالغة من الراجح وقيل الرحيم الحسن في الدنيا والرحمن الحسن في الدنيا والآخرة بالنعمة العاجلة والآجلة ، وقيل هما بمعنى واحد كعندمان ونديم ، والرحمة هي إرادة الانعام ثم يسمى الانعام رحمة لأنه أثرها ومنه الحديث رحمتي سبقت غضبي أى فضلى واحسانى يغلب انتقامى ومنه الحديث ان الله تعالى مائة رحمة أنزل منها فى الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق فيمطف الوالد على ولده والقريب على قريبه . وادخر تسماً وتسمين فى الآخرة . فاذا كان يوم القيامة أضافها إلى التسع والتسعين فأكملها ، ويسمى الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة فى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والله عز وجل رحيم لم يزل قبل وجود المرحومين فانه تعالى علم انه سيخلق خلقه ويرحمهم كما أنه تعالى لم يزل قادراً قبل وجود المقدور فى الأزل .

قال ومعنى اسمه تعالى خير الراحمين وأرحم الراحمين أن الراحم منا إذا حصلت له رقة يتألم لها قبل الرحمة وبلذتها بعدها وربما رحم لفرض أو قصرت قدرته عن الانعام الذى يقصده ورحمة الله تعالى منزهة مقدسة عن العالى .

ثم قال العمري فان قيل كيف يصح هذا وفى الخلق أهل بلاء وعاهات فالجواب من وجهين أحدهما أنه أرحم الراحمين لمن يريد أن يرحمه كما أنه أقوى اللبقةمين لمن يريد أن ينتقم منه . وقد أخبر أنه يرحم من يشاء ويمدب من يشاء . والثانى أن البلاء قد يكون فيه مصلحة للعبد من حيث لا يدري إما عاجلاً وإما آجلاً فكم من عبد ابتلاه فردّه بالبلاء والضرأ اليه . وفى زده

أكبر النماء قلت ويستدل له بقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
 لهنّ في طفولتهم يمهون) وكذلك ما جاء في الحديث الصحيح يا عبادي إن
 منكم من لا يصلحه إلا السقم ولو عافيته لفسد. الحديث .

ونعود إلى كلام سيدي محمد العمري قال وقيل الرحمن الحسن في الدنيا
 والرحيم الحسن في الآخرة . وقيل الرحمن معطي النعم الباطنة والرحيم معطي
 النعم للظاهرة . وقيل الرحيم معطي النعم والرحمن دافع النقم . ومن هذا المعنى
 الحفي في قوله تعالى (إنه كان بي حفيّا) الحفي الرحيم ، وفي معناه البر الرحيم قال
 تعالى (إنه هو البر الرحيم) وقيل الرحيم الحنان قال تعالى (وحناناً من لدنا) .

ثم قال سيدي العمري بعد أن أورد عدة أقوال جنبها قد ذكرناه هنا في
 معنى هذين الاسمين ، وآثار معرفة هذه الأسماء التي هي من دائرة الرحمانية
 حسنُ الظن بالله تعالى ورجاء كرمه في قبول طاعته وقبول توبته وأما الطمع مع
 التفريط في الواجبات والإصرار على المخالفات فهو غرور وليس برجاء محمود ،
 ومن آثارها الرحمة لعباد الله والصفح عنهم والرفق بهم . وفي الحديث الشريف
 إنما يرحم الله من عباده الرحماء أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء
 من لا يرحم لا يرحم ، ومن آثارها الاكتفاء بالله في المهمات . ويقال من وصل
 إلى بساط المعرفة لم يحسن أن تكون له حاجة إلى غير الله ، وقيل لبعضهم ألك
 حاجة فقالت ليس لي حاجة إلا إلى من يعلم حاجتي قبل سؤالي كما قال جبريل لخليل
 عليهما السلام حال إلقائه في النار ألك حاجة قال أما إليك فلا فقال له جبريل
 أرفعها إلى الله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وقيل لبعضهم إن المشايخ قد
 اجتمعوا بباب السلطان يستشفعون في فلان فقال هلا وقفوا بباب أرحم الرحمن
 ثم قال وقد يرحم الله العبد بعد اليأس وذلك أبلغ في السرور (وهو الذي ينزل
 النيث من بعد ما فسطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) وقال تعالى (حتى إذا

استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) وقيل في معنى ذلك

ألا إنك البر الرحيم وانتي لأدعوك بالبر الذي منك لى بدأ

حمدتك للاحسان منك وإن لى على الحمد فضلا منك يامانح الهدى

وما أنا أهل للبر بل أنت أهله لأن المطايا منك تسدى لنا صدى

وإني لأستحميك لو لا تمسكى بحملك فى التقصير أن أوتر بدأ^(١)

ولكذلك المجرى لنا عادة الرضا فكل بها جار على ما تمودا

فمفوا عن التقصير منا ورحمة فانك تفوق ثم تفهم بالجددا

ثم قال الشيخ العمري رضى الله عنه (تنبيه) اسمه الرحمن من دوام على

ذكره كان ملطوقاً به فى جميع أحواله . الرحيم من انخذه ذكراً لا يسأل الله شيئاً

الا أعطاه إياه ويكون لحامله وذاكره أماناً من آفات الدهر اه منقلته من كلام

للممرى وغيره مع مازدته من فضل الله فى معنى تفسير البسملة والله أعلم .

خاتمة

فى ذكر شىء مما ورد من أحاديث الرحمة وصلة الأرحام وما يتماق بذلك

ويناسبه نذكرها هنا تبركاً وتيمناً بها لاشتقاق الرحمة والرحم من اسم

للرحمن الرحيم .

أحاديث الرحمة وصلة الأرحام وأثرها

عن أبى أسيد بضم الهمة وفتح السين مالك بن ربيعة الساعدي رضى الله

عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من

بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما

فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإفادتهما من بعدهما وصلة
الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما رواه أبو داود ونقله عنه الإمام
حبي الدين النووي .

ونقل أيضاً من الصحيحين حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه الطويل
المشتمل على جملة كثيرة من قواعد الاسلام وآدابه . وقال قال فيه دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم بمسكة يعني في أول النبوة فقلت ما أنت قال نبي فقلت
ما نبي قال أرسلني الله قلت بأى شيء أرسلك قال أرسلني بصفة الأرحام وكسر
الأوثان وأن بوحد الله ولا يشرك به وذكر تمام الحديث وفي الاشارات على
نسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى عبدي إن سجدت لك
شقت لك من الرحمانية شقاً فسكنت أرحم بانؤمن من نفسه .

وفي الصحيحين عن أنس فتادة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
مر عليه بمخاضة . فقال مستريح ومستراح منه فقالوا يا رسول الله ما المستريح
وما المستراح منه فقال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا
وانصبها إلى رحمة الله تعالى . والعبد الفاجر تستريح منه البلاد والعباد
والشجر والدواب .

وقل عليه الصلاة والسلام أرحموا أرجوا وأغفروا يغفر لكم ويل لأقبح
القول . ويل للمصرين الذين يعصرون على ما فعلوا وهم يعلمون .

وقل عليه الصلاة والسلام اطلبوا الخواص إلى ذوى الرحمة من أمتى
ترزقوا وتنجحوا فإن الله تعالى يقول رحمتي في ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا
الخواص عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فإن الله تعالى يقول إن
سخطى فيهم .

وقال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات

رحمة الله فان الله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله تعالى أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم نقله الإمام ابن حجر الميتمى فى كتابه أسنى المطالب فى صلة الأقباب وقال أخرجه الحكيم الترمذى وابن أبى الدنيا والبيهقى .

وقال عليه السلام اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتى تعيشوا فى أكنافهم فان فيهم رحمتى ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم ، فانهم ينتظرون سخطى .

وقال عليه السلام اطلبوا المعروف من رحماء أمتى تعيشوا فى أكنافهم ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم يا على إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلا فحببه إليهم وحبب إليهم فعالة . ووجه إليهم طلائه كما وجه الماء فى الأرض الجدية فتحيا به ويحيا به أهلها إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة .

وقال أيضا إن الله تعالى خلق يوم خلق السماء والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض وجعل منها رحمة فى الأرض فيها تعطف الوالدة على ولدها ولوحش والطير بعضها على بعض . وأخر تسماء وتسعين فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة رواه سلمان وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما .

وقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى لما خلق الخلق بيده كتب على نفسه إن رحمتى تغلب غضبى . وقال صلى الله عليه وسلم إن أرحم ما يكون الله بالعبد إذا وضع فى حفرة رواه كعب بن مالك رضى الله عنه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على رضى الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس . فقال الأقرع إن لى

عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال من لا يرحم لا يرحم أخرجه الخمة إلا النساءى . وزاد رزين أو أملك
أن كان الله نزع منكم الرحمة . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب
في كتاب فهو عنده فوق المرش إن رحمتى تغلب غضبى أخرجه الشيخان
والترمذى وعند للبخارى رحمه الله فى أخرى غلبت غضبى . وعند للشيخين فى
أخرى سبقت غضبى ولهذا قال سيدنا الجنيد إن بدت ذرة من عين الكرم
والجود لحقت المسىء بالحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم . فقال له عطاء متى
تبدو فقال هى بادية قال الله تعالى سبقت رحمتى غضبى . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله أرحم بعبيده المؤمنين من الوالدة الشفيرة بولدها .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من تحت المرش يوم القيامة
يا أمة محمد أماما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا
الجنة برحمتى .

وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال إن
نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى
الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد فيسألونه
ما فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة . فإذا سألوه عن رجل مات
قبله . وقال قد مات قبلى قالوا إن الله ذهب به إلى أمه الهاوية ذكره الفزالى
فى الاحياء .

وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا رحمة مهداة . وقال أنا نبى الرحمة .
وقال الإمام محمد الجواد بن على الرضا بن موسى السكاظم رضى الله عنه لا تماجلوا

الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطول عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا
ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أحتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون . وقالت
الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي
أرحم بك من أشاء . وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكل منكما على
ملؤها رواه مسلم . . .

وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الواصل بالـكافي
ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها . نقله إمامنا النووي في رياض
الصالحين . وقال قطعت بفتح القاف والطاء ورحمه مرفوع لأنه فاعل فافهم
أن المراد وصل الرحم المقاطع وقد أشار إليه قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتغطي من حرملك وتعفو عن ظلمك وذلك
حين سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلین .

وقال عليه السلام إن الله ملكاً موكلاً بمن يقول بأرحم الراحمين فمن
قالها ثلاثاً قال له الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فأسأل . رواه
أبو أمامة .

وقال صلى الله عليه وسلم إنما يدخل الجنة من يرجوها . وإنما يحب النار
من يخافها . وإنما يرحم الله من يرحمه رواه ابن عمر . وقال عليه السلام إنما يرحم
الله من عباده الرحماء . وقال عليه السلام إنى لم أبعث لماناً وإنما بعثت رحمة .

وقال عليه السلام إنى لم أبعث بقطيعة الرحم رواه حصين بن دحرج .

وقال صلى الله عليه وسلم إيماراع لم يرحم رعيته حرم الله عليه الجنة رواه
خزيمة. وقال صلى الله عليه وسلم إيماراع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة
خاضت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء رواه عبد الرحمن بن سمرة .

وقال صلى الله عليه وسلم البركة في أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويحبل
كبيرنا فليس منا . وقال عليه السلام جعل الله الرحمة مائة جزء فأسك عنده
تسعة وتسعين جزءاً وأزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم
الخلق حتى ترفع للفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه رواه أبو هريرة .
وقال أيضاً الجماعة رحمة والفرقة عذاب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خاب وخسر عبد لم يحمل الله في قلبه رحمة
تلبشر » . رواه الدولابي في السكتي وأبو نعم في المعرفة وابن عساكر عن عمرو
ابن شعيب .

وقال عليه السلام يا أيها الناس أفسوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام
وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام .

وقال عليه السلام : « إن هذا الأمر في قريش ما إذا استرحوا رحوا
وإذا حكوا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه امانة الله والثلاثكة والناس
أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، قوله « صرفاً ولا عدلاً » . قال النووي
في صحيح مسلم قال القاضي عياض قال للمازري قيل الصرف الفريضة والعدل
النافلة ، وقيل عكسه ، وقيل الصرف التوبة والعدل الفدية ، وقيل
غير ذلك .

(قلت) وفي هذا الحديث أعظم البشارة لقريش إن هدأت ورحمت وأعظم
الخصارة لها إن جارت وقست . وقوله إن هذا الأمر في قريش معناه الوراثة
للمحمدية . للأمرار الإلهية . والعلوم الربانية . والمواهب الرحمانية . والرياسة

النَّبَوِيَّة . وَالسِّيَاسَةُ الْحَكِيمِيَّة ^(١) . الْمَشَارُ إِلَىهَا يَقُولُ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ لَدُنْكَ وَعَلِمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَابِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّقُنِي مَسْئَلًا وَاحِقُنِي بِالصَّالِحِينَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) وَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ انْقُذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي مِرَّةِ بْنِ كَعْبٍ انْقُذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ الطَّلَبِ انْقُذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي هَاشِمٍ انْقُذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا قَاطِمَةَ انْقُذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَابِلَهَا بَيْبَلَاهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . نَقَلَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي الرِّيَاضِ وَقَالَ فِي مَعْنَاهُ . قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْبَلَاهَا هُوَ بَفَتْحِ الْبَاءِ لِلْوَحْدَةِ الثَّانِيَةِ وَكَسْرِهَا . وَلِلْبَلَالِ الْمَاءُ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ سَاحِلُهَا شَبَّهَ قَطْعِيَّتَهَا بِالْحَرَارَةِ تَغْفُو بِالْمَاءِ وَهَذِهِ تَبْرِدُ بِالصَّلَةِ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِمَعْمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَنَقَلَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي الرِّيَاضِ وَقَالَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَنَقَلَ أَيْضًا فِيهِ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنِ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَلِلسَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ .

(١) تَوْحِيلُ الْمَرَادِبِ الْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْحُكْمِ .

وقال للصدقة على للسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنذر إلا فيما يبتغى به وجه الله تعالى ولا يمين فى قطيعة رحيم أخرجه أبو داود .

وفى كتاب الفصول فى مناقب الأئمة من آل الرسول عن على الرضا بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرى بى إلى السماء رأيت رحماً متعلقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربها إنها قاطعة لها . قات كم بينك وبينها من أب قالت تنق فى أربعين أباً . وفى الكتاب المذكور عن جعفر الصادق قال حدثنى أبى محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليصل رحمه . وقد بقى من حمرة ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه . وقد بقى من حمرة ثلاث وثلاثون سنة فينزله الله ثلاث سنين^(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع رحم . وقال عليه الصلاة والسلام إن الرحمة لا تنزل على قوم وفيهم قاطع رحم . قال بعض العلماء بعد إيراد هذا الحديث فإذا كان قاطع للرحم يمنع نزول للرحمة عن جاوره فكيف يكون القاطع نفسه فعمود بالله من الخذلان الذى هو سبب الحرمان .

وسئل صلوات الله وسلامه عليه عن خير الناس فقال أنقام للرب وأوصالهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وقال عليه الصلاة والسلام

(١) وهذا من القضاء المعلق كما تقرر فى موضعه .

وقال عليه السلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس .

وقال عليه السلام من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء رواه جرير رضي الله عنه .

وقال عليه السلام من لا يرحم لا يرحم ومن لا يفرح لا يفرح له ومن لا يتب لا يتب عليه رواه جرير أيضا .

وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله رواه جرير رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم وللشاة إن رحمتها يرحمك الله رواه الطبراني عن قرة بن إياس . وعن معقل بن يسار قال : قال عليه السلام لا تنزع الرحمة إلا من شقي رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم أحد يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وإن سبعت ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب قال عكاشة بن محصن الأسدي يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت منهم فقام آخر وقال وأنا يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال عكاشة انتهى ، ولفظه في مسلم قوله صلى الله عليه وسلم إن ينجي أحداً منكم عمله قال رجل ولا إياك يا رسول الله قال ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولا تكن سدوداً وقاربوا وفي رواية برحمة منه وفضل وفي رواية بمغفرة ورحمة . وفي رواية إلا أن يتداركني الله منه برحمة .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم وأعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالمقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرها من أنواع التكليف

ولانثبت هذه كلها ولاغيرها إلا بالشرع . ومذهب أهل السنة أيضا أن الله عز وجل لايجب عليه شيء تعالى الله بل العالم كله ملكه الدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما مايشاء . فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإن أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه . ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لايفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته . ويدذب الكافرين ويدخلهم في النار عدلا منه . قال وأما المتمتلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصالح ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم . تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لنصوص الشرع .

ثم قال الامام النووى وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . وأما قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال . ثم التوفيق للأعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ليصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه يدخل بالأعمال أى بسببها وهى من الرحمة والله أعلم .

ثم قال النووى ومعنى يتفمذنى برحمته يلبسنيها ويتفمذنى بها . ومنه غدت السيف وأغردته إذا جملة في غده وسترته به ومعنى سدوا وقاربوا . أطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه أى اقربوا منه . والسداد الصواب وهو بين الإفراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا انتهى .

ونمود إلى تجريد الهمة وإنهاض للمزمة في تمام نقل أخبار وآثار في الرحمة . وخصوصا لهذه الأمة المشار اليها بقوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتقون الرسول النجى

(الأمي) الآيات وحكى أن رجلا من بني اسرائيل عبد الله سبعين سنة ولم يفتخر فيها ولا اشتغل بغير الله فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لعبدى فلان إنك وفيت بمهمدى وأنيت عمرك فى خدمتى فسادخلك الجنة بفضلى ورحمتى . قال فلما قال له النبي ذلك أطرق رأسه ساعة ثم رفعه وقال إذا كان دخولى الجنة بفضله ورحمته فما فعلت عبادتى سبعين سنة فلم يستقم خاطره حتى ابتلاه الله تعالى بوجع فى ضرره فوجعه وشدد عليه فاستغاث . فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العبد هل أنت باذل عبادتك السبعين السنة فى مقابلة رفع هذا الوجع ونحن نرفعه منك . فقال ومن لى بذلك ومن يملك ذلك . قال ما يستطيع صرف ذلك إلا الله فقال له النبي إن الله قد أوحى إلى بذلك . فقال قد نزلت عن عبادتى ورضيت فشفاه الله سبحانه وأوحى إلى النبي أن قل له قد مضت عبادتك فى رفع الألم عنك فماذا بقيت تدخل الجنة إن لم أتعمدك بفضلى ورحمتى فبكى وتاب إلى الله تعالى مما خطر بباله .

الحى لك الحمد الذى أنت أهله على نعم تعلم بأنى لما أهلا
إذا ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا كأتى بالتقصير استوجب الفضلا

وفى البخارى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسمى إذا وجدت صبيكا فى السبي أخذته فالصقته ببطنها فأرضعته . فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه . فقال فوالله أرحم بمعباده من هذه بولدها قلت هذا الحديث ختم به الإمام الغزالي كتابه إحياء علوم الدين مع زيادة فى لفظه والله أعلم .

وفى البخارى أيضا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة وقتنا معه فقال اعترابى وهو فى الصلاة اللهم ارحمنى

ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً . فلما سلم صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي لقد تحجرت واسماً يريد رحمة الله ثم لم يلبث الاعرابي أن بال في المسجد فأسرع إليه الناس فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا ميسرين صبوا عليه سجلاً من ماء أو قال ذنوباً من ماء . قوله تحجرت واسماً أى ضيقت السمّة . والذنوب الدلو للمظيمة وكذلك السجل إلا إذا كان فيه ماء .

وفي كتاب التوبة من الأحياء للإمام حجة الإسلام الغزالي قال قال بعض السلف ما من عبد يمضى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً . فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي فإنكما لم تحلقاه ولو خلقتما لرحمتاه فلعله يتوب إلى فأغفر له لعله يستبدل صالحاً قابله حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده .

وقال رجل لماذا أوصني فقال كن رحيماً كن لك بالجنة زعيماً ، وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ديوان أمته . فقال يا رب اجعل حسابهم إلى اثلا يطالع على مساويهم غيرى . فأوحى الله إليهم هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا اجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر في مساويهم أنت ولا غيرك نقله في الأحياء .

وفيه عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله شيئاً إلا جعل له ما يظلمه وجعل رحمته تغلب غضبه . وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم مات له ثلاثة لم يبلغوا الحث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان .

وفي البخارى أيضاً بإسناده إلى أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ينجى أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

ولا أنا إلا أن يتفمدي الله برحمته سدودا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تباهوا .

وفي البخاري أيضاً بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك منها عنده تسماً ونسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة ولو يعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

وروى الإمام البخاري أيضاً في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحمة فأخذت بحقو الرحمن فقال له قالت له هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك . قال أبو هريرة فافروا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) .

وعن الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت للعرش يوم القيامة . القرآن يحاج العباد له ظهر وبعان والأمانة والرحم تنادي أن من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يبسط الله تعالى له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه وعن الترمذي تهلوا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة

في أهل مائة في المال منسأة في الأثر يفسأ أى يؤخر والأثر هنا الأجل .

وعن عياض بن جمار رضى الله عنه من جملة حديث طويل جليل أخرجه مسلم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرباه ومسلم عفيف متمم ذو عيال الحديث بطوله .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فأنكر ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه .

وعن أبى بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة يارحم أخرجه أبو داود والترمذى .

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع رحم . وفي بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام . والرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيفضل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة .

(فائدة) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في معنى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى حيث يقول إن رحمتى تغلب غضبى وفي رواية سبقت رحمتى غضبى .

قال العلماء غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة فأرادته الإثابة للطيع تسمى رضا ورحمة وإرادته عقاب العاصى وخذلانه تسمى غضباً وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد جميع الإرادات . قلوا والمراد بالسبق

والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة
إذا أكثر منه . قوله صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء الخ .

قال النووي هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين . قال
العلماء لأنه إذا حصلت للانسان رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار
من فروع الإسلام والطرائق والصلوة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى
به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء
والله أعلم اهـ . وبالله التوفيق والهداية والحماية من الزيغ والفجوة . فإليه ملجأنا
وبه من كل شر منجأنا . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الذكر السادس وشرحه

ثم قال سيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه .

(بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا بالله . ثلاثاً)

قال الشيخ هلى بارأس قوله بسم الله هو الاسم الجامع لجميع مظاهر الألوهية
تحصنا بالله بذلك الحصن إذ هذا الاسم حصن الله إذ قد قال فيما يروى عنه
لا إله إلا الله حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى . ومن تحصن به ولجأ
إليه فقد أمن من كل محذور ونجاة من كل مخوف قال وقوله بسم الله توكلنا
بجميئتنا بالله الذى به لا بأنفسنا متوكلين لكونه هو الذى أعطانا التوكل
عليه الذى هو أرفع مقامات المعاملة الذى لم يكن فى مضاف البشر أن يقوم به .
وهذا هو التوكل الحقيقى لأنه خرج فيه عن كونه متوكلاً وعن دعوى وجود
حال بنفسه إذ الأحوال لا تستفاد بوظائف الكسب بل من طريق المواهب
فليس للأبد إليه سبيل إلا التضرع والاستمداد بالمواظبة على الرياضة والسرد
والأوراد قال وذلك ثلاثاً انتهى كلام الشيخ على نفع الله به .

ونحن نشرع في تحصيل الزيادة ، وتأصيل الإفادة ، والتكميل على ما بناه
الشيخ وأشاده : من الآيات والأحاديث والآثار المستعادة . بما تقر به المعيون .
وتشفي به الشجون ، مما ابتغاه طالب التحقيق للعلوم وأراد . فنقول .

اعلم أن هذا الذكر أتى به سيدنا الشيخ عمر للتحصن من جميع الآفات
الدنيوية والأخروية والدواعي الشيطانية والنفسانية والهوائية ، وأى حصن
أحصن من اسم الله وهو الحصن العظيم القدر الكثيف الستر ، وقد جرب
أهل الكشف والتنوير نفعه وعظم عندهم وقته ، وتحصين الشيء إحرازه .
بما كان حصين لا يناله العدو . ومنه سميت الحصون حصونا لمنمها أهلها من
العدو كما قال سيدنا القطب أبو بكر المذني رحمه الله في آخر قصيدة له توسل
بها إلى ربه :

ونختتمها بتحصين عظيم بحول الله لا يقدر علينا
وعين الله ناظرة إلينا وستر العرش مسبول علينا

التسمية على الذبيحة

ثم اعلم أن هذا الذكر أيضاً هو المراد بقوله تعالى (فكأوا مما ذكر اسم الله
عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق)
فتكون التسمية إما بإضافة الرحمن الرحيم كما هو الحال فيه أو بمذناها وهو
الاقتصار على أدنى الحال .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال الكتاب من أهل العربية
إذا قيل باسم تمين كتبه بالآلف وربما يحذف الألف إذا قيل بسم الله الرحمن
الرحيم اه .

وفي صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام من كان ذبح أغنيته قبل أن يصلي

فليذبح باسم الله . ورواية فليذبح على اسم الله تعالى قال النووي في شرح صحيح مسلم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فليذبح بسم الله هو بمعنى رواية فليذبح على اسم الله أى قائلاً بسم الله هذا هو الصحيح في معناه . قال وقال القاضي عياض يحتمل أربعة أوجه . أحدها : أن يكون معناه فليذبح لله والباء بمعنى اللام . والثاني : معناه فليذبح بسنة الله . والثالث : بتسمية الله على ذبحه إظهاراً للإسلام وخلافة لمن يذبح لغيره وقمّاً للشيطان . والرابع : تبركاً باسمه وتيمناً بذكره كما يقال سر على بركة الله وسر باسم الله ، ثم قال قال القاضي وكره بعض العلماء أن يقال افعل كذا على اسم الله قال لأن اسمه سبحانه على كل شيء قال ثم قال القاضي هذا ليس بشيء قال وهذا الحديث حجة على هذا القائل اه .

وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل . قلت وإن قتلن قال وإن قتلن ما لم يشركما كلب ليس معها . وفي رواية فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره .

قال الإمام النووي في هذا الحديث الأمر بالتسمية على إرسال كلب الصيد وفي صحيح مسلم أيضاً قال صلى الله عليه وسلم وإن أرسلت سهمك فاذا ذكر اسم الله تعالى فإن غاب عنك يوماً فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت قال النووي هذا دليل لمن يقول إذا جرحه فغاب عنه فوجده ميتاً وليس فيه أثر غير سهمه حل قال وهو أحد أقوال الشافعي . ومالك في الكلب والسهم . والثاني يحرم وهو الأصح عند أكثر أصحابنا . والثالث يحرم في السكاب دون السهم قال والأول أقوى وأقرب إلى الأحاديث الصحيحة .

وأما الأحاديث المخالفة له فضميمة ومحمولة على كراهة التنزيه وكذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما أصميت ودع ما أنميت أى كل ما لم يفب عليك دون ما غاب عنك اه . ما نقله الإمام النووي .

وقد اختلف العلماء في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها لقوله تعالى
 سولاً تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية
 عامداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبي .

وذهب قوم إلى تحليلها بروي ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي
 وأحد ومضى الآية على قول الإمام الشافعي ومن وافقه أي لا تأكلوا منه في
 حالة كونه فسقاً . ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً . والفسق قد فسر
 الله تعالى بقوله أو فسقاً أهل نكير الله به . فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سمى عليه
 غير الله . ومفهومه وكلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله تعالى اهـ .

قلت : ومما يؤيد قول إمامنا الشافعي ومن وافقه على عدم تحريم الذبائح
 التي لم يسم عليها ما ذكره الشيخ للفسر أبو القاسم بن سلامة في كتابه الناسخ
 والمنسوخ أن قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نسخ بقوله عز وجل
 (اليوم أحل لكم أنطييات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
 حل لهم) والطعام هاهنا الذبائح قاله ابن سلامة اهـ .

وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لا تحل وإن تركها ناسياً تحل
 حكى الخرقى من أصحاب أحد أن هذا مذهبه وهو قول النوري وأصحاب الرأي ،
 ومن أباحها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه
 قال . وإنه لفسق . واستدلوا له أيضاً بما رواه عمروة عن عائشة قالت قالوا
 يا رسول الله إن هنا أقواماً حديث عهدم بشرك يأتون بلحيان لا ندرى
 أيذكرون اسم الله عليها أم لا . قال اذكروا اسم الله وكلوا . ولو كانت التسمية
 شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالكشك في أصل
 الذبح اهـ .

وقال الإمام النوري في شرح صحيح مسلم : وقد أجمع المسلمون على التسمية

عند الإرسال على الصيد وعند الذبح والنحر ، واختلقوا في أن ذلك واجب أم حنة ، فذهب الشافعي وطائفة أنها حنة فلو تركها سهواً أو عمداً حل الصيد والقبیحة . وهي رواية عن مالك وأحمد .

وقال أهل الظاهر : إن تركها عمداً أو سهواً لم تحل وهو الصحيح عن أحمد في صيد الجوارح ، وهو مروى عن ابن سيرين وأبي ثور .

وقال أبو حنيفة ومالك والثوري وجهاء العلماء : إن تركها سهواً حلت الذبیحة والصيد ، وإن تركها عمداً فلا . قال : وعلى مذهب أصحابنا يكره تركها وقيل لا يكره بل هو خلاف الأولى والصحيح الكراهة . واحتج من أوجبها بقوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) وبهذه الأحاديث . واحتج أصحابنا بقوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم - إلى قوله تعالى - إلا ما ذكركم) ، فأباح الذككية من غير اشتراط التسمية ولا وجوبها . ثم قال الشيخ النووي : فإن الذككية لا تكون إلا بالتسمية قلنا هي في اللغة الشق والفتح وبقوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وهم لا يسمون .

وبحديث عائشة رضي الله عنها : قالوا يا رسول الله إن قوماً حديثي عهد بالجاهلية يأتون باحسان ، لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لم يذكروا أفنا كل منها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سموا واكلوا » رواه البخاري . فهذه التسمية هي المأمور بها عند أكل كل طعام وشرب كل شراب . وأجابوا عن قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بأن المراد ما ذبح للأصنام كما قال تعالى في الآية الأخرى : (وما ذبح على نصب وما أهل لعبير الله به) ولأن الله تعالى قال : (وإنه لفسق) وقد أجمع المسلمون على أن من أكل متروك التسمية ليس بفاسق ، فوجب حملها على ما ذكرناه ليجتمع

بينها وبين الآيات السابقة ، وحديث عائشة رضى الله عنها وحملها بعض أصحابنا على كراهة التنزيه . وأجابوا عن الأحاديث في التسمية بأنها للاستحباب انتهى كلام النووي نفع الله به .

تكرر اسم الجلالة في الراتب

وقد تكرر ذكر اسم الله في هذا الراتب ست مرات متتابعات :
 فالأولى في الذكر الثالث ، والثانية في الرابع ، والثالثة في الخامس ضمن
 البسملة ، والرابعة والخامسة في الذكر السادس وهو هذا ، وستأتي السادسة في
 الذكر السابع إن شاء الله تعالى .

والكلام الآن في اسم التحصن من الآفات الدنيوية والأخروية ، وفضل
 التسمية ومنافعها على الإجمال من الآيات والأخبار .

قال الله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ، وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ
 ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - والله يمهك من الناس) ، وقال عز وجل :
 (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين
 وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس قد
 جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا
 به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى :
 (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ، والأوراد والأحزاب
 والاستمادات هي لبوسنا ودروعنا السوابغ ، وحصوننا للوابع الحصينة
 للسانمة لبوسنا .

قال عبد الرحيم بن أبي بكر البرعي الشاعر الشهير في مدح البشير النذير :
 وكان دروع آل داود حديداً تكون من التباس الباس حصناً

بينها وبين الآيات السابقة ، وحديث عائشة رضي الله عنها وحملها بمض أصحابنا على كراهة التنزيه . وأجابوا عن الأحاديث في التسمية بأنها للاستحباب انتهى كلام النووي نفع الله به .

تكرر اسم الجلالة في الراتب

وقد تكرر ذكر اسم الله في هذا الراتب ست مرات متتابعات :
 فالأولى في الذكر الثالث ، والثانية في الرابع ، والثالثة في الخامس ضمن البسملة ، والرابعة والخامسة في الذكر السادس وهو هذا ، وستاني السادسة في الذكر السابع إن شاء الله تعالى .

والسلام الآن في اسم التحصن من الآفات الدنيوية والأخروية ، وفضل التسمية ومنافعها على الإجمال من الآيات والأخبار .

قال الله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ، وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - والله يهتك من الناس) ، وقال عز وجل : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى : (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ، والأوراد والأحزاب والاستعاذات هي لبوسنا ودروعنا السوابغ ، وحصوننا اللوانع الحصينة غلمانة لبؤسنا .

قال عبد الرحيم بن أبي بكر البرقي الشاعر الشهير في مدح البشير النذير :
 وكان دروع آل داود حديداً تكون من التباس الباس حصفاً

ودرع محمد للقرآن لا تلا والله بمصمك اطمأناً
وقال الشيخ أبو الحسن النسري :

فلا تلتفت في السير غيراً وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه لأنه حجاب نجد السير واستنجد المونا
ومهما ترى كل للراتب تجمل عليك فخل عنها فمن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا

وأما الأخبار فقد صح في مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى برضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم . . . قيل وقال وكثرة السؤال . وإضاعة المال » .^(١)

وفي الرواية الأخرى : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات . ووأد البنات . ومنعاً وهات . وكره لكم ثلاثاً . . . قيل وقال . وكثرة السؤال . وإضاعة المال » .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال العلماء : الرضا والسخط والكراهة من الله سبحانه وتعالى ، المراد بها أمره ونهيها أو نوابه أو عقابه أو إرادته الثواب لبعض العباد أو العقاب لبعضهم .

قال : وأما الإعتصام بحبل الله فهو التمسك بهمهده وهو إتباع كتابه العزيز وحدوده والتأديب بأدابه . قال : والحبل يطلق على المهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور

لاستمسكهم بالحبال عند شدائد أمورهم ويصلون بها للفترق فاستعير اسم الحبل
لهذه الأمور اهـ .

وروى أن المأمون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيسابور ،
وكان على مقدمته علي الرضا بن موسى الكاظم ، فقام إليه الإمامان الحائزان ،
أبو زرعة الرازي ، ومحمد بن أسلم الطوسي وهما قوم من المشايخ ، وقالوا :
نسألك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحدثنا بحديث ينفعنا .
فقال حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه زين العابدين
علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل الأمين عن الله تعالى أنه قال : (لا إله إلا الله
حصني فمن قلها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي) ، ثم أرخى
الستر على القبة وسار ، فمد أهل الحابر والدفاتر والدواوين الذين كانوا
يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً . نقله صاحب كتاب جوهر المقربين
عن تاريخ نيسابور . وعن كتاب الفصول المهمة في مناقب الأئمة . ورأيت في
كتاب الفصول كذلك في ترجمة الحبيب علي الرضا بقراءتي على شيخنا الشيخ
القطب الرباني الحسين بن عمر المطاس اهـ .

وفي كتاب الجواهر قال الحافظ جمال الدين الزرندي في كتاب معراج
الوصول عن أبي الليث عبد السلام بن صالح الهروي قال : كنت مع علي الرضا
حين دخل نيسابور ، ثم ساق القصة والسند منه إلى علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الإيتان معرفة
بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان » .

وفي كتاب الجواهر أيضاً قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى
لو قرأت هذا الاسناد على مجنون ليرى من حيله اهـ .

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله اتصل هذا الحديث ببعض
الأمراء فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن في قبره قرني في النوم بعد موته ،
فقيل ما فعل الله بك ، قال : غفر الله لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بأن
محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : واعلم أن هذا الإسناد الجامع لكلمة لا إله إلا الله التي هي شمس
الأنوار ومجمع الأسرار في غاية الاشتغال ونهاية التواتر بالنقل في الأقطار فقد
تداوله الكبار عن الكبار ، وتناقلته السفرة في الأسفار للإسفار ، وأنا
أزيدك فيه إيضاحاً مع الاختصار ، فإن طريقه خارجة عن حيز الانحصار لكن
طالب العلم وطالب الدنيا منهومان لا يشبعان كما صرح عن المختار .

فأقول : نقل فيه بعض للكبار في مصنف له في فضل الأذكار قال : واقد
سمعت بعض الفقهاء الخراسانية ، وكان إماماً وخطيباً في جامع الشافعية
في خوارزم وشيخاً في الخانقاه الشافعية أيضاً ، وكان من الصلحاء الثقات
وصاحب الذكر والرياضات رحمه الله ، أنه نقل عن الثقات أنه لما دخل على
ابن موسى الرضا طوس ، فاستملى منه محمد بن أسلم وأبو زرعة الرازي وغيرهما
من الأئمة حديثاً فأملى عليهم .

قال : حدثني أبي موسى الكاظم قال : حدثني أبي جعفر الصادق قال :
حدثني أبي محمد الباقر قال : حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين قال :
حدثني أبي الحسين شهيد كربلاء قال : حدثني علي بن أبي طالب شهيد
الكوفة قال : حدثني أخى في الدنيا والآخرة أبي القاسم محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قال : « حدثني جبريل أمين الحضرة صلوات
الله عليه قال : قال رب المزة تبارك وتعالى : كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها
دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي » .

ثم قال إني رأيت في كتاب جئت فيه أسانيد على بن موسى الرضا رضى الله عنه بنيسابور ولما أراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث وقالوا يا ابن رسول الله ترحل عنا فلا تحدثنا بحديث فيه نستفيد منه وكان قد قدم في العمارة فأطلع منها رأسه وقال إني سمعت أبي موسى الكاظم إلى آخر الاسناد إلى أن قال قال جبريل سمعت الله يقول لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ثم قال قال الراوي ولما أخذت الرحلة في السير نادانا وذكر لنا أن من حق هذا الاسناد أنه لو قرىء على مريض لشفى .

ثم قال للصف ومثني هذا الحديث وإن اختلف في الروايتين فالقصود من حاصلهما واحد فالأمن من المذاب بقدر الدخول بمعنى في الحصن وأن الأطراف محل الحوادث . وكل الأمن في التمكن في الوسط .

التوحيد النافع عند الله

وليس التوحيد النافع عند الله تعالى مجرد الإقرار بأنه لا خالق إلا هو ولا رب سواه فإن كثيراً من الشركين قائلون بذلك ولا ينفعهم ذلك القول ، ولا الايمان بظواهر العبادات فقط فإن المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار كذلك . وأن سألهم من خلقهم ليقولن الله . بل التوحيد النافع عنده تعالى هو ما تضمنه معنى لا إله إلا الله من محبة الله والخضوع لله والتذلل لله والإفتقار إلى الله والاعتماد بالله والانكسار تحت سلطان عظمة الله والقيام بطاعة الله والإخلاص فيها لله والاستسلام لقضاء الله والإرادة بجميع الطاعات وجه الله الكريم الأهل بالحركات والسكنات والمنع والمطاء والحب لله والبغض لله والرضا برضاء الله عن عنه رضى . والسخط بسخط الله عن عليه سخط الله على معنى بسم الله ، تحصنا بالله بسم الله توكلنا بالله ، بسم الله آمنا بالله ومن

جوئن بالله لاخوف عليه (ومن بطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم
 الفاترون) (ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) (-ومن يتق الله
 يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فقد تحصن بالله بحصن ليس
 لأحد عليه سبيل . وقال بعضهم رأيت استاذي وهو في قبة خضراء وعليه حلة
 خضراء فسالت عليه وقلت له أين أنت يا استاذ قال في قبة فاتمة للكتاب وعلى
 حلة سورة الواقعة وعمامة سورة الاخلاص وقال عليه السلام من قرأ القرآن
 فهو يظن أن لن ينقر الله له فهو كالمستهزى بالقرآن . وقال حصنوا أموالكم
 بآزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ..

وقال الصوم جنة وحصن حصين من النار ، وروى : الحق تحصين الأقوال
 والصدقة تحصين الأموال والإخلاص تحصين الأعمال والصدق تحصين الأسرار
 والمشورة تحصين الآراء .

وروى الترمذي وصححه وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم مرفوعاً في حديث
 طويل وآسركم بذكر الله كثيراً . ومثل ذلك كثر رجل طلبه العدو سراعا في
 أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه . وكذلك المبد لا ينجو من الشيطان
 إلا بذكر الله تعالى :

وفي الأذكار للإمام النووي قال ذكر الإمام أبو محمد القاضي حسين من
 أصحابنا الشافعية رحمه الله في كتابه التمليق في المذهب قال نظر بعض الأنبياء
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى قومه يوماً فاستكثروهم فاعجبوه فمات منهم
 في ساعة سبعون ألفاً . فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه إنك عنتهم ولو أنك إذ
 نظرتهم حصنتهم لم يهلكوا . قال وبأى شيء أحصنهم فأوحى الله إليه تقول
 حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت أبداً ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة
 إلا بالله للعلی العظيم . ثم قال قال الملق عن القاضي حسين وكان من عادة

القاضي حسين رحمه الله إذا نظر إلى أصحابه فأعجبه سمعهم وحسن حالهم حصنهم بهذا الذكر والله أعلم .

وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأفلاق إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبئك الذي أرسلت . فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصمحت أصبت خيراً متفق عليه الحديث .

وروي في كتاب ابن السني عن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذي لا إله إلا هو .

وعن أم سلمة وأسماء هند أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم أي أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي . قال النووي حديث صحيح .

وفي سنن أبي داود عن أبي المنيع التابعي المشهور عن رجل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فمئرت دابة فقلت تمس الشيطان . فقال لا تنقل تمس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تماظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتي . ولا تكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصغر حتى يكون مثل الدباب .

قال النووي وممن تمس هلك وقيل سقط وقيل عثر وقيل لزمه الشر وهو يكسر العين وفتحها وهو أشهر .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال كنا إذا حضرنا عند النبي صلى الله عليه

وحلم على الطعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده وإذا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ صلى الله عليه وسلم بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فذهب ليضع يده فأخذ بيده ثم قال إن الشيطان ليستحل الطعام إن لا يذكر اسم الله عليه وأنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده لمع يدها في يدي . ثم ذكر الله تعالى وأكل أخرجه مسلم وأبو داود .

قال النووي وقوله كأنها تدفع أي كأن وراءها من يدفعها إلى قدامها .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فان نسي في الأول فليقل في الآخر بسم الله في أوله وآخره أخرجه أبو داود والترمذي ، وعنها رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل طعاماً في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلفميتين فقال صلى الله عليه وسلم أما إنه لو سمي الله لكفكم أخرجه الترمذي .

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى من فيح جهنم فأبردوها عنكم بالماء أخرجه الشيخان والترمذي ، وفي رواية للترمذي عن ثوبان رضي الله عنه إذا أصاب أحدكم الحصى فان الحصى قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء فليستفقع في ماء جار ولا يستقبل جريته فيقول بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك . وذلك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس . رواه الخمس فيه ثلاث غسرات ثلاثة أيام فان لم يبرأ في ثلاث فخمس فسبع فتسع فانها لا تجاوز ذلك بإذن الله تعالى ، فيح النار وهجها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم رمي الحصى ومن الأوجاع كلها بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من كل عرق

نصار ومن شر حرّ النار . قال النووي أخرجه الترمذي ثم قال نمر العرق بالدم
إذا علا وارتفع .

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزئب فقالت
لى أم سليم لو أهدبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها أفعلى فممدت
إلى تمر وسمن وأقط فأتخذت حبة فى برمة فارسلت بها معى فانطلقت بها إليه
فقال ضمها ثم أمرنى فقال أدع لى رجلاً سمياً وادع لى من لقيت . قال ففعلت
ثم رجعت فاذا البيت غاص بإهله فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى
تلك الحبة وتسكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكل منه ويقول
لهم اذكروا الله تعالى ولياً كل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كلهم فخرج
من خرج وبقي نفر يتحدثون . ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات
وخرجت فى أثره فقلت إنهم قد ذهبوا فرجع فدخل البيت وأرخى الستروانى
لبنى الحجره وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى قوله والله
لا يستحي من الحق أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وعن أمية بن مخشبي الصحابي رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا اقامة فلما
رفعها إلى فيه قال بسم الله فى أوله وآخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله استقام ما فى بطنه رواه أبو داود والنسائي
ونقله النووي فى كتاب رياض الصالحين ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه
قال قلت يا رسول الله أوصنى قال قل ربى الله ثم استقم قلت ربى الله وما توفيقى
إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فقال ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت
العلم شرباً أخرجه ابن البجترى والرازى وزاد ونهله نهلاً نقله الطبري فى كتاب
الرياض النضرة ثم قال ومعنى نهله نهلاً شربته وكرر لاختلاف اللفظ ونحو
ذلك قول الشاعر :

الطاعن الطمعة يوم الوغى ينهل منها الأنسل الناهل

قال أبو عبيدة الناهل هنا بمعنى للشارب وإذا جاز في اسم الفاعل جاز في القمل وكان قياسه أن يقول ونهلت منه نهلا لأنه إنما يتعدى بحرف الجر أي رويت منه ربا ويجوز أن يكون الناهل في البيت بمعنى المطشان وهو من الأضداد يطلق على الریان والمطشان وهو أنسب لأنه أكثر شرباً ويكون قوله ينهل منه أي يشرب . وقال صلى الله عليه وسلم أمان لأمتي من الفرق إذا ركبوا يعني السفينة أن يقولوا بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم . وما قدروا الله حق قدره الآية .

قال الإمام النووي وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من « قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وينجى عنه الشيطان » . قال الترمذي حديث حسن وزاد أبو داود في رواية فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى . نقله النووي .

وفي حديث آخر عن كعب الأحبار قال إذا خرج الرجل من بيته وقال الحمد لله قال الملك هديت وإذا قال توكلت على الله قال كفيت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك حفظت . فلقيت الشياطين بعضها بعضاً فقالوا هذا عبد لا سبيل لسمك عليه انه قد كفى وهدى وحفظ .

وفي كتاب ابن ماجه وابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله التسللان على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشمري رضي الله عنه واسمه حارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا ثم يسلم على أهله . قال النووي بعد نقله هذا

الحديث لم يضمه أبو داود . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم البيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم البيت والمشاء رواه مسلم في صحيحه .

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن عثمان بن أبي الماص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماً يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر قال : ففعلت ذلك مراراً فأذهب الله ما كان بي فلم أزل أمر أهلي بذلك أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي ونقله النووي في حلية الأبرار .

وفيه قال روبنا في كتاب ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يمنع أحدكم إذا عمر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم رضني بقضائك وبارك لي فيما قدرت لي حتى لا أحب تمجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت انتهى .

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تصيبه الآفات فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت بسم الله على نفسي وأهلي ومالي فإنه لا يذهب لك شيء فقال له الرجل فذهبت عنه الآفات رواه ابن السني .

(فائدة) : قال الدميري في حياة الحيوان رأيت بخط ابن الصلاح رحمه الله في فوائد رحلته رقية المقر قال ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا يلدغه عقرب وإن أخذهما بيده لا يلدغه وإن لدغته لا تضره وهي هذه : بسم الله وبالله وباسم

جبريل وميكائيل كازم زبرازم فقبوز إلى مزن بستمرا استامرا هوذا هوذا
هي والمطا أنا الراقى والله الشاقى .

(فائدة) : قال الدميرى فى كتابه اعلم أن رقية المقرب جائزة لما روى مسلم
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لدغت رجلا عقرب ونحن جلوس
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل يا رسول الله أرقية قال صلى الله
عليه وسلم من استطاع أن ينفع أخاه فليقبل .

وفى رواية فجاء عمرو بن مريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كانت عندنا رقية ترقى بها المقرب وإنك نهيت عن الرقى فقال صلى الله عليه
وسلم أعرضوها على فمرضوها عليه . قال : ما أرى بها بأساً من استطاع منكم
أن ينفع أخاه فلينفعه ، وفى رواية : اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن
فيها شيء ، فالرقى جائزة بكتاب الله تعالى وبذكره ومنهى عنها إذا كانت بالهجمية
أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر . واختلفوا فى رقية أهل الكتاب
فجوزها أبو حنيفة وكرهها مالك خوفاً أن يكون ما بدلوه .

(فائدة) هذه رقية للعرق الذى تسميه العامة فى جهتنا العروق .
وإنما هى الموق ، والرقية نقلتها من للتحفة الجامعة لفرقات الطب النافعة
للمامرى . قال تضع يدك عليها وتقول بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى
الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطلقها الله أيها العرق
كن برداً وسلاماً على فلان بن فلانة كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم
الخليل وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين تسكرها ثلاثاً .

قلت وهذه العروق ليست من عروق البدن للمدود المعتمدة فى المفاصل
والسلاميات وإنما هى تتولد من عفونات الأغذية ومن شرب السكرع كما يتولد
الغشم فى الجيب والله أعلم .

(فائدة) ذكر في كتاب زهر الأكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من كن فيه دخل الجنة بغير حساب من كان عصمته بلا إله إلا الله ومن إذا بدأ بعمل قال بسم الله الرحمن الرحيم ومن إذا أذنب قال استغفر الله ومن إذا أصابته مصيبة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ومن إذا استقبل مكروها قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(فائدة أخرى) للحمي تسكتب على ثلاث ورقات وبأكل كل يوم واحدة إذا حم الأول بسم الله حول العرش نارت واستنارت . الثانية بسم الله في عهد الغيب غارت . الثالثة بسم الله حول العرش دارت انتهى .

وفي كتاب الأذكار قال رويننا في صحيح مسلم وكتاب الترمذى وللنسائي وابن سماجه بالأسانيد الصحيحة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن جبريل أنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ، ثم قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفيه رويننا في صحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود وغيرها عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى إنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال للنبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا ووضع سقيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله بتربة أرضنا بريقة بمضنا بشفى سقيمنا بإذن ربنا . قال الإمام النووى قال العلماء معنى بريقة بمضنا أى بصاقه والمراد بصاق بنى آدم . قال ابن فارس الريق ريق الإنسان وغيره وقد توثق فيقال بريقة . وقال الجوهري في صحاحه الريقة أخص من الريق . وفي كتاب التيسير للديلمى وكتاب الرياض للطبرى عن سهل ابن سعيد أن على بن أبى طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج فوجد ديناراً في السوق فجاء إلى فاطمة فأخبرها فقالت اذهب

إلى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقاً فجاء إلى اليهودي فاشترى به دقيقاً . فقال
اليهودي أنت ختن هذا الذي يزعم أنه رسول الله قال نعم قال فخذ دينارك
ولك الدقيق فخرج على حتى جاء به إلى فاطمة فأخبرها فقالت اذهب إلى فلان
الجزار فخذ لنا بدرهم لحماً فذهب فزهن الدينار بدرهم على اللحم فجاء به فمجنفت
ونصيت وخبرت وأرسلت إلى أبيها فجاءهم فقالت يا رسول الله أذكر لك فإن
رأيت حلالاً آكلنا وأكث ، من شأنه كذا وكذا . قال كلوا بسم الله فأكوا
فبينما هم مكانهم إذا غلام ينشد الله والإسلام الدينار فأمر رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فدعى له فسأله فقال سقط مني في السوق فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا علي اذهب إلى الجزار فقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لست أرسل إلى بالدينار ودرهمك على فأرسل به فدفع إليه أخرجه أبو داود .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خرج البزار في مسنده عن عبد الله بن
أبي أوفى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى إليه نسيان القرآن
فقال علمني شيئاً يحزني فقال قل بسم الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال فمدهن في يده ثم ضم أصابعه
خمساً فقال يا رسول الله هذا الربى فما لي ، قال قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني
وارزقني واهدني قال فمدهن في يده خمساً وضم أصابعه الأخرى فقال رسول الله
أما هذا فقد ملأ يديه خيراً .

وفيه خرج أبو نعيم في الحلية بسنده عن الضحاك عن ابن عباس قال من
قال بسم الله فقد ذكر الله ومن قال الحمد لله فقد شكر الله ومن قال الله أكبر
فقد عظم الله ومن قال لا إله إلا الله فقد وحد الله ومن قال لا حول ولا قوة
إلا بالله فقد أسلم وأستسلم وكان له بها كنز في الجنة .

وفيه قال خرج ابن أبي شيبه في السند من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه
عليه وسلم أتى بكبشين أملحين عظيمين أقرنين ، وجبين فأضع أحدهما وقال

بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وآل محمد ثم أجمع الآخر وقال بسم الله
والله أكبر اللهم عن محمد وأمه من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ .

ونقل الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبشي في كتاب البركة
من كتاب حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم بإسناده إلى محمد بن يوسف قال :
كان أبو عبد الله الساجي مستجاب الدعوة وله آيات وكرامات ، بينما هو
في بعض الأسفار على ناقه وكان في الرفقة رجل عائن كلما نظر إلى شيء ألقفه
أو أسقطه وكانت ناقه أبي عبد الله فارحة فقليل له احفظها من العائن . فقال
ليس إلى ناقتي من سبيل فأخبر العائن بقوله فتحن غيبة أبي عبد الله فجاء إلى
رحله فمان ناقة وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقليل له أن العائن قد عان
فتك وهي كما تراها تضطرب . فقال : دلوني على العائن فدل عليه فوقف عنيه
وقال : بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن
عليه وعلى أحب الناس إليه ، في كلوتيه رشيق وفي ماله تليق فأرجع البصر
هل ترى من فطور ، ثم أرجع البصر كرتين بنقاب إليك البصر خاسئاً وهو
حسير ، فخرجت حدثت العائن وقامت الناقة لابس بها اه .

وقال عليه السلام : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله
اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن قضى بينهما ولد من
ذلك لم يضرب الشيطان أبداً » رواه البخاري في صحيحه .

وقال بعض المشايخ الكبار : بسم الله من العارف كن من الله .
وركتان من عالم زاهد تعدل بعبادة المتعبدين أبداً سرمداً ، وكان الشيخ
الكبير شمس الدين محمد بن حسن بن علي الشاذلي المعروف بالحنفي يقول :
من خوف ظلماً : إذا دخلت عليه فقل بسم الله الخالق الأكبر حوزاً لكل
خائف لا طاقة للخلق مع الله . وقال الحسن البصري : اسم الله الأعظم
الله الرحمن .

ومن فضائل هذا الاسم الشريف وفوائده ومناقبه وعوائده ما أحكامه
الشيخ الامام بركة الاسلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أسعد بن علي التياقي
رحمه الله في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان . قال قال بعض أهل التواريخ
قال الربيع بن يونس صاحب المهدي الخليفة بن المنصور العباسي قال للمهدي رحمه
الله خرجت يوماً إلى الصيد في غب سماء فلما أبحرت هاج علينا ضباب شديد
وفقدت أصحابي حتى مارأيت منهم أحداً وأصابني من البرد والجوع والمطش
ما الله به أعلم فتحيرت عند ذلك ثم ذكرت دعاء سمعته من أبي يحكيه عن
أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
من قال إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله للعالم
للعظيم وفي وكفى وهدي وشفي من الحرق والفرق والهدم وميتة السوء . فلما
قلتها رفع الله لي ضوء نار فقصصتها فإذا بأعرابي في خيمة له وإذا هو يوقد ناراً بين
يديه فقلت أيها الأعرابي هل من ضيافة فقال لامرأته هاتي ذلك الشمير فأنت
به فقال طحنه فابتدأت تطحنه فقلت اسقني فأني بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها
ماء فشربت منها شربة مارأيت شيئاً قط إلا هي أطيب منه وأعطاني حاساً له
يعني كساء رقيقاً وهو بالخاء والسين المهملتين بينهما لام ساكنة قال فوضعت
رأسي عليه ونمت نومة مائتة أطيب منها وألذ ثم انتهت فإذا هو قد وثب إلى
شويبة له فذبحها وإذا امرأته تقول ويحك فقلت نفسك وصديقك إنما كان معاشكم
منها فذبحناها فبأي شيء تعيش قال المهدي فقلت لأعليك هات الشاة فذقت
جوفها واستخرجت كبدها بسكين كانت في شقي فشرحتها ثم طرحتها على النار
فأكلتها ثم قلت له هل عندك شيء أكتب لك فيه كتاباً يخافني بقطعة من
جراب فأخذت عوداً من الرماد الذي بين يديه وكتبت له بكتبتاني خمسين ألف
درهم وما أردت إلا ألف درهم واسكن جري القلم بمئة مائة ألف درهم والله
لا أنقص منهما درهماً واحداً وما في بيت المال غيرهما . قال الربيع فما كان

إلا القليل حق كثرت إبل الاعرابي المذكور وغنمه وصار مكانه منزلاً من
للفازل ينزل الناس به إذا أرادوا الحج ويسمى منزله مضيف أمير المؤمنين
المهدي

ومما ينسب إلى هذا المصنف حكاية حكاها أيضاً سيدي اليافعي في كتابه
روض الرياحين تتعلق بما نحن بصدد من بيان فضيلة الذكر وغزارة مدده .
قال : قال بعض الشيوخ مرضت مرضة شديدة بثنت من نفسي وأبأس مني
من رأي قبيحا أنا في أشد ما كنت رأيت في المنام ليلة جمعة كأن رجلاً
دخل على فجلس عند رأسي ودخل بعماء خاق كثير وكانوا في وقت الدخول
يشبهون الطيور فلما جلسوا صاروا في صور آدميين فما زالوا يدخلون ويخرجون
إلى الباب فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدي بدخول
هذه البلدة لعيادة ثلاثة أهدم هذا وأوماً إلى بيده وآخر وهو صالح الخلقاني
بضم الخاء المعجمة وبالقف و بعد الألف نون و ياء للنسبة ولم أكن أعرفه
قبل ذلك وامرأة لم يسمها ثم وضع يده على جنبي وقال بسم الله حمى الله
توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمري إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله
ثم قال لي استكثر من قراءة هؤلاء الكلمات فإن فيهما شفاء من كل سقم
وفرجاً من كل غم وكربة ونصراً على كل عدو وأول من تكلم بهذه الكلمات
حملة العرش عليهم الصلاة والسلام حين أمروا بحمله ولا يزالون يقولون ذلك إلى
يوم القيامة . فقال له رجل كان على يمينه أو قال على يساره يا رسول الله فإن
قالها عند لقاء العدو فقال بخ بخ فتح ونصر وبشرى فظننت أنه أبو بكر الصديق
فقلت يا رسول الله هذا الصديق . قال هذا عبي حرة ثم أوماً بيده إلى من كان
على يساره وقال هؤلاء للشهداء . ثم أوماً بيده إلى من ورائه وقال هؤلاء
للمصلحون ثم خرج فأنهت وقد خرجت من علقتي وأصبحت أصبح ما كنت
والحمد لله العلي

وفي رسالة الإمام القشيري رحمه الله بسنده إلى أبي عمرو السكندري قال
 سررت يوماً بسكة فرأيت قوماً أرادوا إخراج شاب من الحلة لفساده وامرأة
 تبكي قيل إنها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له اليهم وقال هبوه مني هذه المرة فان
 عاد إلى فساد فشانكم به فوهبوه منه ففضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز
 بفلك السكة فسمع بكاء المجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب
 عاد إلى فساد فنفى عن الحلة فبكت عليه أمه فمدق عليها الباب وسألها عن
 حال الشاب فخرجت المجوز وقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب
 أجله قال لي لا تخبري الجيران بموتي فلقد آذيتهم وأنهم يشتمون بي ولا يحضرون
 جنازتي وإذا فنيته فهذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله فادفنيه معي فإذا
 فرغت من دفني فتشفتي لي إلى ربي قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن
 رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفي يا أماء فقد قدمت على رب كريم .
 قال شارحها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فيه دلالة على أنه تاب توبة بالغة
 حتى إنه تبرك باسم الله وتشفع به وبدعاء أمه . والتوبة نحو ما قبلها نقوله تعالى
 (وإني لغفار لمن تاب . وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وأما قول سيدنا
 عمر (توكلنا بالله) فتمقد لذلك فصلا في شرح أحرف بسيرة مما ورد في فضل
 التوكل والمتوكلين وذكر معنى التوكل وشرح ماهيته .

فصل في التوكل والمتوكلين ومعنى التوكل

اعلم أن التوكل هو الإيمان كله وعليه يدور فرعة وأصله .

فأما الآيات فقد قال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله
 جللى ذكره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقوله (وتوكل على الحى القى
 لا يموت) وقوله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) وقوله (فاتخذوه وكيلاً)
 وقوله (فيا رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

حولك فاهف عنهم واحتفقر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله
 (إن الله يحب للتوكلين) (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا
 الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (وقال موسى
 يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا
 ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ونجما برحمتك من القوم الكافرين) وقال جل
 ذكره (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) وقال تعالى (والله
 غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ومنا ربك
 بمقابل عما تعملون) وقال عز من قائل (قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو
 مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك
 أنبنا وإليك المصير) وقال (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) إلى غير ذلك من
 الآيات الزاهرات .

قال أبو ثور سمعت الشافعي رحمه الله يقول نزه الله نبيه ورفع قدره . فقال
 وتوكل على الحي الذي لا يموت . وذلك أن الناس في التوكل على أحوال شتى
 متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على صناعته أو على
 غلته أو على الناس وكل مستند إلى حي يموت وإلى ذاهب يوشك أن ينقطع
 فنهى الله نبيه عن ذلك وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت .

وأما الأخبار الواردة . بالروايات الصحيحة في فضل التوكل الذي
 هو شأن السادات ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتي
 سبعون ألفاً بغير حساب قيل يا رسول الله من هم الذين لا يكتبون ولا
 يسترقون ولا يتطربون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن فقال
 يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال
 يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك عكاشة رواه الإمام البخاري .

في صحيحه وقال فيه عن الربيع بن خيثم « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أي
مخرجه من كل ما ضاق على الناس وروينا أيضاً أنه قال عليه الصلاة والسلام
يدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفاً بغير حساب . وفي رواية مع كل واحد
منهم سبعون ألفاً .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة
البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فازددت ربي عز وجل فزادني مع كل
واحد سبعين ألفاً قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتي على أهل القرى وبصيب
من حافات البوادي . وقال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن
للغرور هو الاعتماد على ما لا يدوم والله تعالى هو الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال
وعطاؤه وفضله دائماً ولا يعتمد إلا على من يدوم عليك هذه الفضل والعطاء في
كل نفس وحين وأوان . وقال عطاء الخراساني رضي الله عنه لقيت وهب بن منبه
في الطريق فقلت حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامى وأوجز قال أوحى الله
تعالى إلى داود عليه السلام يا داود أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبدي
دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتسكده السموات السبع ومن فيهن والأرضون
السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً أما وعزتي وجلالي وعظمتي
لا يعقهم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم أن ذلك من نيته إلا قطعت أسباب
السموات للسبع من يده واسحت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك ،
وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان إلى جانبي رجل فسألته
عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتي فقلت ومن تأمل لما قد نزل بك فقال يزيد
فقلت إذا لا يسفك بحاجتك ولا ينجح طلبتك ولا يبغلك أملاك فقال وما عليك
رحمك الله قلت إني قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول وعزتي
(٢٠ - القرطاس)

وجلاله وجوده وكرمه وارتفاعه فوق عرشه في علو مكانه لأنظمن أمل
كل مؤمل لغيري بالاباس ولأ- كونه ثوب المذلة عند الناس ولأ- تحيئته من
قربي ولأ- قطعته من وصلي أيؤمل غيري إلى آخر ما ذكره .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله
أرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتروح بطاناً » . وقال : « من انقطع
إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن أنقطع إلى
الدنيا وكله الله إليها » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصاب أهله خصاصة قال : « قوموا
إلى الصلاة » ، ويقول : « أمرني ربي فقال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة
واصطبر عليها لا نسألك رزقاً) الآية » .

وهن عمر رضى الله عنه أنه لقي أناساً من أهل اليمن فقال : من أنتم قالوا :
متوكلون ، قال : كذبتم بل أنتم متأكلون ، ألا أخبركم بالتوكل ؟ رجل ألقى
حبة في بطن الأرض توكلها على الله تعالى .

وعن علي رضى الله عنه ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله
وأحسن منه تبه الفقراء على الأغنياء أنسكالا على الله تعالى .

وقال الإمام البغوي في تفسير قوله تعالى : (وتوكل على الله إن الله يحب
المتوكلين) . التوكل أن لا تعصى الله من أجل رزقك ، وقيل أن لا تطلب
لنفسك ناصراً غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره .

وقال الجليل رحمه الله في جوابات مسائل الشاميين : التوكل عمل القلب
والتوحيد قول القلب . وسئل الشيخ أبو تراب عسكر بن حصين النخشي عن
التوكل فقال : الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم .

وقال الشيخ رويم بن أحمد البندادي : الصبر ترك الشكوى والرضا

٢- فإذا البلى والتعلق بأهل الوثائق والتوكل إسقاط رؤية الوسائط .

وفي الإحياء قيل لأحمد بن حنبل ، ما تقول في الذي يجلس في بيته أو مسجده ويقول لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي ؟ فقال أحمد : هذا رجل قد جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى جعل رزقي تحت ظل رحمتي » وقوله حيث ذكر الطير : « تفدو خاصاً وتروح بطاناً » ، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتجرون في البر والبحر ، ويعملون في تخيلهم وللقدوة بهم واجبة .

وقال حمدون القصار : التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . وقيل لحاتم الأصم من أين تأكل ؟ فقال : والله خزائن السموات والأرض ولكن المتأفقون لا يفتقرون .

وقال أبو تراب المخشي : التوكل هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمانينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر وإن منع صبر . وعن سهل : التوكل حال للنبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن نفي عن حاله فلا يترك سنته . وعنه من طمن في الحركة فقد طمن في السنة . ومن طمن في التوكل فقد طمن في الإيمان .

(فائدة)

أفتى ابن عباس رضي الله عنهما فيمن أوصى بشيء للمتوكلين على الله ، أن ذلك يصرف إلى الزراع ، فإنهم يحراثون ويضمون البذر في الأرض فهم للمتوكلون ، وبهذا أفتى بعض الفقهاء .

وقال الرافعي والنووي في تفضيل الاكساب على بعض واحتج من فضل الزراعة بأنها أقرب إلى التوكل . وفي الشنب عن عمرو بن أمية الضمري

قال : قلت يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أعقلها وتوكل » .

وقال عمر : لا يقعد أحدكم في المسجد ويترك طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقني فإن ذلك خلاف السنة ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

وقال حجة الإسلام في كتابه الأربعين الأصل وحقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد ويظهر أثرها على الجوارح بملازمة الأعمال وذلك بكامل المعرفة وهي الأصل وأعني بها التوحيد فإنه إنما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا سوى الله تعالى ، وكال هذه المعرفة بترجمة قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، إذ فيه الإيمان بالتوحيد وكال القدرة والوجود والحكمة التي يستحق بها الحمد ، فمن قال ذلك صادقاً مخلصاً فقد تم توحيدده ، وكتب في قلبه الأصل الذي تنبعث منه حالة التوكل وأعني بالصدق فيه أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقدراته غالباً على قلبه لا يسع تقديره غيره ..

قال : وإنما حظ العموم أن يعتقدوا أن كل ما يصيبهم بقدرة الله ، وأن ذلك واجب الحصول بحكم الميثنة الأزلية ، فإنه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر ، وحصوله بقدر معلوم منتظر .

قال : وأما الركن الثاني في حال التوكل ومعناه ، فهو أن تسكل أمرك إلى الله تعالى ويثق به قلبك وتطمئن بالتقويض إليه نفسك فلا تلتفت إلى غير الله تعالى أصلاً ، ويكون مثالك مثال من وكل في خصومته في مجلس قاض من علم أنه أشفق الناس عليه ، وأقواهم على كشف الباطل عنه ، وأعرفهم به وأحرصهم عليه ، فإنه يكون ساكناً في بيته مطمئن القاب غير متفكر في حل الخصومة ، وغير مستمعين بإحاد الناس لعله بأن وكيله حسبه وكافية غرضه ،

وأنه لا يكافيه ولا يقاومه غيره ، فمن تحققت معرفته بأن للرزق والأجل والخلق والأمر بيد الله تعالى ، وهو متفرد به لا شريك له ، وأن جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا توازنها رحمة غيره وجوده ، أنكل عليه بالضرورة ، وانقطع نظره من غيره ، فإن لم يقطع نظره من غيره ، فليس ذلك إلا لضعف اليقين مما ذكرت أو لعدم احتيلائه على القلب .

وقال فيه أيضاً : وقد بطن الجهال أن شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوى وترك الدعاء ! وذلك خطأ وجهل بمواقع الشرع ، لأن ذلك هو استسلام المملوكات ، والإلقاء باليد إلى المملكات حرام جاء في نص الكتاب العزيز ، وسنة رسول الله النهى عنه ، وقد ورد ترك التداوى ليس من التوكل .

قَالَ : وأما الإدخار فالتوكل إذا كان مميلاً فله أن يدخر قوت عياله سنة ، كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عياله . وأما في حق نفسه فكان لا يدخر غذاء لمشائه .

(قلت) بمعنى أنه قد قال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . وقال والله ما رفعت رجلي فظننت إني أضمرها قبل أن أموت ، وما أرسلت طرفي وضننت إني أرحمه قبل أن أموت ، وما بنى لبنة على لبنة ، ولا وضع قصبة على قصبة . وإنه لما قال شاعره الصادق القائل :

كفاف من الدنيا كفاف ولم يزد ولا مال حاشاه لك ولا ملك
كراكب بحر ما حوى غير زاده يخفف أثقالاً ليسبرح بالفلك
كذلك أوصانا فيأسوء حالنا حملنا ثقالاً كيف بالله لا نبكي

ثم قال الفزالي : ولا شك أن طول الأمل يناقض التوكل . وقال إبراهيم

الخواص إذا أذخر المتوكل نفسه قوت أربعين يوماً ثم يبطل توكله وإن لم يكن مميلاً وقال سهل بن عبد الله التستري وإنما حده عند سهل أن يقنع بقوت يوم وليلة ويفرق الباقي انتهى ولكل مقام رجال .

قال وأما مباشرة الأسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل ومجرى السيل ودفع المرض بالأدوية فله درجات والقوى لا يخفى حاله . وأما الضميف الذي يضطرب قلبه فالأفضل له أن بدع طريق التوكلين ولا يحمل نفسه مالا تطيقه إذ فساد ذلك في حقه أكثر من صلاحه فان الأقوياء قد يسافرون في البراوى البعيدة الخالية عن الساكن يغير ماء ولا زاد وقد يطوى بعضهم أكثر من عشرين يوماً متوكلاً كما يعرف ذلك من أخبارهم وأفضلهم عيسى ابن مريم عليه أفضل الصلاة والسلام . أما الضميف إذا فعل ذلك فهو طاص ماق بنفسه في المهلكة . بل القوى لو حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا يجتاز به إنسان فذلك أيضاً حرام لأنه خالف سنة الله في خلقه وإنما جاز ذلك في البوادي لأن سنة الله جارية بأنها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الآدميون فإذا قوى كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً . فله أن يسافر في البادية متوكلاً على لطيف صنع الله تعالى انتهى مختصراً مما ذكره حجة الإسلام على ذلك في الأحياء فن أراد الازدياد فليطالع ذلك الكتاب يرى فيه للمعجب المعجاب .

(خاتمة) قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يئس من نفع نفسه فكيف لا يئس من نفع غيره لنفسى ورجوت الله لنفسي فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو السكيمياء والإكسير القدي من

حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل فيه وانفاق لا انقاد له وهو كيمياء أهل الفهم
عن الله تعالى .

وقال أيضاً رضى الله عنه صحبني إنسان وكان ثقيلاً على فبسطته يوماً فانبسط
فقلت يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتي قال يا سيدي قيل لي إنك تعلم الكيمياء
فصحبتك لأنهم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن أخالك
لا تقبل . قال بل أقبل . فقلت له نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء
وأحباء فأنظرت إلى الأعداء فقلت أنهم لا يستطيعون أن يشكوني بشوكة لم
يردني الله بها فقطعت خوفي منهم وتعلقت بالله . ثم نظرت إلى الأحباء فوجدتهم
لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يردني الله تعالى به فقطعت رجائي منهم وتعلقت
بالله تعالى فقيل لي إنك لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع رجاءك منا
كما قطعت من غيرنا أن نعطيكم غير ما قسمناه لك في الأزل ذكره الشيخ محمد بن
عباد في شرحه على الحسك .

وفيه أيضاً روى في بعض الآثار عن الله تعالى أنه قال عبدي أطمئني فيما
أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك . وفيه قال إبراهيم الخواص رضى الله العلم كله
في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضع ما استكفيت انتهى (قلت) يعني بما كفيت
هو الرزق الذي قد ضمن الله به وما استكفيت هو للمعبادة التي فرضها الله على
عباده . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)
قال بعضهم ما قدر لما ضيفك أن يضافه فلا بد أن يضافه فكاه ويمك بهز
ولأننا كاه بذل . وقال الحبيب عبد الله الحداد .

الذي قسم لك حاصل لديك والذي لفـيرك لا يصل إليك
فاستغل بربك والذي عليك في فرض الحقيقة والشرع المصون

وقلت في بعض النشيدات التي على حروف المعجم وهذا حرف القاف إلى
آخرها لمن يفهم .

فنع فؤادك يافتي بحقك لا تترض سيف القضا يشقك
واعلم بأن الله ضمن برزقك ورزق غيرك لا ينله صبقك
لو كنت صخر الحن ذى تمرد (حرف الكاف)

كلا برزقه قد حباه واليه لو لم يكن يسمى اليه ياتيه
مولى الأمم بارى للنسم يؤتیه هذا محقق لا يشك أحد فيه
فاعلم وحقق ذا وتردد (حرف اللام)

لذ بالذى صورك ريق نطفه واجرى عليك ادراجود عطفه
والقاف في حشو الحشامرفه بين النعم قافهم خفي لطفه
وأخرجك عارى في خبا مجرد . (حرف الميم)

مسكين في حد العدم والافلاس مالك قوى تمشى بهامم الناس
ولا بمقولاك وقوه إحساس عطف عليك أهلك ببشر وإيداس
فأترى أحد منهم ولاود : (حرف النون)

نهارهم والليل في صلاحك وهمهم بين الملا مناحك
واللبط والتزمير في صباحك يسمون في ما كدم وراحك
لو بعضهم في النار مانككود . (حرف الواو)

وايس هذا منهم بحيله منك ولا قدمت له وسيله
من خالق الأكوان في سبيله الا كرم جارى جرى سبيله
فاشكر على من ذا بذاك وأحد . (حرف الهاء)

هو الذى عافاك في عباده هو الذى سوى الوفا وأراده
هو الذى يستاهل العباده هو الذى يأتيك بالزيادة

هو الذي أهدى الهدى وسدد (حرف لام الألف)

لأن هـدانا بالنبي وقرب وأجرى لسقا بالكلم وعرب
فالحد والشكر الكثير للرب فيما بدالى من نعمه وأغرب

وانلتم صلى الله على محمد (حرف الياء)

يارب خصه بالصلا دائم وآله وصحبه نعمك الدائم
ذى كابدوا من أجلك العظام ولم يخافوا فيك لوم لائم
مع السلام المستديم سرمد (وقال بعضهم)

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه مستمدا وهو ان وليت عنه يتبعك

« وقال آخر »

لقد علمت وما الاسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
اسمى اليه فيعطينى تطالبه ولو جئت أتانى لا يعينى

« وقال آخر »

لا أعتب الدهر ولا أهله فى خط مقدار ولا منزله
نحن قسمنا بينهم قاله إلهنا والخلق والأمر له

« وقال المتنبى »

أبعين مفتقر اليك نظرتنى فأهنتنى وقذفتنى من حالقى
لست المعلوم أنا المعلوم لأننى أنزلت آمالى بغير الخالق

(فائدة) نقل الدميرى عن ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل ان عامر

أفريقه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو الهوام والمقارب فكتب اليه وماعلى
أحدكم إذا أمسى وإذا أصبح أن يقول . ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا
سبيلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون . قال زرعة

ابن عبد الله أحد رواة وينفع من البراغيث ، ونقل الدميري أيضا من كتاب الدعوات المستغفري عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا آذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرا عليه سبع مرات . ومالنا ألا نتوكل على الله الآية ثم تقول إن كنتم مؤمنين أيها البراغيث فكفوا شركم وإذا كم عمنكم ترشه حول فراشك فانك تبیت آمننا من شرها انتهى . ونقله الشرحي من تفسير الواحدى إلا أنه قال مسكان قوله إن كنتم مؤمنين أيها البراغيث إن كنتم آمنتم بالله .

(فائدة أخرى) تكتب هؤلاء الكلمات وتعمل في أنبوبة قصب وتدفن في الزرع أو الكرم فإنه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أهلك صفارهم وأقتل كبارهم وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن مما يشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واستجب منا يا أرحم الراحمين . وقال الدميري : هو عجيب مجرب .

تمة مهمة

تنبيه عن عظيم هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس . لما أراد الله بها من اللطف والرفقة والرحمة . ومن على برفع الهمة . وإنهاض العزيمة . في طلب شرح الحديث وفهمه وتفصيل حكمه .

قال الإمام النووي : في شرح صحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يكتفون ولا يسترقون . وعلى ربهم يتوكلون .

قال : وقد جاء في صحيح مسلم سبعةون ألفاً مع كل واحد منهم سبعةون ألفاً .
ثم قال الإمام النووي أيضاً : اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف
في حقيقة التوكل ، فحكى الإمام أبو جعفر الطبري وغيره عن طائفة من السلف
أنهم قالوا : لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه غير الله تعالى من سبى
أو عدو حتى يترك السعى في طلب الرزق ثقة بضم الله تعالى رزقه ، واحتجوا
بما جاء في ذلك من الآثار .

وقالت طائفة : حده الثقة بالله تعالى والإيقان بأن قضاءه نافذ ، واتباع سنة
نبيه صلى الله عليه وسلم في السعى ، فيما لا بد منه من الطعام والمشرب والتحرز
من العدو كما يفعله الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

ثم قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : وهذا المذهب اختيار
الطبري وعامة الفقهاء . والأول مذهب بعض المتصوفة ، وأصحاب علم القلوب
والإشارات . وذهب الحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور ، ولكن
لا يصح عندهم اسم التوكل مع الإلتفات والطمانينة إلى الأسباب بل فعل
الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نقماً ولا يدفع ضرراً والكل من
الله تعالى وحده .

ثم قال النووي : قال الإمام القشيري رحمه الله : اعلم أن التوكل محله
القلب ، وأما الحركة بانظامها فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يتحقق العبد
أن الثقة من قبل الله تعالى ، فإن تعمس شيء فبتقديره ، وإن تيسر فبتيسيره .
وقال سهل بن عبد الله النسري رضي الله عنه : التوكل الاسترسال مع الله
تعالى على ما يريد .

وقال أبو عثمان الحيري : التوكل الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه . وقيل
للتوكل أن يستوى الاكثار والتقل .

ثم قال النووي : اختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «م الذين لا يكتون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» .

فقال الإمام أبو عبد الله المازري : احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوى مكروه ، قال : وممظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره صلى الله عليه وسلم لمنافع الأدوية والأطعمة ، كالحبة السوداء واللقط والصبر وغير ذلك . وبأنه صلى الله عليه وسلم تداوى . وبإخبار عائشة رضي الله عنها بكثرة تداويه صلى الله عليه وسلم ، وبما علم من الاستشفاء برقاؤه . وبالحديث الذي فيه أن بعض الصحابة أخذوا على الرقية أجراً فإذا ثبت هذا حمل ما في هذا الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطلبها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى .

ثم قال النووي : قال القاضي عياض : قد ذهب إلى هذا للتأويل غير واحد ممن تكلم على الحديث ولا يستقيم هذا التأويل . وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء لهم مزية وفضيلة يدخلون الجنة بغير حساب ، وبأن وجوههم تضيء بإضاءة انقمر ليلة البدر ، ولو كان كما تأوله هؤلاء لما اختص هؤلاء بهذه الفضيلة لأن تلك هي عقيدة جميع المؤمنين ومن اعتقد خلاف ذلك كفر .

وقد تكلم العلماء وأصحاب الممانى على هذا ، فذهب أبو سليمان الخطابي وغيره : إلى أن المراد من تركها توكلها على الله تعالى ورضا بقائه وبلائه .

ثم قال النووي قال الخطابي : وهذه من أرفع درجات المتحققين بالإيمان ، قال الخطابي : وإلى هذا ذهب جماعة سمام .

ثم قال النووي قال القاضي : وهذا ظاهر الحديث ومقتضاه أنه لا فرق بين ما ذكر من السكى والرق وسائر أنواع الطب .

ثم قال النووي قال الداوردي : المراد بالحديث الذي يفعلونه في الصحة ،

فإنه يكره لمن ليس به علة أن يتخذ المنام ويستعمل الرقي . وأما من يستعمل ذلك ممن به مرض فهو جائز .

قال النووي : وذهب بعضهم إلى تخصيص الرقي والسكنى من بين أنواع الطب ، وأن للطب غير قادح في التوكل إذ تطيب صلى الله عليه وسلم والفضلاء من السلف ، وكل سبب مقطوع به كالأكل والشرب للقاء والرى لا يتدح في التوكل عند المتكلمين في هذا الباب ، ولهذا لم ينف عنهم التطيب ، ولهذا لم يحملوا الاكتساب للقوت وعلى الميل قادحاً في التوكل إذا لم يكن ثقتهم في رزقه باكتسابه ، وكان مقوضاً في كل ذلك إلى الله تعالى .

ثم قال النووي : والكلام في الفرق بين الطب والسكنى بطول وقد أباحهما النبي صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهما ، لسكنى أذكر منه نسكته تسكنى وهو أنه صلى الله عليه وسلم تطيب في نفسه وطب غيره ، ولم يكتو وكوى غيره ، ونهى في الصحيح عن السكى . وقال : « ما أحب أن أكتوى » .

قال النووي : والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطاى ومن وافقه كما تقدم ، وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يثبتوا في رفع ما أوقعه بهم ، ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها . وأما تطيب النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ليبين لنا الجواز .

قال النووي : في هذا الحديث - يعني حديث السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب - ذكر عظيم ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وأتمه زادها الله شرفاً وفضلاً .

الذكر السابع وشرحه

ثم ابتدأ سيدنا عمر في الإتيان بالذكر الحقيقى الذى كان الإنسان به هو الإنسان ، وصلاح للباس ثوب العرفان ، وكرع من شراب الإيمان ، وهو

التلفظ بالكلمة الهائلة على حقيقة الإيمان ، الذي فضل به أفاضل البشر
أفاضل لللائكة والجان . وكان من أمرهم ما كان . فقال رضى الله عنه وأعلى
حرجاته في أعلى الجنان :

(بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لاخوف عليه « ثلاثا »)

قال الشيخ على : قوله بسم الله الجامع متحصنا ومتعلقا بمراتب الإيمان
ومتحققا بها وذاكرا ومتعلقا ومتحققا إذ هي الفتوح العلية والمظهر الروحانية .
والمعاني السماوية والطوائف الملائكوتية والظاهر الأخروية فبتحققها يتحقق
للمكاشف أموره الأخروية وما يؤل إليه من الدرجات العملية والمقامات العلية
ويعمل على الكشف والعيان بمحقق الأعمال والطوائف الأحوال فيعمل على
بصيرة وصفو سريرة لذلك لاخوف عليه من المخاوف القاطمة والمهلك الصادة
عن الطريق والحاجبة عن التحقيق ، انتهى بما ذكره الشيخ على .

وقد آن لنا الآن أن نشرع في بيان فضائل الإيمان ، وتحقيق حقائقه وأقسامه
وأحكامه والأركان ، بما جاء في القرآن ، وما ورد من الأحاديث الحسان عن
سيد ولد عدنان . وأقوال السلف الأعيان . من أولى النظر والامعان والكشف
والعيان الذي غاية تحقيق حق الايقان . وذلك بحسب الطاقة والإمكان .
وإشار الاختصار في البيان . وإلا فهو البحر المتلاطم اللآلئ . الذي لا يدرك له
حد وليس في مده نقصان .

فأما الآيات فقد قال الله تعالى : (والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب) ، وقال تعالى . (الذين يقولون
ربنا إننا آمنّا فافقر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ، وقال تعالى : (وإذا سمعوا
ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق

ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأنابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) ، وقال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ، وقال تعالى : (آمنوا بالله) الآية ، وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) الآيات ، وقال تعالى : (قل آمنا بالله) الآية . وقال تعالى : (وإن تؤمنوا وتتقوا فلـكم أجر عظيم) وقال تعالى : (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) ، وقال تعالى : (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) ، وقال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) ، وقال تعالى : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) ، وقال تعالى : (وإذا تتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا) ، وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) الآية إلى غير ذلك من الآيات للكريات .

وأما الأخبار فقد روى في الصحيح عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام بنى على خمس شهادة أن لا إله إلا وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

وفي كتاب الرياض النضرة للذهب الطبري عن ابن عمر وغيره : « أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما بويع له بالخلافة اتخذ خاتماً نقشه

آمنت بالله مخلصاً ، وقيل آمنت بالذي خلق فسوى ، وقيل لتصبرن
أولتندمن » اهـ .

وعن وهب بن الورد قال : خرج رجل إلى الجبانة بعد هذه من الليل ، قال :
قسمت أصواتاً شديدة وحركة ، وجيء بسرير فوضع وجاء شخص فجلس عليه .
واجتمع عليه جنوده فقال لهم : من لي بهروة بن الربير فلم يجبه أحد حتى قال
ذلك ثلاث مرات ، فقال واحد منهم أنا ، فقال توجه نحو المدينة ، فتوجه إليها
ثم رجع سريعاً فقال لا سبيل لنا إلى عروة ، فقال ويلك ولم ذلك فقال وجدته
يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا يخاص إليه معهم أحد ، قل للرجل فلما
أصبحت خرجت حتى أتيت المدينة فدخلت على عروة فإذا بشيخ كبير فأخبرته
بما رأيت وسمعت ، وسألته ماذا يقول إذا أصبح وإذا أمسى ، فقال أقول
آمنت بالله العظيم وكفرت بالجيت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى
التي لا انفصام لها والله سميع عليم ثلاث مرات .

وعن أبي عمر سليمان بن عبد الله رضى الله عنه قال قالت يا رسول الله
قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل فيه غيرك . قال قل آمنت بالله ثم استقم
رواه مسلم وفى رواية الترمذى ثم قالت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على
فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا .

قال الإمام الذوى قال للملاء هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله
عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا
خوف عليهم) الآية . ثم قال جمهور العلماء ومعنى الآية والحديث آمنوا والزمو
طاعة الله تعالى .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ إن الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال قد قال الناس ثم كفروا أكثر من مات عليها
فهم من استقام أخرجهم الترمذى .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خرّج أبو داود في السنن عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمّنت بالذي خلقك ثلاث مرّات ثم قال الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم بالتين والزيتون فأنتهى إلى أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فأنتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى وعزة ربنا . ومن قرأ والمرسلات فبلغ قبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله تعالى أخرجه أبو داود بطوله والترمذي إلى الشاهدين .

وروى الامام أحمد مرفوعاً ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفراً وغيره فقال حين يخرج آمّنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزقه الله خير ذلك المخرج .

وروي في كتاب ابن السني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد هذا الوسواس فليقل آمّنت بالله ورسله ثلاثاً فإن ذلك يذهب عنه - الحديث .

وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى عليه السلام رجلاً يسرق فقال له عيسى سرقت قال كلا والذي لا إله إلا هو فقال عيسى عليه السلام آمّنت بالله وكذبت عيني . قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال القاضي ظاهر الكلام صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لي من ظهري سرقة فلمله أخذ ماله فيه حق بإذن صاحبه أو لم يقصد النصب والاستيلاء أو ظهر له من مد يده أنه أخذ شيئاً . فلما حلف له سقط ظنه ورجع عنه .

قلت اعلم أن هذه الآيات والأحاديث التي تقدمت هنا هي توطئة وتقدمة
وبيان وترجمة لمعنى قوله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه .

بيان حقيقة الإيمان

ولنشرع الآن في بيان حقيقة معنى الإيمان ونذكر بعده فوائد حسنا
ونشرح بعد ذلك فضل الإيمان ونجمل ذلك في ثلاثة فصول أفنان .
(الفصل الأول) في ذكر حقيقة الإيمان وعلامات أهله .
(الفصل الثاني) فيه فوائد تدل على منشأ الإيمان وأصله .
(الفصل الثالث) فيه بيان عظيم حرمة المؤمنين والإيمان وجزالة فضله .

الفصل الأول

في ذكر حقيقة الإيمان وعلامات أهله

وأخلاقهم وأعمالهم في أقوالهم وأفعالهم وما ينبئ أن يكونوا عليه
أما في القرآن فقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا
الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وإذا تلايت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون
الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم
ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين
لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى اللوت
وهم ينظرون) .

(قلت) فانظر كيف أثبت لهم الإيمان مع كراهتهم خروج الرسول من
بيته بالحق في طلب المشركين، وجداهم له في الحق بعد ما تبين ولا تطلب من
المؤمن أن لا يكره ما يفضي عليه ظاهراً وأن لا يجادل الوساطة بينه وبين الله

لنصفه ولأنه لم يبلغ حقيقة حق اليقين ، وإنما هو من أهل علم اليقين . والله أعلم .

وقال تعالى (وخافوني إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (الثائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) واسمع حقيقة الإيمان وصفة المؤمنين وما جاء به وعد الصدق لهم في كلام أصدق القائلين إذ قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه رواه جابر وأخرجه الترمذي عنه . وقال صلى الله عليه وسلم لما ذبن جبل الأنصاري رضى الله عنه حين دخل عليه وهو يبكي كيف أصبحت يا معاذ ؟ فقال : أصبحت بالله مؤمناً فقال صلى الله عليه وسلم إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أنى لا أمسى وما أمسىت مساء قط إلا ظننت أنى لا أصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله تعالى وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم .

وقال صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت يا حارثة ، فقال أصبحت مؤمناً حقاً . فقال إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ، فقال : عرفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها وحجرها وشدتها ورخاؤها وكأنى بعرش ربى بارزاً وكأن أهل الجنة فى الجنة يترأفون ويتنعمون . وكأن أهل النار فى النار يتماوون ويمذبون . فقال صلى الله عليه وسلم حارثة عبد نور الله قلبه عرفت فالزم .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لابنه عند الموت يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله للقلم فقال له أكتب قال يارب وما أكتب قال أكتب مقادير كل شىء حتى يوم القيامة يا بنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات على غير هذا فليس منى أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذى وعن مالك أنه بلغه أنه قيل لآباس ما رأيتك فى القدر ؟ قال رأى ابنتى ، يريد لا يعلم سره إلا الله وكان يضرب به المثل فى الفهم . وسأله رجل عن القدر فقال : ألسنت تؤمن به قال بلى ؟ قال : فحببك ، حدثنى على بن الحسين عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى ليس لهم فى الإسلام نصيب للرجئة والقدرية أخرجه الترمذى . ونقله الامام عبد الرحمن بن على الديلمى فى كتابه تيسير الوصول . ثم قال : القدرية الذين يقولون الخير من الله والشر من الانسان وأن الله لا يريد أفعال المصاة . والرجئة الذين يقولون لا تفتر مع الإيمان معصية ومأزاد القدرية فإن من مذهبهم تحليد صاحب الكبيرة فى النار إذا لم يتب

ها وإن كان مؤمناً وكلاهما يخالف لأهل السنة والجماعة هكذا ذكره العلماء .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
إيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن أخرجه أبو داود . ومعناه أن الإيمان يمنع
ومن أن يفتك بأحد ويحميه أن يفتك به فكأنه قد قيد الفتك ومنعه من
سعى فهو له قيد .

وفي كتاب الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطمان ولا اللعان ولا الفاحش
لا البذى . قال الترمذى حديث حسن .

وفي كتاب الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
وعن أنس رضى الله عنه قال قل ما خطبنا رسول الله إلا قال : لا إيمان
بن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له .

وعن أبي موسى الأشعرى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل
للمؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل للمؤمن
لذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل الفاجر الذى
يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها . ومثل الفاجر الذى لا يقرأ
القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، صحيح أخرجه البخارى عن قتيبة
عن أبي عوانة عن قتادة .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطبّع المؤمن على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب رواه الامام أحمد .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الإيمان . من إذا رضى لم يدخله رضاه إلى باطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه عن حق ، وإذا قدر عفا » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله » .

وعن أبى امامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان » أخرجه أبو داود .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم » أخرجه الترمذى والنسائى .

وعن صفوان بن سليم قال : قيل يا رسول الله أيبكون المؤمن كذاباً ، قال : « لا إنما يفترى الكاذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون » رواه الإمام مالك .

وروى الإمام البخارى بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله أصحابه : « يا أيها الذين آمنوا لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تاتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني فى معروف ، فمن أوفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فموجب فى الدنيا فموجب فى الآخرة » . ومن أصاب من ذلك

شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » قال عبادة رضى الله عنه : فبايعناه على ذلك .

(قلت) وبهذا الحديث وما فى معناه يستدل على أن غير الشريك لا يوجب التخليد فى النار ، وللملأء فى ذلك كلام طويل نورد إن شاء الله بعد قليل بما يشفى العليل ويبرد الغليل ، وبعضه قد تقدم متفرقاً من أول هذا القراطيس ، وإنا الذى سيأتى طرف منه هنا جميل جميل . الأول من الجملة . والثانى من التجميل فى فصل الفوائد من هذا الباب الفضيل وبالله التوفيق وإليه المرجع .

وقال عليه الصلاة والسلام يوماً لطائفة من أصحابه : « ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم ؟ فقالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر على الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال : مؤمنون ورب الكعبة » .

وفى رواية أنه قال : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع عليه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على خديه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت . فمجئنا له يسأله ويصدق ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت . فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ، قال : فأخبرني بأماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » ثم أنطلق فلبث ملياً ، ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم أصراً دينكم . (قلت) : انتحى الحديث الجليل القدر فتدبره وتفهمه لعلهم ما تم .

وعن طلحة بن عبد الله القرشي التيمي رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أهل نجد ثائر الرأس يسم دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل على غيرهن ، قال : لا إلا أن تطوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، فقال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، وذكر له الزكاة ، فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، فأدبر وهو يقول : لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلاح إن صدق ، وأدخل الجنة إن صدق » أخرجه الستة إلا الترمذى .

وعن أبي داود « أفلاح وأبيه إن صدق » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يؤمن بالله ولليوم الآخر فليؤد زكاة ماله » فافهم والزم ما تم . ولا تظن أن قولك لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولك آمنت بالله من غير إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، واجتناب ما حرم الله ينفذك هيهات ثم هيهات ، فإن المنافقين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام من لم يؤد الزكاة فليس بمؤمن .

وقال الحسن البصري رحمه الله : إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تميم الناس بميم هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك الميم من نفسك فتصلحه ، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك كان شذلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك وما سمع الخلائق بيوم قط أكثر عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة .

وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » أخرجه مسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي ولفظه : « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » . وفي أخرى له ولأبي داود « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

وعن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة ، أخرجه الترمذي .

وعن مالك قال : كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله « إن أهم أموركم عندى الصلاة ، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا على ثلاثاً لا تؤخرها : الصلاة إذا دخل وقتها ، والجنابة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفواً » أخرجه الترمذي .

(قلت) : وسمعت من علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « التأني من الرحمن ، والهجلة من الشيطان » .
إلا في خمس خصال وهي : الصلاة إذا دخل وقتها ، والجنائز إذا حضرت ،
والأبم إذا وجدت لها كفواً ، وقرى الضيف إذا وجد ، وقضاء الدين
إذا حل .

وقال عليه السلام : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه » فتدبر يا أخى هذا الحديث ، ولا تكره المؤمن إلا ما تكرهه نفسك
إن كنت تريد كمال إيمانك .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمن بصفات كثيرة منها هذا
الحديث الذى جمع محاسن الأخلاق ، لأن صفات الإيمان هي الدين كله ويجمعها
حسن الخلق .

وقد قال أهل العلم : حسن الخلق ثلاثة أشياء : بذل الندى وكف الأذى
وطلاقة الوجه .

ومنها قوله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم
ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم جاره ، ومن كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقال عليه السلام : « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » .

وقال عليه السلام : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه باقن
الحكمة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين » .

وعن الحارث بن سويد قال : حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
حديثين ، أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر عن نفسه ،
فقال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل ، يعنى وقد أشفى على
السيوط يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه

فقال به هكذا بيده فتذبه عنه ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فدام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الجوع والمطش ، قال ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده وشرابه ، قال أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » أخرجه الشيخان والترمذي ، وزاد في رواية مسلم . ثم قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح . الدوية : الصحراء التي لا نبات فيها .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » متفق عليه . وفي مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » . وفي رواية لمسلم : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » والبوائق الفوائل والشرور ، فانظر كيف كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم القسم بالله ثلاثاً أن من لا يأمن جاره بوائقه لا يؤمن أى لا يكون مؤمناً . وهذا الفصل من أوله مفعود لتحقيق وصف حقيقة الإيمان فافهم .

وقال عليه السلام لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكره .

في فضل علي وآل البيت ومحبتهم

(قائدة) ومن العلامات الدالة على صدق الإيمان محبة الإمام علي بن أبي طالب وجميع قريبي محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم عترته وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين لما صح عنه رضي الله عنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق أخرجه مسلم ، وأخرجه أبو حاتم وقال وذرا النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق أخرجه الترمذي ولفظه عهد إلى من غير قسم وقال حديث حسن صحيح هكذا نقله الطبري في كتاب الرياض النضرة ثم قال ومعنى قوله وذرا أى خلق والنسمة النفس وكل ذى روح فهو نسمة .

وفي كتاب الرياض عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق أخرجه أحمد ، وعن اللطاب بن عبد الله بن خطيب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أوصيكم بحب ذى قرينها أخى وابن عمى علي بن أبي طالب فإنه لا يحببه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبني . ومن أبغضه فقد أبغضني أخرجه أحمد في اللئاق ، وعن الحارث الهمداني قال رأيت عليا على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قضاء قضاء الله على لسان نبيكم النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق أخرجه ابن فارس . وفي كتاب الرياض المذكور عن محمد بن الحنفية أنه قال لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ولاء لعلي وأهل بيته . وتلا قوله تعالى : « إن الدين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أخرجه الحافظ السلفي ، وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ليس آية في كتاب الله عز وجل يا أيها الذين

آمنوا إلا وعلى أولها وأميرها وشريفها . الحديث أخرجه أحمد في المناقب .
وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا مانهر في المنافقين
إلا يفضهم علينا أخرجه أحمد في المناقب .

وفيه عن عبد الله بن سلام قال : أذن بلال بصلاة الظهر فقام الناس
يصلون فن بين . راكم وصاجد . وسائل يسأل فأعطاه على خاتمه وهو راكم
فأخبر السائل النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
راكمون) أخرجه الواحدى وأبو الفرج والفضالى .

وفيه عن سلمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت
أنا وعلى نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ،
فلما خلق الله آدم قسم ذلك للنور جزئين فجاء أنا وجزء على أخرجه الإمام أحمد
في المناقب .

وفيه عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على منى بمنزلة
رأسى من جسدى خرج الملاء . وفيه عن أبي صالح قال لما حضرت عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما الوفاة قال : اللهم إني أتقرب إليك بولاء على بن
أبي طالب أخرجه أحمد في المناقب .

وفيه عن عبد الله قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع
للمهاجرين والأنصار إلا ما كان في سرية أقبل على يمشى وهو متفضب فقال :
من أغضبه فقد أغضبنى فلما جلس قل له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حالك
يا على قال ؟ قال : آذاني بنو عمك ، فقال : يا على أما ترضى أنك تسكون
معى في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا وأشياءنا عند
أيماننا وشمائنا أخرجه أحمد في المناقب .

وفيه عن عبد الله بن الحارث قال : قلت لعلي أخبرني بأفضل منزلتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم قال بيننا أنا نأثم عنده وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال يا علي ما سألت الله عز وجل من الخير إلا وسألت لك مثله وما استعذت الله من الشر إلا استعذت لك مثله أخرجه الحافظ .

شعب الإيمان وخصال المؤمنين

فاعلم وافهم يا أخى واعرض لإسلامك وإيمانك على هذه الآيات والأحاديث .
 لأن كنت متخلفاً بشيء منها فخطأك من الإيمان بقدر ما أوتيت منها . وإلا فاجتهد في تحصيلها واعلم بالله . وعليك بالنصيحة للمؤمنين عامة لا تحبداً أحداً منهم على نعمة أنعم الله بها عليه فتسلب الإيمان إذا لم تحب لأخيك ما أحبهته نفسك مع أنك لا تقدر ببسط ولا بمنع ولا بضر ولا بدفع ولا جلب ولا دفع . إنما تدرك الثواب وتسلم من العذاب وترجع نفسك وتشرفها ببينتك وإرادتك لخير لعامة المؤمنين كما ورد نية المؤمن خير من عمله ونية المنافق شر من عمله .
 إن لم تقدر على إيصال الخير إليهم فاجتهد أن تسكف شرك عنهم وتقبط يدك .
 لسانك من الوقوع في أعراضهم وأموالهم فقد ورد أن حقوق المؤمن على مؤمن ثلاثة أن يمدحه فلا يذمه وأن يسره فلا يغمه وإن لم ينفعه فلا يضره .
 قد قيل من كفى الناس شره فقد قام بمحقوقهم .

فاعلم وافهم واعمل تقم وتكرم وإياك ثم إياك أن تقول بمجرد لسانك مناً بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه وتفضل عن تحقيق ذلك بقلبك فإن ذلك لا ينجي عليك قليل النعمة .

وقد ورد في نص القرآن والحديث ذم المنافقين والكافرين والأعراب أشباههم من المسلمين حيث قنعوا بالشور دون الباب فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا بما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولم

حذاب أليم بما كانوا يكذبون) الآيات وقوله (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا
عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)
وقوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا) وقوله (يا أيها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) .
وقال تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم إن أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون) . الآيات وقال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم
مشركون) وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى الله
جمل فتنة الناس كمذاب الله وإن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو
ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليملن الله الذين آمنوا وليملن المنافقين)
وقوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطمنا ثم يقول فريق منهم من
يعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) إلى قوله (إنا كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى
الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية إلى غير ذلك من الآيات
والأخبار مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا إله إلا تدفع عن العباد سخط
الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم . وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صدقة
دنياهم على آخرتهم فإذا فعلوا ذلك ثم قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم
السم بها صادقين .

قال العلماء ومعلوم إن كل ما عابه الله على الكفار فالسلمون أولى بالانتزه
منه . فأنصح لنفسك قبل حلول رمسك . وقد قال عليه السلام عليك بمخصال
الإيمان وهي جهاد أعداء الله بالسيف والصوم في أيام الصيف وحسن الصبر عند
المصيبة وترك المراء وأنت محق وتبكير الصلاة في يوم القيم وحسن الوضوء في
أيام الشتاء وترك ردغة الخبال وفسرها بشرب الخمر . وقد ورد ثلاث
مخصال من الإيمان أن يحتلم الرجل في الليلة الباردة فيقوم فيغتسل لا يراه إلا
الله تعالى ، والصوم في اليوم الحار ، وصلاة الرجل في الأرض القلاة لا يراه إلا الله

عز وجل فجعل هذه الخصال وغيرها من الإيمان وهو دليل إمامنا الشافعي رضي الله عنه على أن الطاعات كلها من الإيمان كما نقله عنه العلماء وشرحوه في كتبهم المعتمدة وسيأتي تحقيق ذلك في فصل الفوائد من هذا الباب باختصار ومبسوطاً في آخر الكلام على قوله حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد ورد للصبر نصف الإيمان وورد للؤمن أمره خير كله إن ابتلى صبر أو أعطى شكر الحديث لم يحضرني فأورده بلفظه وهذا معناه فلا شك أن الإيمان كله إنما هو صبر وشكر لله تعالى قال الله تعالى (ولربك قصبر) وقال (أن أشكر لي ولوالديك إلى الصبر) وقال عليه الصلاة والسلام « احبسوا على المؤمنين ضالتهم العلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم أو خيركم ألبسكم منكم في الصلاة وهم للمؤمنون حتماً . وقال عليه الصلاة والسلام للمؤمن هين أين جواد سمح المؤمن فطن حذر وقاف متثبت عالم ورع وهم الغالبون وهم المفاحون المحبون لله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل رواه ابن أبي الصيف البجلي رحمه الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكم الله ورسوله أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه .

وقال الشعراني في كتابه تنبيه المفتريين ومن شرط كامل الإيمان أن يكون ما وعده للشارع به غيباً كالحاضر عنده على حد سواء . ثم قال ومن عنا تقدم من تقدم وتأخر من تأخر انتهى .

(قلت) ويؤيده قوله تعالى (الذين يؤمنون بالذئب ويقومون الصلاة وما رزقناهم ينفقون وللذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة)

هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لا يزيف عنه » رواه الحجة الطبراني .

قال الإمام المقدسي وذلك سهل على من حصل الإيمان الحقيقي بالله والدار الآخرة فذاق طعم الإيمان وحلاوته ودخل نوره إلى قلبه فعرف ربه فأحبه ومن أحب شيئاً أتبعه هواه ومال عن غيره ووالاه وحبك للشيء يسمى ويصم .

قال ومنى قوله تبعا لما جئت به أى يميل بطبعه إليه كحجوباته الدنيوية وملذذاته النفسية ولا يجد في الإتيان بأوامره ولا في اجتناب نواهيه مشقة كما قال بعض الأئمة جاهدت الصلاة عشرين سنة وتنفعت بها بقية العمر فن ظفر بهذا الإيمان وفاز بهذه الأخلاق كيف يضيق صدره لشيء من أمر رسول ربه الناصح المبعوث رحمة وهو حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال له الرب الكريم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً .

قال وكل هذه الشروط مأخوذة من الآية والحديث العظيم قدرهما والناس في غفلة عن معناها والله المستعان ونسأله التوفيق للعمل بها آمين انتهى ما ذكره المقدسي .

ومنه أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم .

وفي معناه قال الإمام النووي رويناه في صحيح البخاري رضى الله عنه قال : قال عمار رضى الله عنه ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك (٢٢ - القرطاس)

وبذل السلام والإنفاق من الإقتار . قال الإمام النووي بعد ما أورد هذا الحديث قد جمع عمار رضى الله عنه في هذه الكلمات خيرات الدنيا والآخرة قال وعلى هذه الثلاث مدار الإسلام لأن من أنصف من نفسه فيما لله تعالى عليه والأخلاق وللنفس من نصيحتها وصيانتها فقد بلغ الغاية من الطاعة . وقوله بذل السلام للعالم بفتح اللام بمعنى الناس كلهم كقول النبي صلى الله عليه وسلم وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف وهذا من أعظم مكارم الأخلاق وهو متضمن للإسلامة من المعاداة والحقد والحسد واحتقار الناس والتكبر عليهم والارتفاع فوقهم . وأما الإنفاق من الإقتار فهو الغاية في السكرم . وقد مدح الله سبحانه وتعالى على ذلك . فقال (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وهذا عام في نفقة الرجل على زوجته وضيافته والسائل منه وكل نفقة في طاعة الله تعالى وهو متضمن للتوكل على الله تعالى والاعتماد على سعة فضل الله والثقة بفضائه الرزق ويتضمن أيضاً الزهد في الدنيا وعدم ادخار متاعها وترك الاهتمام بشأنها والافتخار والتكبر بها ويتضمن غير ما ذكرت من الخيرات لكنى أوثر في هذا الكتاب الاختصار البليغ خوفاً من المال انتهى كلامه نفع الله به .

وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يأنف ولا يؤلف .

وقال صلى الله عليه وسلم لما ذ بن جيل رضى الله عنه يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير يعلم أن عليه رقيباً على سمعه وبصره ولسانه وبده ورجله وبطنه وفرجه حتى اللمحة ببصره وفات الطين بأصبعه وكل عمله وجميع سميه . القرآن دليله والشوق مطيته . والوجل شماره والصدق وزيره . يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من هوى نفسه وشهواته وحال بينه وبين أن يهلك بإذن الله .

وقال عليه الصلاة والسلام إذا رأيتم الرجل يمتد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال عليه السلام : إذا سئل أحدكم مؤمن هو ، فلا يشك في إيمانه .
وقال عليه الصلاة والسلام إذا سرتك حسناتك وصامتك سيئاتك فأنت مؤمن ،
وقال عليه الصلاة والسلام أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات وأشرف الجهاد أن تقتل وتمقر فرسك رواه ابن عمر وزاد بن الفجار في تاريخه كما نقله السيوطي في جامعه وأشرف الزهد أن يسكن قلبك على ما رزقت وإن أشرف ما يسأل من الله عز وجل للمافية في الدين والدنيا والآخرة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا . ولا يجتمع في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم . ولا يجتمع في قلب عبد إيمان وحسد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .
وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ماشئت فإنك ميت وأعمل ماشئت فإنك مجزى به وأحبب ماشئت فإنك مفارقة وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس رواه الطبراني بإسناد حسن .

فانظر إلى هذين الحديثين وإلى صحة روايتهما وما اشتملا عليه من أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن وأن شرف المؤمن قيام الليل وعزه هو استغناؤه عن الناس فاجتنب الأولى بنهاية جهدك ولا تسكرهن ما يمن الله به من فضله العظيم الواسع في الدين والدنيا والآخرة على من يشاء من عباده وأنزم الخصالين اللتين هما شرف المؤمن وعزه ترشد إن شاء الله والسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق رواه الترمذي رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه فهاتان الخصلتان تعيجتان لا يجتمع معهما كمال الإيمان قايمان صاحبهما ضيق يؤول والعياذ بالله إلى

سلب أصل الإيمان عند استحكام تلك الصفة ويؤدي ذلك إلى الخوف من سوء الخاتمة نمود بالله من ذلك ونسأله كمال العافية .

وقال عليه الصلاة والسلام أعظم الناس هما المؤمن يهتم بأمر دنياه وآخرته .
وقال عليه الصلاة والسلام ما يصيب المؤمن من وصب ولا غم ولا حزن حتى
الهم يهيمه الا كفر الله به من سيئاته . وروى عن عيسى عليه السلام انه قال
لا يكون عالمًا من لا يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما
يرجو بذلك من كفارة خطايا . وقد قيل لا ينجو المؤمن من علة أو عيلة أو
قوله أو ذلة .

وقال عليه الصلاة والسلام أغبط الناس أو قال أغبط أوليائي عبده ومن
خفيف الحاذق حفظ من صلاة وكان رزقه كفافاً فصبر عليه حتى يلقى الله .
وأحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس عجبت منيته . لا يشار إليه بالأصابع ثم
نقر يده هكذا فقال وقل ترائه وقلت بواكيه وقال صلى الله عليه وسلم إن
الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الحياء والإيمان في قرن فإذا سلب أحدهما تباه
الآخر رواه ابن عباس . وقال عليه السلام أفضل الإيمان الصبر والسماحة رواه
معقل بن يسار وقال عليه السلام أن لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة
الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه رواه
أبو الدرداء .

وقال عليه الصلاة والسلام الاسلام علانية والإيمان في القلب رواه أنس .
وقال عليه الصلاة والسلام الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن وقال الإيمان
خفيف عن المحارم غفيف عن المطامع . وقال الإيمان بالنية واللسان والمهجرة
بالنفس والمال . وقال الإيمان بالقدر نظام التوحيد وقال الإيمان وللعمل أخوانه

يرتد كان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه رواه ابن شاهين في النية عن
 هلى . وقال أيضاً للإيمان نصفان فنصفه في الصبر ونصفه في الشكر رواه أنس .

وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون
 الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن
 يعود في الكفر بعد أن أبده الله منه كما يكره أن يلقى في النار رواه أنس . وقد
 قدمنا قريباً أنه ورد في الحديث الصبر نصف الإيمان قال بعض العلماء وذلك أن
 جميع الطاعات لا تنال إلا بالصبر ولا ينتهى عن المحالفات وتحمل للشقات وتسهل
 للمصائب إلا به . وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال
 إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والمعبادة . والمنافق همته في الطعام
 والشراب كالبهيمة .

صفات المؤمن الصادق

وقد جمع يحيى بن معاذ رضى الله عنه جملة من صفات المؤمن فقال أن
 يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل
 الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير البر لرحمة وصولاً وقوراً
 صبوراً شكوراً كثير الرضا عن الله تعالى إن ضيق الله عليه الرزق رقيقاً
 باخوانه حليماً عفيفاً شفوفاً لالماً ولا سباباً ولا عيباً ولا نماماً ولا مفتاباً
 ولا مجولاً ولا حسوداً ولا حقوداً ولا متكبراً ولا ممجباً ولا راغباً في الدنيا
 ولا طويل الأمل ولا كثير النوم والغفلة ولا صرائياً ولا منافقاً ولا بخيلاً هشاشاً
 جشاشاً لا جساماً ولا حساماً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله زاده
 تقواه وهمته عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسميه لأخراه وذكر نحو
 ثلاثين وثلاثمائة وصفاً ذكرنا من جعلها هذه انتهى .

النفاق وأثره في القلب

وقال حاتم الأممي للؤمن مشغول بالفكر والعبر والمناق مشغول بالحرص والأمل وازمن يأس من كل أحد إلا من الله . والمناق راج من كل أحد إلا من الله وللؤمن آمن من كل أحد إلا من الله . والمناق خائف من كل أحد إلا من الله . والمؤمن يقدم ماله دون دينه . والمناق يقدم دينه دون ماله . والمؤمن يحسن ويبيكي والمناق يسيء وبضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة . والمناق يحب الخلطة والملا . والمؤمن يزرع ويحشى الفساد . والمناق يقطع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى لسياسة فيصلح والمناق يأمر وينهى للرياسة فيفسد .

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه الإيمان يبدو في القلب نكتة بيضاء فكلما ازداد الإيمان ازداد البياض فإذا استكمل الإيمان أبيض القلب كله . وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان على رأسه كالأقطة فإذا نزع أى تاب عاد إليه الإيمان أخرجه أبو داود والترمذي وزاد الترمذي قال محمد الباقر رحمه الله تفسيره يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، نزع أى أقطع عن القلب وفارقه بالتوبة . وما بذلك على تحقيق حقيقة الإيمان للمعقود هذا الفصل من أصله لأجله . لأنه الأصل . ما يروى أن رجلا من بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتا من الذهب ولم ينفع بملء فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لهذا الجامع لو جمع أكثر من هذا لم ينفعه إلا أن يعمل بثلاث أن لا يحب الدنيا فإبست بدار المؤمنين ولا بصاحب للسلطان فليس يربق المؤمنين ولا يؤذى أحدا من الناس فليس بحرفة المؤمنين وقال صلى الله عليه وآله وسلم . أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام

وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فيه شعبة من النفاق حتى يدعها . من إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا أوتى خان . وإذا خاصم فجر . وفي لفظ آخر وإذا عاهد غدر . قال الفزالي بعد إيراد هذا الحديث وقد نسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق . إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والملاينة واختلاف القاب واللسان وللدخل والمخرج ومن ذا الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكيفية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة إن كان الرجل منا ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات قلت وحذيفة هذا هو صاحب السر الذي هو حق اليقين الذي أودعه إياه سيد المرسلين يميز به بين اللقبين عليه من المؤمنين الصالحين والمنافقين الماذنين حتى إن أمور المؤمنين ضررت الخطاب كان يقول له إذا أقيمه بالله عليك يا حذيفة هل ترى في شيئاً من علامات المنافقين . فانظر إلى خوفهم من هذه الالهة التي لا يكاد يتخلص منها إلا من كان كما قال الفزالي من الصديقين والمقربين . وقد أشار إليهم ربهم تعالى في كتابه المبين بقوله (والذين يؤمنون بما آتوا وتلوهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) أي أنهم يحسنون ويحافظون ربهم من فوقهم ويقتلون ما يؤمرون والسلام .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن المؤمن لا تسكن روعته حتى يخاف جسر جهنم ورائه . وقال عليه السلام لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وقال عليه الصلاة والسلام ذاق طعم الإيمان من رضى به الله رباً ولا سلام جونا ومحمد نبياً قائمهم سر قوله من رضى .

وقال عليه السلام من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة . الحديث رواه أبو سعيد وقال عليه السلام من قال حين يصبح وخين يمسي ثلاث مرات رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه . وقال الحسن البصري رضى الله عنه إن المؤمن جمع بين إحسان وخوف . وإن المنافق جمع بين إساءة وأمن . قلت واليه الإشارة بقوله تعالى (والذين يؤمنون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) جاء في التفسير أنهم يحسنون وقلوبهم خائفة من عدم القبول .

(خاتمة)

قال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح الدينية وأعلموا مماثر الأخوان أن من رضى بالله رباً ثمه أن يرضى بتدبيره واختياره له وأن يرضى بمر قضاؤه وبما قسمه له من الرزق وأن يداوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ويحتجب محارمه ويكون صابراً عند بلائه شاكراً لنعماؤه محباً لقائه راضياً به وكليلاً وولياً وكفيلاً مخلصاً له في عبادته ومتممداً عليه في غيبته وشهادته لا يفرغ في المهمات إلا إليه ولا يعمل في قضاء الحاجات إلا عليه ولا يطعم إلا فيما لديه سبحانه وتعالى ، ومن رضى بالإسلام ديناً عظم حرمانه وشماثره ولم يزل مجتهداً فيما يؤكده ويزيده رسوخاً واستقامة من العلوم والأعمال ويكون به مقتبطاً ومن سلبه خائفاً ولأهله محترماً ولمن كفر به مبغضاً وممادياً ، ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً كان به مقتدياً وبهديه مهتدياً ولشرعه متبعاً وبسنته مستمسكاً ولحقه ممظاً ومن للصلاة والسلام عليه مكثراً ولأهل بيته وأصحابه محباً وعليهم مترضياً ومترحمًا وعلى أمة مشفقاً ولهم ناصحاً .

ثم قال ينبغي لك أيها المؤمن أن تطالب نفسك بتحقيق المعاني ولا تنقع

بمجرد القول بالاسان فانه قليل الجدوى وإن كان لا يخلو عن منفعة انتهى من النصائح مختصراً فتدبره .

وقد قال عليه السلام إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، وقال عليه الصلاة والسلام إذا دخل نور الايمان في القلب انشرح وانفسح قيل هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الفرور والانابة إلى دار الخلود والاستماد للموت قبل نزوله فينضح لك بهذا الحديث وما قبله وما بعده أن علامة قوة الإيمان هي الزهد في الدنيا والله أعلم .

(مهمة جلية)

قال الشيخ محمد بن عباد في شرح الحسك ومن عظيم نعم الله على العبد ايجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبه وأمدادها وكذلك كراهية الكفر والمنصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا للوسيلة اليها ولولا تولى الله تعالى تبتك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالة وغرق في بحار الجهالة . وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل (ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) ثم قال القشيري وإن من فسكر في صروف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس في البدع والأهواء وتشعب كل قوم من مختلفي الاجل والآراء ثم فسكر في ضمه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الأمور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته إلى الاستمانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونفى وجه توحيدته عن غيره الشرك وصفي عين عرفانه عن وهج الشك علم أن ذلك ليس من طاعة ولا بجهده وكده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى (واسبغ

عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عاينكم من ظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لهديك متواترة .

ثم قال ابن عباد فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعلمه .

قال بعض العارفين من نظر في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار وقال ذو النون المصري ما هو قريب من هذا ، من كان في توحيده ناظرا إلى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره إليه في توحيده إياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة .

فائدة : ومن أسماء الله الحسنى اسمه المؤمن (قال) بعض العلماء في شرح الأسماء الحسنى المؤمن . من قرأه أو دخله معه بقى في أمن الله تعالى وكذلك ما معه من المال لا يقدر عليه سلطان ولا غيره .

قال الشيخ أحمد زروق اسمه تعالى للأؤمن خاصيته وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الإيمان في العموم لذا كره . ومن ذلك أن يذكره الخائف ستاً وثلاثين مرة فإنه يأمن على نفسه وماله ويزداد ذلك بحسب القوة والضعف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الفصل الثاني

في فوائد مهمة

تتعلق بالإيمان من علم الوصول والمقائد لا يستغنى طالب التحقيق عن معرفتها نقلها من كتب النووي المتمدة ومن كتاب بحر الأنوار لسيدي العمري وغيره مما لا يحصى ولا يند من الكتب ولا يستغنى .

(الفائدة الأولى) قال الإمام محمد بن علي المعروف بابن نورث.

في كنز العلوم.

أعلم أن حقيقة الإسلام قيام البدن بوظائف الأحكام وحقيقة الإيمان قيام القلب بوظائف الاستسلام وحقيقة الإحسان قيام الروح بمشاهدة الملام ثم قال وهذا كله لا يصح إلا بالعلم ومعرفة المعلوم لأن من جهل شيئاً أنكره فلا تصح العبادة إلا بمعرفة المعبود فإذا لا بد من العلم حينئذ ضرورة وللمعلم مهبة وكيفية وكمية . فاما الماهية فهي العلم ثم المعرفة ثم للشاهدة إلى آخر ما قل .

وقال الإمام النووي في المجموع . وأما أصل واجب الإسلام وما يتعلق بالعبادة فيمكن في فيه التصديق بكل ما جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاده اعتقاداً جازماً سليماً من كل شك ولا يتمين على من حصل له هذا العلم معرفة أدلة المتكلمين ، هذا هو الصحيح الذي أطبق عليه السلف والفقهاء والحققون . من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم فإن للنبي صلى الله عليه وسلم لم يطالب أحداً بشيء سوى ما ذكرناه وكذلك الخلفاء الراشدون ومن سواهم من الصحابة فمن بعدهم من الصدر الأول بل للصواب للموام وجاهير المتفهمين والفقهاء السلف من الخوض في دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق إلى عقائدهم بهضم عليهم لإخراجه بل للصواب لهم الاقتصار على ما ذكرناه من الاكتفاء بالتصديق الجازم وقد نهر على هذه الجلة جماعات من حذاق أصحابنا وغيرهم وقد بالغ إمامنا الشافعي رحمه الله في تحريم الاشتغال بعلم الكلام أشد بالغة وأطنب في تحريمه وتغليظ العقوبة انماطيه وتقييد فعله وتكظيم الانتم فيه . فقال لأن باقى الله المبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام والمفاظه بهذا المعنى كثيرة مشهورة ، وقد صنف الفزالي رحمه الله في آخر أمره كتابه المشهور الذي سماه « الجوامع العوام عن علم الكلام » وذكر أن الناس كلهم عوام في

هذا الفن من الفقهاء وغيرهم إلا الشاذ الفادر الذي لا تسكاد الأعصار تسمع
بواحد منهم والله أعلم انتهى كلام الإمام النووي .

وقال سهل المستري رحمه الله عليكم بالاعتداء بالأثر والسنة فاني أخاف
أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر الإنسان النبي صلى الله عليه وسلم والاعتداء
به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وأذلوه وأهانوه^(١) .

أهل السنة والمعتزلة

وقال سهل أيضاً إنما ظهرت البدعة على أيدي أهل السنة لأنهم ناظروهم
وقارولهم وظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم
ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شيء وحمله إلى
قبره انتهى (قلت) ولا بأس بالإجابة لهم عند سؤالهم قطعاً لجدالهم وذلك بالتى
هى أحسن لقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .
وقد حكى أن القاضى عبد الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة دخل على
الصاحب ابن عباد وعنده الأستاذ أبو اسحاق الاسفراينى أحد أئمة أهل السنة
فلما رأى الأستاذ قال سبحان من تنزه عن الفجشاء فقال الأستاذ مجيباً له بالإشارة
على الفور سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء .

فقال القاضى عبد الجبار أيضاً ربنا أن يعصى فقال الأستاذ أفيعصى ربنا
قهرأ . وقرأ وقضى . قال القاضى أرايت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى
أحسن إلى أم أسأ . فقال الأستاذ إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك
ما هو له فيختص برحمته من يشاء .

وقد روى أن رجلاً من الخوارج قال لعلى رضى الله عنه أرايت من جبنى

(١) قد أتى أوكد وهذه كرامة سهل

سبيل الهدى وسلك بي سبيل الردى أحسن إلى أم أساء . فقال على إن كنت
قد استوجبت عليه حقاً فقد أساء وإن كنت لم تستوجب عليه شيئاً فهو
يفعل ما يشاء .

القدر سر الله في الأرض

وسأل رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه أيضاً فقال يا أمير المؤمنين
أخبرنى عن القدر فقال للقدر طريق مظلم لا نسلكه فأعاد السؤال . قال بحر عميق
لا تلجه . فأعاد السؤال قال سر الله في الأرض قد خفى عليك لا تفتش عنه .

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات
للقدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها ونفعها وضرها .
قال الله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فهو ملك الله تعالى يفعل ما يشاء
ولا اعتراض على المالك فى ملكه ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله .

ثم قال الإمام أبو المظفر السمعانى سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من
الكتاب والسنة دون محض القياس وبمجرد المقول فمن عدل عن التوقيف فيه
ضل وتاه فى بحار الخيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمن به القلب .
لأن القدر سر من أسرار الله ضرب دونه الأستار اختص به الله تعالى وحجبه
عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وواجب أن نقف حيث حد لنا
ولا نتجاوزه وقد طوى الله تعالى علم القدر عن العالم فلم يعلمه بنى مرسل ولا ملك
مقرب وقيل إن سر القدر يتكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا يتكشف قبل دخولها
والله أعلم .

ثم قال الإمام النووى وفى هذه الأحاديث النهى عن ترك العمل والانكسار
على ما سبق به القدر بل تحبب الأعمال والتكاليف التى وردت شرع بها وكل
ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره . ومن كان من أهل السعادة يسره الله تعالى

لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله تعالى لعملهم كما
قال الله تعالى فمنيسره لليسرى وللمسرى

ثم قال وعلم الله بما قدره على عباده وأراد من خلقه أزلى لأول له ولم يزل
مريدا لما أَرَادَهُ من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر انتهى .

وقل أيضاً أعلم أنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع
ومذهب أهل الحق أن الله تعالى يريد لجميع الكائنات خيراً وشرها ومنها
الإيمان والكفر فهو سبحانه وتعالى يريد لإيمان المؤمن ومريد لكفر الكافر
خلاقاً للمنزلة في قولهم إنه أراد إيمان الكافر ولم يرد كفره تعالى الله عن قولهم
للباطل فإنه يلزم من قولهم إثبات المعجز في حقه تعالى وأنه وقع في ملكه ما لم
يرده . وقال ميمون بن مهران أفيضان القدرى سَلْ فَأَقْوَى مَا تَكُونُونَ إِذَا
سَأَلْتُمْ فَقَالَ غِيلَانُ أَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْنَى فَقَالَ مِيمُونُ أَيَمْنَى كَارَهَا
فَانْقَطَعَ غِيلَانُ .

وروى أن رجلاً قال لبزرجهر : تعال تنظر في القدر ، فقال : وما نصنع
بالمناظرة في القدر ، رأيت ظاهراً استدلت به على باطن ، ورأيت أحق مرزوقاً
وعاقلاً محروماً ، فعلت أن التدبير ليس للمباد .

وروى أنه لما قتل كسرى بزرجهر ، وجد في منطقته كتاب فيه : إذا
كان القدر حقاً فالحرص باطل ، وإذا كان القدر في الناس طباعاً فائقة بكل
أحد عجز ، وإذا كان الموت بكل أحد نازلاً فالطأئينة إلى الدنيا حتى .

قلت : فن سأل أو أجاب ليفهم أو يفهم غيره الخطاب ، فالجواب
والسؤال بمنزلة هذا الخطاب هو الصواب . وأما ما رأيته من صنيع بعضهم .
إذا صنف كتاباً رد فيه على الرافضة حتى وقع في سب أهل البيت ، وأبطل من
الحقوق ما لا يخفى فهو محض الحماقة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقال للمعري في بحر الأنوار : اعلم أن الإيمان ثلاثة أشياء : اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه ، فمن أخل بالاعتقاد فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق .

(الفائدة الثانية) : قال المعري : الإيمان هو التصديق بالقلب ، بمعنى تصديق القلب بما جاء عن الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، كالوحديد ، واللبوة ، والبعث ، والجزاء ، واقتراض الصلوات الخمس ، والزكاة ، والحج ، والصيام . والمراد بتصديق القلب إذعانه وقبوله للحق وللتكليف بمقتضاه .

(الفائدة الثالثة) : قال عليه للصلاة والسلام : « الإيمان بضع وسبعون باباً ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إمالة الأذى » .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : هذه الأحاديث المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق ، سواء أكان الأذى شجرة تؤذي أو غصن شوك أو حجراً يثر به أو قذراً أو جيفة أو غير ذلك . قال : وإمالة الأذى عن الطريق من شمع الإيمان . قال : وفيه التنبيه على عظيم فضيلة كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضرراً .

ثم قال قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق - أي ينعم بملاذها بسبب قطعه الشجرة » .

قال سيدي المعري : الشهادة من الإيمان بالله ، والإمالة من الإيمان بالله وعلى هذا ففس .

(الفائدة الرابعة) : قال المعري الراسخ في العلم من ارتقى من درجة الإيمان إلى درجة الإيقان بالمشاهدة والعيان ببصائر القلوب كما في مقام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .

قال على رضى الله عنه : لو كشف المطاء ما أزددت يقيناً وقال لما سئل هل ترى ربك ؟ قال : لم أعبد رباً لم أره .

قال الامام القشيري في رسالته : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول وقد سئل عن ذات الله تعالى : فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الايمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون في المقبي ظاهراً في ملكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنهه ذاته ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعيون لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال الجنيد : أشرف كلمة في التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه سبحانه من لم يحل خلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالاجز عن معرفته .

قال القشيري رحمه الله : ليس يريد الصديق أنه لا يعرف عجز عن الموجود دون المدوم كالمقعد عاجز عن قموده ، إذ ليس بكسب له ولا فعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية عند الحقيقتين ، معنى كما قالوا العجز عن درك الاداك إدراك . وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه في الانتهاء ضرورة اهـ ما ذكره القشيري رحمه الله .

قال العمري : فمن وصل إلى هذا المقام فيعاني ويرى التشابهات ببصيرة القلب كمعرفة الله وصفاته تعالى ، ومعرفة الملائكة والجن والجنة والنار وأمثالها ، والحشر والنشر والقيامة والحساب والميزان والهراط كحد للسيف ، وأن الجنة في أعلا عليين ، والجحيم في أسفل سافلين ، وكل ذلك جسمانيات ولا يترك ظواهر الآيات والأخبار للدالة عليها بانسكار المقول والمقلاء ، فمن علم ذلك يقيناً فيكون راسخاً في العلم ، ومن لا يكون بهذه الثابة فهو كواحد

من العامة ، وإن كان مجتهداً راسخاً في فروع الاسلام فتكون طريقه في ذلك التمسك بدين المجاز . وهو الايمان والتصديق كما نقول العامة ، فيقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء من عند رسول الله ، وهذه طريقة التفويض ، وهذا مذهب السلف وهو أصح ، والتأويل مذهب الخلف وهو أحكم .

مذاهب الأئمة في المتشابهات وعدم تكفير المتأولين

وقد اختلفوا رضى الله عنهم في المتشابه ، هل يؤول ؟ أو يفوض عنه حقيقته إلى الله . ويرى كل من القولين عن الأشعري رحمه الله انتهى كلام الممرى .

(قلت) ثم اعلم أنه لا ينبغي لمثنين أن يكفراً أحداً من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الاسلام كذا نقله الشمراني عن الشيخ أبي طاهر القزويني .

ولقد تمجبت أنا من قبح عبارة الشيخ اسماعيل الترمذي في كتاب الردة من روض الطالب له ، حيث قال : ومن لم يكفر طائفة ابن عري فهو كافر وتمجبت أيضاً من عدم إنكار الشيخ زكريا عليه في إسناديه إلا باعتذار لطيفه عما صار إليه .

وإنما الصواب ما نقله للشيخ عبد الوهاب الشمراني عن الشيخ ابن عبد السلام أنه نقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري ، أنه رجع قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة . قال : لأن الجهل بالصفات ليس جهلاً بالموصوف . ثم قال الشمراني : ومذهب الجمهور من علماء السلف والخلف عدم تكفير أحد من التأولين ، فلم يجهلوا أحداً منهم كافراً ولا مكذباً للرسول ، وقالوا : لو كان المتأولون مكذبين للرسول كالكفرة لم يمتنعوا بتأويل كلامه ^(١) صلى الله

(١) من التأويل ما يعود على الأصل بالابطال كتأويل القرامطة والباطنية الملاحدة = (٢٣ - القرطاس)

عليه وسلم ولم يشتغلوا به ، بل كانوا يضربون عنه صفحا ، فأشمر عدوهم إلى تأويله بإيمانهم بتزييله ، وأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله فاخطئوا فيه ، فكان حكمهم حكم من قرء من الكفر فوق في البدعة بخطه .

وكان إمام الحرمين رحمه الله يقول : لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من العبارات عما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع في غير مطمع ، فإن هذا بعيد المدرك وهذه المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق ، لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق .

وكان أبو العباس الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون : لا نكفر أحداً من أهل المذاهب الإسلامية ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فله مالنا وعليه ما علينا » .

وقد سئل الإمام على رضى الله عنه عن المخالفين له من الفرق أ كفار هم ؟ قال : لا إنهم من الكفر قروا ، فقيل : أ منافقون هم ؟ فقال : لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً ، فقيل : أى شيء هم ؟ قال : قوم أصابهم فتنة فعموا فيها وصموا ، اه ما نقلته من كتاب اليواقيت والجواهر للشعرائى نفع الله به .

وفي كتاب قواعد الامام النووي رحمه الله قال : « مسألة » مذهب أهل الحق الايمان بالقدر وإثباته ، وأن جميع الكائنات خيرها وشرها بقضاء الله تعالى وقدره وهو يريد لها كلها ويكره المماضى مع أنه يريد لها الحكمة يعلمها الله .

تتمة والقاديانية والاسماعيلية والبهائية وأضرابهم فهؤلاء تأويلهم مكرر بلاشك وما فصلوا إلا لإبطال الإسلام جعودا له وليس منه تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة فافهم .

سبحانه وتعالى ، وهل يقال إنه يرضى المعاصي ويحبها فيه مذهبان لأصحابنا
المسكمين حكاهما إمام الحرمين وغيره .

قال إمام الحرمين في الارشاد : مما اختلف أهل الحق في إطلاقه ، المحبة
والرضا . فقال بعض أئمتنا لا يطلق القول بأن الله يحب المعاصي ويرضاها
لقوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) .

قال : ومن حقق ما قال أئمتنا لم يلتفت إلى تهويل المعتزلة ، بأن الله تعالى
يريد الكفر ويحبه . والارادة والمحبة والرضا بمعنى واحد ^(١) ، وقوله تعالى :
(ولا يرضى لعباده الكفر) المراد به العباد الموقفون للإيمان ، وأضيفوا إلى
الله تعالى تشریفاً كقوله تعالى : (عينا يشرب بها عباد الله) أى خواصهم
لا كلهم والله أعلم .

(الفائدة الخامسة) روى البيهقي بسنده قال جاء رجل إلى الامام مالك
فقال يا أبا عبد الله كيف الاستواء فاطرق الامام مالك رأسه حتى علاه لرحضاء
ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وما أراك الا مبتدعاً ثم أسره به أن يخرج . وقد سئلت عن ذلك
عقيل مالك أم سلة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (الرحمن على
العرش استوى) فقالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به
واجب والجحود له كفر أورده شيخ الاسلام في شرح الرسالة وفي أصلها .
وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال استوى
عنه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء . وفي الرسالة أيضاً قال جعفر
للصادق رضى الله عنه من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد

(١) الارادة غير المحبة والرضا ، وانكفر من الكافر . راد له تعالى ولكنه
مكروه له غير محبوب ولا مرضى فاعرف هذا بيننا .

أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا
ولو كان من شيء لكان محدثا (قلت) فعلى هذا يكون معنى الاستواء كما قال
أهل التحقيق من أئمة الأمة هو الاستيلاء والقهر والاحتاطة وانشدوا في معناه
قول القائل .

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq
انتهى فتدبره ترشد إن شاء الله وبالله التوفيق لطريق التصديق والتحقيق .
بما يليق بجلال الله الحق الحقيقي .

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

(الفائدة السادسة) قال العمري (فرع) لإيمان ثلاثة علم اليقين وهو
ماحصل من نظر واستدلال علم قطعيًا ، وعين اليقين وهو ماحصل من مشاهدة
وعيان ، وحق اليقين وهو ماحصل عن الميزان مع المباشرة فالأول كلين علم بالمادة
أن في البحر ماء . والثاني والثالث كمن خاض فيه واغتسل وشرب منه . فعلم
اليقين يكتسب ، وعين اليقين حاله وحق اليقين فنائه وهو الذي حق استقراره في
القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدائل آخر فما كل علم يقين يحق له هذا
الاستقرار وإلا فأين يقين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من يقين آحاد الأمة .
(نسكتنه) يقال يقن الماء في الخوض إذا استقر واليقين عبارة عن ظهور
نور الحقيقة في قلب الموقن في حال كشف الستار البشرية بشاهد الذوق
والوجد لا بدلالة العقل والنقل والإيمان نور من وراء الحجاب . واليقين نور
عند كشف الحجاب وبالحقيقة هما نور واحد غير أنه إذا كان من وراء الحجاب
يقال له نور الإيمان وإذا باشر ذلك قلب المؤمن عند رفع الحجاب صار يقينًا
فأفهم فقال الإيمان كذبة الفجر إلى الشمس فقد ذهب جزء من سواد الليل

حرم تطلع الشمس ومثال اليقين طلوع الشمس حيث زالت الظلمة بالسكينة .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان ثابت في القلوب واليقين خطرات .
 (الفائدة السابعة) قال العمري الإيمان خطرات عند غيبتهم عن
 الحضرة . واليقين ثابت لدوام الحضور فمن صح علمه صحت عقيدته ومن صحت
 عقيدته صح إيمانه ومن صح إيمانه صحت معرفته ومن صحت معرفته صح
 توحيده ومن صح توحيده في الدنيا صحت رؤيته في الأخرى . فالإيمان هو
 أصل اليقين . وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فروعه وبعضها أبلغ من
 بعض . وقد جاء في الخبر الإيمان يقين كله . وقد حكى عن الشيخ معروف
 السكرخي أنه قال لحاتم الأصم زادي أربعة أشياء أرى الدنيا والآخرة مملوكة
 لله وأرى الخلق كلهم عبيد لله وعباده ، وأرى الأرزاق والأسباب كلها بيد
 الله . وأرى قضاء الله نافذا في خلقه في جميع أرض الله نفعا الله تعالى
 بهما آمين .

(الفائدة الثامنة) قال العمري اعلم أن عذاب القبر حق وهو واقع
 على الروح والجسد والإيمان به واجب كما ورد به للكتاب والسنة ويجب
 الإيمان بوجود الجنة والنار في علم الله تعالى . وأما تعيين محلها فلم يرد به نص
 صريح فيتعين ذلك . والأكثر على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت
 العرش لقوله تعالى عند مدرة المفهى عندها جنة المأوى وقواه عليه السلام
 سقف الجنة عرش الرحمن وأما النار أجازنا الله منها فهي تحت الأرضين السبع
 وقد ورد أن الماء المالح طبق جهنم انتهى كلام العمري . ونقل الشيخ الشمراني
 في كتابه اليواقيت عن محبي الدين بن عربي أنه قال أهل للكشف كلهم
 يرون البحر المالح الآن يتأجج ناراً قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء
 بماء البحر مع قولهم تجوز الطهارة به . وكان بعضهم يقول التيمم أحب إلى من

ماء البحر قال وقوله تعالى وإذا للبحار سجرت أى عادت ناراً تتأجج ونقل عنه الشيخ محي الدين بن عربي أنه قال ولما أطلعني الله على النار رأيت من دركات النار من حيث كونها ناراً ما شاء الله أن يطلعني ورأيت منها موضعاً مستمر للظلمة نزلت فيها ما شاء الله أن أنزل فعدت من ذلك الوقت كل عمل يتطور ناراً وكل عمل يتطور نعيماً . وعلمت أن عذاب جهنم ما هو من جهنم حقيقة وإنما هو من أعمال الداخلين . ونقل عنه من الباب الحادى والستين . من الفتوحات للسكية أنه قال اعلم أن الله تعالى يحدث في جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها . قال وقد أوجدها الله بطالع النور ولذلك كان خلقها على صورة الجاموس . قال وهكذا رأيها في كسفى ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطفون فيها المقامع قال وكذلك رأها أبو الحاكم ابن برجان من طريق كسفى .

تممه الكلام في المتشابهات

(الفائدة التاسعة) قال الامام الفورى في شرح صحيح مسلم قال القاضى عياض الله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وسلم فيها ورد في هذه الأحاديث التى تذكر فيها الصفات الالهية المشككة ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته لا تشبه شيئاً به ولا يشبهه بشيء ايس كمثل شيء وهو السميع البصير ، وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه فهو حق وصدق فما أدركنا علمه فبفضل الله تعالى وما خفى علينا آمنابه ووكلفنا علمه إليه سبحانه وتعالى وحملنا لفظه ما احتمل في لسان العرب الذى خرطبنا به ولم نقطع على معناه بعد تنزيهه . سبحانه عن ظاهره الذى لا يليق به سبحانه وتعالى وبالله التوفيق .

وقال الامام الفورى في مقدمة كتابه المجموع (مسألة) قال أبو عمر ابن اليريس الفتى إذا استفتى في شيء من المسائل الكلامية أن يفتى بالتفصيل

بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك أو في شيء منه وإن قل
 ويأمرهم بأن يقتصروا فيها على الإيمان جملة من غير تفصيل ويقول فيها وفي كل
 ما ورد من آيات للصفات وأخبارها المتشابهة إن الثابت فيها في نفس الأمر
 ما هو اللائق فيها بحلال الله تبارك وتعالى وكأله وتقديسه المطلق فيقول ذلك
 معتقدا فيها وليس علينا تفصيله وتمييزه وليس البحث عنه من شأننا بل نكمل
 علم تفصيله إلى الله تعالى ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا والسفتنا فهذا ونحوه
 هو الصواب من أئمة الفتوى في ذلك وهو سبيل سلف الأمة وأئمة للذاهب
 للمعتبة وأكابر العلماء والصالحين وهو أصون وأسلم للعامة وأشباههم ومن كان
 منهم اعتقدا اعتقادا باطلا تفصيلا في هذا صرف له عن ذلك الاعتقاد الباطل بما هو
 أهون وأيسر وأسلم وإذا عزر إلى الأمر من حاد منهم عن هذه الطريقة فقد
 تأسى بعمرو بن الخطاب في تمزيق صبيغ بفتح الصاد المهملة الذي كان يسأل عن
 التشابهات، قال والمتكلمون من أصحابنا معترفون بصحة هذه الطريقة وبأنها
 أسلم لمن سلمت له . وكان الفزالي منهم في آخر أمره شديد المبالغة في الدعاء إليها
 والبرهنة عليها ، وذكر شيخه امام الحرمين في كتابه الغياني أن الإمام يحرص
 ما أمكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف في ذلك قال وقد استفتي
 الفزالي في كلام الله تبارك وتعالى فكان جوابه . وأما الخوض في أن كلام الله
 تعالى حرف وصوت أو ليس كذلك فهو بدعة وكل من يدعو العوام إلى الخوض
 في هذا فليس من أئمة الدين وإنما هو من الضالين . ومثاله من يدعو الصبيان
 الذين لا يحسنون السباحة إلى خوض البحر ومن يدعو الزمّن المقعد إلى السفر
 في البراري من غير مركوب . ثم قال للفوزي قال الفزالي في رسالة له للصواب
 لاخلق كلهم الا الشاذ الفادر الذي لا تسمح الأعصار الا بواحد منهم أو اثنين
 سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل والتصديق الجميل بكل ما أنزله الله تعالى
 وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير بحث وتفتيش والاشتغال بالتقوى
 فقيه شغل شاغل .

وقال الامام النورى فى شرح صحيح مسلم واعلم أن مذهب أهل السنة
وما عليه أهل الحق من الخلف والسلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا
على كل حال فإن كان سالماً من المماصى كالصغير والجنون الذى اتصل جنونه
بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المماصى إذا لم يحدث
معصية بعد توبته والوفى الذى لم يلم بمعصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخلون
الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف فى الورد
والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم عاقبنا الله منها
وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى
فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول . وإن شاء عذبه القدر
الذى يريد سبجانه ثم يدخله الجنة فلا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد
ولو عمل من المماصى ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل
من أعمال البر ما عمل .

ثم قال فهذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق فى هذه المسئلة وقد تظاهرت
أدلة الكتاب والسنة واجماع من يعتمد على هذه القاعدة وتواترت بذلك
نصوص تحصل العلم القطعى .

ثم قال الامام النورى فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ماورد
من أحاديث الباب وغيره فاذا ورد مثلاً حديث فى ظاهره مخالفة لها وجب تأويله
عليها لتجمع بين نصوص الشرع .

وقال الشيخ محمد العمري فى كتاب بحر الأنوار يجب جزم الايمان والاعتقاد
قطعاً بالخلود المؤمن فى الجنة ولا كافر بالخلود فى النار وأن من مات مؤمناً
طامعاً فهو تحت المشيئة إما أن لا يدخل النار بموافقه أو مع الشفاعة وإما أن يذب
بقدر ذنوبه ثم يدخل الجنة فيجوز أن يفقر الله ما دون الشرك من الذنوب .

وأما للشرك فلا يدخله المفقور ولا المخفورة لقوله تعالى (إن الله لا يفتقر إن يشرك به ويفقر مادون ذلك لمن يشاء) انتهى .

(الفائدة العاشرة) قال القرافي أجمع أكثر أهل العلم على أن الإيمان للتقليدي لا يكون صاحبه ناجياً من النار يوم القيامة لأنه يجب معرفة الله بالليل وقالوا الإيمان الكامل اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان انتهى . قلت ويخالف ما ذكره القرافي هنا ما قدمناه في الفائدة الأولى وغيرها مما ذكره النووي في أن التصديق بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاده اعتقاداً جازماً سليماً من كل شك يدوم يكفي في ذلك فلا يلزم العامة غير التصديق .

نعم قال النووي في المجموع ولو تشكك والعياذ بالله في شيء من أصول العقائد مما لا بد من اعتقاده ولم يزل شكه إلا بتعلم دليل من أدلة المتكلمين وجب تعلم ذلك لازالة الشك وتحصيل ذلك الأصل انتهى .

ثم قال (فرع) اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا فقال قائلون تناول على ما يليق بها وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين . وقال آخرون لا تناول بل نمسك عن الكلام في معناها ونسكل عنها إلى الله تعالى ونعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه فيقال مثلاً تؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم معنى ذلك والمراد به مع أنا نعتقد أن الله تعالى ليس كمثل شيء وأنه منزّه عن الحلول وسمات الحدوث . قال وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم وهي أسلم إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك فإذا اعتقد التنزيه فلا حاجة إلى الخوض والمخاطرة فيما لا ضرورة له بل لا حاجة إليه فإذا دعت حاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ قول وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في ذلك والله أعلم .

الم في بحث الله آدم على صورته

وقال الله في شر محيى له صلى الله عليه وسلم إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب وجه فإن خاف أن يقاتل أخاه فليجتنب وجهه فإن الله خلق على صورته فهو من حيث الصفات قال وقد سبق في كتاب الإيمان بيانها واضحاً وطأوا نؤمن بأنها وأن ما غيرهم جهور السلف وأجود سلم ولا الله تعالى وأنا من كنهه ثم ورواه بعضهم الله تعالى خلق آدم أهل الحديث بأن من رواه بأهل الحديث غلطاً في الحقيقة في الله تعالى لا كال وهذا للتركيب وكما مركب من الله تعالى مصوراً ثم قال قال به المازرى رأوا أهل البيت يقولون لا كالأجسام فقالوا جسم ما يقتضيه أما جـ وصـ دليل الحدوث

ثم قال قال بمعنى يرى والتأليف من ابن قتيبة في قوله صورة لا كالصور مع أن ظاهر هذا الحديث على رأيي يقتضى خلق آدم على صورته فالصورتان على رأيه فإذا قال لا كالصور فتناقض كلامه ويقال له أيضاً إن أردت يقولك صور لا كالمركب فليس له أن يقولك صورته فليست بصورة حقيقة

ولست اللفظة على ظاهرها وحينئذ يكون موافقاً على أنفقاره إلى التأويل .
 واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة الضمير في صورته عائد على الأنح
 للضروب وهذا ظاهر رواية مسلم . وقال طائفة يعود إلى آدم وفيه ضعف .
 وقالت طائفة يعود إلى الله ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله
 تعالى ناقة الله وكما يقال في السكبة بيت الله ونظائره والله أعلم .

(قلت) وعلى تقدير صحة الرواية التي ذكرها للزري أن بعضهم رواه بلفظ
 إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فليس فيه إثبات مراد ابن قتيبة وهو
 إثبات الصورة بل العرب تقول للصورة للذليحة للقبولة عندهم صورة رحمانية .
 ولهذا قال الشاعر :

ما زلت يوم الهاشمية معلماً بالسيف درن خليفة الرحمن

فيكون معنى الحديث إن الله خلق آدم على صورته للذليحة الرحمانية التي
 يجب إجلالها عن ضرب الوجه وأن يستحضر عند رؤيتها الصانع الحكيم الذي
 خلقك فسواك فمدلك في أي صورة ما شاء ركبك ثم إن من إجلال الله إجلال
 ذي الشبهة المسلم .

(نكتة) قال النووي في شرح صحيح مسلم اختلف العلماء في تكفير
 من جهل صفة من صفات الله تعالى ثم قال : قال القاضي عياض وعن كفرة
 بذلك ابن جرير الطبري وهو قول أبي الحسن الأشمري أولاً . وقال آخرون
 لا يكفر بجهل الصفة ولا يخرج به عن اسم الإيمان بخلاف جدها وإليه رجع
 أبو الحسن الأشمري وعليه استقر قوله قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع
 بصوابه ويراه ديناً وشرعاً وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته الفاسدة حق . ثم
 قال الإمام النووي : قال هؤلاء لو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها ،
 قليلاً اه .

(الفائدة الحادية عشرة) سئل الحسن رضى الله عنه أمؤمن أنت

حقاً؟ فقال للسائل إن أردت ما يحقن به دمي وتحمل به ذبيحتي ومناكحتي فأنا مؤمن حقاً وإن أردت ما أدخل به الجنان وانجو به من النيران ويرضى به الرحمن فأنا مؤمن إن شاء الله .

(قلت) رقول الحسن في الاستثناء ، هو للخروج من دعوى السكّال وليعلم السائل أنه غير آمن من مكر الله لما ثبت في صحيح البخارى عن أبى مُلَيْكَةَ قال : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرأ كلهم يخاف النفاق على نفسه ولا يأمن السكر على دينه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام ، وله دليل آخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم حين زار القبور أنتم السابقون وأنا إن شاء الله بكم لا حقون مع تيقن اللوت بقوله تعالى : كل نفس ذائقة الموت لكنه صلى الله عليه وسلم قد أسره ربه تعالى بالاستثناء عند كل قول بقوله تعالى : لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله . قال العلماء : فيه اضمار وتقدير ومعناه إلا قائلًا إن شاء الله والله أعلم .

(الفائدة الثانية عشرة) قال الشيخ صالح بن الصديق الهمازى في

كتابه الأنوار الساطعة في شرح العقائد النافذة قال محمد بن قتيبة أجمع أهل الحديث على ستة أشياء وهى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وعلى أنه خالق الخير والشر ، وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وعلى أن الله يرى يوم القيامة وعلى تقديم الشيخين أبى بكر وعمر في الفضل على سائر الصحابة ، وعلى الإيمان بمذاب القبر ونعيمه لا يفترقون في شيء من هذه الأصول ومن غارقهم في شيء منها نابذة وبدعوة وهجروه اه ما ذكر الهمازى .

الكلام في رؤية الله تعالى

وقال الامام النووي في شرح صحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم تملوا أنه لا يرى أحد منكم ربه حتى يموت . قال المازري هذا الحديث فيه للتنبيه على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل الحق ولو كانت الرؤية مستحيلة كما تزعم المعتزلة لم يكن للتنقييد بالموثوق معنى ثم قال النووي والأحاديث بمعنى هذا كثيرة سبقت في كتاب الإيمان جملة منها مع آيات من القرآن وسبق هناك تقرير المسألة ثم قال للنووي قال القاضي ومذهب أهل الحق أنها غير مستحيلة في الدنيا بل ممكنة . ثم اختلفوا في وقوعها ومن منعها تمنك بهذا الحديث مع قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) على مذهب من تأوله في الدنيا ، قال وكذلك اختلفوا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء . وللسلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الفقهاء واخذثين والنظار الحققين وفي ذلك خلاف معروف ثم قال : وقال أكثر مانعيها في الدنيا سبب النفع ضئيف قوى الأدعى في الدنيا عن احتمالها كما لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم في الدنيا انتهى .

(قلت) والتحقق فيه أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسراء بعين رأسه وأن ذلك غير مستحيل في حق الكل من ورثته من أهل حق اليقين المشار إليهم بقوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا) بمعنى بما ذكرناه من رؤية الله في الدنيا (وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) جاء في التفسير أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ولو كانت رؤية الله مستحيلة في الدنيا لما نال عيسى صلى الله عليه وسلم باممشر الحواريين أجيوا أكتبكم لعل قلوبكم

ترى ربكم ولما جاء في الأحاديث القدسيات أن الله سبحانه يقول يا عبادي
تجمعوني تروني تجرد تصل إلي .

الإيمان يزيد وينقص

(الفائدة الثالثة عشرة) اعلم أن الإيمان هو التصديق واليقين قال
سحير بن حبيب إن للإيمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال : إذا ذكرنا
الله وحمدناه فذلك زيادته . وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أبي عدي إن للإيمان فرائض
موشرات وحدوداً وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الإيمان انتهى .

(قلت) والمعجب من خلاف من خالف في أن الإيمان يزيد وينقص وقال
يعدم ذلك مع وضوحه وظهوره ، ومثل قوة الإيمان مثل شخص الإنسان
في حال صحته وقوته وشبابه ومثل ضعفه مثل الإنسان في حال مرضه وضعفه
وشيبته أو هو مثل الزرع في حال إخراج شطأه فأزره فاستفاد فاستوى
على سوق بعجب الزراع . وضده بضده فلا يتأري عاقل في زيادة ذلك ونقصانه
بأن هو كالقمر في تنقله من هلاله إلى ليلة إبداره بالثلاث البيض منه . وهي
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وما بعد ذلك فافهم والله أعلم .

(الفائدة الرابعة عشرة) قال أبو إسحاق الأسفرايني أجمع أهل
الحق أن جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين إحداها أن كل ما تصور في الخيال
سواء أفهام فافه سبحانه وتعالى بخلافه . الثانية اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات
سواء ممثلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله (ولم يكن
له كفواً أحد) .

وحكى عن إمامنا الشافعى رضى الله عنه أنه قال من انتهز لطلب مدبره
حنانته إلى موجود ينتهى إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف
فهمو المظلم أو إلى موجود واعترف بالمعجز عن إدراكه فهو موحد فالمعجز عن
حرك الإدراك إدراكه .

الفصل الثالث

في فضل الايمان والمؤمنين وعظيم حرمتهم ، وما ورد في ذلك
من الآيات والأحاديث والآثار

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ، وقال تعالى :
(ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، وقال على لسان خليله : (ربنا اغفرلى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ، وقال على لسان نبيه نوح : (رب اغفرلى
ولوالدى ومن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات) وقال تعالى : (فأى
الفرعيين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ثم قال : (الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ومعنى قوله تعالى بظلم أى بشرك
دليله قوله تعالى : (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . وقوله :
(والـكافرون هم الظالمون) ، وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من
الله فضلاً كبيراً) ، وقوله تعالى : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فـالـقـالـا بـتـوون)
الإيـات وقال تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الآيات إلى
قوله تعالى : (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ،
وقوله تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) ، وقوله تعالى :
(إن الله يدافع عن الذين آمنوا) ، فأى بأس يخشى من بدافع الله عنه فى الدنيا

والآخرة ، فافهم هذا الفضل العظيم والخير الجسيم واعرف قدر الايمان وأهله
واعترف بفضلهم وفضله ، وقال الله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى المؤمنين) فأى ولاية تزيد على
ولاية الله ثم قال (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فأى ذنب يبقى على من تستغفر
الملائكة له مع أن دعاء الملائكة لا يرد قافهم وقوله تعالى (والذين جاءوا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) ثم قال (وإن
تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) فانظر كيف تولاها
الله ثم أمر ملائكته وحلة عرشه أن تستغفر لهم ثم مدح الذين جاءوا من
بعدهم بقوله (يقولون ربنا اغفر لنا) الآية ثم قرنهم بنفسه تعالى وبملائكته
المقربين في قوله فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية فقد ذهب
المؤمنون بخيرات الدنيا والآخرة فله الحمد والمنة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو فضل على المؤمنين .

وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال تعالى
(رَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَرى الله عَمَلَكُمْ ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقال (والله للمزة ورسوله وللمؤمنين
ولكن للنافقين لا يعلمون) .

فتدبر إن كنت من الانبياء أو الثبات ما أوردته هنا من جملة الآيات
الحكميات في فضل المؤمنين والمؤمنات واقرأ : (برفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات) . وقال (والله للمزة ورسوله وللمؤمنين ولكن
للنافقين لا يعلمون) .

وأما الأخبار فقد خرج الشيخان وغيرهما مرفوعاً : أفضل للعمل بالإيمان

بأنه ورسوله قيل ثم ماذا يا رسول الله قال: الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور .

وفي رواية لابن حبان في صحيحه مرفوعاً « أفضل الأعمال عند الله تعالى إيمان لا شك فيه وغزو لا غلول فيه وحج مبرور » .

وروى عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » .

ووروى الإمام البخاري بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم (الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الآية فأما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته وإن ترك ديناً أو ضياعاً فأيا تني فأنا مولاه » أخرجه للشيخان ، الضياع العيال . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله . وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فذلك قوله (فما بكت عليهم السماء والأرض) الآية أخرجه الترمذي .

وعن معاذ بن أنس الجهني رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حى مؤمناً من منافق بمث الله ملكاً يحمى لحيه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلماً بشيء يريد أن يشينه به حبس يوم القيامة على جسر جهنم

حتى يخرج مما قال أخرجه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجاعة فائقوا عليها خيراً فقال وجبت ثلاثاً ثم مر بأخرى فائقوا عليها شراً فقال وجبت ثلاثاً فقال عمر رضى الله عنه ما وجبت يارسول الله . قال هذا أنثيتم عليه خيراً فوجب له الجنة وهذا أنثيتم عليه شراً فوجب له النار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثاً أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وروى الترمذى عن بر بدة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صنف ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم ، وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقالت عائشة رضى الله عنها أنا أفكره للموت قال ليس ذلك كذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إنية مما أمامه فكفره لقاء الله وكره الله لقاءه أخرجه الخمسة وهم البخارى ومسلم ومالك والترمذى والنسائى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث فإن مرت به ثلاث فليأته فليسلم عليه فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالانتم وخارج المسلم من الهجر رواه أبو داود بإسناد حسن ونقله النووى ثم قال قال أبو داود إذا كان المهجر لله فليس من هذا في شيء .

وعن أنس رضى الله عنه قال نزل على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليظهر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديدية فالتفت المهيمن هو فتح الحديدية فقالوا هنيئاً لك مريباً يارسول الله اتقوا الله لك

للك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار ، وقال صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على مصمر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطاه عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم .

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل الجنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت فقد أفصح المؤمنين ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل مخيل ومرآة . وقال صلى الله عليه وسلم وروى كل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه الشياطين كما يذب عن قصعة المسل الدباب في اليوم الصائف . ولو بدوا لكم لأبتسمهم على كل سهل وجبل كل بأسطيدته فاغرفاه . وأما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا خبطفته الشياطين رواه الطبراني وابن أبي الدنيا عن أبي أمامة ونقله الدميري في كتاب حياة الحيوان وقال عليه السلام استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعاة يوم القيامة . (قلت) ودليله قوله تعالى حكاية عن أهل النار لما كبكبوا فيها هم والفاون وجنود إبليس أجمعون حيث يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عليه السلام اغتبنمو دعوة المؤمن رواه أبو الشيخ عن أبي الدرداء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تنقضي عنه دينا أو تطمئنه خبرا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، وقال عليه السلام أفضل الأعمال بصد الإيمان بالله التودد إلى

الغاس ، وقال أيضا في حديث طويل لفظه جليل وصيابه المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه الحديث بطوله ، ثم قال في آخره اللهم أغفر لي ولأمتي اللهم أغفر لي ولأمتي اللهم أغفر لي ولأمتي استغفر الله لي ولكم رواه البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن علي بن حسن رضي الله عنه عن عتبة بن عامر الجهمي ورواه غيرهما عن أبي الدرداء وابن مسعود وهو حديث طويل جميل فضيل نقله الإمام الجلال السيوطي في الجامع الصغير ونقل عليه السلام أمتي أمة يأتون يوم القيامة غرا من السجود بحجّين من الوضوء ، وقال أيضا أمتي أمة مباكية لا يدري أولها خير أو آخرها ، وقال أيضا أمتي أمة مرحومة مغفورة لها مقاب عليها ، وقال أيضا أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا رواه أبو موسى الأشعري ، وعن زيد بن أسلم قال كذب أبو عبيدة إنني عمر رضي الله عنهما يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكذب إليه عمر رضي الله عنه أما بعد فإنه مهما ينزل بعبود مؤمن من منزل شدة يحمل الله تعالى بدمه فرجا وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله تعالى يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله فاعلمكم تفنحون أخرجه مالك ، وفي الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ عليه بحفازة فقال مستريح أو مستراح منه فقالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه . فقال صلى الله عليه وسلم المريد المؤمن يستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى والبدد الفاجر تستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب ، وعن محمد بن إسحاق عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منصور عن عمه عامر الزرام إننا لبيلاذنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا . قالوا لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيه وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع إليه أصحابه فجلست إليهم فذكر النبي صلى الله عليه وسلم لأقسام والأمراض فقال إن المؤمن إذا

أصابه اللقم ثم عاقاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وإن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه فقال رجل عن حوله يا رسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط . فقال له قم فليست منا أخرجته أبو داود ، الألوية جميع لواء وهو للرأية الكبيرة دون الأعلام وأعفاه وعاقاه بمعنى واحد .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن وضوءه وعاد أخاه المسلم محتسباً بوعده من النار مسيرة سبعين خريفاً قال أنس : الخريف العام أخرجته أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم لا يحمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، وفي سنن أبي داود فمن هجره في ثلاثة فوات دخل النار رواه أبو داود عن أبي هريرة بسند على شرط البخاري ومسلم قال أهل العلم يجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رحن بهجره صلاح دين المهاجر والمهجر .

(قائلة) في كتاب زهر الأكام وليس شيء أنفس ولا أغلى من نفس المؤمن ، وذلك أن نفاضة السلمة تعرف بثلاثة ، وهي المشتري والدلال والثمن ، وهذه صفة نفس المؤمن ، الله مشتريها ، ومحمد دليلها ، والجنة ثمنها . وذلك معنى قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ...) الآية اه بمعناه .

(قلت) وقد وقع الإيجاب من الله تعالى بقوله : (اشترى) فن أراد الثمن فليقل بعث وليسلم السلمة إلى مشتريها فاقهم ذلك .

وفي شرح الحكم للشيخ محمد بن عباد ، قال بعض العارفين : إذا كان الله صيغانه وتعالى قد حرص السماء بالسكواكب والشمس كي لا يسترق السمع منها ، فقلب المؤمن أولى بذلك ، يقول الله عز وجل فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم نعمني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عهدي للمؤمن) .

فانظر رحمك الله لهذا الأمر الأكبر الذي أعطيه هذا القلب ، حتى صار لهذه الرتبة أهلاً بفضل الله ورحمته . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم .

فصل الفقراء

وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي ؟ فيقول للملائكة : ومن هم ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانمون بعبادتي ، الراضون بقدرى أدخلهم الجنة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون » ذكره في الاحياء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين » .

وقال عليه السلام : « إن الله تعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما أفترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن استأذني لأعيزنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه للبغاري في صحيحه .

قال للملاء : التردد في حق الله محال ، ومعناه ما ترددت رضى في شيء أنا فاعله كترددى في قبض نفس المؤمن ، كذا فمروه .

ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ، ولم ير له شيئاً فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوصفهم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طربين لا يؤذيه له . لو أقسم على الله لأبره ذكره والذي قبله في الاحياء .

وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيمتدح الله إليه كما يمتدح الرجل إلى الرجل في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لحوانك هلى ، والى كن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف ، فن أطمعك فى أو كسأك فى يريد بذلك وجهى نخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة » .

وقال عليه السلام : « إن الله ليمتلي للمؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه »
رواه الحاكم عن أبى فاطمة الضمري .

وقال عليه السلام : « إن الله ليعااهد عبده للمؤمن بالبلاء كما يعااهد الوالد ولده بالخير ، وإن الله ليمحى عبده المؤمن من الدنيا كما يحى المريض أهله من الطعام » رواه ابن عساكر وغيره عن حذيفة .

وقال عليه السلام : « إن الله تعالى يحى عبده للمؤمن - يعنى بما يؤذيه - كما يحى الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة .

وفى الاحياء عن بعض السلف : إن المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى من أبصار الملائكة كي لا تراه فتشبه عليه ، وفيه كتب أحمد بن محمد إلى الأسود بن سالم بخطه : إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه ، فرغم يديه يدعو بقول : يارب ، حجبت الملائكة صوته ، وكذلك الثانية والثالثة ، حتى إذا قال الرابعة : يارب ، قال الله تعالى : حتى متى تحجبون عني صوت

عبدى ، قد علم عبدى أنه ليس له رب يفر الذنوب غيرى ، أشهدكم إني قد غفرت له .

وفيه كان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى الملكوت ، ولكن تمنعه الذنوب .

وفى البغوى بسنده إلى أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يفر الجميع من تبع جنازته » رواه عبد بن حميد ، والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما .

خطر الغيبة وذمها

وقال صلى الله عليه وسلم : « الربا سبعةون باباً وأهونه كالذى يفسح أمه ، وأرى الربا استظالة المرء فى عرض أخيه المسلم » رواه أبو الشيخ عن أبى هريرة .

(قلت) وكل ما ورد من ذم الغيبة فى كتاب الله العزيز ، وصلة رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء والمرصين قبله ، وأقوال السلف من أمته من التحذير الكثير والزجر الكبير عنها ، مما لا يخفى على ذى فلب منير ، فهو مخصوص بغيبة المؤمن لاسيما من لا يتجاهر بمصية ، وبالجملة فخطر الغيبة عظيم ، ومرتكبها ذمير أثيم .

وقد روى فيما روى عن موسى السكليم أن الرب العظيم أوحى إليه : من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار . فالحذر الحذر الحذر .

ومن أعظم ما روى من الحديث الدال على حرمة المسلمين ، وخصوصاً للضعفاء والمساكين ما رواه البخاري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : رأى سعد أن له فضلاً على من دونه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ابغوا إلى الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بالضعفاء » رواه مسلم .

وقال عليه السلام : « يا أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمناً إلا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة » رواه عبد بن حميد عن أبي سعيد الخدري . وقال عليه السلام : « تقول النار للمؤمن يوم القيامة جُزْياً مؤمن فقد طأنا نورك لحي » رواه يعلى بن منيه .

قال الشيخ أبو المواهب محمد بن أحمد بن محمد الحاج التونسي نفع الله به : إنما كانت النار تقول جز يا مؤمن فقد أطأنا نورك لحي ، لأنه تخلق باسمه المؤمن وأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

وعن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والاشتر النخعي إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقلنا له : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ، قال : لا إلا ما في هذا فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه : المؤمنون تسكانو دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسمى بدمئهم أديانهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذؤود يعهده ، من أحدث حدثاً فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . أخرجه أبو دراد والنسائي .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصائم في عبادة ما لم يفتق مسلماً أو يؤذ » رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يشبع المؤمن من خير سمعه حتى يكون منتهاه الجنة » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » أخرجه الحمسة وزاد بعضهم وما كان من النبوة فإنه لا يكذب .

وقال عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن أدركنى وآمن بى ، وطوبى لمن لم يدركنى وآمن بى » رواه أبو هريرة ، وزاد فى رواية قالوا : وما طوبى قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها . وقال عليه السلام : « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرن ثلاث مرات » رواه الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر .

عظم ذنب قتل المؤمن

وقال صلى الله عليه وسلم : « قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » رواه الضياء عن بريدة .

وعن أم الدرداء رضى الله عنها قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب عسى الله أن يفره إلا من مات مشركاً أو مؤمناً قتل مؤمناً مقمداً » أخرجه أبو داود .

وقال عليه السلام : « لن يزال الرجل فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . وقال عليه السلام : « زوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق » .

(قلت) ويؤيد هذه الأحاديث قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً مقمداً نجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) .

وللهاء فى هذا اختلاف منشتر حقيقه الإمام النووى فى شرح صحيح

حُكْمٌ وَقَدْ نَقَلْتُ مِنْهُ فِي صَدْرِ كِتَابِي هَذَا فِي تَرْجُمَةِ سَيِّدِنَا الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ جَمَلَةٌ مَبَارَكَةٌ حَاصِلُهَا أَنَّ قَتْلَ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا كَبِيرَةٌ مِنْ جَمَلَةِ الْكِبَايِرِ وَلَيْسَتْ هِيَ مِثْلُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا يَغْفِرُ لِصَاحِبِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنْ لَمْ يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ لَإِنَّكَ لَمِنَ الْخَاسِرِينَ) ، وَنَقَلْتُ فِيمَا سَيَأْتِي مِنْ هَذَا لِلْكِتَابِ عِنْدَ قَوْلِهِ : تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ ، حَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ الذِّمَّةَ وَالذِّمَّةَيْنِ نَفْسًا ، ثُمَّ سَأَلَ الْإِسْلَامَ هَلْ لَهُ تَوْبَةٌ فَمَنْهُ فَقِيلَ وَتَمَّ بِهِ الْمَائِةُ ، ثُمَّ سَأَلَ الْعَالَمَ الْآخَرَ فَانْفَتَحَ بِأَنَّ لَهُ لِلتَّوْبَةِ الْحَدِيثَ كَمَا هُوَ . فَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ مَا قَرَّرَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ أَنَّ الْقَاتِلَ لِلْمُؤْمِنِ إِذَا لَمْ يَتَّعِزْ بِخِزَاوَةِ جَهَنَّمَ . وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَالْحَدِيثَانِ الْهَذَانِ بَعْدَهُ هُنَا فَحُمُولَاتٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا أَوَّلَ التَّشْدِيدِ وَالتَّخْوِيفِ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْقَتْلِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا أَحْسَنَ مِنْهُ وَأَقْبَلَ أَعْلَمَ .

حقوق المسلم على المسلم

(فائدة) قال الدميري في حياة الحيوان وقد روى الأصمعي في الترغيب والترهيب في باب قضاء عوائج المسلمين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا إبرة له منها إلا بالأداء أو العفو . يغفر زلته ويرحم عبرته ويستعفوره وقبل ممذرتة ويرد غيبته ويدبم نصيحته ويحفظ خلقه ويرعى ذمته وبموذ مرضه ويشهد ميته ويحيب دعوته وقبل هديته ويكافي صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حرمة ويقضي حاجته وقبل شفاعة ولا ينجيب مقصده ويشمت عطشه ويرشد ضالته ويرد سلامه وبطييب كلامه وببر إنعامه ويصدق أقسامه ويصبر ظالمًا أو مظلومًا أما نصره ظالمًا فردّه عن ظلمه . وأما نصره مظلومًا فيحييه على أخذ حقه وبإتاليه ولا يماذيه ولا يسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئًا فيطالبه به يوم القيامة ثم قال على

رضى الله عنه إن أحدكم ليدع تسميت أخيه إذا عطس فيطالبه يوم القيامة فيقضى له عليه . ثم قال الدميري فهذا مع ما عده حسان بن عطية يجتمع منها أكثر من أربعين خصلة انتهى .

وروى أمية بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصماليك المسلمين . وروى ابن عمر قال : كان عليه السلام ييمت إلى الطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم للمؤمن أربعة أعداء : مؤمن يحسده وموافق يبعضه وشيطان يضله وكافر يقاتله رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به أخرجه الترمذى ، وعن صرمة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضار مؤمناً ضار الله به ، ومن شاق مؤمناً شاق الله تعالى به عليه ، أخرجه الترمذى : انحصار المضرّة والمشاقة النزاع .

وعن إياس بن نميلة الخارقي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله تعالى عليه الجنة وأوجب له النار قالوا ولو شيئاً يسيراً . قال : ولو كان قضيباً من أراك أخرجه مسلم ومالك والنسائي ، وعن أبي قلابة أن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بجملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كاذب . ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة . وليس على رجل نذر فيما لا يملك . ولعن المؤمن كقتله . ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله . ومن ذبح نفسه بشيء ذبح به يوم القيامة ، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة أخرجه الخسة ، وفي رواية أبي داود والترمذى اختصار .

وقال صلى الله عليه وسلم لم يكن مؤمن ولا يكون إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه . رواه أبو سعيد النقاش في صحيحه وابن النجار عن هلى . وقال عليه السلام لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والهدى أوسطها . رواه أبو نعيم في أخبار المهدي عن ابن عباس .

وقال عليه السلام : لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم تفاؤن وبهم ترزقون وبهم تطرون رواه ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة رضى الله عنه .

وقال عليه السلام : لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لسكبهم الله عز وجل في النار ، رواه أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة رضى الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : من أعان هلى قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، رواه أبو هريرة . وقال عليه السلام من أخاف مؤمناً كان حقاً هلى الله أن لا يؤمنه من أفزع يوم القيامة رواه ابن عمر وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : المؤمن أكرم هلى الله من الملائكة الذين عنده . وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يا كلون وبشربون وينسكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال لا أجعل من خلقته ييدى ونفذت فيه من روحى كن قلت له كن فكان . قال الإمام البيهقى فى تفسيره بعد نقله هذا الحديث والأولى أن يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة قال الله تعالى : (إن الذين آمنوا واصلوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ، وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : جاست فى عصابة من ضمقاء الله اجرين وإن بعضهم يستقر ببعض من العرى ، وقارىء بقرأ علينا إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فسكت

للقاريء ، فقال : ما كنتم تصنعون ؟ قلنا قارىء بقرأ علينا نستسمع كتاب ربنا . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس وسطا ليمدل نفسه بنا ثم قال بيده هكذا فتعلقوا وبرزت وجوههم . قال : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحداً غيرى ثم قال : أبشروا يا صماليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود والترمذى ، المصنبة الجماعة من الناس ، تعلقوا أى صاروا حلقة مستديرة ولام الحلقة مكسورة حيث كانت فى حلقة للعلم وحلقة الحديد وغير ذلك كذا قاله اللؤلؤى فى شرح المذهب .

وقال عليه الصلاة والسلام من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله تعالى بها فى النار يوم القيامة . رواه أبو ذر فى صحيح مسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يباغون مائة كلهم يشفون له إلا شفوا فيه . وما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفهم الله فيه . وفى حديث آخر ثلاثة صفوف رواه أصحاب السنن . وقال عليه السلام من أطفأ عن مؤمن شيئا يشينه كان خيرا من إحياء مؤودة .

وقال عليه السلام من ضيق منزلا أو قطع طريقا أو آذى مؤمنا فلا جهاد له . رواه مماذ بن أنس ومعناه والله أعلم من فعل شيئا من هذه الثلاثة حبط عمله وبطل سميه وجهده إلا أن يتوب فيتوب الله عليه كذا قاله بعض أهل العلم ، وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلما رواه سلمان بن صرد .

وقال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله . وعمل المنافق خير من نيته ، وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا نارا فى قلبه نور رواه سهل بن سعد ،

وقال صلى الله عليه وسلم لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي رواه الإمام أحمد ، وقال صلى الله عليه وسلم لا تعلم شيئاً خيراً من ألف مثله إلا الرجل المؤمن رواه ابن عمر رضى الله عنهما ، وروى محمد بن سيرين عن أبي بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه . فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى يا رسول الله . قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا إنه يسميه بغير اسمه ، قال أليس البلدة قلنا بلى : قال أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ؟ قال : فإن دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه ، قال : وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعلم بعض من يبعثه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت قالوا نعم . وروى الترمذى فى عظم حرمة المؤمن عن ابن عمر وذكر حديثاً طويلاً قال فى آخره إن ابن عمر نظر إلى البيت والركبة فقال : ما أعظم حرمتك وثاؤم من أعظم حرمة عند الله منك . وقال أبو طاب المكي فى كتاب القوت له عن بعض السلف أنه قال إن الله تعالى شرف للركبة وعظفها ولو أن عبداً هدبها وأحرقها لما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى قيل ومن أولياء الله تعالى قال كل مؤمن أما سمعت قول الله تعالى . الله ولى الذين آمنوا هذا فى عموم المؤمنين فما ظنك بالأولياء المقربين .

وقال سيدى الشيخ الكبير يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى ايـمكن

حفظ المؤمن منك ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تضره فلا تنفعه
وإن لم تمتدحه فلا تذمه .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أعلم الناس أشدهم تمظيماً لأهل
لا إله إلا الله ، وقال روى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلتني على
أحب الخلق إليك فقال يا موسى أحب الخلق إلى من إذا سمع بأن أخاه المؤمن شاكته
شوكة حزن لها كأنها شاكته هو ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه من
أحب أن يقضى له بالخير فليحسن الظن بالله .

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
خطب أحرزت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول
صبحكم ومساءكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن أصبعه السبابة
والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أرى
بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلائله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى
رواه مسلم .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله فيما نقله عنه الشيخ الإمام
الجليل شرف الدين الشاذلي نفع الله بهما في كتابه الطيف الرضية لو كشف
عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن
المطيع فما ظنك بنور العبد الصالح ثم بنور الشهيد ثم بنور الصديق ثم بنور
القطب ثم بنور النبي ثم بنور الرسول ، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله
عنهما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال مرحباً بك من بيت
ما أعظمك وأعظم حرمتك والله إن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك فإن
الله تعالى حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثاً : دمه وماله وأن يظن به الظن
(٢٥ - الفرماس)

السوء . وعن علي رضي الله عنه قال اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم^(١) ، وعن الإمام ذى النورين يرفعه ما من مسلم يشهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة قلنا وثلاثة . قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان ولم نسأله عن الواحد .

وروى الإمام البخارى فى صحيحه فى باب صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة يتراؤن أهل النرف من فوقهم كما يتراؤن السكوك الدرى القابر فى الأفق من للشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نقضى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرابين ، وفيه أن المؤمنين إذا تخاصوا من للصراط جلسوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لمعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا فإذا هذبوا ونفوا أذن لهم فى دخول الجنة فلا أحد هم أعرف بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا يلهمون ذلك وحل عليهم قوله تعالى (و يدخلهم الجنة عرفها لهم) .

وروى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبى فإنه مؤمن قال إني بكل مؤمن رفيق وما من أهل بيت إلا أنصفهم فى كل يوم خمس مرات ولو أنى أردت قبض روح بموضة ما قدرت حتى يكون الله الأمر بقبضها . قال جعفر بن محمد بلغنى أنه يتصفهم عند مواقيت الصلاة انتهى نقله الدميرى فى حياة الحيوان . وفى الترمذى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مصلاه فرأى ناساً

(١) ذلك فىمن تحقق بالإيمان اعتقاداً قولاً وفلاً أما من لم يكن منهم كذلك فظنونهم سوء وأقوالهم باطله نافعهم .

كأنهم يسكرون فقال أما إنكم لو أنكم أكثرتم ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم القيامة إلا ويتكلم أنا بيت القربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود والهوام فإذا دفن العبد المؤمن قال له مرحباً وأهلاً أما إن كنت لمن أحب من يمشى على ظهري إلى ففد وليتك اليوم وصرت إلى فستري صنيعى لك. قال فينسح له مد البصر ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر يقول له القبر لا مرحباً بك ولا أهلاً أما إن كنت لمن أبغض من يمشى على ظهري إلى ففد ونيتك اليوم وصرت إلى فستري صنيعى لك فيلتم عليه حتى تلتقي وتختلف أضلاعهم وقال بأصابع يده هكذا فشبكها ثم بقيض له تسمون تنيماً أو تسمه وتسمون تنيماً لو إن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا. فتعشيه وتغذشه حتى يبعث إلى يوم الحساب.

وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده للأؤمن إلا من حيث لا يحتسب. وقال ما من مؤمن يدخل على مؤمن سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور منسكاً يمد الله تعالى له فإذا مات وصار في لحد له أنه فيقول له أتعرفني فيقول لا. فيقول أما السرور الذي أدخلني على قلب فلان في وقت كذا فأنا اليوم أونس وحشنتك وألفنتك حببتك وأثبتت بالقول الثابت وأشهدك مشاهد القيامة وأنفع لك من ذنبك وأربك منزلاً في الجنة. وقال صلى الله عليه وسلم من أحسن إلى مؤمن فقد أحسن إلى ومن أحسن إلى أحسن الله تعالى إليه وفي رواية أفضل الوسيلة إلى الله الإحسان إلى الرجل المسلم أخرجه ابن بشار النيسبي في أنواع مكارم الأخلاق.

(قائمة) قال الشيخ معروف السكرخي من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة سيدنا محمد اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد اللهم ارحم أمة سيدنا محمد كتب من الأبدال.

خاتمة

في لطائف المنن : وما أكرم الله العباد في الدنيا والآخرة كرامة بمنزلة الايمان به ولما عرفه ربوبيته لأن كل خير من خيور الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الايمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وإرادات ، وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وأثمار أو كان به أهلها فيها من راض عن الله وراض من الله ورؤية الله فكل ذلك إنما هو نتائج الايمان ووجود آثاره وإمداد أنواره .

وقال فيه قال الشيخ أبو الحسن إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العميان . وكرامة العمل على الاقتداء والمقابلة ومجانبة الدعوى والمخدعة فمن أعطيها وجعل يشق إلى غيرها فهو عبد مفتر كذاب وذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعمت الرضا فجعل يشق إلى سياسة الدواب اه :

وقال شيخ الاسلام عبد الله بن علوي الحداد في فضل المؤمنين الأجداد في تائيدته التي أبدع فيها وأجاد .

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| وكم بين المؤمنين ومنهم | بكل زمان كم مفيد ومخت |
| وكم حالكم كم ناسك متعبد | وكم مخلص في غيبه والشهادة |
| وكم صابر كم صادق متقبل | إلى الله عن قصد صحيح ونية |
| وكم قانت قوام في غسق الدجى | من الخوف محشو الفؤاد ومهجة |
| يفاجى بآيات القرآن إلهه | بصوت حزين مع بكاء بعبدة |
| وكم ضامر الأحشاء يطوى نهاره | بحر هجير مائهنا بشرية |
| وكم مقبل في ليله ونهاره | على طاعة المولى بمجد وهمة |
| وكم زاهد في هذه الدار معرض | ومقتصر منها على حد بلغة |

تربنت الدنيا له وتزخرت ففض ولم يفتّر منها بزينة
 وكم ممرض عن صحة الخلق مؤثر لوحده والاقطاع وعزلة
 وكم عالم بالشرع لله عامل بموجبه في حال يسر وعسرة
 وكم أسر بالرشد ما عن الردى سميع إلى الخيرات من غير فترة
 وكم من ولى للاله بأرضه وكم عارف مستهتر في الحجة
 وكم من أمين حامل لأمانة من السر لا نفث لأهل الخيانة
 وصاحب كشف قد نجات لقلبه ال حقائق في أطوارها الملوية
 فأبداهم أوتادهم نقيـاً مع النجيا والقطب راس المصابة
 أولئك أبدال النبيين أبرزوا لفضل رسول الله في خير أمة
 عباد كرام آتوا الله ربهم فآثرهم واختصهم بالولاية
 بهم يرفع الله البلايا ويكشف الـ رزايا ويسدى كل خير ونعمة
 ولولاهم بين الأنام لك دكت جبال وأرض لارنكاب الخطيئة

تم الجزء الأول من النصف الثاني من كتاب القرطاس

شرح رانب الامام المطاس

رحمه الله

وكان تمام طبعه في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ

(٢٨ / ٩ / ١٩٦٦ م) بالقاهرة

اہم مباحث کتاب «القرطاس»

| | | | |
|-----------------------------|----|------------------------------------|-----------------------------|
| ص | ٢ | تصدير | ص |
| ٧٦ | ٥ | خطبة الشارح | ٧٦ |
| ٧٩ | ٧ | بركة الراتب وفضله | ٧٩ |
| ٨٠ | ١١ | مقدمة فيها خمسة فصول | ٨٠ |
| ٨٤ | ١٢ | الفصل الأول في فضائل الذكر | ٨٤ |
| ٨٤ | ٢٦ | ذكر القلب وذكر اللسان | ٨٤ |
| ٨٥ | ٢٨ | الذكر غير مؤقت بوقت الخ | ٨٥ |
| ٨٥ | ٢٩ | قراءة القرآن أفضل الأذكار | ٨٥ |
| ٨٨ | ٣٢ | اشتغال الراتب على جميع أنواع الذكر | ٨٨ |
| ٨٩ | ٣٢ | سبب جعل أعداده ثلاثاً | ٨٩ |
| والمسقة | ٣٥ | فوائد | والمسقة |
| ٩٣ | ٣٦ | خاتمة هذا الفصل | ٩٣ |
| وأنسامه | ٤٠ | فوائد | وأنسامه |
| ٩٥ | ٤٢ | الفصل الثاني في الدعاء وأحكامه | ٩٥ |
| بأنامل والسبعة الخ | ٤٥ | ما في القرآن من دعاء الأنبياء | بأنامل والسبعة الخ |
| ٩٦ | ٤٧ | ما ورد في الدعاء من الأخبار | ٩٦ |
| واللسان للحدث | ٥٦ | شروط الداعي | واللسان للحدث |
| ٩٨ | ٥٧ | آداب الدعاء وأوقات الإجابة | ٩٨ |
| كتاب الادكار | ٩٩ | خاتمة | كتاب الادكار |
| ١٠٠ | ٦٤ | الخاتمة لهذا الفصل | ١٠٠ |
| بأنامل الحسنى | ٦٨ | الفصل الثالث في منافع الأوراد الخ | بأنامل الحسنى |
| ١٠١ | ٦٩ | الأوراد وتأن كدها وفضلها | ١٠١ |
| خاتمة في ذكر الأسماء الحسنى | ٧٣ | الفرق بين الورد والوارد | خاتمة في ذكر الأسماء الحسنى |
| وأنسامها | | | وأنسامها |

| ص | ص |
|---|------------------------------------|
| ١٤٨ | ١٠٦ ما في القرآن من الأسماء الحسنى |
| ١٥٦ حقيقة التقوى | ١٠٧ أقسام الأسماء الإلهية |
| ١٥٦ (الذكر الثاني وشرحه) | ١٠٩ تسكئة في ذكر الأسماء التسعة |
| ١٥٨ معنى كلمات الله التامات | والتسعين |
| ١٥٩ مبحث الروح | ١١٠ البداءة في التشرح |
| ١٦٢ كلام ابن تومرت في العقل الخ | ١١١ خطبة شرح الشيخ طي بارأس |
| ١٧٣ الكلام في التمودين والتعود | ١١٢ ما يذكر قبل الراتب وهذه |
| ١٧٨ استعاذات نبوية | ١١٤ ذكر التوحيد |
| ١٧٩ الاستعاذة من الجبن والبخل | ١١٥ وقت قراءة الراتب |
| ١٨١ الكلمات التي أنعمها إبراهيم | ١١٥ الفوائد بعد الراتب |
| ١٨٢ الكلمات التي تلقاها آدم | ١١٦ (الذكر الأول وشرحه) |
| ١٨٤ شروط التوبة | ١١٧ مبحث الاستعاذة |
| ١٨٧ (الذكر الثالث وشرحه) | ١١٨ ما ورد فيه من الاخبار |
| ١٨٨ القول في الاسم الأعظم | ١٢٠ السر في قراءة آخر الحشر |
| ١٨٩ ما ورد في فضل هذا الذكر | ١٢٢ عود إلى القول في الاستعاذة |
| ١٩٠ ما قيل في كلام الحيوان والجماد | ١٢٣ كيد الشيطان للانسان |
| ١٩١ بركة الابتداء بذكر اسم الله | ١٣٠ معنى كلمة الاستعاذة |
| ١٩٣ فوائد | ١٣٣ فضل سورة الإخلاص الخ |
| ١٩٥ خاتمة | ١٣٤ خصائص اسم الجلالة |
| ١٩٨ (الذكر الرابع وشرحه) | ١٣٧ معنى كلمة السميع العليم |
| ٢٠٨ رفع الصوت بالذكر وخفضه | ١٤٠ ابليس وطرده وحده |
| ٢١١ تعميم معنى لا حول ولا قوة إلا بالله | ١٤١ تفصيل الطين على النار |
| ٢١٢ فضل لا حول ولا قوة إلا بالله | ١٤٢ عداوة الشيطان للانسان |
| ٢١٥ فصل في النهي عن الطيرة | ١٤٣ وسوسة الشيطان للانسان |
| ٢١٣ فصل في بنية فضائل هذا الذكر | ١٤٦ التحفظ من الشيطان بالقرآن |
| ٢٢٣ فصل في الاستعاذة بعول الى | ١٤٧ خطر مجالسة الجن |

| ص | ص |
|---|--|
| ٣٤٤ خاتمة | ٢٢٦ فصل في معنى لا حول ولا قوة إلا بالله |
| ٣٤٦ الفصل الثاني في فوائد مهجة | ٢٢٨ خاتمة |
| ٣٤٨ أهل السنة المعزلة | ٢٣٠ خاتمة الخاتمة وفيها فوائد |
| ٣٤٩ القدر سر الله في الأرض | ٢٣٥ (الذكر الخامس وشرحه) |
| ٣٥٣ مذاهب الأئمة في المشابهات | ٢٣٧ الفصل الأول في فضائل البسملة |
| وعدم تكفير المتأولين | ٢٥١ الفصل الثاني في فضل البسملة وفوائده |
| ٣٥٦ علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين | ٢٦١ الفصل الثالث في معنى البسملة الخ |
| ٣٥٨ تنمة الكلام في المشابهات | ٢٦٦ أحاديث الرحمة وصلة الرحم |
| ٣٦٥ الكلام في حديث خلق الله آدم على صورته | ٢٨١ (الذكر السادس وشرحه) |
| ٣٦٥ الكلام في رؤية الله تعالى | ٢٨١ النسبة على الذبيحة |
| ٣٦٦ الإيمان يزيد وينقص | ٢٨٦ تكرير اسم الجلالة في الراتب |
| ٣٦٧ الفصل الثالث في فضل الإيمان الخ | ٢٩٠ التوحيد النافع عند الله |
| ٣٧٥ فضل الفقراء | ٣٠٣ فضل التوكل والتوكلين |
| ٣٧٦ خطر القية وذمها | ٣١١ الفصل الأول في حقيقة الإيمان الخ |
| ٣٧٩ عظم ذنب قتل المؤمن | ٣٣١ فضل علي وآل البيت |
| ٣٨٠ حقوق المسلم على المسلم | ٣٣٤ شعب الإيمان وخصال المؤمن |
| ٣٨٨ خاتمة الكتاب | ٣٤١ النفاق وأثره في القلب |

القرطاس

شرح راتب الإمام عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس

بأعوى الحضرمي رحمه الله

للإمام بركة الأنام وعلم الإسلام

الحبيب علي بن صون بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس

بأعوى الحضرمي

المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

رحمه الله

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة لأحفاد الشارح

مطبعة المجلد

٥ شارع النهضة - مدينة الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه والتابعين
(وبعد) فهذا هو الجزء الثانى من كتاب (الترطاس) المتمم لشرح راتب الإمام
العارف بالله الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس تأليف بركة الأنام
العلامة علم الإسلام الحبيب على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس
رحمهم الله أجمعين .

وقد سبق فى الجزء الأول شرح الأذكار السبعة الأولى من هذا الراتب
المبارك . وهى :

- (١) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم « ثلاثا »
- (٢) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق « ثلاثا »
- (٣) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو
السميع العليم « ثلاثا »
- (٤) بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم « عشرة »
- (٥) بسم الله الرحمن الرحيم « ثلاثا »
- (٦) بأسم الله تحمنا بالله باسم الله توكلنا على الله « ثلاثا »
- (٧) باسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه « ثلاثا » ^(١) .

(تنبيه)

(١) ذكر الراتب كله نفاق من ١١٢ من الجزء الأول من الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٨٦
وذكر الذكر الأول منه وشرحه فى ص ١١٦ والثانى وشرحه فى ص ١٥٦ والثالث وشرحه فى
ص ١٨٧ والرابع وشرحه فى ص ١٩٨ والخامس وشرحه فى ص ٢٣٥ والسادس وشرحه فى
ص ٢٨١ والسابع وشرحه فى ص ٣١٧ فراجع ما فيها من العلم الغزير النافع .

وفي هذا الجزء شرح الأذكار التالية :

(٨) سبحان الله عزَّ الله سبحان الله جلَّ الله « ثلاثا » .

(٩) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « ثلاثا » .

(١٠) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر « أربعا » .

(١١) يا لطيفا بخلقه يا عليما بخلقه يا خيرا بخلقه الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير
« ثلاثا » .

(١٢) يا لطيفاً لم يزل الطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل الطف بنا والمسلمين
« ثلاثا » .

(١٣) لا إله إلا الله «مائة» ويقول تمام المائة عمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم
« مرة واحدة » .

(١٤) حسبنا الله ونعم الوكيل « سبعا » .

(١٥) اللهم صل على محمد صلى الله عليه وسلم « إحدى عشرة مرة » .

(١٦) أستغفر الله « إحدى عشرة مرة » ثم يقول تائب إلى الله « مرة » .

(١٧) يا الله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة « ثلاثا » .

وبهذه الأذكار السبعة عشر تم هذا الراتب المبارك .

نسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين ويجزل الثوبة فضلا منه وإحساناً

لصاحبه وشارحه وقارئه وناشره في الدارين إنه سميع مجيب .

قال الإمام الشارح رحمه الله :

الذكر الثامن وشرحه

ولما أكمل الكلام سيدنا عمر على حقيقة الإيمان القائم معناها بما فيه مقام كل ما يطلبه المؤمن ويشتهي شرع في تنزيه باريه الذي ليس له نظير ولا مثيل ولا شبيه ، فقال فيه : ﴿سبحان الله عزَّ الله سبحانه الله جلَّ الله﴾ «ثلاثاً» .

قال الشيخ على : ومعنى سبحان الله تنزه وتمرر بحجاب العزة الأسمى الذي لا يتطرق إليه تشبيه . أو تمثيل ، أو تحوم حوله حوائج الأفكار ، أو تطمح إياه علوم النظر ولا خيالات التخيلين ، ولا تصور التصورين ، ولا تحويه النقول ، ولا تتركه العقول . جلَّ الله اختجب بالجلال المبرقع بالجلال ذو الجلال والإكرام فجلَّ الله عما يتصور ويتخيل في الخيال ، أو يعقل بالعقول ، أو تحويه العبارات والنقول وعزَّ الله عما يقوله القائلون أو يتصوره المتصورون أو يكلفه المتفكرون أو يمثله الممثلون فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون والله المثل الأعلى لا مثل الأدنى سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً انتهى ما أورده الشيخ رضي الله عنه .

ونحن نبتدىء في ذكر أحرف بسيرة يبين بها معنى التسبيح والتنزيه ، وأما تفصيل فضائل ذلك فسيأتى بعد عند قوله (في الذكر التاسع) : ﴿سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم﴾ إن شاء الله تعالى .

أما الآيات فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ وقال تعالى : ﴿لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ وقال تعالى : ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس

العزيز الحكيم ﴿ وقال تعالى : ﴿ سُبْحَ اسمِ ربك الأعلى ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم ﴾ وقال عز وعلا : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ .

وأما الأخبار فقد صح عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل إنه يشرك به ويجعل له الولد ويمافيهم ويرزقهم » أخرجه الشيخان .

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : « إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ويخفض القسط ويرفعه ويرفع إنيه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » أخرجه مسلم .

« السبحات » هي أنوار وجه الله أي لو انكشف من أنوار وجهه التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى له سبحانه وتعالى .

وقال بعض الحكماء : من اعتصم بعقله زل ، ومن استغنى بتماله قل ، ومن عزَّ بمخنوق ذل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذين تذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده يتعظفون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يُذَكَّرْنَ بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به .

وروى الطبراني في معجمه الكبير والأوسط في كتاب الدعاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال يا رسول الله : هل من الدعاء شيء لا يرد ؟

قال : نعم . تقول : « أسألك باسمك الأعلى الأعز الأجل الأكرم » .
 وفي كتاب ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا أنت عزَّ جارك
 وجلَّ ثناؤك .

واعلم أنه ينبغي للذاكر بقوله : ﴿ عزَّ الله جلَّ الله ﴾ أن يستحضر في قلبه
 شيئاً من الآيات الدالات على عظم مخلوقات الله تعالى مثل قوله : ﴿ الذي خلق
 سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه
 النهار ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الآية ونحو
 هذه الآيات فيقول حينئذ جلَّ الله بحقيقة .

وقد أشار إلى ذلك الشيخ الإمام عبد الله ابن الشيخ أبي الفرج بن سعيد
 المقدسي في كتابه « تحفة المتعبد وغنية المتبهد » انتهى .

وذكر الشيخ أبو القاسم في كتاب الرسالة في ذكر المشايخ في ترجمة الشيخ
 أبي عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري وهو آخر من ذكره في الثلاثة والثمانين
 من أهل أرسنة قال : سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن سعيد المصيص
 يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول : كنت راكباً جملاً ففاصت رجل
 الجمل في الرمل فقلت : جلَّ الله . فقال الجمل : جلَّ الله .

وحكي النقشيري أيضاً في باب كرامات الأولياء عنه أنه قال كلمني جمل في
 طريق مكة وذلك أني رأيت جملاً والحامل عليها وقد مدت أعناقها بالليل .
 فقلت : سبحان الله من يحمل عنهما ما هي فيه فالتفت إلي الجمل فقال : قل جلَّ الله
 فقلت : جلَّ الله .

وروى أن أبا سفيان بن حرب قال بأحد بعد ما قُتل من قُتل من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم أعلُّ هُبُل أعلُّ هُبُل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا
 تجيبونه . فقالوا : يا رسول الله ما تقول . قال : قولوا : الله أعلُّ وأجلُّ ، الله
 أعلُّ وأجلُّ .

ونقل الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد بن موسى الدميري المصري في كتابه حياة الحيوان الكبرى من كتاب المجاسة للدينوري عن معاذ بن رفاعه قال مر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول : سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت من قائلين استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن .

فصل

في تفسير التسييح

ولنتقدم على ذلك ذكر إعراب كلمة التسييح ثم ذكر معنى العزة ثم نأخذ في معنى التسييح المقصود بهذا النصل المقصود .

(الاعراب) قال العلماء أما سبحان فحى أسم مصدر بمعنى التسييح ملازم للنصب ويضاف إلى الظاهر كسبحان الله وسبحان ربك ، وإلى المضمَر كقوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾ وفي الحديث سبحانه لا نحصى ثناء عليك وقد يقطع عن الإضافة في الشعر فينون إن لم تنو الإضافة كقول الشاعر - سبحانه ثم سبحانا نعوذ به - ولا ينون إن نويت الإضافة كقوله سبحانه من علقمة الفاجر أراد أن يقول سبحانه الله فلما لم يساعد الوزن حذف المضاف إليه مع نيته وأبقى المضاف بحكمه كما كان قبل الحذف .

ثم قال الشيخ عبد الله بن يوسف بن هشام : وقد اختلف في الباء من قوله فسبح بحمد ربك فقيل للمصاحبة والحمد مضاف إلى المفعول أى سبحه حامداً له أى نزهة عمالاً يليق به وأثبت أنه ما يليق به ، وقيل للاستعانة والحمد مضاف إلى الناعل أى سبحه بما حمد به نفسه إذ ليس كل تنزيه محموداً ألا ترى أن تسييح

المعزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات .

واختلف في سبحانه اللهم وبحمدك قليل جملة واحدة على أن الواو زائدة
وقيل جملتان على أنها عاطفة ومتعلق الباء محذوف أى وبحمدك سبحتك وقال
الخطابي المني وبعمونتك التي هي نعمة توجب على حمدك سبحتك لا بحولي
وقوتي يريد أنه مما أقيم فيه السبب مقام السبب .

وقال الشيخ الإمام أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد السيد الشريف
العلوي الحسنی المعروف بابن الشجري في قوله تعالى ﴿ فتستجيون بحمده ﴾ وهو
كقولك أجبته بالتلبية أى فتجيبونه بالثناء إذ الحمد الثناء والباء متعلقة بحال
محذوف أى ما بين بحمده والوجهان في سبح بحمد ربك ولعل العبارة
ناقصة تأمل .

وأما عزته تعالى ، فهي صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال
والتمام منزّه عن الزيادة والنقصان ونسبة العمل فمرة الله تعالى اقتضت كون كل
ما سواه محجوباً عن رؤية الله عز وجل فإن العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل إليه
يقال حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه .

وقيل العزيز الذي لا يرتقى إليه وهم طامع في تقديره ولا يسمو إلى صمدية
فهم قاصد إلى تصويره .

وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الأبواب دون إدراك
نعمته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كمال جماله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك .

ه قال ابن عطاء الله لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه ولا ينقص من عزه
إدبار من أدبر عنه وقال يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار
وفي التنزيل ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ الآية .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه سئل عن (سبحان الله) فقال :
كلمة رضىها الله لنفسه ، وسئل مرة أخرى عن (سبحان الله) فقال : تعظيم
جلال الله .

وقال الشيخ صالح ابن الصديق النمازى فى كتاب (الأنوار الساطعة بشرح
العقيدة الجامعة) له : والتسبيح التنزيه والتبعية عن السوء من سبىح فى الماء
إذا ذهب فيه وأبعد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل عن (سبحان الله) فقال : تنزيه
الله تعالى : وجاء رجل إليه رضى الله عنه فقال : لا إله إلا الله نعرفها أنه لا إله غيره
والحمد لله نعرفها أن النعم كلها منه وهو الحمود علينا . والله أكبر نعرفها لا شيء
أكبر منه ، فما سبحان الله ؟ قال : كلمة رضىها الله تعالى لنفسه وأمر بها الملائكة
وقرأ بها الأخيار من خلقه .

وعن إبراهيم بن يزيد التيمى عن النبي صلى الله عليه وسلم : سبحان الله
تنزيهه وصيافته عز وجل عن كل سوء .

وعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن تفسير سبحان الله فقال : تنزيه الله عن كل سوء .

وقال أبو القاسم القشيري فى كتاب (التحجير فى علم التذكير) تنزيه الله عزَّ
وجلَّ يكون بالقول والبيان مرة وبالاعتقاد وتأمل البرهان ثانية ولا يصلح
ذلك إلا بعد كمال المعرفة والتحقق بعلم التوحيد فإن التسبيح تحقيق تقديس
الحقيقة عن مشابهة الخلق وإفراد الحق عن أوصاف الخلق وإبعاد الله عز وجل
عن الحدوث وما يقتضيه والإخبار عن تقديسه عن موجبات التعطيل والتشبيه
وإنما يصح ذلك على أصول أهل الحق الذين عرفوه بنعمت الجلال فلم يسابوا
أوصاف تعالى والكمال عنه فسلموا الملك إليه إقرارا بالربوبية وطاعوا

لأنفسهم استحقاق العبودية فتهروا من الحول والقوة والمنة ورأوا ما للمولاهم
عليهم من خصائص المنة وعرفوا ما أوجب الله من الأوصاف الواجبة فلم يقصروا
فيما ألزمهم من الوظائف الواجبة وعلموا ما اتصف به الحق من نعمته الجائزة
فلم يجوزوا لأنفسهم مجاوزة حدود الله الرتبة ووقفوا على ما امتنع في وصف
الله سبحانه وتعالى فامتنعوا من ارتكاب مساخطة اللازمة ، وقال لا يصح من
العبد حقيقة التسبيح الذي هو التنزيه لله سبحانه وتعالى حتى يتنزه عن أوصافه
الذميمة وينزه نفسه عن الشهوات لأن صاحب الشهوة محجوب عن ربه وقد
روى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن حذر وأندر أصحابك
بكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة انتهى
كلامه رحمه الله تعالى .

تأمل واستدلال على القدرة الإلهية

حكى أن كسرى أضطجع ليلة على فراشه فنظر إلى الفلك فتفكر في هيئته
واستدارته فقال أيها الفلك إن بناء أنت ستفه لعظيم ، وإن بيتاً أنت غطاؤه
أنظيم . وإن شيئاً أنت تظله لكثير وإن فيك لمجاً للتمجحين ، أعلى عمد أنت
من تحتك تتمسك أم بمعاليق من فوقك تتعاق ، ولعمري إن ملكاً أمكنتك
قدرته لملك قدير ، وإنه في استدارتك بتقديره لحكيم خير . وإن جهل من
غفل عن التفكير في هذه العظمه لكبير وليت شعري كم أفنت هذه النجوم
من القرون ، وكم صبحت قبلنا أمما في سالف العصور ، ليت شعري بم طلوعك
حين تطلعين ، وبم سيرك حين تسيرين ، وعلى من أقولك حين تأفلين ، وعلى
من سقوطك حين تغيبين ، ليت شعري أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك
التي بها تتصفين ، ولو نك الذي به تتوهمين ، ومن سماءك بأسمائك التي بها تعرفين
فسبحان من لأمره تنقادين وبمشيئته تجرين وبصنعه استقامتك حين تستقيمين

ورجوعك حين ترجعين ، واستتارك حين تستترين ، وبريئك حين
برزين . انتهى .

ومن الأشياء المجيبة ، التي تورث العاقل أن يديم التسبيح تفكره في
نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه ، قال أهل البصائر النافذة : جمل الله تعالى
في الإنسان سر نسخة الوجود كما سموه العالم الصغير فما من مخلوق إلا في الإنسان
خصلة منه إما صورية أو معنوية وقد زين الله الإنسان بالأعضاء الظاهرية وجميع
الأشياء المتضادة في المعاني الباطنة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وقد
قال تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

وقال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في كتابه (اتخاف السائل)
اعلم أن التنزيه هو التقديس وهو التسبيح أيضاً ومعناه أن يعتقد القلب تنزيه
الحق جل وعلا ذاتا وصفات وأفعالا عن مشابهة المخلوقين فإنه المتقدس سبحانه
المتنزه عن الشركاء والأمثال وعن الحدوث والزوال وعن الأعراض والعلل
وعن التقيد بالزمان والحل بل هو المتنزه عن أن يصوره وهم أو يتخيله خيال
أو يظفر به فكر أو يدرك ماهيته عقل أو يحيط به علم ، قال وكثيراً ما وقع
التسبيح في القرآن الكريم متصلاً بتنزيه الحق نفسه عما أضافه إليه الملحدون
بما لا يليق بكماله مثل قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾
إلى قوله تعالى : ﴿ إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ﴾ ومثل قوله :
تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً ﴾ إلى قوله ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾
ومثل قوله ﴿ إلا أنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ الآيات
إلى قوله ﴿ سبحانه الله عما يصفون ﴾ .

قلت : وقوله ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل
إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله وتعالى عما يشركون ﴾ إلى غير
ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾ الآية .

وروى الإمام البغوي بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال .
قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتى ولم يكن له ذلك ، فأما
تكذيبه إياي فزعمه إني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله لي
ولد سبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يا نبي الله أى الذنب أعظم عند الله
قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم
معدك قلت ثم أى قال أن تزاني حليلة جارك - أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا
فى الله فانكم لن تقدروا قدره انتهى .

رجعنا إلى كلام سيدنا عبد الله الخداد قال : وأما الثناء فهو الحمد والودح
ومعناه ذكر ما يستحق المدح من صفات الكمال وما هو متصف به من معاني
العزيز والشرف والجلال وما يفيض منه على المثنى عليه وغيره من العطاء والنوال
وما يدفع عن المادح وعن سواه من ضروب البلايا والانكال مقرونا بالاعظام
والاجلال .

قال ومن أجمع العبادات واشملها لمعاني الثناء قوله الحمد لله ، قال واعلم أن الله
تعالى هو المنزه على الإطلاق والمستحق الثناء على كل وجه وبكل معنى وهو
النفرد بذلك والتوحد لأنه المنزه عن كل نقص ، المتصف بكل كمال ، المفيض
لكل خير فالتنزيه والثناء له حقيقة ، ولغيره مجاز بل لا منزّه ولا محمود سواه
حقيقة ومجاز أو كل من أوتي من الخلق شيئا من النزاهة أو وصل إلى شيء مما يقع
عليه الثناء فما وصل إلى ذلك بحوله وقوته بل بقدرة الله ومشيتته وفضله ورحمته
وذلك من الله وبالله ، ومن نزه مخلوقا عما هو منزّه عنه وباعده نقصا يمتور
أبناء جنسه . أو اثني عليه بكلال هو متصف به فتنزيهه وثنائه تنزيهه لله وثناء
على الله علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

ثم قال اعلم أن الله غنى عن تنزيه المنزهين وعن ثناء المثنيين فإن المنزه له سبحانه لم يدفع تنزيهه عنه نقصا إذ لا نقص ولا يتصور وجوده والمثني عليه تعالى لم يثبت له بشئانه كما لا فإن الكمال كله لله أزلا وأبدا وإنما تنزيه العبد لربه وثناؤه عليه نفع يحمره إلى نفسه وخير يوصله إليها وقد وعده الله تعالى ذلك بفضله قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض الحديث ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لنفى عن العالمين « انتهى كلام سيدنا عبد الله الحداد نفع الله به وهو كلام نفيس هذا ملخصه » .

فائدة

من شرح أسماء الله الحسنى

قال الشيخ الجلال التبريزي اسمه تعالى (المعز) من قرأه مائة وأربعين مرة في ليلة الاثنين وليلة الجمعة بعد صلاة المغرب والمشاء تكون له هبة بين الخلائق ولا يخاف إلا الله ، قيل واسمه تعالى (المذل) كل من خاف من ظالم أو حاسد يقرؤه خمسا وسبعين مرة وبمده بسجد ويدكر اسم العدو أو الظالم ويقول إلهي أمّني من فلان فإنه يكفيه الله شره .

فائدة

نقل الشرحي في كتابه الفوائد عن الفقيه الشهير الولي الكبير أحمد بن موسى بن عجيل نفع الله بهما أنه قال يقال في وجه من يخاف شره من ظالم أو سيع فلا يضره « تعزرت بذى العزة والجبروت وتوكلت على الحى الذى لا يموت شأهت الوجوه وعميت الابصار وتوكلت على الواحد القهار وينفث ثلاث نفثات فإنه لا يتكلم إلا بما يحب .

فائدة أخرى

قال الشرحي روى عن الفقيه سليمان العلوي رحمه الله تعالى أنه قال روى
 أن سعيد بن المسيب اجتمع برجل من مؤمني الجن ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
 فقال يا سعيد هل لك أن أكسبك حجابا ما علق على أحد قطرته طارق سوء ،
 ولا علق على دابة فاصبها مفل ، ولا دخل به أحد على سلطان فأصابه منه شر ،
 ولا ركب به في سفينة فاصبها غرق ولا سافر به أحد في رفته فاصبهم سوء
 قال سعيد ومن لي بذلك قال هات الدواة واكتب : كل ذي ملك فملوك
 لله وكل ذي عزة فغالبه الله ، وكل ذي قوة فضعيف عند الله ، وكل جبار
 فضعيف عند الله ، وكل ظالم لا محيص له من الله ، يا أعداء حامل كتابي هذا
 ويا حاسديه من الجن والإنس والشياطين والعفاريت والمتمردين ، من الله
 خاتم سليمان بن داود عليهما السلام في أفواهكم ، وعصا موسى عليه السلام على
 اكتافكم ، وخيركم بين أعينكم وشركم تحت أقدامكم ، ولا غالب إلا الله تعالى .
 حامل كتابي هذا في عز الله النافع الذي لا يذل من اعتر به ولا ينكشف من
 استتر به ، سبحان من ألحم البحر بكلماته ، سبحان من أطفأ نار إبراهيم بحكمه ،
 سبحان من تواضع كل شيء لمظنته ، أقبل ، لا تخاف دركا ولا تخشى ، لا تخافا
 إنني معكما أسمع وأرى ، اللهم ارحم حامل كتابي هذا واستره بترك الواقع
 الحصين في ليله ونهاره وظنه وقراره الذي أستتر به أولياؤك المتقون من أعدائك
 الكافرين ، اللهم من عاداه فماده ومن كاده فكده ومن نصب له نغا فخذ
 واطفئه عنه نار من أراد به عداوة وشراف فرج عنه كل هم وضيق ، ولا تحمله
 ما لا يقوى وما لا يطيق إنك أنت الله لا إله إلا أنت الحق الحقيق وصلى الله على
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فائدة أخرى

اسمه تعالى ﴿ العزيز ﴾ خاصيته وجود الفنى والعز فمن ذكره أربعين يوما في كل يوم إحدى وأربعين مرة أغناه الله وأعزه ولم يحوجه لأحد من خلقه والأحسن أن تكون قراءته بعد صلاة الصبح ، واسمه تعالى ﴿ الجليل ﴾ خاصيته إسراع الإجابة بأن يذكر مع الدعاء لاسيما مع اسمه السريع ، واسمه تعالى ﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ قال بعض العلماء ببركة هذا الاسم أعطى الله الأنبياء والأولياء الجلالة والهيبة والكرامة ومن كان يرجو أمراً وقرأه سبعائة مرة فإن الله يعطيه ما طلب وروى أن الاسم الأعظم ذو الجلال والإكرام وعده ألف ومائة وإذا دخل عليه حرف النون انقلب الواو ألفاً أيضاً لأنه يكون منادى مضافاً فينقص العدد خمسة وقد جاء في الحديث ألقوا بياذا الجلال والإكرام رواه أنس قال النووي الظوا بكسر اللام وتشديد الظاء للمجئمة معناه الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها وألحوا بها فلماذا يقال إنه اسم الله الأعظم انتهى .

خاتمة

قال حجة الاسلام الفزالي في عقيدته الضراء وفريده الزهراء في التنزيه وأنه تعالى ليس بجسم مصور ولا بجوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لافي التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بمرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات ، وأنه مستقر على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن الماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهرون في قبضته ، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى

فوقية لا تزيد قربا إلى العرش كما لا تزيد بُعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد ادلا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعثره العوارض بل لم يزل ولا يزال في نعوت جلالة منزلها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبرار في دار تقرر وإعظاما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم اه ما ذكره الغزالي .

الذكر التاسع وشرحه

ثم اتفق سيدنا عمر بعد قطع العوائق والملائق إلى ذكر التسبيح الذي هو بحلال الله لائق وهو صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون في سائر الأطوار والطبائع فقال (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) « ثلاثا » . قال الشيخ على نفع الله به « كذلك نزه الاسم في مراتب الحقيقة الثلاث ذاتا وصفات وأفعالا بالتنزيه الوصفي الذي هو مظهر الشيء من حيث الوصف ونعته بنعت العظمة ، وهذا الذكر يقال إنه صلاة الحيوان والنبات والجمادات وبه ترزق الخلائق ، ومن ذكر منه ثلاثا بعد الصبح وثلاثا بعد المغرب لم ير في جسده ما يكرهه ومن أتى منه « بمائه » بعد الصبح كان مجلبة للبركة الرزق وهو أفضل ما يقترب به إلى الله .

وقد ورد بفضل الكتاب المجيد وأحاديث السنة فاطلب من مواضعها من كتب الحديث .

وأما من الكتاب فمن ذلك قوله عز وجل (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فديح وأطراف النهار لعلك ترفى) اهـ .
ونحن نأتى ببعض الآيات والأحاديث الدالة بالتصريح على عظيم فضل الذكر لاسيما التسييح :

أما الآيات فقد قال الله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن آناء الليل فسيحه وأدبار السجود) وقال (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسيحه وإدبار النجوم) وقال (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقال تعالى (فقلوا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال تعالى (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا) الآية وقال على لسان الأمين جبريل (وإنا لنحن الصّافون وإنا لنحن المسبحون) وقال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالمشي والإبكار) وقال تعالى (إن هذا هو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى (وربك يخاف ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) وقال الضحاك معناه قل سبحان الله وبحمده ، روى جبير بن نفير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت وقال تعالى (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) والآيات في ذلك كثيرة .

وأما الأخبار فقد قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه البخارى وجعله لصحيحه الختام ، قال الجلال

السيوطي في شرح البخاري حبيبتان إلى الرحمن أي محبوبتان أي محبوب قائلهما
قال وخص الرحمن بالذكر لأن القصد من الحديث بيان سعة رحمة الله لعباده
حيث يجازى على العمل القليل بالثواب الجزيل .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا ركع
أحدم فقال سبحان ربّي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه وذاك أدناه نقله في المذهب .
وفيه عنه قال إذا سجد أحدم فقال في سجوده سبحان ربّي الأعلى ثلاثاً
فقد تم سجوده وذلك أدنى السكّال ،

وفي الإحياء عن سلمه بن الأكوع رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا قال سبحان ربّي العلى الأعلى الوهاب .
وفي كتاب البغوى للشيخ الشرحى قال روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن من قال بعد كل صلاة مفروضة سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ
الواصفون صفته أطال الله عمره وأغناه عن خلقه، وعن يسيرة إحدى الصحايات
المهاجرات أنها قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتسبيح والتلهيل
والتقديس فلا تغفلن واعتدن بالأنامل فانهن مشغولات مستنطقات .

(فائدة) يروى أن من صلى ركعتين قبل طلوع الفجر يقرأ في كل ركعة
الفاتحة وآية الكرسي « ثلاث مرات » وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله
أحد « إحدى عشرة مرة » ثم يقول بعد الفراغ سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم واستغفر الله « مائة مرة » قضى الله دينه ووسع عليه رزقه وذلك مشهور
مجرب إن شاء الله تعالى نقله بعض العلماء .

• * •

وقال أبو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله
تعالى قال ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .
وقال الامام محيي الدين النووي في كتابه حلية الأبرار روي في كتاب ابن
السني بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول إذا رددَّ الله عز وجل إلى العبد المسلم نفسه من الليل فسيبجه واستغفره ودعاه تقبل منه ، وروى أن رجلاً أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدي فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الغلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله (مائة مرة) ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتلك الدنيا راغمة صاغرة ويخاق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه رواه البخارى فى صحيحه .

وقال عليه السلام من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم (مائة مرة) حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ذكره والذى قبله فى الأحياء .
وفيه أيضاً قال جابر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تضربوا الدواب فإن كل شئ يسبح بحمده تعالى ^(١) .

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى : فتح الله على ذات ليلة فسمعت تسبيح جميع المخلوقات من الحيوانات والجمادات مثل الرجود القاصفة وذلك من بعد صلاة المغرب إلى العشاء فكادت تذهب عقلى فسألت الله تعالى أن يذهب عنى سمع ذلك ويبقى على علمه فأجاب ، انتهى بحمده .

وقال حجة الإسلام الغزالى : اعلم أن أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله فى حقهم كل ذرة فى الأرض والسموات بقدرته التى أنطق بها كل شئ حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ، ولست أعنى به

(١) نهى عن الأذى غير المشروع وإلا فذبح الأنعام وهو فوق الضرب جائز بل قد يطلب وقتل الحيوان المؤذى مشروع وهو ابلغ من الضرب فانيهم

السمع الظاهر الذى لا يجاوز الأصوات ، فإن الحمار شريك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهائم ، وإنما أريد به سمعاً يدرك به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، كلاماً ليس بحرف ولا صوت ، ولا هو عربى ولا عجمى . ثم قال : فإن قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت ؟ وكيف سبحت وقدمت ؟ وكيف شهدت على نفسها بالمعجز فاعلم أن لكل ذرة فى السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر ، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذى لا نهاية له ، ولو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ، ثم إنها تتناجى بأسرار الملوك والملوكوت بل إفشاء السر تؤم بل صدور الأحرار قبور الأسرار فهل رأيت قط أميناً على أسرار لئلك قد يوحى بخفائيه فينادى بصره على ملا من الخلق ولو جاز إفشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، بل كان يذكر ذلك حتى يبكون ولا يضحكون ، ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إفشاء سر القدر ، ولما قال صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر النجوم فامسكوا ، وإذا ذكر أخصي فامسكوا ، إلى آخر ما قال الغزالي انتهى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النملة فحرق ، فأوحى الله تعالى إليه لأن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ، أخرجه الحمسة إلا الترمذى وقرية النمل مسكنها .

وفى حديث الطبرانى جاء قبيصة بن الحارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت عن أشياء كنت أعملها ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما لديك فإذا صليت الفداة فقل ثلاث

مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإنك إذا قلتهم أمنت من الهم والجذام والمرض والبرص والفالج ، وأما لا خرتك فقل : اللهم اهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك وأنزل عليّ من بركاتك ، ثم قال عليه السلام : أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب في الجنة يدخل من أيها شاء . انتهى من الاحياء .

ونقل صاحب مقال الناصحين عن الاقلشي قال : قال عطاء بن خالد رحمه الله تعالى : من قال حين يصبح أو حين يمسى سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات ، لم يرفق نفسه ولا في أهله ولا في ماله مكر وهازل حتى يمسى أو يصبح ، ونقله أيضا صاحب كتاب الحقائق الواضحات عن ابن وهب عن عطاء بن خالد .

وفي تفسير البغوي بسنده إلى أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب الحسنات عن يمين الرجل ، وكاتب السيئات عن يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرة ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يستجح أو يستغفر .

وعن أبي ذر رضى الله عنه ، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد : سبحان الله وبحمده ، يعنى بعد لا إله إلا الله كما قاله .

وفي تذكرة الأعداد عن عبد الله بن سلام أنه قال من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مع زيادة سبحان الله رب العالمين أربع مرات خلق الله تعالى من ذلك ملكا يعبد الله إلى يوم القيامة الحديث صريح في ذلك اهـ .

وقال الإمام البغوي في تفسيره روي أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح

كما ياهمون النفس وقال فيه قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعمون ألف صفحة في كل صفحة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله عز وجل وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين .

وقال عليه السلام أطّت السماء وحق لها أن تثنى والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا فيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده رواه ابن مردويه عن أنس .

وقال عليه السلام أكثروا من قول القرينتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإنهما يحيطان الخطايا ويرفعان الدرجات .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أُمّه الأمر رفع رأسه إلى السماء وقال سبحان الله العظيم وإذا اجتهد في الدعاء قال يا حي يا قيوم .

وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال لي الله تعالى يا محمد خمسة تنقل موازين أمتك يوم القيامة أحدها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله الثاني الصلوات الخمس الثالث سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الرابع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الخامس الاستغفار يا محمد إني أجعل كل حرف من هذه الحروف في ميزان أمتك أثقل من جبل أحد .

وذكر الإمام حجة الإسلام في آخر كتاب ذكر الموت وما بعده أنه رأى الإمام مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنائز سبحان الحى الذى لا يموت فكنت أقولها ، وفي الكتاب المذكور عن يزيد بن نعام قال هلك جاريه في الطاعون

الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قد مننا على أمر عظيم نعلم ولا نفعل وتعلمون ولا تعملون فوالله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نمد الآيات بركة وأنتم تعدونها نحويفنا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلا ماء فجاءا بانه فيه ماء قليل فادخل يده فيه ثم قال حي على الظهور المبارك والبركة من الله تعالى فاقدر رأيت الماء ينبع من بين أصابعه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري والترمذي والنسائي .

وفي كتاب الخفائي قال خرج المالكي في كتاب رياض النفوس عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق أنه قال من قال سبحان الله وبحمده في ملاء من الناس من غير تعجب خاق الله منها ملكا يسبحه ويهله إلى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لقائهما وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى دية .

وفي بعض الاخبار عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول إن هذا الوعيد لأهل الأرض لشديد .

وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى لو أن عبادي أطاعوني لستبيهم المطر بالليل وأطاعت عابهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد قال الجوهري في صحاحه والصاعقة هي أشد صوت الرعد يسقط منه قطعة من نار تحرق من أصابته .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا مع عمر رضي الله عنه في سفر فاصابنا رعد وبرق وبرد فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي من ذلك الرعد ففعلنا فعوفينا نقله في المذهب .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الرياح والصواعق وغير ذلك اللهم إني أسألك خيرا وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وفي رواية وخير ما أرسلت به وشر ما أرسلت له وكان يقول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند نزول الغيث اللهم صيبا نافعا اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب وإذا خشي من كثرة المطر يقول اللهم حوالينا ولا علينا . وقال صلى الله عليه وسلم السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة .

وروى الزهري أن تسبيحة واحدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره .

وروى البزار بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في دبر الصلاة سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله قام مغفورا له » .

وفي سنن أبي داود عن بعض بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كن وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإنه من قالهن حين يمتسي حفظ حتى يصبح نقله الإمام محيي الدين في كتابه الأذكار .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال كيف ذلك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجهادون ويتصدقون قال ألا أحدنكم بما إن أخذتم به أدر كنتم من سبقكم ولم يدر كنكم أحد بكم وكنتم

خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خائف كل صلاة ثلاثا وثلاثين فاختلفنا بيننا فقال بعضنا تسبح ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعة وثلاثين فرجعت إليه فقال يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين كذا ذكره البخاري في صحيحه .
وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم النقيم قال كيف ذلك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وافقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسببون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد مثلكم حتى تسبحون في دبر كل صلاة عشرة وتحمدون عشرة وتكبرون عشرة ذكره الإمام البخاري في صحيحه أيضاً .

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله دبر كل صلاة عشرة ويحمد الله عشرة ويكبر الله عشرة فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة بالميزان ويكبر أربعة وثلاثين . إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف بالميزان فقلت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتدحها بيده قالوا يا رسول الله هما يسير ومن يعمل بهما قليل قال يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقولها ويأتي في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها انتهى الحديث . قلت ومعنى قوله فذلك خمسون ومائة باللسان لأن الصلوات المكتوبات خمس والذي يؤتى به منها بعد كل فريضة عشر وعشر وعشر فذلك ثلاثون تصح الجملة مائة وخمسين كما ذكره عليه السلام ثم يضعف إلى عشرة أمثاله فتصير المائة ألفاً والخمسون خمسمائة فهو معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقوله يكبر أربعة وثلاثين إلى آخره هو ما أعطاه بنته فاطمة رضي الله عنها لما

سألت الخادم في الحديث الصحيح كما سيأتي ذلك في آخر هذا الباب عند ذكر التسبيحات المخصوصات بالفضيلات الجليلات .

وقال صلى الله عليه وسلم لجويرية وقد خرج من عندها حيث صلى الصبح وهي تسبح ثم رجع وهي جالسة بمد أن أضحي مازلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال لقد قلت بمدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، قال الإمام النووي في شرح مسلم قوله مداد كلماته هو بكسر الميم قيل معناه مثلها في العدد أو في أنها لا تنفذ أو في الثواب قال والمداد هنا مصدر بمعنى المدد وهو ما كثرت به الشيء . قال العلماء واستعماله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره والمراد به المبالغة في الكثرة لأنه ذكر أولاً ما يحصره المدد الكثير من عدد الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أي ما لا يحصى عد كما لا تحصى كلمات الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرين ألف حسنة .

وقال صلى الله عليه وسلم هي أحب الكلام إلى الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم هي أفضل الكلام الذي اصطفاه الله للملائكة وقال صلى الله عليه وسلم هي التي أمر نوح بها ابنه فأبها صلاة الخلق وتسبيح الحيوانات وبها يرزق الخلق .

وقال صلى الله عليه وسلم من هاهنا الليل أن يكابده أو بخل بالمال أن ينفقه أو جبن من عدو أن يقابله فليكثر منها فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من قالها مع استغفر الله العظيم وأتوب إليه

كتبت كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمجوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقي الله يوم
القيامة محتومة كما قالها .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جلس في مجلس فكثرت فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك
اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلا غفرله ما كان
في مجلسه ذلك رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح نقله الإمام النووى في
رياض الصالحين .

وروى الطبرانى والخرايطى من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف
مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيقا من النار .

(فائدة) مما يذهب النوسوسة الاكثر من قول سبحان الله الملك الخلاق
إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز .

(فائدة أخرى) مما يعين على حفظ الفرج كثرة قراءة سورة الفلق والدوام على
قوله سبحان الملك القدوس اه ذكر ذلك زروق في كتابه (النصيحة الكافية
لمن خصه الله بالعافية) .

(فائدة) وفي سنن النسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال من توحشا
ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك
طبع الله فيها بطابع من نور ثم رفعت تحت العرش لم يكسر إلى يوم القيامة
قال شيخ الإسلام ومعنى لم يكسر لم يتطرق إليه إبطال والطابع بفتح الباء
وكسرها الخاتم .

* * *

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك اللهم ظلمت نفسي وعملت سوءاً
فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب النمل
وقوله كدب النمل أى التراب الذى يدب عليه النمل ، وعن عائشة رضى الله عنها

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن رواه البخارى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه قال أخبرني ربي أنى سارى علامة فى أمتى فإذا رأيته أ بكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقد رأيته إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا .

وعن أبى مالك الاشمرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو مشتر نفسه فمعتقها أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وموقبها أى مهلكها ، وروى الشيخ سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملأه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه أى ليس لقبوها حجاب يحجبها .

وروى الطبرانى أن سبحان الله إذا قالها العبد مائة تعدل مائة رقة تعتق لله تعالى الحديث .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرج البغوى فى منتخبه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلتنا علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به أنى لكأن معك فى الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله وبحمده

كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل كيف نهلك
بعد هذا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليأتى يوم القيامة
بالعمل لو وضع على جبل لأثقله قال فتقوم النعمة من نعم الله تعالى فيكاد أن ينفد
ذلك كله إلا أن يتطاول الله برحمته قال ثم نزلت هذه السورة هل أتى على
الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إلى قوله رأيت نبييا وملكا كبيرا
قال الحبشي وإن عيني ليرين ما ترى عيناك في الجنة؟؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه يعني مات في الحال رضى الله عنه قال ابن عمر لقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّيه في خفّته بيده .

وفيه قال خرّج النسائي عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اذكروا الله عباد الله فإن العبد إذا قال سبحان الله وبحمده كتب
الله له بها عشراً إلى المائة إلى ألف فمن زاد زاد الله ، ومن استغفر غفر الله له .
وخرّج ابن وهب في جامعه عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول حق
على كل مسلم حين يقوم في صلاته أن يقول سبحان الله وبحمده وذلك لأن الله
تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ .

وخرّج العقيلي عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال : من قال حين يصبح ﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ الآية كلها
ادرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاتته في ليلته .

وروى ابن وهب في جامعه عن معاوية عن أبي جمرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان إذا سلم من المكتوبة قال : سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم يقول : اللهم بحمدك انصرفت
وبذنوبى اعترفت أعوذ بك من شر ما اقترفت يا مقلب القلوب ثبت قلوبى على
دينك حتى ألقاك .

وخرَّج أبو نعيم الأصبهاني في كتاب حامية الأولياء بسنده عن خالد
ابن معدان أنه قال : إن في السماء ملكاً نصفه نار ونصفه ثلج يقول : سبحانك
اللهم وبحمدك كما ألفت بين هذه النار وبين هذا الثلج قالف بين قلوب المؤمنين
ليس له تسبيح غيره .

تسبيحات مخصوصات

وهذه تسبيحات مخصوصات رويت فيها فضائل مخصوصات نقلها بعض
العلماء . روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحن رب
الأعلى ميكائيل قال النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أخبرني عن ثواب من
قالها في صلاة أو غير صلاة قال يا محمد ما من مؤمن بقولها في سجوده إلا كتبت له
في ميزانه أنقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدي أنا
الأعلى فوق كل شيء وليس فوق شيء أشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي
وأدخلته جنتي فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله
على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول يا رب شفني فيه فيقول
قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة ذكره الإمام الثعالبي في تفسير سورة الأعلى .
وعن أبي الورد بن عمار قال قال علي رضي الله عنه لا بن أعيد ألا أحدثك
عني وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت من أحب أهله
إليه قلت بلى قال أنها جرت بالرحى حتى أثرت في يدها واستفتت بالتقربة حتى
أثرت في نحرها وكنست البيت حتى أغبرت ثيابها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
بخدم فقلت لها لو أتيت أباك فسألتني خادماً فأتته فوجدت عنده أحداً فرجعت
فأتتها من الغد فقال ما كانت حاجتك فسكت فقلت أنا أحدثك يا رسول الله
إنها جرت بالرحى حتى أثرت في يدها وحملت بالتقربة حتى أثرت في نحرها فلما

أن جىء بالخدم أمرتها أن تأتيك تستخدمك خادماً يقبها ما هي فيه فقال اتق الله يا فاطمه وأدى فريضة ربك وأعمل عمل أهلك وإذا أخذت مضجعتك فسيحي ثلاثاً وثلاثين واحمدى ربك ثلاثاً وثلاثين وكبرى أربعاً وثلاثين فذلك مائة هي خير لك من خادم قالت رضيت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يُخدمها أخرجها الحصة إلا النسائي .

وعن أبي الزهراء مؤذن بيت المقدس أنه قال صليت العتمة في بيت المقدس فأوترت في الصخرة فغلبتني عيني فتمت وغلقت الأبواب فلم يذهبنى إلا حفيف أجنحة الملائكة قد امتلأت الصخرة منهم فقال الذي يلينى منهم آدمي أنت فقلت نعم فأخبرته بنومي فقال لا بأس عليك ثم سمعت قائلاً من الملائكة عن يميني يقول « سبحان القائم الدائم سبحان الواحد الأحد الفرد الصمد الحى القيوم سبحان الذى لا يموت سبحان الله ويحمده سبحان الملك القدوس سُبحُوقُ قدوس رب الملائكة والروح سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى » ثم قال من بالجانب الأيسر مثل ذلك ثم ارتجت صفوف الملائكة بالتسبيح فقلت للذى يلينى منهم بالذى طوقكم نورا من القائل من الجانب الأيمن قال ذلك جبريل فقلت من القائل من الجانب الأيسر قال ذلك ميكائيل قال فقلت له من قال مثل مقالتيكم هذه ما يكون له من الثواب فقال لى من قال مثل مقالتنا هذه لا يموت حتى يرى مقعده في الجنة إذا قالها عدد أيام السنة كل يوم مرة أو في يوم واحد فقلت عسى أنى لا أعيش حتى آتم السنة فخنوت بنفسى فقلت لها ثلاثمائة وستين مرة فرأيت والله في منامى مقعدى في الجنة فحجبت فرأيت الربيع بمكة فأخبرته وأعلمته بالتسبيح فلما كان العام القابل لتيته بمكة فقال لى جزاك الله خيراً أما أنى فعلت التسبيح الذى أمرتنى به فرأيت مقعدى في الجنة وأنا والحمد لله رأيت خيراً كثيراً ورواها بعضهم (سبحان الدائم القائم سبحان الحى القيوم سبحان الملك القدوس سبحان رب الملائكة والروح سبحان الله

وبحمده سبحانه الله العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى .

وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب حدثونا عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة فصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا قال فقلت من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت . قال فقلت فما أسمك قال مهلميايل قلت فما ثواب من قاله : قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له وهو هذا التسبيح (سبحانه الله العليُّ الدين سبحانه الله شديد الأركان سبحانه من يأتي بالليل ويذهب بالنهار سبحانه من لا يشغله شأن عن شأن سبحانه الله الختان لثان سبحانه الله في كل مكان) وفي بعض النسخ سبحانه من يذهب بالليل ويأتي بالنهار .

وعن الشيخ أبي حامد بن عبد الله بن مهدي التفسير صاحب كتاب الفردوس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن محراب من نور حوله ملائكة من نور على جبل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر (سبحانه ذي الملك والملكوت سبحانه ذي العزة والجبروت سبحانه الخي الذي لا يموت سُُبُوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة والروح) من قالها في يومه أو في شهره مرة أو في سنته مرة أو في عمره مرة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أو مثل رمل عاليج أو قر من الزحف ذكره النقيع الحافظ المحدث أبو العباس أحمد بن علي السروري في كتاب الأربعين .

وفي كتاب الحقائق الواضحات : قال خَرَجَ ابن حبيب في كتاب الله ذكر له عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحانه الله وبحمده من غير عجب يراه أو يذكر له كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعمائة وعشرين ألف حسنة ومحى عنه من السيئات مثلها ومن قالها من غير عجب يراه (٣ - الفرائد)

أو يذكر له خلق الله له منها ملكا من الملائكة له وجهان وعيدان ولسان وشفطان وجناحان يطير بهما مع الملائكة يسبح معهم حتى تقوم الساعة تكون لقائهما مثل أجره إلى يوم القيامة حيا وميتا ، ومن قال سبحان الله وبحمده أربعائة مرة ثم سأل الله أن يزوجه من الخور العين زوجه ، ومن قالها ألف مرة أعتقه الله من النار لأن الدية ألف دينار فإذا قالها ألف مرة فقد أدى الدية وسبحان الله وبحمده تسبيح الخلائق ثم تلا هذه الآية (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ،

وفيه قال خرّج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال لأصحابه مالي أراكم جلوسا لا تتكلمون قولوا سبحان الله وبحمده فإن الواحدة بعشر والعشر بمائة والمائة بألف ومن زاد زاده الله ، وروى البزار في مسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله عباد الله فإن العبد إذا قال سبحان الله وبحمده كتب له بها عشر حسنات ومن العشر إلى المائة ومن المائة إلى الألف ومن زاد زاده الله ومن استغفر غفر الله له ، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حاد الله في ملكه ومن أعان على خصومة بغير علم فقد باء بسخط من الله ومن قذف مؤمنا أو مؤمنة حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالخروج ومن مات وعياه دين اقتضى من حسناته يوم نيس ثم دينار ولا درهم .

وفيه قال خرّج البخاري في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبعا بنى الله له بيتا في الجنة .
وخرّج ابن وهب في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من قال سبحان الله وبحمده يصدق لسانه قلبه وقاه الله عذاب جهنم .

فائدة جليلة في فضل التسبيح

وقد تقدمت فيما مضى من هذا الباب منقولة من صحيح البخارى وإنما أعدتها هنا بهذه الترجمة لأن في الحديث ألفاظاً زائدة .

نقل صاحب كتاب (الحقائق الواضحات) قال خرج الدارقطنى عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله إن الدنيا قد أدبرت عني وتولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله مائة مرة فتأتيت الدنيا صاغرة فولى الرجل فكث ثلاثاً ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد أقبلت على الدنيا فما أدرى أين أضعها .

وفيه عن ابن مسعود قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل فذكر له قلة ذات يده فأمره بهذا التسبيح ، وقال صلى الله عليه وسلم إن جبريل أتاني وقال يا محمد ألا أعلمك كلمات خباتها لك دون الأنبياء فأمرني بهذا التسبيح بعد طلوع الفجر إلى صلاة الصبح اه .

ومن فضائل التسبيح ما حكاه الامام الياقنى في كتابه (روض الراحين) .
(الحكاية السابعة بعد المائة) حكى أن سليمان بن داود عليهما السلام ركب في مركبه والطير تظله والدواب والوحوش والأنعام والانس وسائر الخلوقات عن يمينه وشماله فمرّ على عابد من عباد بنى إسرائيل فقال ذلك العابد والله لقد أوتى سليمان ملكاً عظيماً فسمع ذلك سليمان عليه السلام : فقال التسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى سليمان فان الملك يفنى ويذهب والتسبيحة تبقى .
تكتب اه .

(قلت) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم إن الله عبادة التسبيحة من أحدهم مثل جبل أحد . وقد كان يونس بن عبيد يقول من لم تكن عنده تسبيحة أو تهليلة واحدة خيراً من الدنيا بأسرها فهو ممن آثر دنياه على آخرته .

ونقل الشعراني في اليواقيت والجواهر من كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي أن أعظم الكرامات أن يصل العبد إلى حدٍّ لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولي مقام ذكر الجميع فإذا قال سبحانه الله مثلاً انتش في جوهر نفسه جميع ما كان يقوله العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لأن الله تعالى إذا جازى ذلك الولي أعطاه مثل ثواب جميع العالم ، وروى أن رجلاً سقط من الهواء على الشيخ إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولى وجلس بين يديه وقال ياسيدي أعطاني الله أن لا يسقط حيوان من بطن أمه من جن أو إنس أو وحش أو طير أو غيرها ولا تخرج ورقة من نبات الأرض إلا ويغني الله بذلك قبل ظهوره ، فقال وعزة ربي وجلاله لقد أعطاني الله هذا . وأنادون البورغ فلم أقف إنما الشأن في الاقبال على الله والاعراض عما سواه والله إن قول العبد سبحانه لله مرة واحدة أفضل من إطلاعه (أى على ذلك) .

وفي كتاب (الحقائق الواضحات) خرّج الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني عن سفيان بن عمر ، وعن عبيد بن عمير قال تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الأرض تجري معه ذهباً ، وقال صلى الله عليه وسلم طعام المؤمنين في زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتتدبيس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح أذهب الله عنه الجوع رواه عمر رضى الله عنه .

(فائدة أخرى) أسمى تعالى (الحميد) من أكثر قراءته فتع الله عليه بذكر القاب الذي هو باق ، ومن كان فاحش اللسان فليكتب هذا الاسم ثم يحجوه في

الكوز الذى يشرب فيه بحيث لا يشرب إلا منه ولا يشرب من سواه أياماً متتابعة فإن الله تعالى يصلح لسانه .

قال سيدى الشيخ زروق : اسمه (الحمد) خاصيته ثبوت الولاية للملازمة حتى أن اذا كر بهذا الاسم بحاسب حساباً يسيراً.. وإن ذكره ليلة الجمعة ألقا تيسر أمره . والله الموفق بمنه وكرمه انتهى القول فى فضائل التسييح .
وأما شرح معناه فقد تقدم قريباً عند قوله رضى الله عنه (سبحان الله عز الله) . والله أعلم .

الذكر العاشر وشرحه

ثم ارتقى سيدنا عمر إلى منهل الباقيات الصالحات . ذوات الفوائد الواضحات فقال .

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر « أربعاً ») .

قال الشيخ على مشيراً بالتنزيه فى تنزيلات الحقيقة بالأنوذية العامة الذاتية وبالحمد الشاملة لجميع المظاهر الفعلية . ولا إله إلا الله كلمة الاخلاص الخالصة لقائلها من كثائف الأغيار والمأخية عنه ظلمات الذنوب ومترحات الآثام ، والله أكبر نعمته الأكمل ووصفه الأجل عن إدراك ظهوره أو إحاطة بوصفه أو مثل لفعله أو أين له أو عين أو قول عن ذلك ينقل ، وأتى به أربعاً ليفهم التنزيه بكماله والراتب والنعوت والأفعال والصفات عن الطبائع الأربع التى هى مبنى تركيب الخلقيات الموجودات فى الأرضين والسموات فسبحان الله وتعالى عن مشابهته لشيء . أو مشاكلته فى الذات والأفعال والصفات وهذه هى الباقيات الصالحات المؤذونات لذا كرها بكمال الثوبات وصنوف السررات الدافعة عنه المصائب والنافية نشؤم المضرات ، وفضائلها أبين من أن تشهر وأكثر من أن تحصر اه .

الباقيات الصالحات وفضلها

ونحن نبتدىء بعون الملك الوهاب . فى جمع الميسور . من فضائل هذه الكلمات وفى ذكر حقائقها مما جاءت به الآيات والأحاديث . فنقول :

أما الآيات فقد قال الله تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً) فنظر رحمك الله إلى هذا الثناء الجميل الصادر من الحق الوكيل وهو ثناء واف ، شاف كاف ما أكمله وما أشمله لمن تأمله وقال تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً مردأً) وهذا فى معناه أيضاً .

وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) . وقال تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) والآيات فى مدح هذه الكلمات كثيرة . ومن ذلك قوله تعالى : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) .

وأما الأخبار فقد روى ابن أبى أوفى رضى الله عنهما قال جاء رجل فقال يارسول الله لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمنى ما يحزنى . قال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال يارسول الله هذا لله فماذا لى قال قل اللهم ارحمنى وعافنى وأهدنى وأرزقنى فقال هكذا بيديه فقبضهما . فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير أخرجه أبو داود بتمامه والنسائى إلى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وزوى الإمام أبو إسحاق الشافعى فى تفسيره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب

والعمل الصالح يرغمه) قال هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها ملك إلى السماء فحياها وجه الرحمن عز وجل فإذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال استكثروا من الباقيات الصالحات قبل ما هي يارسول الله قال المسئلة قيل وما هي يارسول الله قال هي التكبير والتهايل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نقله صاحب الحقائق الواضحات .

وفيه من كتاب جامع بن وهب عن الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد عن عبد الله بن الأشج أن رجلا جالس إلى سعيد بن نسيب فقال حين جلس اللهم إني أسألك الباقيات الصالحات فقال له سعيد وهل تدري ما الباقيات الصالحات قال نعم الصلوات الخمس . قال سعيد لا ولكنها الله أكبر ولا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله وأتبعن لا حول ولا قوة إلا بالله فأما الصلوات فهي الحسنات يقول الله تعالى (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) .

وفيه قال خرّج عبد الملك بن حبيب في كتاب التذكر له عن أنس بن مالك قال جاء أبو قبيصة بن ذؤيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني كنت شطّاباً وكان لي أعمال أعملها من صيام وصلاة وحج وعمرة فغلّني عملاً أدرك به خيري الدنيا والآخرة ، فقال أعلمك عشرأ خمساً آخرتك وخمساً لدنياك فأما الخمس التي آخرتك فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والتي لدنياك اللهم أهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وأنشر علينا من رحمتك وأنزل علينا من بركاتك وألبسنا لباس عفوك وعافيتك في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين فإن الله يدفع بها عنك الجنون والجذام والبرص وأنواع البلاء فمقد الشيخ هكذا بيده . فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله

ما أشد ما عقد عليهن ذلك الكمبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن قام بهن ولم يتركنهن إلا من عذر بلفنه الجنة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا حدثناكم بحديث أنبأناكم بتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملائكة فضمن تحت جناحه وصعد بهن لا يثر بهن على جمع من الملائكة إلا أستغفروا لقائهن حتى يحبى بهن وجه الرحمن تبارك وتعالى ثم تلا عبد الله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) رواه البيهقي .

وقال المفسرون الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هكذا ورد في الخير .
وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حتى فقال : ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : استكثروا من الباقيات الصالحات - الله أكبر ولا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وروى النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : خذوا جنتكم قلنا : يا رسول الله أمن عدو حضر ؟ قال : جنتكم من النار قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات مجتبات من الباقيات الصالحات .

وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك يا أيتهن بدأت .

وقال صلى الله عليه وسلم : كل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلية صدقة ، وكل تكبيرة صدقة .

وقال صلى الله عليه وسلم من أفضل الكلام بعد القرآن وهن من القرآن من قالها كتب له بكل حرف عشر حسنة .

وقال صلى الله عليه وسلم لقيني إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال : أخبر أمتك أن الجنة طيبة التربة عذبة السماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

وقال صلى الله عليه وسلم : تفرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة .
وقال صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من الكلام أربعاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فمن قال سبحان الله كتبت له عشرون حسنة ، وحطت عنه عشرون سيئة ، ومن قال الحمد لله فمثل ذلك ومن قال لا إله إلا الله فمثل ذلك ومن قال الله أكبر فمثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال : خرَّج النسائي في مصنفه عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كفرت خطاياها وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه خرّج ابن وهب في جامعه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ يا أبا الدرداء قال ما آخذ يا رسول الله قال خذ سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال لقد علمت يا أبا الدرداء أنهم تحتين الخطايا كما تحت ورق الشجر .

وفيه قال خرج أبو الوليد الأزرق في أخبار مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حج آدم صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا برحمتك يا آدم أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام . قال فما كنتم تقولون في الطواف قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال فزادت الملائكة فيها ذلك ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت . فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم ماذا كنتم تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم عليه السلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله قال إبراهيم زيدوا فيها . « العلي العظيم » قال ففعلت الملائكة ذلك .

وفيه قال روى ابن وهب في جامعه عن ابن لهيعة عن خالد بن زيد عن أبي هلال القرظي أن المطر قحط على بني إسرائيل فأتوا عيسى ابن مريم فقالوا أدع لنا فقال لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم اغفر لنا وارحمنا واهدنا وانصرنا وارزقنا ثم سكث فقالوا ياروح الله ادع لنا . قال وما تركت من الخير شيئاً .

وفي المذهب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من طاف بالبيت سبعاً لم يتكلم فيها إلا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات .

وقال صلى الله عليه وسلم أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملاً قالوا يارسول الله من يستطيع ذلك قال كلكم يستطيعه . قالوا يارسول الله فهو ماذا قال سبحان الله أعظم من أحد ولا إله إلا الله أعظم من أحد والحمد لله أعظم من أحد والله أكبر أعظم من أحد .

وقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله مائة مرة تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل والحمد لله مائة تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة محملاً عليها في سبيل الله والله أكبر مائة تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة تنحر بمكة ولا إله إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض .

وقال صلى الله عليه وسلم ينجح لخمس ما أثقلهن في الليزان لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيجتسب به عند الله .

وقال صلى الله عليه وسلم « هن أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » .
وقال صلى الله عليه وسلم « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر » رواه النسائي عن عبد الله بن عمر .

وقال صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : ما هن يارسول الله قال التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » رواه أبو سعيد الخدري .

وقال صلى الله عليه وسلم « من ظن بالسال أن ينفقه وهاب الليل أن يكابده وخاف العدو أن يجاهده فليكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن متقدمات ومحجبات وممقبات وهن الباقيات الصالحات » .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه بينما رجل رأى في المنام أن متادباً

دى من
ن أن ال
عكم قتال
والله أ
يا أيها الناس خذوا سلاح فرعكم نعمد الناس فأخذوا السلاح
ليجىء، وما معه إلا عصا إذ نادى من السماء ليس هذا سلاح
ل من أهل الأرض وما سلاح فرعنا قال لا إله إلا الله وسبحان
والحمد لله .

وروي
س بعض
فتلك
نك .
غوى عن سعيد بن جبير أنه قال إذا كنت في القتال وضرب
بعضاً فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر
نك .

وقال
بت ما
والله أ
نهم كنا نجالس عثمان البتي فلما مات رأيته في المنام قلت كيف
نيه . قال باطل لم أجد خيراً من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

وراء
خرة أنا
اية قال
رلى قتال
بدت ع
ض المشايخ الخليل من أحمد قتال ما حالك فقال لم أجد شيئاً في
ن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفي
بن نصر رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت ما فعل الله بك قال
م نجوت قال بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قلت كيف
أعنى العروض والأدب والشعر قال وجدته هباءً منثوراً .

وكان
جان الله
ن السلف إذا سمع السائل يقول من يقرض الله قرصاً حسناً . قال
ند الله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا القرض الحسن .

(قوله)
نار إليهم
حواء الله
اعلم أن هذا القائل من السلف إنما هو من الفقراء المعذرين
قوله تعالى : ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا
سوله في الآية .

وكان
ليل حذر
وله صلى
لف الصالح أهل محافظة على إعطاء السائل ولو لم يجدوا الشيء
ن وعيد قوله تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ﴾
عليه وسلم : « لو صدق السائل ما أفلح من ردّه » حتى كان

بعضهم إذا سأله السائل ولم يجد ما يعطيه خرج بالإبرة وفيها خيط ويقول للسائل هل في ثوبك من غيار^(١) فأخيطه كل ذلك حذراً من زده ، وكان بعضهم يترك السؤال للناس مع صدق اضطراره فقليل له في ذلك فقال أخاف أن يردوني فلا يفلحوا للحديث المذكور .

وكانوا إذا سألهم السائل يعطونه العطايا بأيديهم لا بوكيل . وأما الغنى فالمقصود منه الانفاق والتصدق وهو أفضل من التسبيح ، والفقر ينوب منه التسبيح وغيره من الأذكار مناب الصدقة من الغنى فافهم أسرار الشريعة والله أعلم .

وقد تقدمت الإشارة في فصل السبع الفوائد وهو الفصل الرابع^(٢) في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب فراجع إن شئت والله الموفق للصواب .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خرج ابن وهب موقوفاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من قام من الليل فتوضأ ثم كبر الله عشرًا وسبَّحه عشرًا وحده عشرًا ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسن له يسأل الله شيئاً من خيرى الدنيا والآخرة إلا آتاه ولا يقضى في تلك الساعة لعمري ما جرين بشيء .

وفيه قال روي عن أبي نعيم في كتاب حلية الأولياء بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه حدث وهو يطوف بالكعبة أن العبد إذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لا يشكر الله عبده قط حتى يقولها وإذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله تعالى من عبده قط عملاً حتى يقولها وإذا قال الله أكبر ملا ما بين السماء والأرض وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الله تعالى أسلم واستسلم .

وفيه روى ابن وهب في جامعه عن الزبيدي بن خيثم أنه قال أقتلوا الكلام

الا من تسع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسألة الخير والاستعاذة من الشر. وفيه عن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال : « المساجد » قلت وما الرتع يا رسول الله قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

وفيه قال خرّج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ غصن شوك فنفضه ثم نقضه فلم ينتفض ثم نقضه فانتفض ثم قال إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الذنوب كما ينفض الشجر الورق .

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني خيراً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال فعقد الأعرابي على يده ومضى فتفكر ثم رجع فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال تفكر البائس فجاء فقال يا رسول الله صلى الله عليك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذه لله فإلى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابي إذا قلت سبحان الله قال الله صدقت وإذا قلت الحمد لله قال الله صدقت وإذا قلت لا إله إلا الله قال الله صدقت وإذا قلت الله أكبر قال الله صدقت وإذا قلت اللهم أغفر لي قال الله فعلت وإذا قلت اللهم ارحمني قال الله فعلت وإذا قلت اللهم أرزقني قال قد فعلت . قال فعقد الأعرابي على سبع في يده ثم ولى .

وعن ثابت البناني أن رجلاً أعتق أربع رقاب في الرحبة فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيباً سلمياً وأصحابه فقال ما تقولون في رجل أعتق أربع رقاب فقال آخر اللهم إن هذا أعتق

أربع رقاب وإني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأيهما أفضل فنظروا هنيئة فقالوا ما نعلم شيئاً أفضل من ذكر الله عز وجل، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ألا أخبركم عن وصية نوح ابنه حين حضره الموت قال إني واهب لك أربع كلمات هن قيام السموات والأرض هن أول كلمات دخولا على الله وآخر كلمات خروجاً من عنده ولو وزنت بهن أعمال بني آدم لوزنتها فاعمل بهن واستمسك حتى تلقاني أن تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والتدب نفس نوح بيده لو أن السموات والأرض وما فيهن وما تحتهن وُزِنَ بهؤلاء الكلمات لوزنتهن .

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال خرج الترمذي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سبح الله مائة بالفداء ومائة بالعشى كان كمن حج مائة حجة . ومن حمد الله مائة بالفداء ومائة بالعشى كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله أو قال غزا مائة غزوة ، ومن هلك مائة بالفداء ومائة بالعشى كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل . ومن كبر الله مائة بالفداء ومائة بالعشى لم يأت في ذلك اليوم بأكثر مما أتى به إلا . من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال ، وخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قال سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة ومن قال الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها . ومن قال الله أكبر مائة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يحج أحد يوم القيامة بعمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال سبحان الله نصف الميزان والحمد لله ملء الميزان والله أكبر ملء السموات والأرض ولا إله إلا الله ليس دونها حجاب ولا ستر حتى تخلص إلى ربها رواه خالد بن سعد بسنده عن أبي هريرة .

وفيه قال خرّج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، وفيه قال قال العقيلي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد المسلم ما تعارّ (استيقظ) من الليل على فراشه فقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اللهم اغفر لي إلا غفر الله له .

وفيه قال خرّج ابن وهب في جامعه عن كعب قال إن الله اختار من البلاد فاختر مكة وإن الله اختار من الشهور فاختر الأشهر الحرم وإن الله اختار من الأشهر الحرم فاختر ذى الحجة وإن الله اختار من ذى الحجة فاختر العشر الأول وإن الله اختار من الأيام فاختر يوم الجمعة : وإن الله اختار من الليالي فاختر ليلة القدر وإن الله اختار من ساعات الليل والنهار فاختر ساعات الصلوات وإن الله اختار من الكلام فاختر أربعا الله أكبر وسبحان الله ولا إله إلا الله والحمد لله فمن قال الله أكبر فذلك جلال الله كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة ومن قال سبحان الله . فإن الله حين فرغ من الخلق فاستوى على الكرسي سبحه فمن قال سبحان الله كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة . ومن قال لا إله إلا الله فذلك كلمة الإخلاص كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة . ومن قال الحمد لله فذلك ثناء على الله كتب له بها ثلاثون حسنة ومحيت عنه بها ثلاثون سيئة . وفيه قال خرّج ابن أبي شيبة في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه الحاجة فقال ألا أدلك على خير من ذلك ، تهلين الله ثلاثا

وثلاثين عند منامك وتسبّحينه ثلاثاً وثلاثين وتحمّدينه أربعاً وثلاثين قال تلك
مائه خير من الدنيا وما فيها .

وروى الأستاذ أبو اسحاق الثمالي رضي الله عنه بسنده في تفسير قوله
تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
جاء إسماعيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء
ما علم من قالها كتب الله له ست خصال ، كتب من الذاكرين الله كثيراً ، وكان
أفضل من ذكر في الليل والنهار ، وكان له غرس في الجنة ، وتحتت عنه ذنوبه
كما يتحت ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله عز وجل إليه ، ومن نظر الله إليه
لم يعذبه .

تفسير مقاليد السموات والأرض

وروى أيضاً بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الآية (له مقاليد السموات والأرض)
فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسرها لا إله إلا الله والله أكبر
وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخ
والظاهر والباطن بيده تخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها
إذا أصبح وأمسى عشر مرات أعطاه الله ست خصال أما أولها فيحرس من
ابليس وجنوده . والثانية يحضره اثنا عشر ألف ملك والثالثة يعطى قنطاراً من
الأجر ، والرابعة ترفع له درجة . والخامسة يزوجه الله من الحور العين .
والسادسة يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل ونزّه
واه أيضاً من الأجر كمن حج وأعتبر وقبّلت حجته وعمرته فإن مات من ليلته
مات شهيداً :

وروى بسنده أيضاً عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقلد فقال يا علي سألت عظيم القائل هي أن تقول عشراً إذا أصبحت وعشراً إذا أمسيت لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخرة والظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى أعطاه الله خصالاً ستاً أولهن يحرسه من إبليس وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان . والثانية يعطى قنطاراً في الجنة أثقل في ميزانه من جبل أحد : والثالثة يرفعه الله تعالى درجة لا ينادها إلا الأبرار . والرابعة يزوجه الله تعالى من الحور العين . والخامسة يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة . والسادسة كمن قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره مات شهيداً أو يطعم بطابع الشهداء فهذا تفسير المقلد . وزاد في قوت القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تسبيحات أبي المعتمر وفضلها

وهذه تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روى من فضلها أن يونس بن عبيد رأى رجلاً قد قتل شهيداً ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت من الأعمال قال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله بمكان .

وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن جابر بعد موته في النوم فقلت له ما صنعت قال خيراً قلت ترجو للخطايا شيئاً قال تعلموا تسبيحات أبي المعتمر فإنها نعم الشيء وهي هذه (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك

وإضعاف ذلك وعدد خلقه ورضا نفسه وزرته عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى في كل سنة وشهر وجمعة ويوم من الأيام وليلة من الليالي وساعة من الساعات وتسم ونفس من الأنفاس من الأبد إلى الأبد أبداً الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره).

صلاة الحاجة

(فائدة) نقل الشيخ أبو الخير النخعي الشرجي في فوائده عن محمد بن درستويه قال رأيت في كتاب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بخطه صلاة الحاجة لألف حاجة عنهما الخضر لبعض العباد يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة وقال يا أيها الكافرون عشر مرات . وفي الثانية الفاتحة وقال هو الله أحد عشرة مرة ثم يسجد بعد السلام ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في سجوده عشر مرات ويقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات ويقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عشر مرات ثم يسأل الله حاجته تقضى إن شاء الله تعالى .

وقال الشيخ أبو القاسم الحكيم بعثت إلى بعض العباد رسولا ليعلمني هذه الصلاة فممنينها وسألت من الله الحكمة فأعطانيها وقضى لي ألف حاجة . قال الحكيم فمن أراد أن يصليها يفتسل ليلة الجمعة ويابس ثيابا طاهرة ويصليها عند السحر وينوي بها قضاء الحاجة تقضى إن شاء الله .

قال الشرجي وهذه صلاة الحاجة أيضاً منقولة من كتاب أدب الفقهاء للشيخ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى بتوضاً لها وضرباً جديداً ثم يصلي أربع ركعات يشهدن وسلامين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ربنا آتنا من لدنك

رحمة الآية عشرأ . . وفي الثانية بعد النافحة رب اشرح لي صدري الآية عشرأ . .
وفي الثالثة بعد النافحة فستذكرون ما أقول لكم عشرأ . وفي الرابعة بعد النافحة
ربنا أتم لنا نورنا الآية عشرأ ثم يسجد بعد الفراغ ويقول في سجوده لا إله
إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي المؤمنين إحدى وأربعين مرة ثم يسأل حاجته تقضى بإذن الله .

﴿ فائدة ﴾ أخرى قال بعضهم إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند
الفراغ من القراءة بسم الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب أو يكتب أبد
الآبدن ودهر الدهرين .

صلاة التسبيح

﴿ تنبيه ﴾ وقد خصت الباقيات الصالحات لشرفها وعظيم فضلها بالصلاة
المشهورة بصلاة التسبيح وهي هذه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أسعك ألا أحبك ألا أفعل بك عشر
خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمة وحديثه خطأ
وعنده صغيره وكبيره سره وعلايته أن تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة قلت وأنت قائم سبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرأ
وأنت راكع ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرأ ثم تسجد فتقولها عشرأ ثم
ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرأ ثم تسجد فتقولها عشرأ ثم ترفع رأسك من
السجود فتقولها عشرأ فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع
ركعات، إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة
فإن لم تفعل ففي كل شهر فإن لم تفعل ففي كل سنة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة .

وقال أبو طالب المكي حدثت عن أبي داود السجستاني أنه قال ليس في صلاة التسبيح يصح حديث أصح من هذا فقد كره في هذه الرواية أنه يسبح في القيام خمس عشرة مرة بعد الفراغ من القراءة وأن يسبح عشرًا بعد السجدة الثانية في الركعة الأولى قبل القيام لأنه يجلس جلسة قبل أن ينهض وفي الركعة الثانية كذلك قبل التشهد قال وروينا في الحديث الآخر أنه كان يفتتح الصلاة فيتوجه فيقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ثم يقرأ الحمد لله وسورة ثم يسبح عشرًا ثم يركع فتكون له في قيامه خمس وعشرون تسبيحة ولا يسبح بعد السجود في الجلسة بين الركعتين ولا في جلسة التشهد شيئاً .

قال وهذه الرواية أحب الوجهين إلى وهو اختيار عبد الله بن المبارك .

وقال الفزالي في الإحياء ويستحب أن يزيد ولا حول ولا قوة إلا بالله فقد وردت في بعض الروايات .

وروى أبو عيسى الترمذي في كتابه الجامع عن أبي رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس ياعم ألا أصلك ألا أحبك ألا أنفك ، قال بلى يا رسول الله قال صل أربع ركعات وقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فإذا انقضت القراءة فقل الله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع ثم أركع فقلها عشرًا قبل أن ترفع رأسك ثم ارفع رأسك فقلها عشرًا قبل أن تسجد ، ثم اسجد فقلها عشرًا قبل أن ترفع رأسك ثم أرفع رأسك فقلها عشرًا قبل أن تسجد ثم اسجد فقلها عشرًا قبل أن ترفع رأسك ثم أرفع رأسك فقلها عشرًا قبل أن تقوم فتلك خمس وسبسون في كل ركعة وهي ثلاثمائة فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج لفقرها الله لك . قال يا رسول الله ومن لم يستطع يقولها في كل يوم قال فإن لم تستطع فقلها في كل جمعة فإن لم تستطع فقلها في كل شهر فلم يزل يقولها له حتى

قال قلها في كل سنة . وقد وردت الأخبار بقضائها وأن من صلاها غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال بعض العلماء هي صلاة مجربة لقضاء الخوائج المهمة . وقال بعضهم إذا صليت ليلاً كان الذي ينبغي أن تصلي بتحرمين وتشهدين وتسليمين بعد ركعتين وإن صليت نهاراً فبتحريم واحد أربع ركعات جملة واحدة .

قال سيدنا عبد الله الخداد في النصائح له ولا ينبغي المتمسك أن يدع صلاة التسبيح في كل أسبوع أو في كل شهر وذلك أفقه والله أعلم .

وقال أيضاً قال العلماء ويأتى بأذكار الركوع والاعتدال والجلوس قبل التسبيحات ومن نسي التسبيحات أو بعضها في ركن أتى بها في الذي بعده .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي الجواز قال حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال ما من رجل يصلي هذه الأربع الركعات ثم كانت ذنوبه مثل مثل زبد البحر إلا غفرت ذنوبه قلت وما زيد البحر قال إن هذا الخلق أحاط بهم بحر فقلت وما بعد البحر قال هواء قلت وما بعد الهواء قال بحر أحاط بهذا البحر والهواء والبحر الداخل إلى سبعة أبحر والثامن هو قلت وما بعد الثامن . قال انتهى الأمر لو أن رجلاً صلى هذه الأربع الركعات ثم كانت ذنوبه مثل مثل عدد زبد البحور السبعة وما في ذلك الهواء من شجرة أو ورقة أو حصى أو ثرى إلا انصرف مغفوراً له .

﴿ فائدة ﴾ قال البغوي رحمه الله تعالى في فتاويه لو نسي تسبيح الركوع فتذكره بعد الرفع لا يعيد في الاعتدال بل يقتصر على تسبيح الاعتدال فقط لأنه ركن قصير ولا يزيد في قدره على ما وردت به السنة وبقيته في سجوده لأن تطويل السجود مستحب وليس في قضائه ترك سنة أخرى كما قال الشافعي رحمه الله لو ترك سورة الجمعة في الركعة الأولى قضاها مع سورة المنافقين في الثانية قال

وإذا جلس بعد التسبيح في الركعة الأولى بقعد مكبراً فإذا سَبَّح يقوم غير مكبر إذ لم ترد السنة بخلافه لأنه ليس محل التكبير ولا يكبر بعد الرفع من السجود إلى القيام الواحدة قال ويحتمل أن يقال يكبر لأن هذا القعود التحق بسائر قعدات الصلاة في التطويل والتسبيح فيلحق بها في التكبير .

الدعاء بعد صلاة التسبيح

هذا الدعاء يقال في آخر صلاة التسبيح قبل السلام بعد تمام التشهد وهو (اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناجحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ، اللهم إني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملاً استحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حياءً وحتى أتوكل عليك في الأمور بحسن الظن بك سبحان خالق النور) ثم يسلم .

ورد المسبحات العاشر وفضله

(تنبيه آخر) فيه هدية جليلة . وفائدة جميلة . أحببت إيرادها هنا . وهي ورد المسبحات العشر لورود الباقيات الصالحات فيها ولما فيها من جزيل الفضائل الآجلة والعاجلة لئلا يخلو منها هذا المؤلف . وهي التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله وأوصاه أن يقولها غدواً وعشيا فقد استكمل له بها الفضيلة وجمع له ثواب جملة من الأدعية الماثورة كما أشار إلى ذلك حجة الإسلام في الإحياء فنوردها أولاً ثم نورد الحكاية الدالة على عظيم فضلها إن شاء الله وهي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الأرض وقبل الغروب : سورة الفاتحة . وقل أعوذ برب الناس . وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد . وقل يا أيها الكافرون . وآية الكرسي . كل واحدة سبع

مرات . وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعاً . وتستغفر
للمؤمنين والمؤمنات سبعاً . وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعاً . وتقول اللهم
أفعل بى وبهم عاجلاً وأجلاً فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل
بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم سبع مرات . وانظر أن
لا تدع ذلك غدوة وعشية انتهى .

وأما الحكاية الواردة فى ذكر ثوابها فقد قال حجة الإسلام الغزالي : روى
عن كرز بن وبرة وكان من الأبدال قال : أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى
إلى هدية وقال : يا كرز أقبل منى هذه الهدية فانها نعمت الهدية ، فقلت :
يا أخى من أهدى إليك هذه الهدية ؟ قال : أعطانيها إبراهيم التيمي ، قلت : أفلم
تسأل إبراهيم من أعطاه ؟ قال : بلى سألته ! فقال : كنت جالساً فى فناء الكعبة
وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد فجاءنى رجل وسلم على وجلس عن يمينى ، فلم
أر فى زمانى أحسن منه وجيأً ولا أحسن منه ثياباً ، ولا أشد بياضاً ولا أظيب رائحة
منه فقلت : يا عبد الله من أنت ومن أين جئت ؟ فقال : أنا الخضر ! فقلت :
فى أى شىء ؟ فقال : جئت لك للسلام عليك وحباً لك فى الله تعالى وعندى هدية
أريد أن أهديها إليك ، قلت : وما هذه الهدية ؟ فقال : هى أن تقرأ المسبحات
(يعنى المذكورة أولاً كما تقدم) ، فقلت : أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه
الهدية ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أخبرنى بثواب ذلك ؟
فقال : إذا التيت محمداً صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ثواب ذلك . فإنه يخبرك
بذلك . فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات ليلة فى منامه كأن الملائكة جاءت به
فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رأى فى الجنة
قال : فسألت الملائكة لمن هذا كله ؟ فقالوا : لمن يعمل بمثل عملك . وذكر أنه
أكل من ثمرها وسقوه من شرابها .

قال : فأتانى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبياً وسبعون صنفاً من

للملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدي فقلت :
يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث ! فقال : صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من
جنود الله في الأرض . فقلت : يا رسول الله ! من فعل هذا أو عمله ولم ير مثل
الذي رأيت في المنام هل يعطى شيئاً مما أعطيته ؟ فقال : والذي بعثني بالحق نبياً
إنه لبعض العاملين بها وإن لم ير ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها
ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من
السيئات إلى سنة ، والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله
سعيداً . ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيماً . وكان إبراهيم التيمي قد مكث أربعة
أشهر . يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا ، انتهى ما أورده الإمام
حجة الإسلام .

عُود إلى الكلام في الباقيات الصالحات

ونرجع إلى ما نحن بصدده من تكملة ذكر فضائل الباقيات الصالحات .
من الأخبار والآثار الواضحات . فقد نقل الإمام حجة الإسلام في كتاب مدح
الفقر والزهد ، قال : وروى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال : بعث الفقراء
رسولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني رسول الفقراء إليك ،
فقال : مرحباً بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم ، قال :
قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون
ولا تشتر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال النبي صلى
الله عليه وسلم : بلغ عنى الفقراء لمن احتسب وصبر منكم ثلاث خصال ليست
للأغنياء : أما خصلة واحدة فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر
أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن

فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ..
والثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقال
الفنى مثل ذلك لم يبلحق الفنى بالفقير وإن أفنق معها عشرة آلاف درهم ،
فكذلك أعمال البر كلها . فرجع الرسول فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا : رضينا رضينا .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها ، رواه أنس .

وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم : من قال حين يستيقظ : لا إله إلا الله
وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم دعا استجيب له ، فإن قام وصلى قبلت
صلاته ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾ اسم الله تعالى (الكبير) من دوام على قراءته كان كبيراً عند
الناس معظماً بين الأنام .

قال سيدى الشيخ أحمد زروق اسمه (الكبير) خاصيته وقوع الأمن بين
ذوى الأنساب والقراية فايقرأه من خاف غابة قريبه كل يوم قبل طلوع الشمس
وبعد الغروب سبعين مرة فإن الله يؤمنه قبل الأسبوع ويكون المبدأ به يوم
الخميس والله اعلم .

تفسير حجة الاسلام للباقيات الصالحات

قال الإمام حجة الإسلام . ومن أفضل الذكر قولك سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر لأن قولك سبحان الله للتقديس وهو حقيقى فى حقه
فإن القدس الحقيقى لا يتصور إلا له تعالى . وقولك الحمد لله يشعر باضافة النعم
كلها إليه وهو حقيقى إذ هو المنفرد بالأفعال كلها تفرداً حقيقياً بلا تأويل وهو
مستوجب للحمد وحده إذ لا شركة لأحد معه فى فعله أصلاً البتة كما لا شركة

للقلم مع الكاتب في استحقاق الحمدة عند حسن الخط ، وقال أعلم أن كل ما سواه
 ممن ترى منه نعمة فهو السخر له كالقلم وهذا مثال ينبهك على تفرد تَعَالَى
 باستحقاق الحمد ، وقولك لا إله إلا الله وقد عرفته أنه للتوحيد الحقيقي ، وقولك
 الله أكبر فليس المعنى أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال إنه أكبر
 منه بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته وليس لتور الشمس مع الشمس
 رتبة المعية . حتى يقال إنها أكبر منه بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس
 ويدرك جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره بل أكبر
 من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله إلا الله وأن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا
 أنه تستحيل منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك بكلامه أيضاً إلا نبي أو صديق .
 أما النبي فيعبر عنه فيقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .
 وأما الصديق فيقول المجز عن درك الإدراك ادراك . قال وإن تشوفت إلى زيادة
 تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا يعرف الله إلا الله فاطلب معرفة حقيقة
 البرهان من كتاب تنقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى وكيفيك الآن هذا
 القدر من الرموز إلى أسرار الذكر انتهى ما ذكره الإمام نفع الله به .

فصل

فيما اندرج تحت الباقيات الصالحات من أنواع الذكر

أعلم أن الباقيات الصالحات قد جمعت أربعة أنواع من الذكر وهي
 الذميج والتحميد والتهايل والتكبير وقد أشارت إلى ذلك آية واحدة من
 كتاب الله تعالى وهي قوله عز وجل (وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن
 له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيراً) فتفهم معناها لتعلم
 أن الحمد فيها صريح . وقوله لم يتخذ ولداً إشارة إلى الذميج . وقوله ولم يكن
 له شريك في الملك إشارة إلى التهايل صحيح . وأما التكبير فصريح . وقد تقدمت

الإشارة إلى ذكر شيء من معاني التسييح وشيء من فضائله عند قوله « سبحان الله عز الله وسبحان الله وبحمده » ونذكر هنا فضيلة الحمد ومعناه . وأما التهليل فسيأتي بيان فضيلته وشرحه عند قوله . لا إله إلا الله .

فضيلة الحمد والشكر

أما الآيات فقد قال الله تعالى في أول فاتحة كتابه العزيز (الحمد لله رب العالمين) وقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) وقال تعالى (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة) وقال تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض) وقال تعالى (قل الحمد لله سيربكم آياته فتعترفونها) وقال تعالى (قل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) وقال تعالى (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وقال تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) . وقال (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) . وقال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) الآية .

وأما الأخبار فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع . وفي رواية بحمد الله فهو أقطع . وفي رواية بالحمد فهو أقطع . وفي رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم . وقد تقدم أنه روى كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع . قال الإمام النووي وروينا هذه الألفاظ كلها في كتاب الأربعين للحافظ عبد القادر الرازي قال وهو حديث حسن ، ومعنى ذي بال أي له حال يهتم به . ومعنى أقطع أي ناقص قليل البركة وأجزم بمعناه وهو حيالذال المعجمة .

وفي كتاب الترمذي ونقله النووي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لئلا نكتبه قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول عز وجل قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول فماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أبناوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد قال النووى قال الترمذى حديث حسن .

وعن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال أنظرا ماذا يقول لعواده فإن هو إذا جاؤه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى علىَّ إن توفيته أن أدخله الجنة . وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أ كفر عنه سيئاته أخرجه مالك .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه أخرجه الشيخان والترمذى .

وفى كتاب الأذكار عن أبى نصر التمار عن محمد بن النضر قال : قال آدم صلى الله عليه وسلم يارب شغلتنى بكسب يدى فعذبنى شيتا فيه مجامع الحمد والتسبيح فأوحى الله إليه يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثاً وإذا أمسيت فقل ثلاثاً الحمد لله رب العالمين حمداً يوافق نعمه ويكافى مزيده . فذلك مجامع الحمد والتسبيح .

وقال الإمام النووى أيضاً فى الأذكار اعلم أن الحمد لله مستحب فى ابتداء كل أمر ذى بال فيستحب بعد الفراغ من الطعام والشراب والمطاس وعند خطبة المرأة وهو طلب زواجها وكذا عند النكاح . وبعد الخروج من الخلاوة يستحب على حصول نعمة واندفاع مكروه . وفى ابتداء الكتب المصنفة وكذا ابتداء درس المدرسين وقراءة الطالبين سواء قرأ حديثاً أو فقهاً أو غيرها . وأحسن العبارات

بني ذلك الحمد لله رب العالمين انتهى كلام النووي .

وخرج ابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني من الله والمجلة من الشيطان . وما شيء أكثر معاذير من الله وما شيء أحب إلى الله من الحمد . وخرج بن وضاح عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أنزّل العزة وتقمّص الحمد وارتدى بالكبرياء فلا تنزعوا الله في لباسه نقله والذي قبله في العزة وتقمّص كتاب الحقائق .

وقال الإمام النووي في الأذكار قال المتأخرون من أصحابنا الخراسانيين لو حلف إنسان ليحمدن الله تعالى بجميع الحمد . ومنهم من قال بأجل التحاميد خطريته في بر يمينه أن يقول الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده . قال ومعنى يوافي نعمه أي يلاقيها فتحصل معه ويكافي بهمة في آخره يساوي مزيد نعمه ومعناه يقوم بشكر ما زاد من النعم والإحسان ، ثم قال قالوا ولو حلف لثنتين على الله تعالى أحسن الثناء فطريق البر إن يقول لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى إلى آخر ما قاله . وروى الطبراني من قال الحمد لله مائة مرة كان عدل مائة فرس مسرج ملحق في سبيل الله .

وقال سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قلت يوماً وأنا في مفازة في سياحتي ألهي متى أكون لك عبداً شاكراً فإذا علي يقال لي إذا لم تر منعماً عليه غيرك . قلت إلهي كيف لا أرى منعماً عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء وقد أنعمت على العلماء وقد أنعمت على الملوك . فإذا علي يقال لي ثلوا الأنبياء لما اهتديت . ولولا العلماء لما أقتديت . ولولا الملوك لما أمنت فالكمل نعمة مني عليك . فانظر أيها الأخ الصالح إلى هذا الكلام وأشكر الله على جميع نعمه التي أسبغها على جميع خلقه قال تعالى (وإن تشكروا يرضه لكرم) .

وقد روى أبو داود بإسناد جيد عن عبد الله بن غنّام بالغين المعجمة والنون
المشدودة البياضى نسبة إلى قبيلة بياضة من الأنصار الصحابى رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي
من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد شكر يومه .
ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أصبح اللهم إني أصبحت منك فى
نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك على وعافيتك وسترتك فى الدنيا والآخرة ثلاث
مرات إذا أصبح وإذا أمسى ، كان حقاً على الله أن يتم نعمته عليه ، رواه
ابن السنى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السموات
والأرض ، وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السابعة إلى الأرض ، وإذا قال
الحمد لله الثالثة قال الله تعالى : سل تعطه .

وقال رفاعة نزرقي كننا يوماً نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه ربنا لك
الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلاته قال : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً .
وقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله تملأ الميزان .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنعم الله على عبد نعمة وقال الحمد لله إلا كان
لذى أعطاه أفضل مما أخذ .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لبعض إخوانه أوصيك بستة
أشياء : إن أردت أن تقع فى أحد وتذمه فذم نفسك فإنك لا تعلم أحداً أكثر
عيوباً منها . وإن أردت أن تعادى أحداً فعاد البطن فليس لك عدو أعدى
منها . وإن أردت أن تحمد أحداً فاحمد الله فليس أحداً أكثر منةً عليك والطف

بك منه . وإن أردت أن تترك شيئا فترك الدنيا فإنك إن تركتها فإنك محمود .
وإلا تركتك وأنت مذموم . وإن أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فإنك
إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وإن أردت أن تطالب شيئا فاطلب
الآخرة فلست تنالها إلا بأن تطالبها .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : من كان فيه أربع خصال أبدل
الله تعالى سيئاته حسنات يوم القيامة . الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق .
ويروى أن الحسن بن علي رضي الله عنهما التزم الركن وقال : إلهي نعمتني
فلم تجدن شاكرًا ، وابتليتني فلم تجدن صابرًا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك
الشكر ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إلا
الكريم ولا من الجاني إلا الجاني .

وقال عون بن عبد الله : الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر
عند المصيبة . وروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام :
يا نبي الله أنا صغيرة على ضعف قدرى أشكر الله منك ، وكان راجيا على
فرس ذلول نحر عنها ساجداً ، ثم قال : لولا أني أبجلك لسألتك أن تنزع مني
ما أعطيتني .

وخرَّج يحيى بن معين عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صاحب الكلمة ؟ فسكت الرجل خشية
أن يهجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيء يكرهه ، فقال : من
صاحب الكلمة ؟ لم يقل إلا صواباً ، فقال : أنا يا رسول الله قلتها أرجو بها
الخير . فقال : والذي نفس محمد بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكاً ينتدرونها
أنهم يرفعونها إلى الله عز وجل ، نقله صاحب كتاب الحقائق .

وقال صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة وقال الحمد لله إلا وقد

أدّى شكرها ، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها ، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه .

وقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله رأس الشكر ، ما شكر الله عبد إلا بحمده .

وقال صلى الله عليه وسلم : أول من يدخل الجنة المحامدون لله على كل حال .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله عز وجل وفى سبيل الله حياً وميتاً .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل رأى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضانى على كثير من خلق تنصيلاً إلا عافاه الله من ذلك البلاء كأنه ما كان أبداً ما عاش .

قلت فانظر أيها الأخ هذا الحديث وتدبر ما قيل فيه فإنه شفاء ودواء لكل داء من أدواء الدين والبدن ومتى رأيت مبتلى به لة بدنية أو دينية فقل ما فى الحديث فإنك تسلم منها إن شاء الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها .

وروى أن نوحا عليه السلام كان إذا أكل وشرب قال الحمد لله فسماه الله عبداً شكوراً .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال إذا أوى إلى فراشه الحمد لله الذى كفاى وآرانى الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى الحمد لله الذى منّ علىّ فأفضل فأنا لك بمزتك أن تنجيني من النار فقد حمد الله تعالى بجميع محامد الخلق كلهم .

وعن سلمان قال مامن عبد يقول حين يصبح بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حداً كثيراً طيباً مباركاً فيه إلاّ صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أدناها الهمم .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح الحمد لله ربى لا أشرك به شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله ظل مغفوراً له . ومن قالها حين يمسي بات مغفوراً له .

وروى الإمام البغوى بسنده عن عبد الله بن ضمرة وغيره عن كعب الأحبار قال إني أجد في التوراة مكتوباً بمحمد رسول الله لافظ ولا غايظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يصفو ويصفح ، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف وعلى كل حال وتذلل ألسنتهم بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه يفسلون فروجهم بالماء ، وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها ، وتراحمهم بينهم تراحم بين الأب والأم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، هم السابقون المقربون المشفعون المشفع بهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبى يعمده مولده بمكة ومهاجرة بطيبة . وملكه بالشام يأتزون على أنصافهم ويوضون

أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادى في جو السماء، لهم في جوف الليل دوى كدوى النحل انتهى ماجاء من صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . أهل الحمد .

وقال رجاء بن حيوة بينا نحن بمخاضرة إذا نحن بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز فأرشدناها إلى الدار فرأت داراً متهشمة فقالت خياط هناك استأذن لي على قاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز . فقال أدخلي وضوئي بها فإنها تأذن لك . فدخلت فلما أبصرت ما هنا لك قالت جئت أرمم فقري من بيت الفقراء . وإذا رجل يعمل في الطين فسألته عن أمير المؤمنين فقالت هو ذاك يعمل في الطين فقالت له . يا أمير المؤمنين مات زوجي وترك لي ثمان بنات فيسكى عمر ، ثم قال لها ما تريدن قالت تفرض لهن قال تفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها أما إنك لو وليت الحمد أهله لأعمنها من لك مري السبع فليواسين هذه الثامنة .

﴿ فائدة ﴾ قال جعفر الصادق رضي الله عنه من قرأ الفاتحة أربعين مرة على قدح فيه ماء ورش به وجه الحموم نفعه بإذن الله تعالى ، ومن كتب حروفها أي الفاتحة حرفاً حرفاً مفصلة في اناء طاهر ومحاه بماء طاهر وسقاه مريضاً برأ بإذن الله تعالى ، وينبغي أن يقرأ الفاتحة عند الحجامة سبع مرات فإن ذلك عجيب . قالوا وكثرة قراءة الفاتحة مما يلين القلب ويذهب قساوته ويهيئه لقبول الخير ويسهل عليه العمل به قالوا ويحسن للراغب في تحصيل الخير أن يقرأ الفاتحة كل يوم ألف مرة . وقد تقدم بيان ذلك في الفصل الثالث من المقدمة من هذا الجزء . وذكرنا هناك ورد الفزالي الذي رتبته من قراءة الفاتحة بعد الفرائض فراجعوه إن شئتم وبالله التوفيق .

وروى البزار بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدخل الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء ، وفي كتاب ابن السني وابن ماجه باسناد جيد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال نقله النووي في الأذكار وقال قال الحاكم أبو عبد الله هذا الحديث صحيح الاسناد . وعن عطاء أنه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون .

(فائدة) قال الإمام أبو العباس المرمى لوعلم الشيطان أن ثمَّ طريقا توصل إلى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف عليها ألا تراه كيف قال ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدا أكثرهم شاكرين ولم يقل صابرين ولا خائفين ولا راجين .

خاتمة في الشكر ومعناه وما يتعلق به

قال تعالى على لسان نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس موضوعا مستقرا عنده ورأى مامن الله به عليه من الملك العظيم مع النبوة والحكمة وغير ذلك (هذا من فضل ربى ليبنونى أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم) .

قال العلماء ولا شك أن النعم الواصلة إلى العبد إما أن تكون سببا للشكر وذلك إذا عرف العبد حق الحق نجل شأنه وعلم أن النعم مفاضة منه وقام بما يجب فيها له تعالى فيكون شكره لله عائدا إليه بمعنى أن شكرتم لأزيدنكم ، وإما أن تكون النعمة سببا للكفر بواسطة الجهل بالله عز وجل وعدم المعرفة بوصول النعم منه إليه وعدم قيامه بما يجب عليه فيها . وكفر العبد لا يضر بالمولى

جل شأنه لكونه سبحانه غنيا عن العالمين كما قال ذلك في كتابه المبين انتهى .
 قلت ولا تظن أن الشكر قولك الحمد لله مع التقصير بالحقوق وعدم المواساة .
 ولا الإسلام قولك لا إله إلا الله بغير قيام بحقها . ولا الاستغفار قولك استغفر
 الله مع مقارفة الذنوب والاصرار عليها وهكذا في سائر الأذكار والأعمال
 والأقوال والأفعال فإن ذلك قليل الجدوى . وقد قال تعالى (كبر مقتا
 عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) . وقال تعالى (ويحبون أن يحمدوا بما لم
 يفعلوا) الآية .

وقد كان بشر الحافي رحمه الله يقول من شكر بلسانه دون بقية أعضائه
 فقد قلَّ شكره . قيل وما شكر الأعضاء فقال شكر الصينين أن ترى الخير وتميّه .
 والشروستره قيل فما شكر الأذنين فقال إن سمع خيراً حفظه وإن سمع شراً نسيه
 قيل فما شكر اليدين فقال أن لا تأخذ بهما ولا تعطى إلا حقاً . قيل فما شكر البطن
 فقال أن تكون ملائمة من العلم والحكم قيل فما شكر الفرج فقال أن لا يفعل به
 إلا ما أبيح له فقط فمن فعل ما قلناه فهو من الشاكرين انتهى .

وقال بعضهم بعد إirاده كلام بشر ففتش نفسك يا أخى هل شكرت ربك
 كما شكر هؤلاء القوم أم قصرت في ذلك واستغفر ربك والحمد لله رب العالمين .
 وقد قيل الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك يأن ترى شكرك بتوفيقه ويكون
 ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر
 إلى ما يتناهى وقد قال الشيخ عبد الله بن أسعد الياقنى نفع الله به .

تبارك من شكر الورى عنه يقصر لكون أياى جوده ليس تحصر
 وشاكرها يحتاج شكراً لشكرها كذلك شكر الشكر يحتاج يشكر
 وقال محمود الوراق :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً على له فى مثلها يجب الشكر
 فكيف بلوغ الشكر إلا بفعله وإن طالت الأيام وانصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والسر والجهر
وقال عبد الحميد الكاتب لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت .
وقال سيدنا عبد الله الخداد :

وعليك بالصبر فلا تعدل به شيئاً بالشكر الأتم الأوسع
وقال أحمد بن أبي الخوارى قال لى أبو سليمان الداراني أتدرى بم أزال
العقلاء اللوم عن أسأ إليهم قلت لا قال لعلمهم بأن الله تعالى هو الذى ابتلاه
بذلك فصبروا .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فما طلته
بالإجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك .

معنى الحمد والشكر والمدح

وأعلم وفقنا الله وإياك لشكره . والاكثر من ذكره أن معنى قولك الحمد لله
هو الثناء على المحمود بحميد صفاته على الإطلاق . والشكر الثناء بانعامه خاصة
والمدح يشملهما . وتقيض الحمد الدم ، وتقيض الشكر الكفر . وهما متلازمان .
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما شكر الله عبد لم يحمده . وفي الحقيقة هما بمعنى
واحد . وقد فسر ابن عباس قوله تعالى الحمد لله رب العالمين بالشكر لله تعالى .
وفترقان من حيث وضع اللسان فالشكر فى مقابلة النعم . والحمد يكون فى مقابلة
النعم وغيرها . والشكر يكون بالجنان واللسان والاركان . قال الشاعر .

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولسانى والضمير المحجبا

والحمد يختص باللسان .

قال موسى عليه السلام كيف شكرت آدم يا رب على ما أنعمت عليه فقال علم أن ذلك منى فكان شكراً « فهذا شكر الجنان » .

وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة .

وقال صلى الله عليه وسلم ما شكر الله عبد لم يحمده « فهذا شكر اللسان » .
وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلم يجهد نفسك في العبادة قال أفلا أكون عبداً شكوراً « فهذا شكر الأركان » .

وقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والذي يتحرر أن الشكر يطلق على القول والفعل جميعاً . قال الله تعالى (أعملوا آل داود شكراً) والحمد يختص بالقول قال الله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) فإذا نظرنا إليهما بالنسبة إلى القول خاصة كان الحمد أعم في هذا المحل لأنه يحمده على الصفات الجميلة وعلى الإحسان الصادر منه .

وقال سعد الدين التفتازاني الحمد هو الثناء باللسان على قصد التعظيم سواء تعلق بالنعمة أو بغيرها والشكر فعل ينبىء عن تعظيم النعم لكونه منعماً سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان فمؤرد الحمد لا يكون إلا اللسان ومتعلقه يكون النعمة وغيرها . ومتعلق الشكر لا يكون إلا النعمة ومورده يكون اللسان وغيره فالحمد أعم من الشكر باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بالعكس .

وقال الإمام الغزالي في منباج العابدين إن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة . والشكر من أشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولأن الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولأن الحمد أعم وأكثر والشكر أخص وأقل . قال الله تعالى (وقليل من عبادي الشكور)

ثبت أنهما معنيان متميزان اه ، وفي قوله إن الحمد من أشكال النسيب
والتهليل إشارة إلى اختصاصه بالله تعالى كاختصاصهما به بخلاف الشكر
والله أعلم .

وقال الشيخ محمد بن عباد في شرح الحكم الشكر على ثلاثة أوجه شكر
بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح . فشكر القلب أن يعلم أن النعم كلها
من الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة
الحمد والمدح له . ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ونشرها . قال الله تعالى
(وأما بنعمة ربك فحدث) .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا كروا النعم فإن ذكرها شكر ومن
شكر باللسان أيضاً شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم .

وفي حديث الزمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس ، لم يشكر
الله تعالى .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشكر الناس لله أشكرهم للناس ، وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح
قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) فجعل العمل شكراً وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قام حتى انتفخت قدماه فتبيل يارسل الله أنفعل هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً .

وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه وقال له ما شكر الممين قال إذا رأيت
بهما خيراً أعلنته وإذا رأيت بهما شراً سترته . قال فما شكر الأذنين قال إذا
سمعت بهما خيراً وعيته وإذا سمعت بهما شراً دفنته قال فما شكر البطن قال أن
يكون أسفله صبراً وأعله علماً قال فما شكر الفرج قال كما قال تعالى (والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين)

قَالَ فَمَا شَكَرَ الرَّجُلَيْنِ قَالَ إِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا غَبَطْتَهُ أَسْتَعْمَلْتَهُمَا عَلَيْهِ وَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا
مَنْتَهُ كَفَقْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ وَأَنْتَ شَاكَرَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ
عِبَادٍ فِي هَذَا الْبَابِ .

﴿ حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ ﴾ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى دَوَامِ النِّعْمَةِ لِشَاكِرِينَ وَذَاهِبِهَا عَنِ
الْكَافِرِينَ . وَهِيَ مَا حَكَاهُ الْقَاضِي ابْنُ خُلَسَاكَانَ فِي تَارِيخِهِ وَنَقَلَهُ الدِّمِيرِيُّ فِي كِتَابِ
حَيَاةِ الْحَيَوَانَ وَهِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَوَّلِينَ كَانَ يَأْكُلُ وَيَبِينُ بِيَدَيْهِ دَجَاجَةً مَشْوِيَةً
فَجَاءَهُ سَائِلٌ فَرَدَّهُ خَائِبًا وَكَانَ الرَّجُلُ مَثْرِيًّا فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ فَرَقَهُ وَذَهَبَ مَالُهُ
وَتَزَوَّجَتْ امْرَأَتُهُ فَبَيْنَمَا الزَّوْجُ الثَّانِي يَأْكُلُ وَيَبِينُ بِيَدَيْهِ دَجَاجَةً مَشْوِيَةً إِذْ جَاءَهُ
سَائِلٌ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ نَاولِيهِ الدَّجَاجَةَ فَذَاقَتْهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ زَوْجُهَا الْأَوَّلُ
فَخَبَرَتْ زَوْجَهَا الثَّانِي بِأَمْرِهِ فَقَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الْمَسْكِينُ خَوْلَنِي اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةً
وَسَلَبَهُ إِيَّاهَا لِقَلَّةِ شُكْرِهِ .

وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَصِحُّ الْفَقْرُ لِلْفَقِيرِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ
خَصْلَتَانِ إِحْدَاهُمَا الثِّقَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْآخَرَى الشُّكْرُ لِلَّهِ فِيمَا زَوَى عَنْهُ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرَهُ
مِنَ الدُّنْيَا . وَلَا يَكْمُلُ الْفَقْرُ حَتَّى يَكُونَ نَظَرُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي الْمَنْعِ أَفْضَلَ مِنْ نَظَرِهِ لَهُ
فِي الْمَعْطَاءِ ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ الدَّرَجَاقَ يَقُولُ فِي صَبَاحِهِ : بِالشُّكْرِ تَدْرُومُ النِّعَمَ .
قَالُوا وَصَوْتَهُ مَقْطَعٌ عَلَى عِدَّةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ عَنْ صَدَقَةِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ قَالَ دَخَلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي مَحْرَابِهِ فَأَبْصَرَ دَوْدَةَ صَفِيرَةً فَفَكَّرَ فِي خَلْقِهَا وَقَالَ وَمَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِخَلْقِ هَذِهِ فَأَنْطَقَ بِهَا
اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَتْ يَا دَاوُدُ اتَّعَجِبُكَ نَفْسُكَ وَأَنَا عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطَانِي اللَّهُ أَذْكَرَ لِلَّهِ تَعَالَى
وَأَشْكُرُ لَهُ مِمَّا مَلَكَ عَلَى مَا آتَاكَ اللَّهُ قَالَ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغَ بِحَمْدِهِ) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ قِيلَ الشُّكْرُ هُوَ الطَّاعَةُ بِمَجْمِيعِ الْجَوَارِحِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ شُكْرُ النِّعْمَةِ ذَكَرَهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يمضى الله بمردها . وقيل حقيقة الشكر المعجز عن الشكر . حكى أن موسى قال إلهي أنعمت علي بالنعم السوانغ وأمرتني بالشكر وإنما شكرى إياك نعمة منك قال الله يا موسى تعلت العلم الذى لا يفوقه شئ من علم حسبي من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهى منى .

فضيلة التكبير

قال الله تعالى (و اكبره تكبيرا) وقال تعالى (وربك فكبر) قال المنسرون أى اختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وهو أن تقول الله أكبر ويموز حمله على تكبير الصلوات .

وقال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

وقال الله تعالى (فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) والآيات فى ذلك كثيرة .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى وكبر الله مائة مرة تعدل مائة بدنة بحلة مقادة تهدي إلى بيت الله وفى لفظ أحمد فهو خير من مائة بدنة متقبلة . وعن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم قال فى المذهب والتكبير هو أن يقول الله أكبر لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدخل به فى الصلاة أى بهذا اللفظ ، وآكد التكبير وأفضله تكبير العيدين الفطر والأضحى لما روى نافع عن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج فى العيدين مع الفضل بن العباس وعبد الله بن العباس وعلى وجعفر والحسن والحسين وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة وأيمن بن أم أيمن رافعا صوته بالتكبير والتهليل فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتى المصلى نقله فى المذهب .

وفيه عن عمر وعلى رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر في دبر كل صلاة من بعد صلاة الصبح من يوم عرفة إلى ما بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه .

وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِّعنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد . وإذا رجع قالهن وزاد فيه آيئون تائبون لربنا حامدون هذا لفظ رواية مسلم .

وفيه عن عبد الله بن سرجيس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم ، الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا كبر العبد سترت تكبيرته ما بين السماء والأرض من شيء ، رواه البخارى والطبرانى عن أبي البرداء .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا كانت عزيمة أو هبت ريح عاصفة فعليكم بالتكبير فإنه يحلى المعجاج الأسود انتهى .

قال بعض العلماء : وقد جرب ذلك كثيراً في مواطن الحرب والشدائد فحصل الفرج والنصر من فضل الله تعالى ، وكذلك الحريق يطفي بالتكبير وقد جرب ذلك كثيراً .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أريد أن أسافر فأوصني ، قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف ، فهاولى الرجل . قال : اللهم أطوله البعد وهوّن عليه السفر ، رواه الترمذى وقال حديث حسن نقله النووى فى رياض الصالحين .

ونقل الإمام النووى أيضاً من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنّا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير . وعن جعفر الصادق أنه قال : كان أكثر كلام عمر الله أكبر ، نقله الطبرانى .

التكبير فى الأذان والاقامة

واعلم أن التكبير أكبر الأذكار وأكثرها فضائل وله مواضع يختص بها فمن أعظمها فضلاً الأذان والإقامة .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : قال أهل اللغة الأذان الإعلام قال الله تعالى ﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَأَذِّنِ مُؤَذِّنٌ ﴾ ويقال الأذان والتأذين والأذنين . قال وقوله فى الحديث كان المسلمون يحتممون فيتحيمون الصلوات ، قال القاضى عياض رحمه الله تعالى معناه يتقدرون حينها ليأتوا إليها فيه والحين الوقت من الزمن .

ونقل النووى من صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار ، فسمع رجلاً يقول الله أكبر الله أكبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على الفطرة ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجت من النار ، فنظر فإذا هو راعى معزى . ثم قال النووى : الفطرة الإسلام ونقل منه قوله صلى الله عليه وسلم إذا سمع المؤذن فتولوا مثل ما يقول

ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة .

وفي الحديث الآخر إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال حي على الصلاة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حي على الفلاح فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر فقال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله من قابله دخل الجنة .

وفي الحديث الآخر من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضي الله به ربياً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه . ثم قال النووي قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة ومعنى حي على كذا تعالوا إليه . والفلاح الفوز والنجاة وإصابة الخير قالوا وليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح وتقرب منها النصيحة .

كلام القاضي عياض، في فضل الأذان والاقامة

﴿ فائدة ﴾ نقل الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عن القاضي عياض كلاماً في معنى الأذان أحببت ذكره هنا لاحتوائه مع اختصاره على الفوائد وتحقيق العقائد . قال معنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال في آخره من قلبه دخل الجنة إنما كان كذلك لأن ذلك توحيد وثناء على الله تعالى وانقياد لطاعته وتقويض إليه لقوله لا حول ولا قوة إلا بالله فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكامل الإسلام واستحق الجنة بفضل الله تعالى وهذا معنى قوله في الرواية الأخرى رضي الله به ربياً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً .

ثم قال النووي قال القاضي واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعيه من العقلية والسمعية فأوله إثبات الذات وما استحقته من الكمال والتزويه عن أضدادها وذلك بقوله الله أكبر وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه ، ثم صرح بإثبات الوجدانية ونفى ضدها من الشراكة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين ، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوجدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع وتلك المقدمات من باب الواجبات ، وبعد هذه القواعد كملت القواعد العقلية فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى ، ثم دعا إلى مادعاهم إليه من العبادات فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل . ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهي آخر تراجم عقائد الإسلام ، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان ولیدخل المصلی فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبد وجزيل ثوابه ، قال النووي هذا آخر كلام القاضي رحمه الله تعالى ، وهو من النفائس الجليلة وبالله التوفيق .

* * *

ومن فضائل الأذان ما نقله الإمام النووي من صحيح مسلم رحمهما الله قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء . قال الراوى هي من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً . وفي رواية

إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال^(١) له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكّت رجع فوسوس . وفي رواية إذا أذن المؤذن وتلى الشيطان وله حُصاص^(٢) وفي رواية أنه إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة^(٣) أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى .

ثم قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم ، وقوله صلى الله عليه وسلم المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وهو بفتح هـزة أعناقاً جمع عـق قد اختلف في معناه ف قيل معناه أكثر الناس تشوقاً إلى رحمة الله لأن استشف يطيل عنقه لما يتطلع إليه فمعناه كثرة ما يروونه من الثواب ، وقال النضر بن شميل إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لثلاث ينالهم ذلك الكرب ، وقيل معناه أنهم سادة ورؤساء والعرب تصف السادة بطول العنق ، وقيل معناه أكثر أتباعاً ، وقال ابن الأعرابي معناه أكثر الناس أفعالا . قال وقيل إنما يدبر الشيطان إذا سمع الأذان لعظم أمر الأذان لما اشتغل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شرائع الإسلام وأعلامه . قال والتثويب الإقامة وأصله من ثاب إذا رجع ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها ، ثم قال النووي في موضع آخر من شرح صحيح مسلم والحكمة في ابتداء الصلاة بالتكبير افتتاحها بالتنزيه والتعظيم لله تعالى ونعمته بصفات الكمال والله اعلم .

معنى التكبير

اعلم أن معنى التكبير هو أن يستشعر العبد ويتحقق في قلبه بقوله

(١) أحال : أى ذهب مارباً . (٢) حصاص : ضراط وقيل هو شدة المدح .

(٣) ثوب للصلاة : أتم لها كما سبقت .

الله أكبر انفراداً الله عز وجل بالكبرياء واختصاصه به تعالى وليس معنى أكبر أن غيره يشاركه في الكبرياء وهو أكبر منه إذ لا مشارك له في الكبرياء وصيغة أفعل قد تأتي ولا يراد بها التفضيل .

ثم قال الإمام الغزالي وقولك الله أكبر ليس المعنى أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال إنه أكبر منه بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المية حتى يقال إنها أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس أو يدرك بجلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يدرك كنهه بجلاله غيره بل أكبر من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله بالحقيقة إلا الله فإن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه يستحيل عليهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك أيضاً بكلامه إلا بنى أو صديق . أما النبي فيمير عنه ويقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وأما الصديق فيقول المعجز عن درك الإدراك إدراكه . وقد تقدم هذا الكلام قريباً بالتام وإنما أعدناه هنا لمناسبة المقام .

قصة غريبة

نقل الإمام الدميري عن الفضيل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه وهو بالبادسية بأن يوجه فضلة الأنصارى إلى حلوان العراق ليفزرو على ضواحيها فوجه سعد فضلة في ثلاثمائة فارس فساروا حتى أتوا حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة عظيمة وسبياً فأقبلوا بذلك حتى أرهقهم المصير وكادت الشمس تغرب فلجأ فضلة السبي والغنيمة إلى سفح جبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله أكبر فاجابه مجيب كثرت كبيراً يا فضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا فضلة ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله فقال هو الذي بشر به عيسى ابن مريم وعلى

رأس أمته تقوم الساعة ، ثم قال حى على الصلاة فقال طوبى لمن سعى إليها وواظب
 عايها ، ثم قال حى على الفلاح فقال قد أفاح من أجاب داعى الله . ثم قال الله أكبر
 الله أكبر فقال أخاصت الإخلاص كله يا فضلة حرم الله بها جسدك على النار
 فلما فرغ من أذاه قام فقال من أنت يرحمك الله أم لك أنت أم من الجن أم
 طائف من عباد الله قد أسمعنا صوتك فأرنا شخصك فإن الوفد وفد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ووفد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانفاق الجبل عن هامة
 كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم
 ورحمة الله وبركاته فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك
 الله قال رزين بن مرثلا وصى العبد الصالح عيسى ابن مريم أسكننى هذا الجبل
 ودعالى بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء فاقروا عمر منى السلام وقولو
 له سدوا وقاربوا فقد دنا الأمر بعلامات الساعة . ومنها أن الكبير لا يرحم
 الصغير وأنه يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك انتهى ملخصاً
 ﴿ فائدة ﴾ ذكر بعض العلماء أن من رأى الهلال فقال « الله أكبر اللهم أهله
 علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية من كل سوء والرزق الجلل
 الحسن » نال خير ذلك الشهر وسلم من شره وكذلك « يقول اللهم إني أسألك
 خير هذا الشهر وخير ما فيه وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا الشهر وشر
 ما فيه وشر ما بعده » .

﴿ فائدة أخرى ﴾ قال الشرحى فى فوائده وجدت بخط بعض العلماء أن
 هذه الكلمات تسمى كلمات العزة وهى لدفع جميع الآفات ، من داوم على قراءتها
 يرى عجباً من العزة والقبول وهى ﴿ الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن
 له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الدن وكبره تكبيراً الله أكبر الله أكبر
 الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد الله أكبر كبيراً
 والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً . سبحان الله والحمد لله ولا إله
 إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴾ .

﴿فائدة أخرى﴾ نقل صاحب كتاب الحقائق من كتاب النسائي عن ابن عمر قال قام رجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الكلمة؟ قال الرجل أنا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ابتدرهن أثناعشر ملكاً . وفيه خرَّج ابن أبي شيبه في مسنده من حديث وائل بن حجر قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فدخل داخل في الصلاة فقال الله أكبر كبيراً وسبحان الله وبحمده كثيراً فرفع نبي الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء ثم أقبل على صلاته حتى إذا فرغ من الصلاة قال من صاحب الكلمة؟ قال أنا يا رسول الله قال لقد فتح الله لها أبواب السماء ما نهها شيء دون العرش . وخرَّج النسائي عن جابر رضى الله عنه قال إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فصعدا كبرنا وإذا انحدرنا سجدنا وفيه قال خرَّج ابن وهب في جامعه قال حدثني بن أنعم عن أبي مرحوم أنه كان يقول من قال الله أكبر لا إله إلا الله عتق ربه من النار فإن زاد أخرى عتق ربه الثاني فإن زاد الثالثة عتق ربه الثالث فإن زاد الرابعة عتق كله يومه ذلك حتى يمسي أو يلمته إن قالها حتى يصبح .

الذكر الحادى عشر وشرحه

ثم أتى سيدنا عمر بتكرير الدعاء وتحرير النداء باسم الله الخبير اللطيف الجامع للسر اللطيف والمعنى الشريف الذى به أمان من كل مخيف : فقال رضى الله عنه .

(يا لطيفاً بخلقه يا عليمًا بخلقته يا خبيراً بخلقته أَلطَفَ بنا يا لطيف يا عليم يا خبير)
« ثلاثاً » .

قال الشيخ على . وينصب بالطفيا ويا عليمًا ويا خبيراً بخلقته لأنه شبيه بالمضاف

واسمه اللطيف حرز عزيز ، وكثر شريف عزيز ، وسر لطيف يحفظ الله به الوجود
ويُدفع به ما يبرم من العقود وكانوا يوصون بالمواظبة عليه لدفع المضلات
وحل المشكلات ولهذا قيل إن الله في كل نفس إلى الوجود الخلق تسما ونسمن
وتسمائة نظرة من اللطف الخفي ولولا ذلك لا نعدم الوجود لمظنة سلطان التجلي
الحق ولولا لطف اللطيف لما يشاء من عباده لم يهتد إليه أحد من خلقه قال قائمهم
إني تلطف لأولياك حتى عرفوك ولو تلطف لأعدائك لما جحدوك ، وبذلك
لا سم أتى نيدل الذاكر الداعي به إلى سبيل النجاح والنجاح الحفظه من مدات
مضلات ويستعطف به لينال المواصلات والوصول إلى مناهج المكاشفات بحقائق
معاني الروحانيات والملاطعات الخفيات وتنزل التجليات الوصفيات والاسميات
والنعمليات من سماء القرب العرفاني ، باعلينا بخلقه يا خبيراً بخلقه دعا إليه بعلمه بخلقه
وخبرته التي هي أخص من العلم وهي ظهوره في الأشياء بأثار صفاته وفي الذوات
بتجلي أنوار ذاته . وفي الأفعال بلطف الاختراع وعجيب الابتداع وعزز
لامتناع انتهى .

• * *

ولنشرع الآن . بذكر ما يسره المنان من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء
في فضائل ومعاني اسم الله اللطيف المنان فنقول .

أما الآيات فقد قال تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو
اللطيف الخبير) وقال تعالى (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا قال يا أي
هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من
السجن وجاء بك من البدو من بعد أن نزعت الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي
لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) . وقال تعالى (يا بني إنها إن تك

مئقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض بأنى
 بها الله (إن الله لطيف خبير) وقال تعالى (وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من
 آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) وقال تعالى (الله لطيف بعباده يرزق
 من يشاء وهو القوى العزيز) وقال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)
 قال بعض المشايخ وقد أوصى بعض الصالحين بالمواظبة على قراءة هذه الآيات السبع
 لما فيها من السر اللطيف .

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى فى كل طرفة
 تسمين ألف نظرة إلى خلقه . وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أراف بعباده من الأم
 البرة بولدها الرضيع .

ما قيل فى معنى اللطف واللطيف

قال الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الفزالى الطومى فى كتابه الذخيرة
 وإذا نظر الإنسان إلى وجوده بعد العدم وقد آتى عليه حين من الدهر لم يسكن
 شيئاً مذكوراً ثم أوجده الله تعالى من ماء مهين وشق سمعه وبصره وصور خلقه
 عرف من ذلك وجود الخالق سبحانه فان حقيقة روحه التى يعبر عنها بلفظ القلب
 منزهة أن تدخل فى وهم أو خيال وأنها ليس لها مقدار ولا كمية ولا تقبل القسمة .
 ثم إذا نظر فى تفاصيل أجزائه وأطرافه عرف كمال قدرة الخالق جل جلاله . وفى
 عجائب الحكم ومنافع الأعضاء شاهد كمال خالقه . وإذا نظر فيما يحتاج إليه لبقائه
 وحاجته فوجده مخلوقاً معه من غير مسألة ولا علم سابق منه عرف بذلك كمال لطف
 الله تعالى ورحمته فبذلك يعرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه . فإذا معرفة
 نفس الآدمى مفتاح معرفة الله ومرآة لها على هذا الوجه .

وقال الشيخ أبو الخير الأتطم لا تسألوا الله أن يصبركم وأسألوه اللطف بكم

لأن تجرع مرارة الصبر شديد لملئنا . فإن زكريا عليه السلام لما بلغ النشار لرأسه
أشد الوجع فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لأن صعدت منك أنه ثانية لأبحون
أسمك من ديوان النبوة ، وكان الشيخ إبراهيم المتبولي كثير التعبد لا يفتر ليلا
ونهاراً وبه مرض الحمى وعسر البول فكان يحفر كالثور ويقول يارب لا أسألك
تحويل ما قدرته ولكن أسألك اللطف فيه .

وفي كتاب طبقات الصوفية الكبرى للشعراني قال أبو العباس المرسى
للطف حجاب عن اللطف إذا وقف معه العبد والحق لا يحب أن يأنس عبده إلى
غيره وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام نعم العبد الشيخ لولا أنه يمكن إلى
نسيم الأسفار ولو أنه عرفني ما سكن إلى غيري .

وفي كتاب زهر الأكرام أوحى الله إلى بعض أنبيائه أدرك لطف الفطنة
وخفي اللطف فإني أحب ذلك فقال يارب وما لطف الفطنة وما خفي اللطف قال
لطف الفطنة هو إن وقعت عليك ذبابة فما فوقها فاعلم أني أنا الذي أوقعها عليك
فاسألني أرفعها عنك وأما خفي اللطف فهو إن وردت على قلبك قولة مشوشة
فاعلم أني أنا الذي أوردتها فاسألني أرفعها عنك .

وأما معنى اسمه اللطيف فهو الذي يسرع بكشف الغمة عند حلول النعمة
ويسبق بابتداء النعمة من غير أن تتوقعها الهمة كذا ذكره القاشاني في كتاب
شرح أسماء الله الحسنى ، وقال فيه اسمه تعالى اللطيف من أسماء صفات الأفعال
وصفته اللطف وهو عبارة عن سريان الرحمة بأنواع الإعانة والنعمة من غير انقطاع
ولا امتناع ، وباعتبار آخر اللطيف هو الذي أمتنع إدراكه بالأبصار وتنزه عن
المكان فلا يتعيز في الجهات والأقطار وتعالى عن الحد فلا تعرفه العقول بالفهوم
والأفكار وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من ذواتها وأظهر عليها من صفاتها
غاية الإظهار ومع ذلك لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

لألف جلاله وغموض باطن علمه وخفائه لاحتجابه عن العيون بحجاب عظمته .
وعن العقول بحجاب كبريائه وعن القلوب بحجاب نور جماله وشدة نوره وبهائه .
فلشدة ظهور نور جماله عن الإدراك غاب فكان ظهور نور جمال كماله الحجاب .
وفي هذا المعنى كان ينشد بعض العارفين .

وما أحتجبت إلا برفع خمارها ومن عجب أن الظهور تستر
ثم قال القاشاني رحمه الله وهذا الاسم اسم صفة إلهية بهذا الاعتبار وصفته
اللفظ وهو عبارة عن غموض العلم به وعن امتناع معرفته على الحقيقة للطاقها
عن مدارك القهوم وتنزهها عن مبالغ غايات العلوم أتتبه كلامه .
قال الإمام البيضاوي في تفسيره اللطيف هو الرفيق بعباده العالم ببواطن
الأشياء ، والخبير هو العالم بظواهرها ، فيدرك مالا تدركه الأبصار
لأنه الخبير .

وقال الشيخ أحمد بن عمر الأنصاري الرمي كما نقله عنه تلميذه ابن عطاء
الله في لطائف المنن إن الله ملكاً لو وضع قدمه في الأرض لم يجد أين يضع
الثانية ، ثم قال يقول القائل إذا كان ملك يملأ الكون كله فأي يكون الملك
الذي يملأ ثلث الكون هو الملك الذي يملأ ثلثي الكون فقال رضى الله عنه
جواباً عن ذلك اللطائف لا تتزاحم كمثل سراج أدخلته بيتاً فلا البيت نوره
ولو أتيت بعد ذلك بألف سراج لوسع ذلك البيت أنوارها اه . والله أعلم .

ونقل الإمام البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله
تعالى : ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ قال اللطيف بأوليائه الخبير بهم ، وقيل اللطيف
الموصل الشئ بالبين والرفق ، وقيل اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لئلا ينجلوا
قال وأصل اللفظ دقة النظر في الأشياء اه .

وقال في موضع آخر وحقيقة اللطيف هو الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق اهـ .

قصة قها حكمة

وفي كتاب زهر السكام عن وهب بن منبه أن نبي الله عزير عليه السلام لما احتار في تصاريف الأقدار وخفى عليه لطف الواحد القهار وحكمه بما يجري على الأخيار من الأشرار وأراد أن يعلم ما في طي ذلك من الأسرار أرسل الله تعالى إليه ملكاً فسلم عليه ثم قال له يا عزير لقد أمتك الدنيا وأحزنتك شأنها أتريد أن تعلم سر قضاء الله تعالى قال نعم قال إن الله عز وجل أرسلني إليك لأسألك فتخبرني وأقول لك قد سمع يا عزير أريد أن تصر لي صرة من الشمس أو تسكيل لي مكيالاً من النور أو وزن لي مثقالاً من الريح أو ترد لي يوماً من أمس قال ومن يطيق هذا قال من يسأل علماً لا يصل إليه علمه ولم يكف النظر فيه ، يا عزير إذا كنت تعجز عن هذا فكيف لو سألتك كم تحت الأرض من ينبوع وكم فيها من مثقال وكم في البحر من نقطة وكم عدد ما أنزل الله من السماء من قطرة وكم أرواح الموتى وكم حفر القبور وكم أبواب السماء وكم عمق البحر وأين طريق الجنة ؟ فقال لا علم لي بهذا قال إذا لم تعلمه وأنت تدركه ببصرك وتعرفه بعقلك فكيف تريد أن تعلم علم الله تعالى الذي توحد به وغيبه الذي حجبته عن خلقه واختاره لنفسه ، ثم قال الملك يا عزير سل الأرض ما بالها تطول أشجارها وتخضر أوراقها وتظهر ثمارها في وقت فإذا بلغت حدها زال ذلك عنها أليس الماء من تحتها يجري والهواء من فوقها يسرى ؟ يا عزير واسأل البحار ما بالها تملو بأمواجها وتدفق فإذا بلغت حدها ردت بزمام القهر إلى القعر ، أرايت يا عزير لو اختصم إليك الأرض والبحار فقالت الأرض قد ضلقت بجبالى وأشجارى وما في من خلق ربي وأريد أن أمتد في البحر فأتسع فيه . وقالت البحار

قد ضقت بأمواجي ومائي وحيثاني ودوابي وأريد أن أمتد في الأرض واتوسع .
ما كنت تقضى بينهما ؟ قال عزيز كنت أقول لها كل منكما جاء بحجة لاتنفعه
وإن لكل واحد منكما حداً هو بالغه ومدة لايتعدهاها . فقال الملك نعم ما وصفت
وقضيت لفيرك فاقض على نفسك فإن الله قد أجل لأهل الدنيا أجلاً هم بالقوه
وحداً لا بد لهم منه .

حكمة ونصيحة

وفي الجزء الثاني من كتاب طبقات الصوفية للشيخ المناوي قال لقي الشيخ
أبو العباس ابن المراني في سياحته بمض الأبدال وهو يمشي على البحر فأخذ
يذكر له ما الناس عليه من فساد أحوالهم من الملوكة والرعايا ففضب البدل وقال
ومالك وعباد الله لاتدخل بين السيد وعبيده فإن الرحمة والمفخرة هؤلاء أتريد
أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ، اشتغل بنفسك وليكن نظرك لله تعالى وشغلك به .
وقال الأعرابي وقد دخلت على شيخنا هذا [يعني أبا العباس] وأنا في مثل هذا
أخل في بديتي وقد تكدر على وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفه الحق فقال لي
« عليك بالله » فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا ابن عمران فقال لي « عليك
بنفسك » فقلت ياسيدي حرت بينكما أبو العباس يقول عليك بالله . وأنت تقول
عليك بنفسك فبكي وقال الذي دناك عايه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع
وكل منا ذكر ما يقتضيه حاله وأرجو الله أن يلحقني بمقامه . فرجعت إلى أبي
العباس وذكرته مقالته . فقال قد أحسن في قوله هو ذلك على الطريق .
وأناد للتك على الرفيق فاعمل بما أقول لك وبما قاله لك يجمع لك بينهما . وكل
من لا يصحب الحق في سفره فليس له سبيل إلى سلامته .

عود إلى الكلام في اللطف

وبالجملة فقد قال العلماء بأصول الدين اللطف هو الرأفة والرفق يقال لطف
به يلطف كنصر ينصر لطفاً بالضم ، وفي صدر كتاب المحبة والشوق في الاحياء

قال قال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ، وحيه يدهش العقول فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه ، وفي بعض الكتب أنا وحكك لك محب فبحق عليك كن لي محبا .

وفي كتاب المحبة أيضا أوحى الله تعالى إلى داود لويعلم المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لا تواسقوا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتى ، يادود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى فى المقبلين على ، يادود أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عبدى إذا رجع إلى .

وفي اصطلاحهم أيضا اللطف هو خلق الله القدرة على الطاعة لعبده ومقابله عندهم الخذلان والعياذ بالله . وهو خلق الله القدرة على المعصية لعبده فلا يطاع سبحانه إلا بعلمه وإرادته ومحبتة وأمره . ولا يعصى إلا بعلمه وإرادته دون محبتة وأمره انتهى .

ومما يزيدك إيضاحا فى هذا المعنى وتكميلا لهذا البنى . ما ذكره الإمام ابن حجر فى تحفته . عند قول الأصل باللطف والارشاد قال اللطف هو ما يقع به صلاح العبد آخرته ويساويه التوفيق الذى هو خلق قدرة الطاعة فى العبد منطوقا لا مفهوما قال وامرته لم يذكر فى القرآن إلا مرة فى سورة هود وليس منه (إلا احسانا وتوفيقا) (يوفق الله بينهما) لأنهما من الوفاق الذى هو ضد الخلاف . قال وقد يطلق التوفيق على أخص من ذلك ومن ثم قال المتكلمون اللطف ما يحمل المكلف على الطاعة ثم إن حمل على فعل المطلوب سمي توفيقا أو ترك القبيح سمي عصمة قال وصرح أهل السنة فى بحث خلق الأعمال بأن الله لطفاً يوفعه بالكفار لآمنوا اختياراً غير أنه لم يفعله وهو فى فعله بالؤمنين متفضل وفى تركه بالكافرين عادل ، ومن عجيب خلق لطفه تعالى بخاصته من خلقه ما أنزله

تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهل الاخلاص من أصحابه يوم أحد من الأمانة . وهى النعاس المشار إليه بقوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا) قال ابن عباس رضى الله عنهما آمنهن يومئذ بنعاس يفشاهن وإنما ينعس من يأمن . قال طلحة غشنا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى فأخذه فرفقت رأسى يومئذ فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا وهو يميل تحت جففته من النعاس فهذا خفى لطف الله بالمؤمنين . وأما المنافقون الذين أهتمهم أنفسهم بظن الجاهلية فى ذلك اليوم فلم يدركهم لطف الله فلم ينزل عليهم الأمانة ولا النعاس فبقوا فى الخوف .

ومن ذلك اللطف الخفى بعباده المؤمنين ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله « الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة فانظر رحمك الله إلى هذا المعنى العجيب من لطف القريب الحبيب وأسأل الهك اللطف وقل بالطيب إلى آخر هذا الذكر اهـ .

ومن عجيب خفى لطفه تعالى بعباده ما روى عن على رضى الله عنه قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة فلا تدع على عبادى فإنما أنا من عبادى على ثلاث خلال إما أن يتوب إلى فاتوب عليه . وإما أن أخرج منه نسمة تعبدنى وإما أن يبعث إلى فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته .

حكاية فيها عبرة

ومن ذلك ما حكى أن نبيا من الأنبياء كان يتعبد فى جبل مرتفع وتحت عين ماء تجري فكان بالنهار يجلس فى أعلى الجبل من حيث لا يراه الناس يذكر الله عز وجل وينظر إلى من يرد العين من المسلمين فينبأ هو قاعد ينظر إذ بنارس قد أقبل إلى العين فنزل عن فرسه وأزال قرابا كان فى عنقه واستراح وشرب من الماء ثم قام وترك القراب بالمسال وكان فيه ألف دينار

فإذا برجل آخر قد أقبل إلى العين فأخذ القراب بالمال وانصرف سالماً .
 فإذا بحطاب يحمل حُرْمة حطب ثقيلة على ظهره قد جاء وأنزلها وقعد على العين
 ففعل وجهه وإذا بالفارس الأول قد أقبل لهما فقال للحطاب أين القراب فقال
 لا أدري فقال له وكان فيه ألف دينار فقال لا أدري فضر به الفارس فقتله وسار
 فقال ذلك النبي يارب هذا واحد أخذ ألف دينار والآخر قتل مظلوماً . فأوحى
 الله إليه اشتغل بعبادتك فإن تدبير أسرار المملكة ليست من شأنك فإن والد
 هذا الفارس كان قد غضب ألف دينار من مال والد هذا الرجل الذي أخذ
 المال والقراب فمكنت الولد من مال أبيه . وأن الحطاب قد قتل والد الفارس
 فمكنت الولد من القصاص وأنا بخلق عليم خبير سمع بصير عزيز حكيم فقال
 النبي لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لا إله إلا أنت سبحانك
 علام الغيوب تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ذكر في كتاب زهرة
 الأكرام وغيره .

ويروي عن قسامة بن زهير رضي الله عنه أنه قال : بلغني أن إبراهيم عليه
 الصلاة والسلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق . قال : فرفعه الله تعالى حتى أشرف
 على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون . فقال : يارب دمّر عليهم ، فقال
 الله تعالى : أنا أرحم بعبادي منك يا إبراهيم اهبط فاعلمهم يتوبون ويرجعون .

* * *

ومن ذلك ما حكى عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه قال : قرأت ليلة
 من الليالي في قل أعوذ برب الناس - إلى أن انتهيت إلى قوله - من شر
 الوسواس . وسواس يدخل بينك وبين جنبيك ينسبك الطافه الحسنة
 ويذكرك أفعاله السيئة ويقلل عندك ذات البين ويكثر عندك ذات الشمال .
 أيمدل بك عن حسن الظن بالله تعالى ورسوله ، إلى سوء الظن بالله عز وجل
 ورسوله اه .

فضل هذا الذكر

ومما يدل على عظيم فضل هذا الدعاء الذي اختاره سيدي عمر في هذا الراتب ما حكى الإمام الياقني في كتابه روض الرياحين عن بعضهم أنه قال : أدركتنا ضائقة وخوف شديد فخرجت هاتماً ، فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة فمضيت ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع اشتد بي العطش والحر وخفت على نفسي التلف ولم أجد في البرية شجرة أستظل بها فوكلت أمري إلى الله وجلست إلى القبلة ، فممت وأنا جالس فرأيت شخصاً في المنام يمد يده إلى وقال : أعطني يدك ، فممدت يدي إليه فصالحني وقال : أبشر أنت تسلم وتصل إلى بيت الله الحرام ، وتزور قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فقلت : من أنت يرحمك الله ، فقال لي : أنا الخضر فقلت له ادع لي فقال قل يا لطيفاً بخلقه يا علماً بخلقه يا حبيراً بخلقه أطف بي يا ضيف يا عليم يا خير « ثلاث مرات » .

فقلت ذلك فقال هذه تحفة فيها غنى الأبد فإذا لحقتك ضائقة أو نزل بك غازل فقلها تكفي وتشفي ثم غاب عني وإذا أنا أسمع شخصاً ينادي يا شيخ يا شيخ فانتبهت فإذا برجل راكب على راحلة فقال يا هذا أرايت لي شاباً من صفته كذا وكذا فقلت له ما رأيت أحداً فقال خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام وأخبرنا أنه توجه إلى الحج . وقال أين تقصد فقلت حيث يشاء الله ، فأناخ راحلته ونزل عنها ومد يده إلى جراب فأخرج منه قرصين من الخبز السميد بالذال المجمة وهو الحواري الأبيض وبينهما حلوى وانزل سطيحة مملوءة ماء وقال اشرب فشربت وأكلت قرصاً واحداً اكتفيت به ثم قال لي اركب وركب أمامي وسرنا ليلتين ويوماً والتحقنا بالقافلة وسأل عن الشاب فأخبر أنه في القافلة وتركني ومضى ثم أتى بعد ساعة والشاب معه .

وقال : يا ولدي هوّن الله علينا بالاجتماع بك اجتماعي بهذا الرجل ثم ودعتها

وانصرفت فلحقني رجل بكاغدة فناولني إياها وقبل يدي وانصرف عني فوجدت فيها خمسة دنانير مصرية فاكترت منها إلى مكة وتزودت ببقيتها وحججت تلك السنة وزرت النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت إلى الخليل عليه السلام ، وكما أدركتني ضائقة أو نزلت بي نازلة ذكرت الكلمات التي علمني الخضر عليه السلام واعترفت بفضيلته وشكرت الله تعالى على نعمته .

ومما يحسن إirاده هنا ما ذكره الإمام الياقبي أيضاً في كتاب روض الرياحين وهو ما حكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها في بيته فظفر بها ابن له صغير فضر بها بحجر فانفلقت أربع فلق فدخل على ذلك الرجل من الغم والخوف من الملك مالا يطيق فعزم على الهرب فلقبه شخص فقال نه أراك محزوناً فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف فعلمه هذه الأبيات :

فكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر آتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساهبه صباحاً وتأتيك المسرة بالعشى
وإذا ضاقت بك الأحوال يوماً فتق بالواحد الفرد العلى

وقال له كررها فإن الفرج يأتيك من الله فكررهما ساعة أو ساعتين ، فبينما هو كذلك إذ برسول الملك قد جاءه وقال إن سرية الملك حدث بها وجمع وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح في ماء وتشربه وإنك يقول لك انظر لنا صنفاً عارفاً يكسر الجوهرة التي عندك أربع فلق لا يزيد ولا ينقص وأكد عليه في ذلك فقال السمع والطاعة فانفرج عنه الكرب والغم وذهب عنه الخوف والهم ، حمد الله وشكره على ما أولاه من النعم باللطف الخفي ثم حل تلك الفلق الأربع إلى الملك ، فرأى الملك له ضيقاً في ذلك وإحساناً فانهم عليه وأحسن إليه فعاد بالجائزة مسروراً آمناً بعد أن كان محزوناً بركة

سر اسمه اللطيف فسيحان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم . الذي يكشف الأحزان
والشور ويغفها بالاحسان والسرور سيحانها أقرب فرجه من المضطرين . ورحمته
من المحسنين تبارك الله رب العالمين .

حكاية أخرى طريفة

ومن ذلك ما حكى صاحب كتاب زهر الكلام عن بعض السادة قال :
كنت ملاحاً بيل مصر أغدو من الجانب الشرق إلى الجانب الغرب فينبأ أنا
في يوم في الزورق وإذا بشيخ وجهه مشرق قد وقف على وسيم فرددت عليه السلام
فقال أتحماني الله قلت نعم قال وتطمئني الله قلت نعم فركب في الزورق . ففدوت
به إلى الجانب الغرب وكان عليه مرقعة ويده ركوة وعصا فلما أراد النزول قال
إني أريد أحملك أمانة قلت وما هي قال إذا كان غداً عند صلاة الظهر فإنك
ستجدني عند تلك الشجرة ميتاً وستنسى ، فإذا ألهمت فتنى وغساني ركفتني
في السكن الذي تجده عند رأسي وادفني بعد الصلاة علي في هذا الرمل وأمسك
المرقعة والركوة والمصا فإن جاءك من يطلبها منك فادفعها إليه ثم سار وتعجبت
من قوله وبت ليلتي تلك متحيراً وأصبحت أنتظر الوقت الذي قال فلما جاء وقت
الظهر نسيت ، قال ثم ألهمت قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة
ميتاً ووجدت كفنا جديداً عند رأسه تفوح منه رائحة المسك ففسلته وكفنته فيه
وحفرت له في الرمل ودفنته بعد الصلاة عليه ثم عدت إلى الجانب الشرق ليلاً
ومع المرقعة والمصا والركوة .

فلما أصبح الصباح وفتح باب البلد إذا بشاب شاطر كنت أعرفه عليه
ثياب رقيقة وفي يده أثر الخناء فأتى إلى فقال : أنت فلان قلت نعم قال اعطني
الأمانة قلت وما هي قال المرقعة والمصا والركوة قلت ومن ذلك عليها ؟
قال : لا أدري !! بت البارحة في عرس فلان وسهرت إلى الصباح فتمت

لاستريح فإذا بشيخ قد وقف على وقال لي : إن الله قد قبض روح فلان الولي وأقامك متممه فسر إلى فلان المدي وخذ أسلابه منه فإنه قد أودعها لك عنده . قال فأخرجتها ودفعها إليه . فأزال أثوابه ولبسها وسار وتركني فبكيت لما حرمت من ذلك . فلما جن الليل نمت فرأيت رب العزة في المنام وقال : يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع إلى إنما هو فضلى أعطيه من أشاء وأخص برحتى من أشاء وأنا اللطيف الخبير .

وقال في كتاب التنوير : أعلم أن الله تعالى تعرّف إلى آدم بالإيجاد فناداه يا قدير ثم تعرف له بتخصيص الإرادة فناداه يا مريد ثم تعرف له بحكمه لما نهاه عن أكل الشجرة فناداه يا حاكم . ثم قضى عليه بأكلها فناداه يا قاهر . ثم لم يعاجله بالعقوبة إذ أكلها فناداه يا حلیم ثم لم ينفضحه في ذلك فناداه يا ستار . ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب . ثم أشهده أن أكله من الشجرة لم يقطع عنه ودَّ الله تعالى فناداه يا لطيف إلى آخر ما تعرّف إليه به من الأسماء ، واعلم أن لهذا الاسم أعنى اللطيف أسراراً وأنواراً ومنافع ومجالب ومدافع وهو مذكور في كتاب الله العزيز في سبعة مواضع تقدم ذكرها قريباً وبالله الهداية ومنه التيسير وهو اللطيف الخبير .

فوائد

﴿ الأولى ﴾ : اسمه تعالى (العليم) قال الشيخ التبريزي كل من قرأه كثيراً رزقه الله المعرفة به جل وعلا ، واسمه تعالى (الخبير) من قرأه وهو في حالة من الخشوع حصلت له عند الناس منزلة عظيمة ومن كان متعباً من نفسه فليكثر من قراءته بالليل والنهار فإن ذلك يملكه نفسه .

وقال الشيخ زروق اسمه تعالى (الخبير) خاصيته حصول الأخبار بكل شيء فمن ذكره سبعة أيام أتته الروحانية بكل خبر يريد ، ومن كان في يده شخص

يؤذيه فليكثر من ذكره يصلح حاله والله أعلم .

وقال التبريزي اسمه تعالى (الخبير) كل من أكثر من الذكر به خلصه الله من سوء الأخلاق ومن شر نفسه .

قال العمري والنظف من الله هو التوفيق والعصاة ، والتوفيق خالق قدرة الطاعة في العبد . ومعنى اسمه (اللطيف) الرفيق بعباده . وفي الحديث لا يتوفق عبد حتى يوفقه الله .

ومن كتاب اليهود للشعراني قال : كان على الخواص يقول إذا سألتهم الله لإخوانكم في هذا الزمان فاسألوه باسمه اللطيف والفيث والرحيم والحنان ونحو ذلك وكل من سألك في هذا الزمان في حاجة فقل له توجه بك إلى سيد المرسلين فإن أبواب جميع الأولياء قد استدارت للعالم وما بقي مفتوحاً إلى يوم القيامة إلا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم ذلك .

وقال بعض السادة وجدت بخط بعض الفضلاء يا خني الأنطاف نجني مما أخاف يا لطيف أدركني بلطفك انخفي من قائلها ألف مرة قضيت حاجته .

(الفائدة الثانية) قال الشرجي في كتابه الفوائد : سمعت بعض الصالحين يدعو بهذا الدعاء يا لطيف يا عليم يا خير أطف بنا فيما جرت به التقادير . وتارة يقول يا لطيف يا عليم يا خير أسألك اللطف فيما جرت به للتقادير . ويكرر ذلك كثيراً فدعوت به فوجدت له تأثيراً حسناً والحمد لله كثيراً . قال ووجدت هذا الدعاء بخط بعض العلماء وذكر له فضلاً كثيراً . وهو يا لطيف فوق كل لطيف أطف بي في أموري كلها كما تحب وأرضني في دنياي وآخرتي .

(دعا مشهور) ومن كتاب الفوائد أيضاً قال وهذا دعاء آخر مشهور وانه شرح طويل مذكور اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفا وعنوت على العظام وعامت بما تحت أرضك كعالمك بما فوق عرشك وكانت وسواس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك

وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك أجمل لي
من كل ما أصبحت فيه أو أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً اللهم إن عفوك عن ذنوبي
وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح فعلي أطمئني أن أسألك ما لا أستوجبه
مما قصرت فيه أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً إنك أنت المحسن إلى وأنا المسيء إلى
نفسى فيما بينى وبينك ، تتوعد إلى بالنعم وأتبفض إليك بالمعاصى ولكن الثقة
بك حملتني على الجرأة عليك فعدّ بفضلك وإحسانك عليّ إنك أنت الغفور
الرحيم .

(الفائدة الثالثة) : قال الشرجي في فوائد هذان البيتان لأبي الفضل البكري
قال وقعت في شدة عظيمة عجز عن دفعها أرباب الجاه فعملت هذين البيتين وعلقتهما
تجاه القبة فكشف الله ذلك عني وهما :

يارب ما زال لطف منك يشملني وقد تجددي ما أنت تملئ
فأصرفه عني بما عودتني كرمك فمن سواك لهذا العبد يرحمه

روى عن الشيخ عز الدين بن جماعة أنه حصل به فالج قال فكنت أكررها
ليلاً ونهاراً فعوفيت من ذلك كله .

الذكر الثاني عشر وشرحه

وذا أروى سيدنا عمر بالدعاء وأنهل . وأوجز فيه وما أمل . ولا قصر ولا
أخل . وبلغ الطالبين غاية الأمل . أردف بمد التهل الطل ، وتوسل بأفضل توسل
وهو اسم الله (اللطيف) عز وجل فقال :

(يا لطيفاً لم تزل أَلطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل أَلطف بنا ونسلمين
« ثلاثاً ») .

قال الشيخ على انحصب بالطيفاً لدخول ما النداء عليه ، لم تزل لطيفاً ، وبوجود
(٧ - الغرض)

كفيلام كذلك ووجو أبدأ لا تزل صفك و
 نمتك ، بناو ين في حركات كناننا باتنا ، مجيئنا
 وذهابنا ، لف بناو يات أ- وتقصي لطائف رقائق رجات
 ودقائق عات ودر ت الأوت وساعات يالى والى وممتد السنين
 والمصور تطاولات هور ، يفا في ك وعفا فى لطفا اخيراً
 بدقائق الال وخال الأفعال ه ما أور الشيخ ر الله عنه

•

وقد منا ذكر يات الواء فى كتاب الله تعالى كراسمه لللطيف
 وقدمنا فى رح الذك سابق من رجلا فوائدا لة للذا .
 ون الآن ما ن تكلم ك . وتر لما هنال فذقول
 قال من العلم طيف منى يوم اليك أر رفق نيل هو
 الذى أن يد بالكيف وقال الك البونى فى كتاب (شرح منارف)
 اسم الله يف له أر صرافات ب الرزة لكشف نوم ولعة الأئسن
 ولتفريج كروب الجلب فى فهو كركر الشريف الطيف
 مائة وتس وعشرين ثم يقرأ بذلك قولى (الله) يف بعباد الآية ،
 ولكشف العلوم فى الاسم د للذك م يقرأ فى الموافق وهو
 قوله تعالى ألا يعلم خلقه طيف الخ كذلك لعقد الألا فيذكر
 الاسم بالذكو يقرأ الآ هى (لا) كه الأبه وهو يد الأبصار
 وهو اللطيف الخبير لك ، ولك ج الكرك فيقرأ الا كما تقدم رأ الآية
 كذلك قوله (إن ربى) لما يشا هو ال الحكيم هى من
 فوائدا لى حسين .

() من ح زروف (اللطيف) يرفع أ المريد من كان

فى سفر أو فى شدة أورام شيئاً وعسر عليه فيقرؤه عقيب سنة الوضوء مائة مرة متتابعة فتح الله عليه ذلك . ومن قرأه مائة وتسعا وعشرين مرة أو مائة وثلاثاً وثلاثين مرة وسع الله عليه ما ضاق وكان ملطوقاً به فى أمره .

وقال التبريزى فى شرح أسماء الله الحسنى . اسمه تعالى (اللطيف) روى أنه من قال وهو على طهارة باللطيف ألف مرة قضيت حاجته كأنه ما كانت ، ونقلت من خط بعضهم ما لفظه اسمه تعالى (اللطيف) هو اسم مكعب لا يصدق فيه التربع ما أسعره لتفريج الكرب فى أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره ، ولا يذكره من يؤله شيء فى نفسه أو بدنه إلا أزاله الله عنه فى أثناء الذكر . وما ذكره فى أمر عظيم هاله ثم أقبل على الذكر وهو يلاحظ تلك الكيفية إلا شاهدها كيف تتحل وتضمحل ولا يقوم من مقامه ويبقى عليه ما يوهنه ، وكيفية ذكره أن يذكره ألف مرة بعد صلاة العصر ثم يسجد ويقول فى سجوده باللطيف مائة وتسعا وعشرين مرة باللطيف المطلق وأرحم الراحمين عني ما يؤلمني يا مجيب .

قصة عجيبة

فى أن اصطناع المعروف بقى مضارع السوء ولو مع غير أهله ، وفيها فضل هذا الذكر

حكى الإمام أبو نعيم فى كتابه حاية الأولياء أن رجلاً كان يعرف بابن حمير وكان له ورع وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقتل فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية وقالت يا محمد بن حمير أجرنى أحارك الله تعالى فقال لها ممن ؟ قالت من عدو ظلمنى قال لها فأين عدوك ؟ قالت له ورأى قال لها ومن أى أمة أنت ؟ قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ففتحت ردائى وقلت ادخلى فيه قالت يرأى عدوى . قلت فما أصنع بك قالت إن أردت اصطناع المعروف فانفتح لى فاك حتى أنساب فيه فقلت أخشى أن تقتلنى فقالت لا والله ما أقتلك والله شاهد على بذلك قال ففتحت فمى فانساب فيه ثم مضيت

فعارضني رجل معه صمصامة فقال يا محمد قلت وما تشاء قال هل لقيت عدوئى
قلت ومن عدوك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربى من قولى لا مائة مرة
وقد علمت أين هى ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فمى وقالت انظر هل
مضى هذا العدو قالت نعم فلم أرا أحدًا فقلت لا أرى أحدًا إن أردت تخرجى فاخرجى.
فكانت الآن يا محمد اختر لنفسك واحدة من اثنتين إما أن أتقت كبدك وإما أن
أحب قوادك فأدعك بلا روح فقلت سبحان الله أين العهد الذى عاهدتنى واليمين
التي حلفت بها ما أسمع مانسيتها قالت يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بينى
وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة ، على أى شىء طلبت اصطناع المعروف
من غير أهله قلت لها ولا بد أن تقتلينى فقالت لا بد من ذلك قلت لها فأمهلينى
حتى أصير إلى تحت هذا الجبل فامهد لنفسى موضعاً قالت شأنك وما تريد فمضيت
أريد الجبل وقد بنست من الحياة فرفقت طرفى إلى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف
أنظف لى بنظفك الخفى يا لطيف ألطف لى بالقدره التى استويت بها على العرش
فلم يعلم العرش أين مستقره منه يا حلیم يا علیم يا علی يا عظیم يا حی يا قيوم يا الله إلا
كفيتنى هذه الحية ثم مشيت فعارضنى رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقى
الشوب فقال لى سلام عليك فقلت وعليك السلام فقال لى مالى أراك قد تغير
لونك قلت من عدو ظلمنى قال وأين عدوك قلت فى جوفى قال لى افتح لى فاك
فتحت فمى فوضع فيه مثل ورقة الزيتون خضراء ثم قال لى امضغ وابلع فمضغت
وبلعت قال محمد فلم ألبث إلا يسيراً حتى مفضتنى بطنى ودارت الحية فى بطنى
فرمىته بها من أسفل قطعة قطعة وذهب عني ما كنت أجده من الخوف فتعلقت
بالرجل قلت يا أخى من أنت الذى من الله على بك فضحك ثم قال أما نعرفنى
قلت اللهم لا . قال يا محمد بن حمير إنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان
ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال
الله تعالى وعزنى وجلالى بعينى كل ما فعلت الحية بمبدى وأمرنى سبحانه وتعالى

أن أنطلق إلى الجنة فأخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى وألحقك بها قائماً
يقال لى المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة ثم قال يا محمد بن حير عليك
باصطناع المعروف فإنه بقى مصارع السوء .

قصة أخرى طريقة

وحكى الإمام الياضى فى كتاب روض الياحين أن بعض الملوك غضب على
بعض الفقراء فبنى عليه قبة وجعله فيها وسداً بابها ولم يترك له منفذاً ومنعه الطعام
والشراب فلما كان بعد ثلاثة أيام وجد ذلك الفقير خارجاً فى عافية طيباً مسروراً
فأخبر الملك بذلك فقال هاتوه فأحضر بين يديه ، فقال الملك : بالذى نجاك من
هذه الشدة وفرج عنك تلك الكربة وأنقذك مما كنت فيه قل لى ما سبب
خلاصك فقال الفقير دعوت دعوات قال وما هى . قال قلت اللهم إنى أسألك
يا لطيف يا من وسع لطفه وفضله أهل السموات والأرض أسألك اللهم أن
تلطف بى فى خفى خفى لطفك الخفى الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كفى
فإنك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده ﴿ الآية اه .

ونقل المتناوى من كتاب الطبقات عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه قال
رأيت الخضر . فقال يا أبا الحسن أصبحك الله اللطف الجميل ، وكان لك صاحباً
فى انقام والرحيل . اه فما أعظم نفع هذا الاسم وأكثر فوائده نفع الله به وأعاد
علينا وعليكم من عوائده آمين .

الذكر الثالث عشر وشرحه

ثم أتى سيدنا عمر بكلمة الإخلاص . وموجبة الخلاص . من كل مانع
واعتاص . والمنجية لقائلها يوم الجزاء والتصاص . فقال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾
« مائة مرة » ويقال عند تمام المائة محمد رسول الله « مرة واحدة » .
قال الشيخ على وهى باب الدخول إلى الله وبها حققت الدماء وعصمت

الأُمم إلا بحكم فيها فعل جميع الحقوق للأمورة وترك جميع الأعمال المحظورة
 كاذب السرقة الخوف والشرب وترك الصلاة وجعود ما أنزل الله من
 المأمور واستحسان ما نهى الله عنه من المنهيات، وأما فضلها فمما ورد به الكتاب
 قوله : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وورد في الحديث القدسي ﴿ لا إله إلا
 الله ومن أعادى الله أعادى عليّ ﴾ وكل عمل له مقدار من الثواب
 إلا الكلمة باللو كانت السموات والأرض في كفة وهي في كفة أخرى
 لرجاء على السموات والأرض وقال صلى الله عليه وسلم تقنوا أمواتكم لا إله إلا الله
 فمنها م الذنوب فما قيل يا رسول الله هذا في الموتى فكيف الأحياء فقال
 صلى عليه و- لها أهلم وأهلم .

من ابن : رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال يفتح
 الله باب الجنة لى من تحت العرش أثبتها الجنة وكل ما فيك من النعم ،
 من الجنة وما فيها نحن لأهل لا إله إلا الله ولا علينا إلا أهل
 لا إله إلا الله ولا يحرمون على من لم يقل لا إله إلا الله ومن لا يؤمن بلا إله
 إلا عند تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلني إلا من كفر
 بلا إله إلا الله وطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال
 لا إله إلا الله و غصبي إلا على من أنكر لا إله إلا الله ولا أمتلى إلا من
 جحد لا إله إلا . قال فتجىء مغفرة الله ورحمته فتقولان إنا لأهل لا إله
 إلا رناصران قال لا إله إلا الله ومحيبان لمن قال لا إله إلا الله ومنعمان لمن
 قال لا إله إلا الله يقول الله تبارك وتعالى أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله .
 وح النار من قال لا إله إلا الله وغفرت ذنب من قال لا إله إلا الله
 ولا بيت مغفرة وجنتي عن قال لا إله إلا الله وما خلقت الجنة إلا لأهل
 لا إله إلا الله والظوا أهل لا إله إلا الله إلا بما يوافق لا إله إلا الله .

ال صلى عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله

فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » وحققها ما قدمناه آنفاً . قال : [أى الشيخ الشارح]

وجعلها صاحب الراتب مائة لتفيد توحيد الله بجميع أسمائه الحسنى النعمة والتسعين وتتمامها بلا إله إلا الله لأنه لا يبدو في العالم أثر حسى أو معنوى إلا عن هذه الأسماء فلا يخرج عن تأثيرها شيء . لذلك من أحصاها دخل الجنة . قال ويحتم بقوله محمد رسول الله ليثبت ما أثبتته رسول الله وما شرعه ثابت بآيات الله كسائر الرسل والشرائع والأديان . وينبئ للذاكر عند إشارته بالإثبات بعد النفي [الالتفات] إلى الجهة اليسرى [و] إذا قال بعد كلمة الإثبات محمد رسول الله أن يشير بوجهه إلى جهة اليمين مستفتياً من النفي الكلى بآيات قوله محمد رسول الله (١) .

وأما فضائلها وآدابها وما احتوت عليه من الأسرار فيستدعى أفراد ذلك بكتاب تام وما أتينا بهذه التلمذة اليسيرة إلا استدلالاً واستجلاباً بالإغراء للمريد بما احتوى عليه هذا الراتب الشريف .

* * *

ومن فضائل هذه الكلمة أنها ترفع ذاكرها إلى مقام الولاية الكبرى وأنها تحفظ ذاكرها عن طريق الكفر والبدعة والمعصية ، ومنها أنها تحفظ ظاهر صورة الذاكر بها عن طريق الأسواء كما يروى ذلك عن بعض ساداتنا أهل البيت وتنفي ما يتولد في القوى من أكل الحرام والشبهة كما تنفي النار الخبث من الحديد إلى آخر ما ذكره الشيخ .

ونحن نتمم ما أفاده ونعطي ما أشاده . ببيان الفضائل والآداب والمعاني والأحكام لكلمة الشهادة . ووسيلة نيل الفوز والسعادة . ونجعل ذلك في ثلاثة فصول .

(١) مابين المربعين زدناه تصحيح العبارة فانهم .

الفصل الثالث

في ذكر أحرف يسيرة من فضائل لا إله إلا الله وذكر معناها .
اعلم أرشدك الله أن هذه الكلمة العظيمة هي « كلمة التوحيد » الذي هو
أصل الدين وبذرتة التي منها نمت أغصان شجرته . وأينعت أفنان ثمرته .
وبرقت أسارير مسرته . وتشمشت أنوار غرته . فمنها نشأ الإسلام . وبمدها
أنزلت الأحكام . من الصلاة والزكاة والحج والصيام . وسائر العبادات والإلزام
والنوافل بالتمام .

واعلم أن سيدنا عمر قد جعلها في راتبه هذا مائة وذلك لما فيها من عظيم
التواند . وفيض الامدادات الزوائد . فاصنع سمعاً إلى ما يلقى إليك من عظيم
فضائها جعلنا الله وإياك من خواص صالحى أهلها آمين .

أما بيان فضل هذه الكلمة من الكتاب العزيز فقولہ تعالیٰ (شهد الله أنه
لا إله إلا هو) الآية . وقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم أعمالكم) فقد ورد في التفسير أنها هي القول السديد . وأنها الكلم
الطيب في قوله (إليه يصمد الكلم الطيب) وقوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) .
وقوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) . وقوله تعالى .
(ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم
وإليه ترجعون) وقال تعالى (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)
وقال تعالى (وما من إله إلا الله الواحد القهار) . وقال تعالى (ذلكم الله ربكم
له الملك لا إله إلا هو قاتى تؤفكون) وقال تعالى (ذى الطول لا إله إلا هو
إليه للصير) وقال تعالى . (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى إليه أنه
لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ألم الله لا إله إلا هو) وقال تعالى (الله
لا إله إلا هو الحى القيوم) إلى غير ذلك من الآيات وسيأتى قريباً تعداد

المواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة العظيمة من القرآن الكريم في خاتمة هذا الفصل .

واما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا رواه البخاري ومسلم ، وروى البيهقي بإسناد موجود في صحيح مسلم في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان . الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتقر وتقتل من الجناية وتحم الوضوء وتصوم رمضان . وروى الدارقطني هذا اللفظ بحروفه ، ثم قال هذا إسناد صحيح ثابت .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن إنك تقدم على أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوا فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب رواه الشيخان عن معاذ رضى الله عنه ونقله الإمام النووي في رياض الصالحين ، ثم قال النووي في شرح صحيح مسلم معنى قوله صلى الله عليه وسلم في دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . أنها مسموعة لا ترد .

قال شيخ الإسلام زكريا الانصاري والاقرار بالشهادتين يتضمن المعرفة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أهلها النصاب ما لم يؤثروا دنياهم على آخرتهم وما لم يقولوها ولم يحجزهم عن محارم الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة قال أبو ذر قلت

وإن زنى وإن سرق فقال وإن زنى وإن سرق فقلت وإن زنى وإن سرق .
فقال وإن زنى وسرق على رغم أنف أبي ذر الحديث ، وقال صلى الله عليه وسلم
ثلاث حرمت من حفظهن حفظ الله عليه دينه وديناه ومن لم يحفظن لم يحفظ الله
عليه دينه ولا آخرته حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي أخرجه الطبراني .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله تعالى يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق فتنشر له تسعة
وتسمون سجلا كل سجل مد البصر فيقول أشكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي
الحافظون ؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب فيقول الله عز
وجل نبي إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم يقول أحضر وزنك فيقول يارب
ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لن تظلم فتوضع السجلات في كفه
والبطاقة في كفة ففاضت السجلات وثقلت البطاقة ولا يشقل مع أسير الله تعالى
شيء أخرجه الترمذي (النجل) الكتاب الكبير ، (والبطاقة) رقعة صغيرة
وهي ما تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه ، (والطيش) الخفة .

وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي .

وقال يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم يمجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو
أن لا يمجز عن هدم ما بعده من ذنب .

ونقل الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحنفي في شرحه على العقيدة من
مسند البزار عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال لا إله إلا الله نفعت يومنا من دهره أصابه قبل ذلك ما أصابه .

وفيه من كتاب عبد الغفور عن أبي الفضل الجوهري قال إذا دخل أهل

الجنة الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع ما فيها يقولون لا إله إلا الله فيقول بعضهم لبعض كلمة يغفل عنها في الدنيا .

وفيه عنه أنه قال وجدت أنه يهتز العرش لثلاث . لقول المؤمن لا إله إلا الله . وللمسلم الكافر إذا قالها . وللقريب إذا مات في أرض غربة .

وفيه قال وذكر عياض في المدارك عن يونس بن عبد الأعلى أنه أصابه شيء فرأى في المنام قائلاً يقول اسم الله الأكبر لا إله إلا الله فقالها ومسح وجهه فأصبح معافى . قال وذكر ابن الفاكهاني أن ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر .

ثم قال السنوسي وفضل هذه الكلمة كثير لا يمكن استقصاؤه ولهذا اختار الأئمة ملازمة هذا الذكر في كل حال حتى إن منهم من لا يفتتر عنه ليلاً ونهاراً ومنهم من يذكره بين اليوم والليلة سبعين ألف مرة وأهل التوسل والتسبيح والتسبيح والتسبيح والصنائع اثنتي عشرة ألف مرة . وعن طارق الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله عليه ما له ودمه على النار وحسابه على الله تعالى أخرجه الإمام مسلم . وعن عبد الله بن عدي بن الحارث قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إذ جاءه رجل فسارده فلم تدر ما ساره حتى جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين . فقال أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يعطي قال بلى ولا صلاة له . قال أولئك الذين نهاني الله عن قتالهم^(١) أخرجه مالك .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله

(١) أي أنها تعصم دم قائمها ولو قتلها بلسانه فقط وهذا في حق الدنيا وأما في الآخرة فلا الخلود في النار

يمتحن بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذى ،
وروى مسلم وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل
من أيها شاء .

وفى رواية مسلم من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .
وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى القبور ،
ولا عند التشور وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن
رؤوسهم عند البعث ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور
شكور .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى
ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجه
الخطبة .

وقال صلى الله عليه وسلم إذا عملت سيئة فاهمل بعدها حسنة تمحها . قيل :
يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله . قال : هى أفضل الحسنات . وقال
عليه السلام يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن
لا إله إلا الله فإنها لا توضع فى الميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقاً
ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح
من ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض
ذخيرة لغفرها الله تعالى له .

وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم إلا من تأبى وشرد عن الله شراد البمير عن أهله فقليل يارسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثر من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة الطيبة ، وهى دعوة الحق ، وهى المروة الوثقى ، وهى ثمن الجنة .

وقال : قال الله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فقليل : ما الإحسان يارسول الله قال الإحسان فى الدنيا قول لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة ، وروى البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو نسمة يعتمقها من ولد إسماعيل ومن قالها مائة مرة كانت كعدل عشر رقب رواه الشيخان ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها فى يوم مائتى مرة لم يسبقه أحد كان قبله ولم يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله ، وقال عمر رضى الله عنه من قالها فى سوق من الأسواق كتبت له ألف حسنة وعفى عنه ألف سيئة وبني له بيت فى الجنة إلا أن فى رواية عمرو بن شعيب ، وفى رواية عمر بن الخطاب . وهو حى لا يموت بيده الخير وليس فى رواية البراء وكل ذلك ورد فى الصحيح .

وفى كتاب الترمذى عن عمارة بن شبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات على أثر المغرب يمض الله له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح وكتب الله تعالى له بها عشر حسنات موجبات ومحابعه عشر سيئات موبقات وكانت له عدل عشر رقب مؤمنات نقله الإمام النووى من رواية النسائي فى كتابه عمل اليوم والليلة ، وقال : قال الحافظ أبو القاسم بن

عساكره عنه عن عماره عن رجل من الأنصار وهو الصواب ، ثم قال النووي
قوله مسلحة بفتح الميم وإسكان السين المهملة وفتح اللام وباخاء المهملة وهم
الخرس يعني أهل السلاح .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
فنفدت أزواد القوم حتى هموا بنجر بعض جمالم فقال عمر رضى الله عنه يا رسول
الله لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل فجاءه ذو البريرة
وذو النمر بتمره وذو النواى بنواه قيل ما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا
يمصونه ويشربون عليه الماء فدعا عليها^(١) حتى ملأ القوم مزادهم ثم قال عند
ذلك أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما
إلا دخل الجنة أخرجه مسلم .

وفى كتب الحقائق قال خرّج ابن حبيب فى كتاب الله كرهه فى حديث
أحمد بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له أنه الملك وأنه السخند وهو على كل شىء قدير خرقت كل سقف إلى
الماء السابعة فلا يلتئم خرقتها حتى ينظر الله إلى من قلنا من أهل الأرض وحق
على الله أن لا ينظر إلى عبد فيعذبه .

وخرّج محمد بن يحيى العذنى فى مسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من قال حين يصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأخذاً صمداً يتخذ
صاحبة ولا ولداً كان كمن قرأ القرآن اثنتى عشرة مرة وكتب الله له بها أربعين
حسنة

وخرّج ابن أبى شيبة فى مسنده عن أنس رضى الله عنه قال سمع النبي صلى

(١) أى فدعا أصحابه عابها ليطعموا منها وفى الكلام اختصار لا يخفى أى فدعا
دعوات ثم دعا أصحابه الله .

الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم إني أسألك أن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الختان المذنب بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب . وفيه خرّج البغوي في منتخبه عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا إله إلا الله مخلاًصاً دخل الجنة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إخلاصها أن تحجزه عما حرم الله عليه ، وفيه خرّج النسائي عن زيد بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من دخل القبر بلا إله إلا الله خلّصه الله من النار .

وورد أيضاً من قال كل يوم اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حمة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنت أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك مرة واحدة عتق ربه من النار فإن قالها مرتين عتق نفسه فإن قالها ثلاث مرات عتق ثلاثة أرباعه فإن قالها أربع مرات عتق كله . قال بعض العلماء ويظهر لي فيه من الحكمة المناسبة لقوله : ﴿ ولترأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن السكّدين ﴾ . فلما كانت الشهادات الأربع تدرك مع الخامسة الموجبة فكذلك أربع شهادات لله تعالى بالتوحيد مع الإيمان الموجب تدرك عذاب الآخرة وهو النار ، وكذلك أربعة شهود في الزنى توجب عذاب الجسد . فكذلك ينبغي أن يكون على الضد من ذلك أربع شهادات لله تعالى بالتوحيد توجب العتق من عذاب النار والله ورسوله اعلم .

(قلت) ويؤيده ما روى أن الله تعالى لما أرسل الملائكة لاهلاك قوم لوط قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فجاءت الملائكة إلى لوط نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها فاستضافوه فانطلق بهم فلما مضى بهم ساعة قال ما بلغكم من أهل هذه القرية . قالوا وما أمرهم ؟ قال

أشهد بالله أنها لشر قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله، وروى أنه حل الحطب وتبعه الملائكة فرّ على جماعة من قومه ففهمزوا فيما بينهم فقال لوط إن قومي لشر خلق الله ثم مرّ على قوم آخرين ففعلوا مثلهم فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى أتى قومه انتهى والله ورسوله اعلم .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشى في الطرق ويقول قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا ، وقال سفيان الثوري رحمه الله إن لداذة قول لا إله إلا الله في الآخرة كذاة شرب الماء البارد في الدنيا، وحكى أيضاً أنه إذا كان آخر الزمان فليس شيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاحهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الخرام ولا إخلاص في شيء منها . أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكرها إلا من صميم قلبه . .

وأخرج الشيرازي والخطيب والرافعي وابن التجار من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كانت له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر واستجلب الفنى واستقرع بها باب الجنة انتهى .

قلت : وقد صدر الإمام السيقى حزبه العظيم بها أعنى لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وقال أحد شراحه قال العلماء : إنه إذا قال العبد بنية صادقة خالصة اللهم إنك أنت الملك الحق المبين سجد سبعون ألف ملك فيقول الله عز وجل ارفعوا رؤوسكم وعزتي وجلالى إني قد عثرت لقائل هذه الكلمة جميع ذنبه ما تقدم وما تأخر وإن سألتني شيئاً من أمور الدنيا والآخرة لأعطيته انتهى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى ، رواه ابن جرير عن سعد .

وقال صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرّج عنه دعاء ذى النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، رواه ابن أبي الدنيا عن سعد .

وقال صلى الله عليه وسلم : دعوة ذى النون إذا دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجاب الله له ، رواه الضياء عن سعد بن زيد .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم قال في مرضه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أربعين مرة تمت في مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وإن برى برى وقد غفرت له جميع ذنوبه . رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين اهـ متشولا منه .

وفي كتاب الحقائق قال خرّج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فالتقمه الحوت﴾ . قال لما التقمه ذهب به حتى وضعه في الأرض السابعة فسمع يونس الأرض تسبح فيهجته على التسبيح فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال فأخرجته حتى ألقته على الأرض بلا شعر ولا ظفر مثل الصبي المنفوس فأثبت الله عليه شجرة تظله ويأكل من تحتها من حشرات الأرض فيبينما هو نائم تحتها تساقط عليه ورقها وقد يبست فشكى ذلك إلى ربه فقيل له تحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون يعذبون .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، رواه عتبان بن مالاك .

وقال عليه السلام إن الله يحشر المؤذنين يوم القيامة أطول الناس أعناقاً بقولهم لا إله إلا الله ، رواه أبو هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن صدقة السر تطفى غضب الرب وإن صلة
 للرحم تزيد في العمر وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء وإن قول لا إله إلا
 الله تدفع عن قاتلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أدناها اللهم ، رواه ابن عساكر
 عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين .

وقال عليه السلام إن للإسلام ضوءاً وعلامات كمنار الطريق واسمة وجماعه
 شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
 وحتمام الوضوء ، رواه أبو الدرداء رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : ثمن الجنة لا إله إلا الله ، رواه عبد بن حميد عن
 الحسن مرسلًا ورواه ابن مردويه عن أنس رضي الله عنهم .

وقال عليه السلام : جددوا إيمانكم أكثر من قول لا إله إلا الله ، رواه
 أبو هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : حضر ملك الموت رجلاً فشق أعضائه فلم يجد
 عمل خيراً قط ففك لحية فوجد طرف لسانه لاصقاً بمنكبه يقول لا إله إلا الله
 خفف له بكلمة الإخلاص ، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين .

وروينا في بعض الأجزاء عن الحارث بن الحكم قال أنزل الله تعالى في
 بعض الكتب أنا الله لا إله إلا أنا لولا أني قضيت بالتتن على الميت لحبس في
 البيوت . وأنا الله لا إله إلا أنا مرخص الأسفار والبلاد مجدية . وأنا الله لا إله
 إلا أنا لولا أني أسكنت الأمل في القلوب لأهلكها التفكر .

وقال صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة قرأت مكتوباً ثلاثة أسطر
 بالذهب . السطر الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله . والسطر الثاني : ما قدمناه
 وجدناه . وما أكلناه ربحناه . وما خلفناه خسرناه . والسطر الثالث أمة مذبذبة
 هرب غفور ، رواه الإمام الرافعي وابن النجار عن أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم لا إله إلا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، رواه ابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها .
وقال صلى الله عليه وسلم : صلوا على من قال لا إله إلا الله وصلوا وبراء من قال لا إله إلا الله ، رواه ابن عمر رضى الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا .
منهما فإن إبليس يقول أهلكتم بالناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار . فلما رأيت ذلك أهلكهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون ،
رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وقال عليه السلام كل شيء بينه وبين الله حجاب . إلا شهادة أن لا إله إلا الله . ودعاء الوالد لولده ، رواه ابن النجار عن أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم : لكل شيء مفتاح ومفتاح السموات قول لا إله إلا الله ، رواه الطبراني عن معقل بن يسار .

وقال عليه السلام : لو دعى بهذا الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام يصلى فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم قال لهم لقد أعطيت الآية خمساً ما أعطيتم أحد قبلي . أما أولهن فأرسلت إلى الناس كلهن عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت بالرعب على الظالمين ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لم يأتني رعباً ، وأحلت لي الفنائم كلها هو كان من قبلي يعظمونها كانوا يحرمونها ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً

أينما أدركتي الصلاة تيممت وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كثانتهم ويقيمهم ، والخامسة قيل لي سل فإن كل نبي قد سأل : فأخبرت من نبي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا يسته الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أوزاد ، رواه الطبراني عن أبي الدرداء .

(قلت) فهذا الحديث وأمثاله اختار سيدنا عمر أن يؤتى بها مائة في راتبه هذا فافهم .

وقال عليه السلام « من ربي صغيرا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله » روته عائشة رضي الله عنها ، وقال عليه السلام « لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا ترك ذنباً » روته أم سلمة .

وفي كتب الحقائق قال خرّج ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه قال سمعت عمر يقول لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما مالي أراك قد شفقتا واغبررت منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمك أساءتك إمارة ابن عمك قال فقال معاذ الله لي سمعته يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد رُوحه لها رَوْحاً حين يخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ولم يخبرني بها فذلك الذي دخلني قال عمر رضي الله عنه فأننا أعلمها قال فله الحمد فما هي قال التي قال لعمه لا إله إلا الله قال صدقت انتهى الحديث .

وعنه هو أبو طالب فقد خرّج ابن أبي شيبة أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني قریش لأقررت بها عينك فأنزل الله تعالى (إياك لأشهد من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

وفيه قال خرَّج النسائي في مصنفه عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جبريل عليه السلام كان يدرس في قم فرعون الطين مخافة أن يقول لا إله إلا الله ، وخرَّج البزار عن عياض الأنصاري يرفعه قال إن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة لها عند الله مكان ، من قالها صادقا أدخله الله بها الجنة ومن قالها كاذبا حقت دمه وأحرزت ماله ولقي الله عدوًّا نحاسيه .

وخرَّج النسائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال يا موسى قل لا إله إلا الله قال موسى يارب كل عبادك يقول هذا القول قال قل لا إله إلا الله قال لا إله إلا أنت أنت أريد شيئاً تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع وعرشهن وغيرى والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ، رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت هكذا ذكره الإمام النووي في تهذيبه في ترجمة عيسى عليه الصلاة والسلام .

وروى الإمام البغوي بسنده عن عطاء بن يسار قال تليت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك الملقب كل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو

ويفتر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلت .

وروى عن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : « يارب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة أمة محمد صلى الله عليه وسلم » فقال : (علماء أحفياء أتقياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل أدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذلل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط لله سجود كما ذلت رقابهم .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ في دبر صلاة الصبح وهو ثابث رحليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفعه له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه ولم يأنع لذنب أن يذكره في ذلك اليوم إلا الشريك بالله تعالى ، وفي رواية كتب له بكل واحدة عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفعه له عشر درجات وكأما أعتق عشر رقاب وحفظ من الشيطان وكان يومه في حرز ولم يلحقه في ذلك اليوم ذنب - زاد في بعض الرويات وإن قاضا مائة مرة كان من أفضل أهل الأرض عملاً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو أكثر من زبد البحر .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد

يقول عند ردّ روحه إليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله . وأفضل الدعاء الحمد لله .

وفى كتاب الحقائق قال روبنا فى الموطأ وفى الصحيحين وفى النسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان فى يومه حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

وفيه قال خرّج البزار عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى يوم إذا أصبح وإذا أمسى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

وخرّج النسائى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين ينصرف من صلاة الفداة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قبل أن يتكلم كتب له بهن عشر حسنات ومحى عنه بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكن له عدل عشر نعمات وكن له حرساً من الشيطان وحرزاً من المكروه ولم يلحقه فى يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله . ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك فى ليلته » .

وخرّج النسائى أيضاً عن رجاين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما قال عبد قط لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها روحه مصداقاً بها قلبه ولسانه الافتق له السماء فتتأحق بنظر الله إلى قائلها من أهل الأرض وحق نعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله » .

وخرج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير لم تترك شيئاً مرت به في كتابه إلا طمسته حتى تسكن إلى حسنة مثلها » وقال عليه الصلاة والسلام « من قال إحدى عشرة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له أنفق ثلث حسنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مالك وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كرز رضي الله عنه : « أفضل الأيام يوم مرفة وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة ، وأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من تعار (استيقظ) من الليل . فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين انساخ من ذنوبه كما تنساخ الشاة من جلدها » .

وقال الحسن : ثمن الجنة لا إله إلا الله .

وروى الإمام الثعلبي في تفسيره عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : كان رجل غزاً في سبيل الله ، وكان إذا خلا المنسكان قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبينما هو ذات يوم في أرض الروم في موضع ورفع صوته يقول

لا إله إلا الله وحده لا شريك له خرج له رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال يا عبد الله ماذا قلت ؟ قال : قلت الذي سمعته . فقال : والذي نفسي بيده أنها الكلمة التي قال الله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ .

وروى أيضاً في تفسيره عن سهل بن سعد السعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ﴿ وما كنت بجانب الظور إذ نادينا ﴾ قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن ربحتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تدألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من تقبلي يشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة .

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدرس الإسلام كما يدرس الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة ويُسرَى على كتاب الله تعالى في ليلة لا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والمجوز الكبيرة يقولون أدركت آية ناعلى هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها . فقال صلة بن زفر لحذيفة فما تفنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نكاح ولا صدقة . فأعرض عنه حذيفة فرد عليه : لا تأكل كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار ، رواد ابن ماجه في سننه .

وقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله والله أكبر كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض ، وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح لا إله إلا الله والله أكبر أعتق الله رقبتهم من النار »

وقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلی العظيم ما على الأرض أحد يقولها إلا كبرت خطاياء وإن كانت مثل زبد
البحر .

وروى عن ابن عباس ورقه بعضهم قال قال الله يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب
الآباء وأرحام الأمهات اللهم ليك إن الحمد والنعمة لك ولللك لا شريك
لك ليك . قال الله يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وغفوى سبق عقابي
قد أعطيتكم من قبل أن تألوني وقد أجيتم من قبل أن تدعوني وقد
غفرت لكم من قبل أن تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله
إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من
زبد البحر .

وفي كتاب الحقائق قال خرج أبو دؤود في السنن عن أبي بردة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأنى أشهد
أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد . فقال لقد سألت الله بالأسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى
به أجاب ، وخرج النسائي عن عبد الله بن جعفر قال : قال لي علي بن أبي طالب
رضي الله عنه إني مخبرك بكلمات لم أخبر بهن حسناً ولا حسيناً إذا سألت الله
مسألة وأنت تحب أن تتجيب قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم الكريم .

وخرج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن ليث بن مجاهد قال إن الله لا يريد
أن ينفخ في الصور فإذا سمع قائلاً يقول لا إله إلا الله أخرها سبعين خريفاً .
وذلك أن الساعة لا تقوم على أحد يقول لا إله إلا الله : وقال صلى الله عليه وسلم
من قال لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله

له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في يوم
أو في ليلة أو في شهر ثم مات في ذلك اليوم أو في تلك الليلة أو في ذلك الشهر
غفرت ذنوبه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد
الخدري رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا قال العبد لا إله إلا الله
والله أكبر قال صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله
وحده قال الله صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال العبد لا إله إلا الله
وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك
لي ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله تعالى صدق عبدي لا إله
إلا أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال العبد لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم قال الله تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي .
ومن قاتل عند الموت لم تمسه النار .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال علم جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الدعاء وعنده صلى الله عليه وسلم أبا هريرة وكان مريضاً فقال إذا أصابك
مرض فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت سبحان رب العباد ورب البلاد والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً
فيه على كل حال والله أكبر كبيراً جلال الله عز وجل وكبرياًؤه وقدرته وعظمته
بكل مكان اللهم إن كنت كتبت على الموت فاغفر لي ذنوبي وأسكني
جنة عدن .

وروي أنه قال لأبي هريرة يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم
به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله عز وجل من النار قال قلت بآي أنت
وأمرى قال فاعلم أنك إذا أصبحت لم تمس وإذا أمسيت لم تصبح فانك إذا قلت ذلك
في أول مضجعتك من مرضك نجاك الله تعالى من النار أن تقول لا إله إلا الله

يحيى ويميت وهو حي لا يموت سبحانه الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا
كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال الله أكبر كبيراً كبرياء ربنا وجلاله وقدرته
بكل مكان اللهم إن كنت أمرضني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في
أرواح من سبقتهم منك الحسنى فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله عز وجل
والجنة . وإن كنت قد اقترفت ذنباً تاب الله عليك .

وقال صلى الله عليه وسلم بشر الناس أنه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
دخل الجنة .

وروى الإمام البغوي بسنده إلى سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس إنه قد أظلمكم شهر عظيم مبارك
فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيامه ليلة تطوعاً من تقرب
فيه بخصاله من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمن
أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر الواسعة وشهر
يزاد فيه ثروته من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له
أجر مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يا رسول الله نيس كلنا نجدهما
بفطر الصائم قال يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة
ماء ومن أشبع صائماً أسقاه الله من حوضي شربة لا يظأ حتى يدخل الجنة . وهو
شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثرُوا فيه من أربع خصال
خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما . أما الخصلتان اللتان
ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان
لا غنى بكم عنهما فقبولن الله الجنة وتعودون به من النار . قلت ويجمع ذلك أن
يقول أشهد أن لا إله إلا الله استغفر الله نسألك الجنة ونعوذ بك من النار كما عليه
الغالب في غالب الجهات لهذا الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من في قلبه وزن ذرة من خير روى البخاري عن أنس ، وروى أن المؤمن لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز نيسابور وكان على مقدمته على الرضايين موسى الكاظم رضى الله عنهما فقام إليه الامامان الحافظان الأحاديث النبوية والمثابران على السنة الحميدة أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما قوم من المشائخ وقالوا إنا نسألك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحدثنا بحديث ينفعنا فقال حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل الأمين عن الله تعالى أنه قال لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي ثم أرخى السترة على القبة وسار فعدّ أهل الحجاز والدفاتر والندواوين الذين كانوا يكتبون فأنفقوا على عشرين ألفاً . نقله صاحب كتاب جواهر العقدين عن تاريخ نيسابور وعن كتاب الفصول المهمة . في مناقب الأئمة . ورأيت في كتاب الفصول كذلك بقراءة علي شيخنا الشيخ الرباني الحسين بن عمر العطاس انتهى .

وفي كتاب الجواهر قال الحافظ جمال الدين الرازي في كتاب معراج الوصول عن أبي الليث عبد السلام بن صالح الهروي قال كنت مع علي بن موسى حين دخل نيسابور ثم ساق القصة والسند منه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وفيه أيضاً قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقرأت هذا الاسناد على مجنون لبريء من جنّته انتهى .

وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري اتصل بهذا الحديث ببعض الأمراء

حكته بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره قرني في النوم بعد موته فقيل
ما فعل الله بك قال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بأن محمداً رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم ذكر هذا الاسناد وما جاء من الفضائل عند قول سيدنا عمر
[بسم الله تحصنا بالله] بهذه الألفاظ لقوله تعالى لا إله إلا الله حصني وأعدته هنا
لأن هذا موضعه الحقيقي ولأجل تكراره في الكتاب كالألفاظ التي لا يخفى ذلك على ذوي
الألباب ؛ وقال صلى الله عليه وسلم من دعا هؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل
الله شيئاً إلا أعطاه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

موافقات عجيبة

وقال بعضهم لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً وساعات
الليل والنهار كذلك فكانت قيل كل ذنب أذنبته من الصغيرة والكبيرة والنسر
والجهر والخطأ والعمد والقول والعمل في هذه الساعات فهو مغفور بهذه الحروف
والكلمات .

وأيضاً كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء
وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تطلق ياباً من الأبواب
السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة .

وأيضاً كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفاً فلا جرم وجب بها اثنا عشرة
فريضة ست ظاهرة وست باطنة . أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم
والحج والجهاد . وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والرضا والزهد والتوبة^(١) .

وقال بعضهم وفي كلمة لا إله إلا الله أمرار (منها) أن جميع حروفها جوفية
يس فيها حرف شفهي إشارة إلى أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو

(١) لم يذكر السادسة ولعلها النصير .

القلب . (ومنها) أنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه . (ومنها) أنها اثنا عشر حرفاً كشيء من أربعة وهي الجلالة حرف فرد وثلاثة سرد وهي أفضل كلماتها كما أن الحرم أفضل السنة فن قالها مخلصاً كفرت عنه ذنوبه سنة . وكان مجاهد رحمه الله يقول ليس عندي شيء أقطع لظهر إبليس عند الفكبة ولمرة مثل قول لا إله إلا الله . فإذا لعنته قال لعنت مأمناً .

وفي كتاب الحقائق قال خرّج الترمذي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرته عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . وفي كتاب حياة الحيوان الكبير للدميري قال وروى الدارقطني والطبراني في معجمه الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه والبيهقي في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالاً مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسطاط فقالت يا رسول الله إني تركت لي خشفين^(١) فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود إليهم فقال صلى الله عليه وسلم : خلوا عنها حتى تأتي خشفيهما ترضعهما وتأتي إليكم قالوا ومن لنا بذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أنا فأطلقوها فذهبت فأرضعتهما ثم عادت إليهم فأوثقوها فقال صلى الله عليه وسلم اتبعونيها قالوا هي لك يا رسول الله وخلوا عنها فأطلقها ، وفي رواية عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال لما أطلقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتها تسبح في البرية وهي تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وروى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء فإذا مناد يناديه يا رسول الله فالتفت فلم ير أحداً ثم

(١) الخشف منكة الغنم ولد الضأن أول ما يولد أو أول منبه .

التفت فرأى ظبية موثقة فقالت أدن منى يا رسول الله فدنا منها وقال .
 ما حاجتك قالت إن لى خشفين فى هذا الجبل فلتنى حتى اذهب فأرضعهما ثم
 أعود إليك قال صلى الله عليه وسلم وتعلمين . قالت عذبنى الله عذاب العشار إن
 لم أفعل فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفها ثم رجعت فأوثقها وانتبه الاعرابى
 فقال ألك حاجة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم نعم تطلق هذه الظبية .
 فأطلقها فخرجت تعدو وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ،
 وروى فى الآثار أن العبد إذا قال لا إله إلا الله فإنه يعطى من الثواب بعدد كل
 كافر وكافرة على وجه الأرض . قال المحققون السبب فى ذلك أنه لما قال هذه
 الكلمة فإنه قد رد على كل كافرة يثبت لله ضداً ونداً وشريكاً فلا جرم يستحق
 الثواب بعدده .

حكاية فيها حث على الإيمان والتوحيد

وينحكى أن رجلاً كان وفقاً بعرفات فى يده سبعة أحجار فقال يا أيته
 الأحجار أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فذام فرأى فى المنام
 كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوه إلى
 باب من أبواب جهنم جاءت حجرة من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها على
 ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا ثم سيق إلى الباب
 الثانى فكان الأمر كما فى الأول وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى باب العرش
 فقال الله سبحانه وتعالى عبدي أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك وأنا شاهد
 على شهادتك على توحيدي ادخل الجنة فلما قرب من باب الجنان فإذا أبوابها
 مغلقة فغامت شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت الأبواب ودخلها الرجل .

حكاية فيها فضل الأذان والاقامة

وحكى أنه زاد الماء فى بغداد حتى أشرفت على الفرق فقال بعض الصالحين .

رأيت في بعض تلك الليالي كأنني واقف على طرف وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله غرقت بغداد فجاء إنسان حسن الصورة وكنت أعلم أنه ملك . وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر ما الذي أمرت به قال أمرت بتفريق بغداد ثم نهيت عنه فقال بم قال رفعت ملائكة الليل أن البارحة افتض بيفداد سبعمائة فرج حرام ففضب الله وأمرني بتفريقها ثم رفعت ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعمائة أذان وإقامة فففر الله لهؤلاء بهؤلاء . وقال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت إلى دجلة فإذا الماء قد نقص .

وعن الأصبع بن نباته قال كنت مع علي عليه السلام في المقابر فقال السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله يا أهل لا إله إلا الله كيف وجدتم قول لا إله إلا الله اللهم بحق لا إله إلا الله اغفر لمن قال لا إله إلا الله واحشرونا في زمرة من قال لا إله إلا الله . قال علي كرم الله وجهه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قالها إذا مر بالمقابر غفر الله له ذنوبه ما تقدم خمسين سنة ولوالديه ولقرباته ولجيرانه ولعامة المسلمين .

ما ورد في تلقين الميت في قبره

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم فسيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له أذكر ما كنت خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنتك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يبعدنا عند هذا وقد لقن حجتك ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما . فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف (٩ - القرطاس)

اسم أمه فقال بنسبه إلى حواء، رواه سعيد بن عبد الله الأزدي عن أبي أمامة الباهلي ونقله الفزالي في كتاب ذكر الموت وما بعده .

سؤال القبر وعذابه

وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات المبد أنه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر تكبير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان مؤمناً قال عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقولان إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينور له في قبره ثم يقال له ثم فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال ثم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله فيقولان إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض فلتسقي عليه فلتسقي عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

دعوات مومني عليه السلام

وروى أبو الليث السمرقندي بإسناده عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي أنه قال بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل صلوات الله عليه في أيام العشر (أولهن) لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (والثانية) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لها واحداً أحداً حمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً (والثالثة) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (والرابعة) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (والخامسة) حسبى الله وكفى مع الله لمن دعا ليس

وراء الله منتهى ، وذكر ان هذه الكلمات أنزلت في الانجيل وأن الحواريين سألوا عيسى ابن مريم عليه السلام عن فضل هذه الدعوات فذكر لهم من الفضيلة والثواب لمن قرأها في أيام العشر يعني عشر ذى الحجة مالا يقدر على وصفه .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا رجل أنه دعا بهذه الكلمات في أيام العشر فرأى في المنام كأن في بيته خمس طباق من نور بعضها فوق بعض فقال ما هذا فقيل له هذا ثواب الكلمات التي قلتهن في أيام العشر فاستكثر منهن . وروى عن الشيخ أبي زيد القرطبي رحمه الله تعالى أنه قال سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداء من النار فعملت بذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلي وعملت منها أعمالا أذخرتها لنفسى ، وكان إذ ذاك معنا شاب كان يقال أنه يكشف في بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان إلى منزلة فيينا نحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى في النار وهو يصيح صياحا عظيما لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الاتزعاج قلت في نفسى اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله تعالى السبعين الألف ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت في نفسى الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن السبعين لألف فداء هذه المرأة أم الشاب فما استتممت الخاطر في نفسى إلا أن قال يا عم هاهى أخرجت الحمد لله . فحصلت فائدتان إيماني بصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلى بصدقه .

اسم الله الأعظم

وروى ابن أبي الدنيا عن شريح المابد قال رأيت في النوم قائلا يقول لي إيت فلانا فقد أمرناه بعملك اسم الله الأعظم . فلما أصبحت جاءني رجل

فقال إني رأيت البارحة في النوم من يقول لي إيت شريفاً ففعله اسم الله الأعظم وهو كل شيء في القرآن لا إله إلا هو قال أبو هاشم الراوى عن شريح العابد فوجدها في ثلاثين موضعاً من القرآن .

وعن يونس بن عبد الأعلى أنه أصابه شيء فرأى في منامه قائلاً يقول له اسم الله الأكبر لا إله إلا الله فقَالَهَا ومسح وجهه فاصبح معافى .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم ، وعن كعب الأحبار أوحى الله تعالى إلى موسى في التوراة لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا ، وعن بعض الصحابة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومذهاً مع التعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب قيل فإن لم تكن له هذه الذنوب قال غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه ذكره الشيخ محمد السنوسى انتهى .

قال حجة الإسلام الفزالي ومضى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه . فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم ففساك تنال من شفاعته أو شفاعتهم فيتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخطئ معها غيرها وجبت له الجنة فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخطئ بها غيرها صفه لنا وفسره لنا . فقال حب الدنيا طلباً لما واتباعاً لها . وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جملهم

«بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم
 «من قال لا إله إلا الله لم تضره معها خطيئة . كما لو أشرك بالله لم تنفعه معه حسنة
 » وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وقال الفقيه أحمد بن علي السردوي : حدثني الفقيه السيد محمد بن أحمد
 النجيتي عن الفقيه الإمام السيد محمد بن يوسف الضجاعي بإسناده يرفعه إلى
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال خلف جنازة (لا إله إلا الله العاقى بعد
 قدرته لا إله إلا الله الباقي بعد فناء خلقه لا إله إلا الله كل شيء هالك إلا وجهه
 له الحكم وإليه ترجعون) غفر الله للميت ولقائلها ولمن شيع جنازته وللقرية التي
 خرج منها والمقبرة التي دفن فيها .

وذكر حجة الإسلام في آخر الشطر الأول من كتاب ذكر الموت
 وما بعده أنه رأى الصديق رضى الله عنه فقيل له : إنك كنت تقول بيدك
 في لسانك «هذا أوردني الموارد» فما فعل الله بك؟ فقال : قلت به لا إله إلا الله
 فأوردني الجنة .

وفي الكتاب المذكور عن الكتاني أنه قال رأيت الجنيد في المنام فقلت
 له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وذهبت العبارات وما حصلنا
 إلا على ركعتين كنا نصليهما بالسر بالليل . ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها :
 ما فعل الله بك؟ فقالت : غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفنى بها
 عمري لا إله إلا الله أدخل بها قبري لا إله إلا الله أدخل بها وحدي لا إله إلا الله
 ألقى بها ربى عز وجل .

وفي آخر كتاب الحقائق قال : قال ابن عطاء يحتاج قائل لا إله إلا الله إلى
 أربع خصال تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق
 ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع ومن لم تكن له حلاوة فهو مرآء . ومن لم تكن

له حرمة فهو فاسق ، ثم قال صاحب كتاب الحقائق نظر هنا إلى القلب والنفس واللسان والجوارح فحمل التصديق حظ القلب والتعظيم حظ النفس والحلاوة حظ اللسان والحرمة حظ الجوارح .

وقال : فالكلمة لا إله إلا الله مبدأ ونهاية فيبدوها نفي كل آلهة عبدت من دون الله وبهذا يكون العبد موحداً . ونهايتها نفي النظر لشيء سوى الله تعالى إذ هو موجد الأشياء ومظهرها . ولا حكم للموجد مع الموجد . ولا للمظهر مع المظهر . وهذا توحيد السابقين . وهم المردون . وبين هذا المقام الأعلى الذي هو مقام السابقين . وبين المقام الأدنى الذي هو مقام عوام المؤمنين . مقام متوسط وهو توحيد الصالحين . وهو نفي كل هوى تميل إليه النفس . لقوله تعالى ﴿ أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ .

وفي الخبر الهوى أبفض إله عبد في الأرض ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة . ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله ولا يبقى فيه شركة لغير الله .

تهليلات لها فضائل

وهذه تهليلات مخصوصات وردت فيها فضائل كثيرة .

قال أبو طالب المكي روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يمجّد نفسه كل يوم يقول : (إني أنا الله لا إله إلا أنا رب العالمين . إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق القيوم . إني أنا الله لا إله إلا أنا المغفورُ الغفور . إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإلى يعود . إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد . إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم . إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم . إني أنا الله لا إله إلا أنا مالك يوم الدين . إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر . إني أنا الله لا إله إلا أنا

خالق الجنة والنار . إني أنا الله لا إله إلا أنا الواحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . إني أنا الله له إلا أنا الفرد الوتر . إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس . إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن . إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الغفار المتكبر . إني أنا الله لا إله إلا أنا الأحد المصور . إني أنا الله لا إله إلا أنا الكبير المتعال إني أنا الله لا إله إلا أنا المقتدر القهار ، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم الكريم أنى أنا الله لا إله إلا أنا أهل الثناء والمجد إني أنا الله لا إله إلا أنا أعلم السر وأخفى . إني أنا الله لا إله إلا أنا القادر الرزاق . إني أنا الله لا إله إلا أنا فوق الخلق والخلق . إني أنا الله لا إله إلا أنا اجبار المتكبر) فمن دعا بهذه الأسماء . فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهذه الأسماء كتب من الشاهدين المحبتين الذين يجاورون محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وانه ثواب العابدين في السموات والأرض .

خاتمة

في أن كلمة التوحيد في سبعة وثلاثين موضعاً في القرآن

قال بعض العلماء قال الإمام نجر الدين الرازي قد ذكرت هذه الكلمة يعني لا إله إلا الله في القرآن في سبعة وثلاثين موضعاً (اثنان) في البقرة وآلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم . (وأربعة) في آل عمران آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، (وواحد) فى سورة النساء لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً (واثنان) فى الأنعام ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء .

فَاعْبُدْهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (وواحد) فِي الْأَعْرَافِ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
(واثنتان) فِي التَّوْبَةِ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، فَإِنْ
تَوَلَّوْا قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (وواحد)
فِي يُونُسَ . وَجَاوِزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَاهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُّوْا
حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وواحد) فِي هُودَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ
وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ (وواحد) فِي الرُّعْدِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ (وواحد) فِي النُّجْلِ . أَنْ أَنْذَرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاتَّقُونَ (وثلاثة) فِي طه . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، أَنِّي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّمَا الْمُحْكَمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَسَمِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (واثنتان) فِي الْأَنْبِيَاءِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُفَاضِلًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ
نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ
(وواحد) فِي الْمُؤْمِنِينَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ
(وواحد) فِي التَّمْلِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (واثنتان) فِي الْقَصَصِ
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُدُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ (وواحد) فِي فَاطِرِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَوْفَكُونَ (وواحد) فِي
الضَّافَاتِ . أَنَّهُمْ كَانُوا إِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (وواحد) فِي الزَّمَرِ

مخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم
 له الملك لا اله الا هو فإني تصرفون (وثلاثة) في المؤمن ذي الطول لا اله الا هو
 عليه المصير ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فإني تؤفكون هو الحي
 لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (وواحد) في الدخان .
 لا اله الا هو يحيي ويميت . ربكم ورب آبائكم الأولين (وفي محمد واحد) .
 فاعلم أنه لا اله الا هو واستغفر لذنبك (وفي الحشر أثنان) هو الله الذي لا اله
 الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله
 عما يشركون (وفي التغابن واحد) الله لا اله الا الله هو وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون (وفي المزمل واحد) رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا .

كيفية النطق بكلمة التوحيد

ثم قال العالم ذكر ذلك في أسرار التنزيل . وقال من الناس من قال
 تطويل المدة في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله مندوب إليه مستحسن لأن للكلف
 في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الأضداد والأنداد وينفيها ثم بعد ذلك
 يعقب هذه الكلمة بقول لا اله الا الله فيكون ذلك أقرب إلى الإخلاص والكمال .
 ومنهم من قال ترك التمديد أولى لأنه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال
 إلى كلمة لا اله الا الله . قال والذي عندي أن التلفظ بهذه الكلمة إن كان يتلفظ بها
 من الكفر إلى الإيمان فترك المد أولى حتى يحصل الانتقال من الكفر إلى
 الإيمان على أسرع الوجوه . وإن كان التلفظ بها مؤمناً وإنما يذكرها لتجديد
 هذه الكلمة فالتمديد أولى حتى يحصل في زمان التمديد صور الأضداد والأنداد
 على التفصيل في الخاطر وينفيها ويمتصها بقوله لا اله الا الله فيكون الاقرار بالآلهية
 أصنى وأكمل .

اسماء كلمة التوحيد أربعة وعشرون

ثم قال ذلك العالم وذكر الإمام نحر الدين الرازي أيضاً أن لا إله إلا الله لها أربعة وعشرون اسماً (الأول) كلمة التوحيد وذلك يدل على نفي الشرك على الإطلاق (الثاني) كلمة الإخلاص قال وذلك لأن الأصل في هذه الكلمة عمل القاب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل أن يؤتى بها لفرض آخر سوى طاعة الله تعالى وحبه وعبوديته فهذه المعرفة إن طلبت فلوجه الله تعالى لا لفرض آخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص (الثالث) كلمة الإحسان قال الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما جزاء من أحسن بقول لا إله إلا الله إلا الجنة (الرابع) دعوة الحق . قال الله تعالى في سورة الرعد له دعوة الحق . قال ابن عباس هو قول لا إله إلا الله (الخامس) كلمة العدل . قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنه قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله . والإحسان : القيام بالعبودية (السادس الطيب من القول) قال تعالى وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد . قال الإمام أي كلمة توجد أظهر وأطيب من هذه الكلمة ؟ (السابع) الكلمة الطيبة . قال تعالى كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (الثامن) القول الثابت . قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (التاسع) كلمة التقوى . قال تعالى وألزمهم كلمة التقوى (العاشر) الكلمة الباقية . روى عن كثير من المفسرين في قوله تعالى . وجعلها كلمة باقية في عقبه أنها قول لا إله إلا الله (الحادي عشر) كلمة الله العليا .

قال تعالى رجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا (الثاني عشر)
 المثل الأعلى . قال تعالى . والله المثل الأعلى معناه قول لا اله الا الله (الثالث عشر)
 كلمة السواء . قال تعالى . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
 وبينكم أن لا تعبد إلا الله قال أبو العالية الرياحي هي كلمة لا اله الا الله (الرابع
 عشر) كلمة النجاة قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل
 الجنة (الخامس عشر) كلمة العهد قال ابن عباس في قوله تعالى . لا يملكون
 الشفاعة إلا من أخذ عند الرحمن عهداً . العهد هو قول لا إله إلا الله . (السادس
 عشر) كلمة الاستقامة . قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال
 ابن مسعود والمراد من قوله استقاموا هو قول لا إله إلا الله . (السابع عشر)
 مقاليد السموات والأرض قال تعالى . له مقاليد السموات والأرض . قال
 ابن عباس هي قول لا إله إلا الله . (الثامن عشر) القول السديد . قال تعالى .
 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً (التاسع عشر) البر قال تعالى
 ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
 (العشرون) كلمة الدين . قال تعالى . ألا لله الدين الخالص (الحادي
 والعشرون) كلمة الصراط . قال تعالى أهدنا الصراط المستقيم (الثاني والعشرون)
 كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد
 بالحق يعني قول لا إله الا الله (الثالث والعشرون) العروة الوثقى . قال تعالى فمن
 يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني بلا اله الا الله
 (الرابع والعشرون) كلمة الصدق لقوله تعالى . والذي جاء بالصدق وصدق
 به . قال فهذا مجمل الكلام في اسماء قول لا إله إلا الله . اللهم بحق أسمائك
 الطاهرة المطهرة احفظ بحفظك معرفة الكلمة في قلوبنا وذكرها على ألسنتنا
 يا أرحم الراحمين اه . كلام الإمام الرازي باختصار .

اسماء كلمة التوحيد أربعة وعشرون

ثم قال ذلك العالم وذكر الإمام نضر الدين الرازي أيضاً أن لا إله إلا الله لها أربعة وعشرون اسماً (الأول) كلمة التوحيد وذلك يدل على نفي الشرك على الإطلاق (الثاني) كلمة الإخلاص قال وذلك لأن الأصل في هذه الكلمة عمل القاب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل أن يؤتى بها لفرض آخر سوى طاعة الله تعالى وحبهِ وعبوديته فهذه المعرفة إن طلبت فلوجه الله تعالى لا لفرض آخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص (الثالث) كلمة الإحسان قال الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما جزاء من أحسن بقول لا إله إلا الله إلا الجنة (الرابع) دعوة الحق . قال الله تعالى في سورة الرعد له دعوة الحق . قال ابن عباس هو قول لا إله إلا الله (الخامس) كلمة العدل . قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنه قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله . والإحسان : القيام بالعبودية (السادس الطيب من القول) قال تعالى وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد . قال الإمام أي كلمة توجد أظهر وأطيب من هذه الكلمة ؟ (السابع) الكلمة الطيبة . قال تعالى كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (الثامن) القول الثابت . قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (التاسع) كلمة التقوى . قال تعالى وألزهم كلمة التقوى (العاشر) الكلمة الباقية . روى عن كثير من المفسرين في قوله تعالى . وجعلها كلمة باقية في عقبه أنها قول لا إله إلا الله (الحادي عشر) كلمة الله العليا .

قال تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا (الثاني عشر) المثل الأعلى. قال تعالى . والله المثل الأعلى معناه قول لا اله الا الله (الثالث عشر) كلمة السواء . قال تعالى . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا تعبد إلا الله قال أبو العالية الرياحي هي كلمة لا اله الا الله (الرابع عشر) كلمة النجاة قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة (الخامس عشر) كلمة العهد قال ابن عباس في قوله تعالى . لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً . العهد هو قول لا إله إلا الله . (السادس عشر) كلمة الاستقامة . قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال ابن مسعود والمراد من قوله استقاموا هو قول لا إله إلا الله . (السابع عشر) مقاليد السموات والأرض قال تعالى . له مقاليد السموات والأرض . قال ابن عباس هي قول لا إله إلا الله . (الثامن عشر) القول السديد . قال تعالى . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (التاسع عشر) البر قال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله (المشرون) كلمة الدين . قال تعالى . ألا لله الدين الخالص (الحادي والعشرون) كلمة الصراط . قال تعالى أهدنا الصراط المستقيم (الثاني والعشرون) كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق يعني قول لا إله الا الله (الثالث والعشرون) العروة الوثقى . قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني بلا اله الا الله (الرابع والعشرون) كلمة الصدق لقوله تعالى . والذي جاء بالصدق وصدق به . قال فهذا مجمل الكلام في اسماء قول لا إله إلا الله . اللهم بحق أسمائك الطاهرة المطهرة احفظ بحفظك معرفة الكلمة في قلوبنا وذكرها على ألسنتنا يا أرحم الراحمين اه . كلام الإمام الرازي باختصار .

ثم قال ذلك العالم بعد إيراد كلام الرازي هنا . ومن أسمائها (أى غير
ما ذكر) (المعروف) قال تعالى (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) قال
ابن عباس المعروف قول لا إله إلا الله .



وقال المفسرون فى قوله تعالى ﴿ ذلکم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ﴾
أى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ ومن يكفر بالإيمان ﴾ يعنى لا إله إلا الله .
وقوله تعالى ﴿ فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عن لا إله
إلا الله . وقوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ يعنى أهل لا إله إلا الله .
وقوله تعالى ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ يعنى بذكر لا إله إلا الله وقوله ﴿ من
جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ يعنى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى : ﴿ له دعوة الحق ﴾
يعنى قول لا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ وقولوا حطة ﴾ أى لا إله إلا الله . وقوله
تعالى ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ أى يقول لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ قد أفلح
من تزكى ﴾ أى قال لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ إلا من أذن له الرحمن وقال
صوابا ﴾ أى لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ﴾
يعنى بقول لا إله إلا الله باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان ، وقوله تعالى
﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أى مقر بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ فقد استمسك
بالروة الوثقى ﴾ يعنى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا ﴾ يعنى على قول لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ والباقيات الصالحات ﴾
يعنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقوله تعالى ﴿ إنما أعظكم
بواحدة ﴾ يعنى بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ ألا الله الدين الخالص ﴾ أى لا إله
إلا الله . وقوله تعالى ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ يعنى بقول لا إله إلا الله
وقوله تعالى ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ يعنى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى
﴿ بل أتيناكم بالحق ﴾ أى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ وطهر بيتى ﴾ أى من

الأوثان أى بقول لا اله الا الله . وقوله تعالى ﴿ وَصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾ يعنى بلا إله الا الله وقوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ أى بلا اله الا الله وقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أى ليوحدون فيقولوا لا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ ادْعُوا اللَّهَ مُخَاصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أى قول لا إله إلا الله به باختصار .

ثم قال وعلى التحقيق جميع القرآن أنما هو توحيد الله تعالى إما تصريحاً وإما تلويحاً وكل آية منه لها ظاهر وباطن وحدٌ ومطامع والكل رمز الى توحيد الله تعالى وصمديته والله سبحانه أعلم .

الفصل الثاني

في فوائد تتعلق بكلمة الاخلاص

﴿ الفائدة الأولى ﴾ قال العلماء الشهادتان هما لا إله إلا الله محمد رسول الله وهما الركن الأول من أركان الإسلام . والثاني الصلاة والثالث الصوم . والرابع الزكاة ، والخامس الحج ، وقالوا يعتبر في تحقيق الإسلام والإيمان النطق بالشهادتين مع التصديق بالقلب فلو تقدم النطق ثم وجد التصديق لم يكف ، ويجب على الإنسان في عمره مرة واحدة أن يتلفظ بالشهادتين وينوى بهما الفريضة فينوى بقاءه وينطق بلسانه بأن لا معبود بحق إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويعتقد بقلبه أن محمداً وجميع الأنبياء والرسل منزهون عن الكذب والنفس والخيانة .

دعاء الكرب

وهذا دعاء الكرب المعروف الذى يدعى به عند الأمور المهمة وهو ما روى في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم ، وفي رواية لمسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر قال ذلك . وذكر بعضهم أنه من قال في أول الليل وأول النهار عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن الحية والعقرب والسارق :

* * *

﴿ الفائدة الثانية ﴾ روى في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل دواء يشفي من كل داء وقال نسخته من اللوح المحفوظ يأخذ ماء للطير الذي لم يجر على سقف في إناء نظيف فيقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرة وآية الكرسي مثله وسورة الأخلاص مثله . وقل أعوذ برب الفلق مثله . وقل أعوذ برب الناس مثله . ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وإليه المصير وهو على كل شيء قدير ، ثم يصوم سبعة أيام ويفطر كل يوم بذلك الماء أخرجه رزين :

فوائد آية الكرسي

ومما يحسن هنا ذكر شيء من فضائل آية الكرسي لأنها تضمنت كلمة التوحيد واشتملت على معاني الصفات العلى : قال بعض العلماء إنها تعدل ثلث القرآن . وهي خسون كلمة وفي كل كلمة خمسون بركة ، ونزلت ليلا وعن محمد بن الحنفية أنه لما نزلت آية الكرسي خَرَّ كل صنم في الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين وضرب بعضهم بعضا الحديث ، وروى عن أبي عبد الله الحكيم الترمذي عن نوف البكالى أنه قال آية الكرسي تدعى في التوراة بولية الله ويدعى قاريها في ملكوت السموات عزيزا ، وكان عبد الرحمن بن عوف

إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زواياه الأربع . ونقل أيضاً عن الترمذى عن
أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن إلى للصير
وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ بهما
حتى يصبح وقال حديث غريب . قال الترمذى روى أن المؤمنين ندبوا إلى المحافظة
عليها وعلى قراءتها دبر كل صلاة ، وعن أنس رفع الحديث إلى النبي صلى الله
عليه وسلم قال أوحى الله إلى موسى عليه السلام من دوام على قراءة آية الكرسي
دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين وأجر النبيين وأعمال الصديقين وبسطت
عليه يميني بالرحمة ولم يمنه أن أدخله الجنة إلا أن يأتيه ملك الموت . قال موسى
عليه السلام يارب من سمع بهذا ألا يداوم عليه قال إني لا أعطيه من عبادي
إلا نبيا أو صديقا أو رجلا أحبه أو رجلا أريد قتله في سبيل . وعن أبى بن
كعب . قال قال الله تعالى يا موسى من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته
ثواب الأنبياء . قال أبو عبد الله معناه عندنا أنه يعطى ثواب عمل الأنبياء فأما
ثواب النبوة . فليس لأحد إلا للأنبياء .

وقال الإمام ناصر الدين محمد بن عبد الدائم الشهير بابن بنت الملق الشافعى
الشاذلى الأشعرى رحمه الله في جواب من استظهم عن اسم الله الأعظم ، وأما
لا إله إلا الله فشواهدا كثيرة ، وكل شيء جاء في فضلها يدل على أنها أعظم
الكلمات . ولهذا كانت مفتاح الإسلام ومفتاح الجنة ولا سيما وهى مشتملة
على اسم الله الذى هو أعظم الأسماء فى الدلالة على الألوهية وكما لها حتى ذهب
كثير من العلماء إلى أنه اسم الله الأعظم قال وما يؤيد أن الاسم الأعظم لا إله
إلا الله أن الدعاء الذى يشتمل عليها يستجاب .



(الفائدة الثالثة) من الكتاب المذكور فى دعاء الحاجة أخرج الطبرانى
فى كتابيه الأوسط والصغير من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال إذا طلبت حاجة فأحببت أن تنجح أى تقضى فقل
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم بسم الله الذى لا إله إلا هو
الحى الحكيم سبحانه الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها اللهم أنى أسألك . ووجبات
رحمتك وعزائم مفقرتك والفتيمة من كل بر والسلامة من كل إثم اللهم لا تدع
لنا ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته ولا ديناً إلا قضيته ولا حاجة من حوائج
الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين انتهى .

﴿الفائدة الرابعة﴾ من الكتاب المذكور نقلاً من كتابي الطبراني المذكورين
عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من دعا
بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه أياه لا إله إلا الله والله أكبر
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

• * *

﴿الفائدة الخامسة﴾ حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا قال
المبدي لا إله إلا الله خرقت الحجب حتى تقف بين يدي الله فتطلب للمفكرة
لقائلها . فيقول الله تعالى إني ما أجريتك على لسانه إلا بعد أن سبقت إرادتي
له بالمفكرة اه من كتاب أنس المنقطين .

وفي كتاب (الرياض المستطابه في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة)
للإمام يحيى بن أبى بكر العامري لما حضرت الوفاة أبا سليمان خالد بن الوليد
رضى الله عنه قال لقد حضرت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر
إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أهين الجبناء

وما من عمل أرجى عندى من لا إله إلا الله وأنا متفرس بها من النار ، توفه
رحمه الله بمحرم سنة ٢١ إحدى وعشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه وله
حضرتة الوفاة أيضاً حبس فرسه وسلاحه فى سبيل الله .
وفى كتاب الاكتفاء للشيخ السكلاعى رحمه الله قال لما طعن أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب وحمل إلى بيته . قال لابنه عبدالله رضى الله عنهما أخرج وانظر
من قتلى . فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام الغيرة بن شعبة . فقال
الحمد لله الذى لم يجعل منيى بيد رجل يسجد لله سجدة واحدة يحاجنى
بلا إله إلا الله .

وفى تفسير البغوى مارواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله
عنهما فى قصة مزدا بن نهيك وكان مسلماً وأصحابه كفار فلما أقبلت عليه خيل
النبي صلى الله عليه وسلم وسمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل وهو يكبر ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فتفشاه أسامة بن زيد فقتله فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وجداً شديداً
فقال لأسامة بن زيد كيف بلا إله إلا الله قالها ثلاثاً قال أسامة فما زال النبي
صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أستغفر لى بعد ذلك ثلاث مرات وقال :
أعنتى رقية .

﴿ الفائدة السادسة ﴾ رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أوصى نوح
ابنه باثنتين ونهاه عن اثنتين قال له أوصيك بقول لا إله إلا الله فإنها لو وضعت
لا إله إلا الله فى كفة ووضعت السموات والأرضون فى كفة لوزنت بهن .
وأمرك بقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء .
وأما الإثنتان اللتان أنهما فالشرك بالله والاتكال على غير الله
عز وجل .

﴿ الفائدة السابعة ﴾ قوله تعالى ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ قيل في التفسير هو لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يفتل ، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكان أبو الغلامين رجلاً صالحاً اسمه كاشح قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء ، وذلك من جهة الأم والله أعلم .

* * *

﴿ الفائدة الثامنة ﴾ نقل الطبري في كتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك مع أنك مغفور لك « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم » والحمد لله رب العالمين أخرجه أحمد والنسائي . وأبو حاتم . وأخرجه ابن الضحاك . وزاد بعد الحمد لله رب العالمين « اللهم اغفر لي اللهم ارحمني . اللهم اعف عني إنك غفور رحيم أو عفو غفور » وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني هؤلاء الكلمات وقال حجة الإسلام فن أفضل الذكر الله لا إله إلا هو الحي القيوم فإن فيه الاسم الأعظم إذ قال عليه الصلاة والسلام اسم الله الأعظم في آية الكرسي وأول سورة آل عمران ولا يشتركان إلا في هذا وله سرٌ يبدق عن فهمك ذكره فافهم كلامه .

* * *

﴿ الفائدة التاسعة ﴾ قال حجة الإسلام الغزالي كان رجل بالبصرة يرق للفرس وكان يبخل أن يعلم الناس فلما حضرته الوفاة قال لمن حوله اكتب ما كنت أرقى به الفرس لينتفع به الناس وأخلص من كتمانته . فأملى عليه هذه الأحرف . المصّ كم يحصّ حمسق الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم اسكن

أيها الوجع بالذى إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ، وله ما سكن
فى الليل والنهار الآية .

* * *

﴿ الفائدة العاشرة ﴾ ما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضى الله رباً وبمحمد
رسولاً وبالإسلام ديناً غفر ذنبه » رواه مسلم ونقله الإمام النووى فى كتاب
رياض الصالحين .

* * *

﴿ الفائدة الحادية عشرة ﴾ وهى ما نقله الشرحى عن البونى أن من قرأ آية
الكرسى سبع عشرة مرة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة فى موضع خال وجد
من قلبه حالة لم يعدها قبل فإذا دعا فى تلك الحالة استجيب له ، وقال من قرأها
ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة حصل له من الخير ما لا يقاس عليه ، وفيها يروى عن
بعض الصالحين أن الخضر عليه السلام يقول إن من قبل ظفري إماميه ومسح
بهما عيني عند قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله وقال مرحباً بحبيبي وقره
عيني محمد صلى الله عليه وسلم لم يصبه رجع العين .

وفى كتاب الفوائد للشرحى قال من دخل على من يخاف شره . فقال فى
وجهه أخطأت غضبك بلا إله إلا الله واستجلبت رضاك بلا إله إلا الله واستمضيت
حوائجى منك بلا إله إلا الله أمن من شره وقضيت حوائجى قال وإذا رأيت
من تخاف شره وأردت أن ينجيك الله منه فقل ان الله هو الذى ليس كمثل
شئء وهو الواحد القهار . وفيه قال هذه فائدة مسهلة للولادة . مباركة تروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما تكتب فى اناء طاهر وتمحى بماء طاهر وتشربه المرأة

تخلص باذن الله تعالى . وهى بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والأرض ورب
العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يابثوا إلا عشية أو ضحاها .

دعاء مبارك

وهذا دعاء مبارك وذكر عظيم وهو مما تبين نفعه وجربت بركته وجد
يخط بعض العلماء من وأظ عليه بعد كل فريضة كفاء الله أهوال الدنيا
والآخرة وهو هذا .

أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة لا إله إلا الله ولكل همٍّ وعجزٍ
ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل أعجوبة
سبحان الله ولكل ذنب استغفر الله ولكل ضيق حسبي الله ولكل مصيبة
إنا لله وإنا إليه راجعون ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل طاعة
ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى ما أردنا ذكره هنا من
الفوائد ولا سبيل إلى احصاء ما احتوت عليه لا إله إلا الله من جميل الموائد
وجايل الفرائد وفي هذا كفاية وبالله التوفيق .

الفصل الثالث

في معنى لا إله إلا الله

قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى لا إله إلا الله أى لا نافع ولا ضار
ولا معز ولا مدل ولا معطى ولا مانع إلا الله . وقال بعضهم تفسيرها لا معبود
بحق إلا الله ، وقال غفر الدين الرازى قول العبد لا إله إلا الله إشارة إلى المعرفة
والتوحيد بلسان الحمد والتسديد إلى الملك المجيد فإذا قال العبد لا إله إلا الله
فألفى لا إله له ، الآلاء والنعماء والقدرة والبقاء والمظنة والثناء والعز والثناء

والسخط والرضاء إلا الله الذى هو رب العالمين وخالق الأولين والآخرين وديان
يوم الدين اهـ .

قال السنوسى معنى الألوهية استغناء الا له عن كل ماسواه وافتقار كل
ما سواه إليه ففى لا إله إلا الله لاستغنيا عن كل ماسواه ومفتقرا إليه كل
ماعداه إلا الله تعالى .

وقال بعض العلماء معنى لا إله إلا الله لا خالق للخلق ولا مالك للأمر
إلا الله . وأخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ومن قوله تعالى :
﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم
ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ والله اعلم .

وقال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد فى كتابه اتحاف السائل سألت عن
معنى لا إله إلا الله فاعلم أن جميع العلوم الدينية ووسائلها ترجع إلى شرح معنى
لا إله إلا الله وشرح حقها الذى هو الأمر والنهى والوعد والوعيد وما يتبع
ذلك وما كان شرحاً لحقها فهو شرح لها بحكم التبعية ، والقصد التعريف بأنه
لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها ، وأما شرح معناها فى نفسها فهو فى العلم
الذى يطلق عليه علم التوحيد وهو البحر الزاخر الذى لا يبلغ له ساحل
ولا يدرك له قعر ولا آخر قد سبغ النظار من المتكلمين فى باحته وغاص
المحققون من العارفين فى لجته فأدركوا من لطافته وفنائه وعجائبه وغرائبه
ما نبجل قدره ويتعذر حصره ثم أجمعوا بعد طول البحث والامعان بحسب الطاقة
والإمكان على الاعتراف بالمعجز عن الفاية والوقوف على النهاية . وذلك لأن
الإحاطة بعلوم التوحيد موقوفة على الإحاطة بذات للوحد وصفاته تعالى عن
ذلك علواً كبيراً . وقد أجمع المحققون على أن الإحاطة بذات الله وصفاته غير
ممكنة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ثم قال بعد أن أتى بكلام طويل عجيب في هذا المعنى (فصل) نذكر فيه طرفاً من ظاهر معنى لا إله إلا الله وقد أسلفنا العذر المقتضى للسكوت عن باطن معناها فنقول ، اعلم أنه لا إله إلا الله واجب الوجود لذاته الفرد الواحد الملك القادر الحى القيوم القديم الأزلى الدائم الأبدى الذى هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ليس كمثل شيء وهو السميع البصير تقدس وتعالى عن الشبيه والنظير وعن الشريك والوزير لا يحده الزمان ولا يشغله شأن عن شأن ولا تحيط به الجهات ولا تعتريه الحادثات له الفنى المطلق عن كل شيء بكل معنى ومن كل وجه وكل ماسواه مفتقر إليه فقراً لا يتصور عنه انفكاك . خلق الخلق أجمعين وخلق أعمالهم خيراً وشرهاً نفعها وضرها فتبارك الله أحسن الخالقين ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، خلقهم ورزقهم وأنزل الكتب وبعث الرسل لهدايتهم نطقاً بهم وتفضلاً عليهم يجب توحيده وطاعته على عباده بإيجابه ولا يجب عليه لأحد شيء لأنه المالك لكل شيء المستولى على كل شيء ، فليس لأحد معه مالك ولا لأحد عنده حق ، وعد الحسنين بثوابه فضلاً . وتوعد السيئين بعقابه عدلاً . فالآله هو الجامع لجميع هذه الصفات وهو الله الذى لا إله إلا هو .

ثم قال في موضع آخر اعلم أن هذه الكلمة الشريفة شطران أحدهما نفى وعو قولك « لا إله » . والآخر إثبات وهو قولك « إلا الله » . فإذا صدر النفى معقبات بالإثبات ممن لا يشرك مع الله آخر فمعناه نفى توهم أن مع الله آله آخر من الشركين والرد عليهم وتقرير المعنى الحاصل فى القلب من التوحيد فإنه يتأكد بتكرار هذه الكلمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله ثم قال وإنما قلنا فى صدر الفصل ننفى للوحد أن

يقصد بنفيه الآلهية عما سوى الله الرد على من توهم ذلك من المشركين ونحوهم .
وسمينا اعتقادهم الفاسد توهماً لأنه إنما ينشأ عن تصور فاسد ورأى ضعيف يؤذن
بتغير قائله وقد عقله وإلا فكيف يخفى على ذى بصر وسمع فضلاً عن ذى
بصيرة وقاب وجود من ظهرت به الأشياء وانفرادها بها ولكن من يهتدى الله
فماله من مضل ومن يضل الله فماله من هاد .

أيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
والله في كل تحريكه وتسكينة أثر شاهد

قال بعض العارفين من طلب دليلاً على وحدانية الله فالبحار أعرف منه .
قال المحققون الإله هو المعبود بحق والمعبود بحق هو الخالق الرازق والخالق
نكّل شيء . والرازق هو الله تعالى وهو الإله المعبود وحده لا شريك له . ومن
الاستحليل عقلاً وشرعاً أن يكون للعالم أكثر من إله فإما من إله إلا الله العزيز
الحكيم . قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا . انتهى وهو بعض ما ذكره
سيدنا القطب عبد الله بن علوى الحداد . والنائل المذكور هو الشيخ الزكي .
وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله أبى عبيد .

خاتمة

في إسلام الأعرابي وشهادته الضب بالرسالة الحمديدية

روى الدارقطني والبيهقي وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر
رضى الله عنهما كما في كتاب حياة الحيوان للدميري أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان في محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابي من بني سليم وقد صاد ضبا وجعله في
كمه وذهب به إلى رحله فرأى جماعة فقال على من هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا
الذى يزعم أنه نبي . فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أو كذب

منك ولولا أني أخاف أن تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس
أجمعين . فقال عمر رضى الله عنه دعنى أقتله يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
لا . أما علمت أن الحلیم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابی على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال والللات والعزى لا أو من بك أو يؤمن بك هذا
الضب وأخرج الضب من كه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان آمن بك آمنت فقال صلى الله عليه وسلم يا ضب فبكلمه بلسان طلق
فصيح عربى مبين صريح يفهمه القوم جميعا ليبيك وسعديك يا رسول رب العالمين،
فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه
وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه ، قال صلى الله عليه وسلم فمن
أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبیین وقد أفلح من صدقك وقد
خاب من كذبك . فقال الاعرابی أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله
حقا والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلى منك . ووالله
لأنت الساعة أحب إلى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى
وداخلى وخارجى وسرى وعلائقى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى هدأك إلى هذا الدين الذى تعلم ولا يعلم عليه فلا يقبله الله إلا بصلاة
ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن . قال فعلمنى فعله سورة الفاتحة وسورة الاخلاص
فقال يا رسول ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله
عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر إذا قرأت قل هو الله أحد فكأنما
قرأت ثلث القرآن وإن قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلث القرآن ، وإن قرأتها
ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابی ان إلهنا يقبل اليسير
ويعطى الكثير الحديث بتمامه .

الذكر الرابع عشر وشرحه

فلما أكل سيدنا عمر التهايل . أتى بالكلمة التى أول من قالها أبونا

إبراهيم الخليل وثني بها نبينا محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام يوم أحد ودماء أصحابه ودماء الأعداء منهم تسيل جهادا في سبيل الله ونعم الجهاد ونعم السبيل وهي قولها ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (سبحا) قال الشيخ على أول من قالها سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما رمى به في نار النمرود فصارت عليه بردا وسلاما ثم قالها بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد ما أصابهم الفرح بأحد فاتبعوا قريشا. فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. قال وكذلك ذاكرها ينقلب بنعمة من الله وفضل في دينه ودينه وأولاده وأخراه ويدفع الله عنه سائر الأسواء ولا يرهقه بمضرات البلاء، إلى آخر كلام الشيخ قدس الله روحه.

ونحن نأتي بما أمكن الاتيان به من فضائل هذا الذكر العظيم من الآيات والأخبار.

فاما الآيات فقد قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه. إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا) وقال تعالى (فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت) الآية. وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) الآية. وقال تعالى (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) وقال تعالى (الذين يبايعون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا) وقال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (أليس الله بكاف عبده) إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأخبار فقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام يا جبريل أنت مع قوتك هل أعيت قط قال نعم يا محمد ثلاث مرات (الأولى) يوم ألقى إبراهيم في النار فأوحى الله إلى وأنا تحت العرش

أدركه فوعزني وجلالي لئن سبقك إلى النار لأحون اسمك من ديوان الملائكة فنزلت إليه بسرعة فأدركته بين النار والهواء وقد أعيت فقلت يا ابراهيم ألك حاجة قال اما إليك فلا (الثانية) حين أمر ابراهيم بذبح ولده أوحى الله إلى أن أدركه فوعزني وجلالي لئن سبقك السكين إلى حلقه لأحون اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة حتى حوات السكين في يديه بفداء ولده (الثالثة) حين رمى يوسف في الجب فأوحى الله إلى أن أدركه فوعزني وجلالي لئن سبقك إلى قعر الجب لأحون اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة فأدركته في الفضاء فرفعت له صخرة كانت في قعر الجب فأنزلته عليها سالما فصييت وكان الجب مأوى الحيات والأفاعي فلما أحسن به قالت كل واحدة لصاحبتها اباك أن تتحركي فإن نبيا كريما نزل بجوارنا فلم تخرج واحدة من وكرها إلا أفمى فإنها خرجت وقصدت لدغه فصحت بهن صيحة صمتت آذانهن إلى يوم القيامة .

وعن الحسن البصري أنه قال كان جماعة ممن يقتدى بهم في الدين ينتخبون قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة خلف كل صلاة مفروضة . وقالوا بها يحفظونها يرزق . قال وما أظن ذلك إلا عن قوله (عليه توكلت) وقد جاء ومن يتوكل على الله فهو حسبه . وروى أن التمرد وقومه لما أرادوا لقاء الخليل عليه السلام في النار عمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق متيدا مقلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا النفاقين يعني الانس والجن صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك ياتي في النار وليس أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل إنه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا إله ليس له إله غيري فإن استغاث بشي منكم أو دعاء فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه نفلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه . فقال ان أردت أخذت النار . وأتاه خازن الرياح فقال له إن شئت طيرت النار في الهواء

فقال ابراهيم لاحاجة لى إليكم حسبي الله ونعم الوكيل .

وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقه ليلقوه فى النار . لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق إلى النار . فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة . فقال ابراهيم أما إليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالى علمه بخالى .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قار كل يوم سبع مرات (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما أهمه من آخرته ودينه صادقاً كان أو كاذباً . وقال عليه الصلاة والسلام حسبي الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف . رواد شداد بن أوس .

وقال عليه الصلاة والسلام إذا وقعتم فى الأمر العظيم فتولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقال عليه الصلاة والسلام حسبي رجائى من خالق وحسبى دينى من دنياى رواه ابراهيم بن أدهم عن أبى بن ثابت .

وروى ابن أبى الدنيا فى الفرج من طريق الخليل بن مرة عن فقيه أهل الأردن بلاغا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابه غم أو كرب يقول حسبى الرب من العباد حسبى الخالق من المخلوقين حسبى الرازق من المرزوقين حسبى الذى هو حسبى حسبى الله ونعم الوكيل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

وروى أبو داود فى السنن عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر حسبى الله ونعم الوكيل فقال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل قال النووى والكيس الرفق ومعناه

عليك بالعمل في رفق بحيث تطيق الدوام عليه .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه رضي الله عنهم فقالوا كيف فعل أو كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وربما قال على الله توكلنا . أخرجه الترمذى .

وعن ابن زعب الأيادي قال نزلت على عبدالله بن حوالة الأزدي فقال لى: بمثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفتم على أقدامنا فرجعنا ولم نفتم شيئاً وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال اللهم لا تكلمهم إلى فاضف عنهم ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلمهم إلى الناس فيستأثروا عليهم ثم وضع يده على رأسى ثم قال يا بن حوالة إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد ذهبت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك أخرجه أبو داود .

قلت ويلتمح من هذا الحديث المبارك دعاء عظيم يدعى به فيقال اللهم لا تكلمنا إلى غيرك فيضعف عنا ولا تكلمنا إلى أنفسنا فتعجز عنا . ولا تكلمنا إلى الناس فيستأثروا علينا .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ثم يقول يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا فيها لكفتهم نقله صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، قال الشرحى في فوائده .

(فائدة) في العطف والوجهة قوله تعالى ﴿ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو ﴾ إلى آخر السورة . خاصية هذه الآية أنها تططف قلوب المرضين على من أعرضوا عنه وتنفع من كيد الكائدين فمن قرأها ليلة الجمعة نصف الليل ثلاثين

مرة وقال في آخر كل مرة اللهم أنت يارب حسبي على فلان ابن فلانة أو فلانة بنت فلان اعطف قلبه أو قلبها وذلله أو ذللها فإن الله تعالى يعطف قلبه عليه أو قلبها عليه ويذلله أو يذلها له ، وروى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى صدق عبدي لا كفيته صادقاً كان أو كاذباً .

قال الجيثي في كتاب البركة بعد إيراد حديث حسبي الله المذكور أولاً فتنبى المواظبة على هذا قال وقد قال ابن الصيف المني ينبى الاعتماد من ربيع العبادات على تلاوة القرآن . وقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال لأن العبادات سوى هذين يشترط فيها حضور القلب والصدق . وتلاوة القرآن قد جاء أنها أعظم القرب إلى الله تعالى بفهم وغير فهم وقائل حسبي الله قد جاء أن الله يكفيه ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً انتهى ما ذكره عنه فافهم .

وقال عليه السلام من قال عند هم بهم عشر مرات حسبي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم اذهب الله همه وغمه . ومن صلى وسلم على عشر مرات فكأنما اعتق رقبة .

وروى البغوى في تفسيره أن نبي الله يوسف عليه السلام لما جاءه رسول الملك يدعوه إلى حضرته ويخرجه من السجن قام على باب السجن ودعا لأهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في كل بلد فلما خرج يوسف من السجن كتب على باب السجن هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء . ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً حسناً وقصد الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى عن دنياى وحسبى ربى من خلقه عز جاره وجل ثلوه ولا إله غيره ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال [أى يوسف] اللهم إني أسألك .

بجبرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره .

* * *

وأما قول السلف فقد روى عن معروف الكرخي رضي الله عنه أنه قال
لحمّد بن حسان ألا أعلمك عشر كلمات خمساً للدنيا وخمساً للآخرة من دعا بهن
وجد الله تعالى عندهن . قال محمد بن حسان فقلت لمعروف اكتبها لي قال
لا ولكن أرددها عليك كما رددتها على أبو بكر بن خنيس رحمه الله وهي هذه .
حسبي الله العظيم لديني . حسبي الله الخليم لدياى ، حسبي الله الكريم لما أهني ،
حسبي الله القوي لمن بغى علي ، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء ، حسبي الله
الرحيم عند الموت ، حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر ، حسبي الله الكريم
عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله التقدير عند الصراط ،
حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

(قات) واعلم أن معنى قولك حسبي الله أي رضيت بقضائه وقدره . وفوضت
أمرى إليه . وألجأت ظهري إليه . قال الله الكريم . في كتابه العظيم . ولو أنهم
رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله الآية . كما روى أن إبراهيم لما
وضع في المنجنيق . قال حسبي الله . وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن
وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة . فقال أما إليك فلا . وكان
ذلك وفاء بمتضى قوله حسبي الله . وأخبر الله عنه بقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم
الذي وفى ﴾ أي وفى بموجب قوله حسبي الله .

هذا وقد قيل إنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام مامن عبد يعتصم
بي من دون خلقي فتكيده أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً ، وقال
بعضهم متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلاً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكلاه الله إليها .

وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله تعالى أوثق منه بما في يديه .

وعن أبي بكره رضى الله عنه قال أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك قطعت عنق صاحبك . قاله ثلاثاً ثم قال من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه أخرجه الشيخان وأبو داود . قوله قطعت عنق صاحبك أى أهلكته بالإطراء والمدح والتعظيم عند نفسه فإنه بمعجب بذلك فيملك كأنك قطعت عنقه .

وفي كتاب أنس المنقطعين حكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال من قال ثلاثاً حين يصبح وثلاثاً حين يمسي حسبي الله ونعم الوكيل لم يزل في أمان الله وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة .

فائدة قال الإمام النووي في شرح المذهب : واعلم أنه يستحب لكل أحد في كل موطن قول حسبي الله لقوله تعالى فإن تولوا فقل حسبي الله . وقوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الآية . ولحديث البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم والحديث للبخارى أيضاً كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار حسبي الله انتهى . ونقل في الشرح المذكور عن أبي جعفر النحاس أنه قال قول الإنسان حسبي الله أحسن من قوله حسبنا الله لما في الثانى من التعظيم قال الله تعالى فإن تولوا فقل حسبي الله إلى آخر ما قال الشيخ . وقال بعضهم .

توكل على الرحمن في كل حاجة أردت فإن الله يقضى ويقدر متى ما يرد ذو العرش أمراً بعبده يصبه وما للعبد ما يتخير وقد يهلك الإنسان من وجه أمله وينجو بمحمد الله من حيث يحذر

وقال آخر :

حسبي الله من جميع البرايا وكفى عن غنيهم والفقير
هو عوثي إذا طلبت غيائاً ومعينى على المراد الخطير
وقال آخر :

إن كنت أجمعت على هجرنا من غير ماذنب فصير جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا فحببنا الله ونعم الوكيل
وقال آخر :

حسبي أن قدك حسبي يا حديثي ويا شفلي
وقال آخر :

حسبي الله واتكالى عليه فنواصى عبده بيديه
وقال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد :

قل حسبي ذو العرش الذي يعلم بالسمر والجهر واستلم له تسليماً
ولا تقل كذا كان كذا تندم وأرض بحر القضا تنجو من الخطر
* وقال الشيخ أبو بكر العدني *

قل حسبي الله فيما هو على ولي نعم الولي فما بعد الولي ولي
وقال الإمام جعفر الصادق عجبته لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع ..
لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه أن يقول منى الضر وأنت أرحم الراحمين .
والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وعجبت لمن خاف شيئاً
كيف يذهب عنه أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانتقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء واتبعوا رضوان الله ، وعجبت لمن مكربه
كيف يذهب عنه أن يقول (وأفوض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد) والله
تعالى يقول (فوفاه الله سيئات ما مكروا) ، وعجبت لمن أنعم الله تعالى عليه
بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله . والله
تعالى يقول . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله . كذا سنة

الله تعالى فيمن صدق في التجائه إليه ولم يتوكل في مهماته إلا عليه ، وفي بعض النسخ وعجبت لمن يلى بالغم كيف يذهب عنه أن يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين .

﴿ فائدة ﴾ رأيت في فوائد الشرحي قال بعضهم من قال عند نومه تؤمن بالله حق بالله نرد أمرنا إلى الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يرق منامه إلا خيراً بلطف الله تعالى .

وفيه عن بعض مصنفات البوني أن هذه التسعة الأسماء لها تأثير سريع قوى لطالبي الأسباب ، وتثبيت النعم ونفعها وتيسير العسير من أسباب الرزق وإقبال الوجوه والبركة في الكسب ، ذاكرها يسخر له كل من يطلب منه حاجة وهي لا تصح إلا لأرباب البدايات فإنها عظيمة وهي هذه (التواب الفافر الحبيب الوكيل الكافي الرزاق السلام المؤمن السريع) .

وفي كتاب الاكتفاء للسكلاعي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما وجه جيوش المسلمين إلى جمة العراق والتقوا بأهل فارس بالقادسية بعد حروب جرت بينهم فبزمهم الله بعد قتال شديد وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم هرب من نجاة منهم إلى المدائن فاتبهم المسلمون حتى فتحوا مدينة نهر شيروبها إيوان كسرى ثم نجاة ملكها وعبر دجلة إلى مدينة العتيقة وبها القصر الأبيض الذي يرى من مسيرة خمسة أيام الذي بناه الاسكندروحات بينهم وبينه دجلة وكانت بحراً هائلاً لا يمر إلا بالسفن ولم تكن للمسلمين سفائن تعبر بهم الماء ولم يكن لهم اضطبار عن قتال الكفار . فقال لهم سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه . وكان أميراً على ذلك الجيش من قبل سيدنا عمر رضى الله عنه اقتحموا الماء وقولوا نستعين بالله ونتوكل على الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وركب سعد رضى الله عنه فرسه واقتحم بالناس اللجة وإنها

لَسُودَةً لَهَا جِرَّةٌ تَقْدَفُ بِالزَّبَدِ وَإِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُونَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الدُّوَابِّ وَارْحَالٍ حَتَّى جَاوَزُوهَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَفْرُقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ بَلْ كَانُوا
يَتَشَوَّنُ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَفِي ذَلِكَ قَالَ قَائِلُهُمْ .

أَلَا هَلْ أَتَاهَا إِنْ دَجَلَةٌ ذَلَّتْ عَلَى سَاعَةِ فِيهَا لِلْقُلُوبِ تَقْلَبُ
قُلْتُ وَهَذَا يَخَاكِي مَا نَقَلَهُ الْعُلَمَاءُ الْحِفَازُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
يَبِثُ الْعَلَاءُ الْحَضْرَمِيُّ فِي جَيْشٍ كُنْتُ فِيهِمْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَسَلَكْنَا بِمَفَازَةٍ فَمَطَّشْنَا
عِظْشًا شَدِيدًا حَتَّى خَفْنَا الْهَلَكَ فَنَزَلَ الْعَلَاءُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ
يَا عَظِيمُ اسْقِنَا فُجَاءَتِ السَّحَابَةُ كَأَنَّهَا جَنَاحُ طَائِرٍ فَفَعَّقَتْ عَلَيْنَا وَأَمْطَرَتْنَا حَتَّى مَلَأْنَا
الْأَنِيَّةَ وَسَقَيْنَا الرِّكَابَ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى خَلِيجٍ مِنَ الْبَحْرِ مَا خِيزُ قَبْلَ
ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا خِيزُ بَعْدَهُ فَلَمْ نَجِدْ سَفِينًا فَصَلَّى الْعَلَاءُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ يَا حَلِيمُ
يَا عَلِيمُ يَا عَظِيمُ أَجْزِئْنَا ثُمَّ أَخَذَ بَعْنَانٍ فَرَسَهُ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ جَوِّزُوا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ
فَمَشِينَا عَلَى الْمَاءِ فَوَاللَّهِ مَا ابْتَلَى لَنَا قَدَمٌ وَلَا خَفَ وَلَا حَافِرٌ وَكَانَ الْجَيْشُ
أَرْبَعَةَ آلَافٍ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيُّ الْمَرْسِيُّ تَلِيدُ سَيِّدِي أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى . قَالَ وَفَى بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ
حَسْبِيَ اللَّهُ أَتَمَّهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي قَالَ
فِيهِ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جَرِيحٍ وَالصَّبِيُّ الَّذِي
كَانَ يَرْضَعُ أُمَّهُ وَمَرْءٌ عَلَيْهِ بَجَارِيَةٌ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَيْنَتُ سَرَقَتْ وَهِيَ
تَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . فَقَالَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَتَرَكَ
الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا الْحَدِيثُ وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَرْوًى
فِي الصَّحَاحِ وَهَذَا مُلَخَّصُهُ ..

فِي فَائِدَةٍ فِي مَنْ شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحَسَنَى اسْمُهُ (الْحَسِيبُ) خَاصِيَّتُهُ جَمْعُ الضُّوَالِ

والحفظ في الأهل المال فصاحب الغزالة يكثر من قراءته فتجتمع عليه . ويقرؤه من خاف على جنين في بطن أمه سبع مرات فيثبت . وكذلك لو أراد سفرا يضع يده على رقبة من يخاف عليه المكروه من أهل أو ولد ويقول سبعاً فإنه يأمن عليه إن شاء الله . قال الشارح وبركة هذا الاسم تطلع الملائكة على أفعال الناس ويحسونها ومن خاف الحساب يوم القيامة قرأه ألف مرة .

اسمه (الوكيل) ببركة هذا الاسم حفظ الله إبراهيم من النار وحفظ سرير سليمان فمن خاف من صاعقة أو نار أو شر أو خاف على سفينة فليرتب قراءته فإن الله يكفيه ذلك كله . وقال الشيخ زروق اسمه (الوكيل) خاصيته أن يكتب في كغند أي ورقة بياض مربع على أركانه الأربع ويحمله على كفة سحر أو يرفعه إلى السماء فإن الله يكفيه ما أمه .

﴿ فائدة ﴾ قال الشيخ داود الشاذلي في كتابه الطيفة الرضية الذي شرح به حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي عند قوله حسبي الله ينبئني أن يقول العبد ذلك ويعتقد ذلك ويريد الله تعالى به اقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم وامثالاً لأمر ربه تعالى وتذكيراً بحقائق الأمور وذلك كأنما يقال للعبد إذا نظرت بمين الإيمان فرأيت الأكوان آفلة زائلة لا بقاء لها ولا دوام منصرمة بذواتها وصفاتها فلا عز ولا غنى ولا قوة ولا نصر ولا ملك ولا نعيم ولا بقاء ولا وجود إلا وهو آفل زائل إلا ما حكم له الحق تعالى بالبقاء وثبته بعد أن كان لولا ذلك معرضاً للنفناء ولا شيء من الأشياء تركن النفوس إليه وتقبل بالاعتماد عليه سوى الله تعالى إلا وسيف القهر يقنيه ورياح الفتن تذهبه وتعفيه فلما تولت الأكوان لبصر الإيمان رجع العبد المؤمن مكثفياً بمن له المرحم حقاً والجبروت ، ومتوكلاً على الحى الذى لا يموت وقال إذ ذاك حسبي الله أى كافيني من كل سوء ومطلوبى دون كل شيء كما قال على رضى الله عنه لبعضهم عظمى فقال يا أمير المؤمنين إذا كان الله معك فمن تخاف فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين إذا كان عليك فمن ترجو فقال حسبي الله .

ثم قال الشيخ داود فقول العبد عليه توكلت زيادة في الاكتفاء وتعبد للمولى .
 وانخلاص عن رق الدعوى أى أتوكل على من هذه صفته وذا الملك ملكه .
 وينبغى للعبد أن يعتمد ذلك بقلبه ويعقد عقدة توكل وتقويض بينه وبين ربه .
 مقارنة للفظه فإذا فعل ذلك جاءته المعونة والطف .

ورد العشرة أذكار

﴿ فائدة عظيمة ﴾ ورد عشرة أذكار كان العباد والزهاد يلزمونهم ويقولون .
 إنه من وظائف الأبدال والأوتاد . ومن رتبته كل يوم بعد صلاة الصبح والمغرب .
 كفاء الله ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً . فما أعظم هذه النفاة قالوا وقد
 لازمه أهل الصلاح وجربوا منه البركة والفلاح وجربوه لتيسير الرزق وكفاية
 الهموم وتخير الخلق والحفظ من كيد الأعداء ومن السحر ومن الجن والشياطين .
 والحفظ من كل عاهة في النفس ولأهل المال وشرح الصدر وحسن الثناء والذكر
 والنور في القبر وغير ذلك مما لا يحصى هذا في هذه الحياة الدنيا والآخرة أكبر
 درجات وأكبر تفضيلاً . وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم (مائة مرة) الحمد لله
 رب العالمين (مائة مرة) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم (مائة مرة) .
 لا إله إلا الله محمد رسول الله . (مائة مرة) سبحان الله وبحمده سبحان الله
 العظيم . (مائة مرة) أستغفر الله العظيم وأسأله التوبة (مائة) اللهم إني أسألك فعل
 الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني . (مائة) قل
 هو الله أحد إلى آخرها (مائة) حسبنا الله ونعم الوكيل (مائة) اللهم صل على
 سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وسلم (ثلاثاً) يرتب ذلك كل يوم وليلة .
 كما ذكرناه أولاً وبالله التوفيق .

فضِّلْ

في تفسير حسبنا الله ونعم الوكيل

فاما حسب فقد ذكر العلامة ابن هشام الأنباري في كتابه أوضح المسالك

إلى ألفية ابن مالك . أن لها استعمالين (أحدهما) أن تكون بمعنى كاف فتستعمل
 استعمال الصفات المنكرة نعتاً لنكرة كمررت برجل حبك من رجل أى كاف
 لك من غيره ، وحالا لمعرفة كهذا عبد الله حبك من رجل ، واستعمال الأسماء
 نحو حسبهم جهنم فإن حسبك الله بحسبك درهم . قال وبهذا يرد على من زعم أنها
 اسم فعل فإن العوامل اللفظية لا تدخل على أسماء الأفعال باتفاق « والثاني »
 أن تكون بمنزلة لا غير في المعنى فتستعمل مفردة وهذه هي حسب المتقدمة .
 ولكنها عند قطعها عن الإضافة تجدد لها إشرابها هذا المعنى وملازمها للوصفية
 أو الحالية أو الابتدائية وبنائها على الضم فتقول رأيت رجلا حسب ورأيت زيدا
 حسب قال الجوهري كانك قلت حسبى أو حسبك فأضمرت ذلك فلم تنون اه
 وتقول قبضت عشرة فحسب أى فحسبى ذلك اه .

وأما نعم . فهي فعل على الأصح وهى فى المدح بضد بئس فى الذم . قال
 ابن هشام وهما أى نعم وبئس فعلا عند البصريين والكسائي دليل التاء فيهما
 فتقول بئست ونعمت واسمان عند باقى النكوفيين بدليل ما هى بنعم الولد
 جامدان رافعان لتفاعلين معرفين بالجنسية نحو بئس العبد وبئس الشراب
 أو بالاضافة إلى ما قارنها نحو ولنعم دار المتقين وبئس مئوى التكبرين أو إلى
 مضاف إلى ما قارنها كقوله .

نعم أخت القوم غير مكذب - زهير حسام مفرد من حائل

أو مضمرين مستترين بتميز نحن بئس للظالمين بدلا . وقوله :

نعم امرأ هرم لم تمر نائبة إلا وكان لمرتع بها وزرا

قال وأجاز للبرد ابن السراج والفارسي أن يجمع بين التمييز والتفاعل

الظاهر كقوله :

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت رد التحية نظفاً أو بإيماء

ومنه سيبويه والسيرافي مطلقاً وقيل إن أفلا معنى زائداً جاز وإلا فلا
نحو قوله :

تخيَّره فلم يعدل سواه فنعمة المرء من رجل يمانى
ثم قال ويذكر المخصوص بالمدح والذم بعد فاعل نعم وبئس . فيقال
نعم الرجل أبو بكر وبئس الرجل أبو لهب . وهو مبتدأ والجملة قبله خبره .
ويموزان أن يكون خبراً لابتدأ واجب الحذف أى المدوح أبو بكر والمذموم
أبو لهب وقد يتقدم المخصوص ويتعين كونه مبتدأ نحو زيد نعم الرجل وقد يتقدم
ما يشمر به فيحذف نحو أنا وجدناه صابراً نعم العبد أى هو وقوله فنعمة الماهدون .
أى فنعمة الماهدون نحن . وليس منه العلم نعم المقتنى ، وإنما ذلك من التقديم
أتهى كلام ابن هشام .

(قلت) فعنى حسبنا الله ونعم الوكيل أى محتسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه .
وبدل على أنه بمعنى المحتسب أنه لا يستفيد بالاضافة تعريفاً في قولك هذا الرجل
حسبك قاله البيضاوى ، وقال غيره أحسبه الشيء إذا كفاه وهو من الحساب .
قلت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل
ما سمع رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال النورى فى شرح صحيح مسلم
وقوله بحسب بإسكان السين ومعناه يكفيه ذلك من الكذب فإنه قد استكثر
منه من قولهم حسب الحسود أى كفاه وقوله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ
من الشر أن يحقر أخاه المسلم وقوله بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، رواه الترمذى ، والباء زائدة
ومعناه يكفيه وقد ورد فى الحديث الصحيح أن صعصعة بن عقال
التميمى لما سمع وهو عند النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره ﴾ ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ قال حسبي لا أبالى إن لم أسمع
غيرها اه .

وورد أيضا عن علي رضي الله عنه قال خرجت من بيتي في يوم شات وإني
لشديد الجوع ألتس شيئا فررت يهودى ذى مال له يتي بيكرة فاطلمت عليه
من ثلثة الخائط فقال مالك يا أعرابي هل لك في دلو بتمرة قلت نعم فافتح الباب
حتى أدخل ففتح فدخلت فأعطاني دلوأ فكلما نزع دلوأ أعطاني تمره حتى
إذا امتلأت كفى أرسلت دلوه وقلت حسبي فأكلتها ثم جرعت من الماء ثم جئت
المسجد أخرجه الترمذى انتهى .

فليعلم بجميع هذه الألفاظ وغيرها أن معنى الحسب والحبيب هو القائم
بالكفاية بحسب الحاجة وقدرها .

ومعنى قوله نعم الوكيل أى الموكول إليه الأمور قال البغوى فعيل بمعنى
مفعول وقيل الموكول إليه تدبير خلقه وقيل القائم بمصالح خلقه وقيل الحافظ
وقيل هو الكفيل بأرزاق عباده وحقيقته أنه الذى يستقل بأمر الموكول
إليه انتهى .

فصل

فى قصة قول الرسول (حسبنا الله ونعم الوكيل)

قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم) وذكر الإمام
البغوى فى تفسيره . ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء
ندموا على انصرفهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردقتم ،
قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم ، ارجموا فاستأصلوهم .
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب المدو ويريه من نفسه
وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فانتدب عصابة منهم

مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجنّ معنا أحد الا من حضرنا بالأمس وإنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدوّ . وليلفهم أنه خرج في طلبهم فيظنّوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فربه صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصّح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ومعبد يومئذ مشرك . فقال والله يا محمد لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله قد أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أباسفيان ومن معه بالروحاء قد أزمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبحنا جلى أصحابه وقادتهم فكبرنا على بقيتهم فلنفزعنّ منهم . فلما رأى أبوسفيان معبداً . قال : ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطالبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد جمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وتدموا على صميمهم وفيهم من الملقى عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال ويحك ما تقول ، قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم : قال فأنا والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت :

كأدت تهد من الأصوات راحتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل

فذكر أبياتاً فثنى ذلك أباسفيان ومن معه بها . ومرّ ركب من بني عبد القيس فقال أين تريدون فقالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة . قال فهل أنتم مبلمون محمداً عنى رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زيباً بمكاظ إذا وافيتموها

قالوا نعم . قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد اجمعنا السير إليه وإلى أصحابه
لثلاثة أصول بقيتهم . وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومر الركب برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (حسبنا الله ونعم الوكيل) ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ثم قال البغوى هذا قول
أكثر المفسرين .

ثم قال وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك
أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن
شئت فقال عليه السلام ذلك بيننا وبينك إن شاء الله ثم انصرف أبو سفيان
وأصحابه فلما كان العام القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزلوا مرَّ
الظهران فألقى الله الرعب في قلبه وبداله أن يرجع فرببه ركب من عبد القيس
يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن تَطَّووا المسلمين . وقيل
أتى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان يا نعيم إني
واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى وإن هذا عام جذب
ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج إليها
وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولأن يكون الخلف
من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة وثبَّطهم وأعلمهم أنني
في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل
ابن عمر ويضمنها . قال فجاء سهيل فقال نعيم تريد أن تضمن لي هذه القلائص
وانطلق إلى محمد فأثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد المسلمين
يتجهزون ليعاد أبي سفيان فقال أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى
بموسم بدر الصغرى . فقال بثس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقرارك فلم يفلت
منكم إلا الشريد أفتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جموا لكم . والله لا يفلت

منكم أحد ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى بلغوا بدرأ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من حجة إلى مكة ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدًا من المشركين . ووافوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالين غانمين وذلك قوله تعالى . فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء اهـ .

تبصرة في أن الإيمان يزيد وينقص

قال الإمام البيضاوي في قوله تعالى في الآية السابقة : (فزادتهم إيماناً) الضمير للمستكن للمقول أو المصدر أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده ، والبارز للمقول لهم وذلك أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضمنوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده . قال وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ، وبعضه قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

وهذا ظاهر إن جعلنا الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم نجعل من حقيقته . وهى التصديق واليقين فإن اليقين يزداد بالآلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج انتهى موضعاً (قلت) : وهذا ظاهر . للحديث وقوله تعالى : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) . وقوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه إيماناً . فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » . وقوله تعالى :

« ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً » وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال إن الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل .

وفي تهذيب النووى في حرف الميم منه في ترجمة عبد الله بن رواحة الصحابى الأنصارى الخزرجى رضى الله عنه عن أبى الدرداء قال أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقينى يقول يا عويمر أجلس فلتؤمن ساعة فنجاس فذكر الله ما شاء الله ثم يقول يا عويمر هذا الإيمان .

وفي البخارى في كتاب الإيمان وهو قول وفعل ويزيد وينقص وهو فرائض وشرائع وحدود وسنن والحب في الله والبغض في الله من الإيمان وروى أحمد من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه الإيمان يزيد وينقص . وروى ابن ماجه من حديث على الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان . وفي البخارى قال ابن مسعود اليقين الإيمان كله . وقال صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صفى قلبه وإن لم يتب ازداد ذلك حتى يسود قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفي الحديث إن الإيمان يبدو في القلب لمعة بيضاء ثم تزيد حتى يبيض القلب كله . وإن النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء ثم تزيد حتى يسود القلب كله . وقال العلماء : إنما يزيد الإيمان بالمداومة على الأعمال الصالحة والاكتثار منها مع الاخلاص لله فيها . وأما النفاق والعياذ بالله فزيادته بالأعمال السيئة من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات والعياذ بالله .

ونقل الامام النووى من صحيح البخارى قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليه ويفرغ من دفنه فإنه يرجع

في الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليه ثم رجع قبل أن يدفن فإنه يرجع بقيراط .

وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . قال النووي ومعنى قوله إيماناً أى تصديقاً بأنه حق معتقداً فضيلته . ومعنى احتساباً أن يريد به الله تعالى وحده لا يقصد به رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الاخلاص قال والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح قال ومعنى قوله غفر له ما تقدم من ذنبه أن هذا يختص بفقران الصغار دون الكبار . قال بعضهم ويجوز أن يخفف من الكبار إذا لم يصادف صيرة .

* * *

﴿ فائدة ﴾ قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد بن الفضل في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم أيضاً الايمان في اللغة هو التصديق فإن عني به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كآله مرة ونقصه أخرى والايمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص وهو مذهب أهل السنة . قال فانخلاف في هذا على التحقيق إنما هو في المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الايمان هل يسمى مؤمناً مطلقاً أم لا . والمختار عندنا أنه لا يسمى به . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لأنه لم يعمل بموجب الايمان فيستحق هذا الاطلاق ثم قال النووي انتهى كلام صاحب التحرير .

وقال النووي أيضاً قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال المشكي في شرح صحيح مسلم مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ما رواه البخاري رحمه الله

تعالى من الآيات بمعنى قوله عز وجل : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) وقوله :
 (وزدناهم هدى) وقوله تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقوله -
 تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) . وقوله تعالى : (فزادهم إيماناً وهم
 يستبشرون) وقوله : (فاخشوم فزادهم إيماناً) وقوله : (وما زادهم إلا
 إيماناً ونسلياً) .

ثم قال النووي قال ابن بطال : فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص قال :
 (فإن قيل) الإيمان في اللغة التصديق . (فالجواب) أن التصديق يكمل بالطاعات
 كلها فهما ازداد المؤمن من أعمال البركان إيمانه أكل وبهذه الجملة يزيد الإيمان
 وينقصانها ينقص فحتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد
 الإيمان كمالاً هذا توسط القول في الإيمان .

وأما التصديق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقص ولذلك
 توقف مالك رحمه الله تعالى في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذا لا يجوز
 نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكاً وخرج عن اسم الإيمان .

وقال بعضهم : إن توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول
 عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب .

وقد قال مالك رحمه الله تعالى بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة .
 قال عبد الرزاق : سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري
 ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والأوزاعي ومعمّر بن راشد
 وابن جريج وسفيان بن عيينة يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . وهذا
 قول ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما ، والنخعي والحسن البصري وعطاء
 وطلاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك رحمهم الله تعالى .

فالغنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو آتياته بهذه
 الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح انتهى ما نقله .

الإمام الذروي عن ابن بطال رحمهما الله تعالى وبه تكميل ما يسر الله لنا جمعه .
وقدر لذا وضعه من فضائل هذا الذكر . أعني قول (حسبنا الله ونعم الوكيل) .
وإن كان الذي أتينا به هو القليل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا
محمد المهادي الدليل إلى سواء السبيل .

الذكر الخامس عشر وشرحه

ولما فرغ سيدنا عمر من مهمات الأذكار . أتى بما تقضى به الأوطار .
وتغفر به الأوزار . وهو الصلاة والسلام على النبي المختار . فقال : (اللهم صل
على محمد اللهم صل عليه وسلم) « إحدى عشرة مرة » .

قال الشيخ علي : والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات
وأرفع المقامات . والصلاة من الله هي رحمة مقرونة بالتعظيم ومقرونة بالتسليم ،
وهذا الفضل وما ورد - من الفضائل وعِظَم ما يفيل الله المصلي عليه صلى الله عليه
وسلم ، مقرونًا بنية المصلي إذا صلى حباً له صلى الله عليه وسلم وطالباً من الله له
صلى الله عليه وسلم بأن يعظمه ويرحمه ويكرمه ويشرفه ويرفع مقامه مما نص عليه
أئمة أهل العلم كالإمام الشيرازي . قال : وسمعت عن شيخنا يعني صاحب الراتب
أنه قال : لا بأس إذا تمكن بأن يكون وحده أن يقرن الآل والصحب . أم
إذا كان في جمع فتكفيه صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما هنا

قلت : فعلى هذا إذا أراد قارىء هذا الراتب المنفرد أن يقرن الآل والصحب
يقول اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وآله وصحبه وسلم . ثم قال الشارح :
وجعلها إحدى عشرة مرة لظهور سر الوترية وعموم مظهر الأُحدية على مظهر
الفردية انتهى .

ونحن نشرع في ذكر فضائل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
موفراً لها العظيمة . فنقول جاءت بذلك محكمات الآيات . وصحيحات الأخبار .

وسنورد منها أحرفاً بسيرة . لتكون لعزيمات الطالبين مثيرة . على كثرة الصلاة والسلام على خير الأنام لتصبح بها إن شاء الله أعينهم قريرة ولكني أقدم على ذلك فضلاً في ذكر بعض فضائله وخصائصه وشماله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

في ذكر شيء من فضائله وخصائصه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن المتعرض لذكر فضائله . والمهدف لنشر شمائله . كالمعرض لنزف البحار المتلاطمة . وعدّ الرمال المتراكمة ، أو كمن جاء يريد أن يحرز جميع ذلك في شنته ، فما يليق به إلا أن يأخذ وسعه بطاقته ولا يدع اليسير مخافة أن لا يأتي بالكثير هذا لمن أفرد ذلك بالتصانيف . وحرره بقاية التكاليف . فضلاً عن صاحب المزم الضميف . إذا أتى بالشئ الطفيف . ولكن الكل مشكورون فيما فعلوا ، مثابون فيما حصلوا . ولكل درجات مما عملوا . وإنما شرفوا بذلك نفوسهم . وأطالوا في المعالي رؤسهم . ورفقوا برائق خلقه العظيم طروسهم :

ولئن مدحت محمداً بقصيدتي فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

ومن أجلهم بل أجلهم القاضى عياض . فقد جمع من ذلك البحر الفياض وهو كتاب شفا الأمراض . فمليك به فإن فيه من زواهر أوصافه صلى الله عليه وسلم ما يزرى بأزهار الرياض . ومن بواهر معجزاته وظواهر آياته أعذب الحياض . ولقد حوى من عظيم القوائد . ما يرومه أصدق محب رائد . ونبتدى الآن فنقول :

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم

حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) الآية وقال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأخبار فقد قال عليه السلام « أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض . ولى المقام المحمود والحوض المورود . ولى الوسيلة وهى درجة فى الجنة لا تكون إلا لواحد وأنا أرجو أن أكون ذلك الواحد . وأدخل الجنة قبل الأنبياء وتدخل أمتى الجنة قبل الأمم ، وأمتى السابقة والآخرة وهى أكثر أهل الجنة ، الواحد من أمتى يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيمة ومضر ولا أزال أشفع حتى تقول النار يا محمد ما تركت لى نصيباً من أمتك ، وأمتى أقل عملاً وأقصر عمراً وأكثر فضلاً وجزاء . هذا من فضل الله على وعلى أمتى » انتهى الحديث المشهور .

فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق كلهم لأنه رحمة للعالمين ، والعالم كل ما سوى الله تعالى والرحوم به أفضل من الرحوم بغيره . وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه وأبقى قائماً بين يدى ربى منتصباً مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول يا رب أمتى فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع فأقول يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى رجال قد بعث بهم إلى النار حتى أن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار ولفضب ربك فى أمتك من بقية .

وقال صلى الله عليه وسلم إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض

من حجر ومدبر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أكسى حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى .
 وقال ابن عباس رضى الله عنهما جلس أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا . وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمة الله تسليما . وقال آخر فميسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم وقال سمعت كلامكم وتمجبتكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وإن موسى نبي الله وهو كذلك وإن عيسى روحه وكلمته وهو كذلك وإن آدم صني الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا نخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا نخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا نخر ، وأنا أول من يحرك خلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد أخرجه الترمذى رحمه الله .

وقال بعض العلماء العقل ذاته واحد ولكن له وجهان أحدهما فى الخلق وهو العقل المشترك بين المؤمن والكافر ويسمى عقل المعاش والثانى فى الخلق وهو العقل الخاص بالمؤمن ويسمى عقل الهداية ثم إن رزقه الله بعد ذلك فهما فهو أعقل فإن رزقه علما فهو أعقل فإن رزقه حكمة فهو أعقل فإن رزقه معرفة فهو أعقل فإن كشف له عن الحقيقة فهو أعقل فإن رزقه كمال التوحيد فهو أعقل فإن رزقه الولاية فهو أعقل فإن رزقه مقام الصوفية فهو أعقل فإن جعله نبيا فهو أعقل . ونبيننا صلى الله عليه وسلم أعقل من الكل .

قال فى كتاب عوارف العوارف عن ابن منبه أنه قال أتى فى سبعمين كتابا

أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم كهية رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا .
وللحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في هذا المعنى .

خيار الورى الرسل الكرام وخيرهم أولو العزم فضلا كاملا بفخار
وعقلهم في جنب عقل محمد كقطرة ماء في ألوف بحار
وقال العلماء وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس والجن ولا نبى بعده
إلى قيام الساعة . وعلماء أمته كأنبيا بنى إسرائيل ونصرة الله بالمعجزات الظاهرات
قال صاحب البردة .

كفالك بالعلم في الأمى معجزة في الجاهلية والتأديب في اليم
وأبده الله بالآيات الباهرات حتى غلب الدين وظهر على سائر الأديان وعم
لإسلام وظهر ، وذل الكفر وأندحر .

وتقد بعث صلى الله عليه وسلم في أوان فترة شديدة من الرسل لتقدم الآماد
فنطق بالحق ودعا إلى الله من غير مبالاة بالخلق قام وحده وقال ممشر الناس إنكم
نفي ضلال وإن أديانكم باطلة ما خلا دين الإسلام ، وما زال يخاهدم ويتناجزم
والله يعصمه منهم حتى قرأنا قره . وقرأنا قره وكثر ناصره . صلى الله عليه وسلم
وما زال الدين به في اتساع ، وظهور وارتفاع ، ببركة أسرارته ، وسطوع أنواره ،
فنوره صلى الله عليه وسلم أصل كل نور وروحه وعقله ومعرفته وعلمه وحنه معدن
لذلك كله ، قال صلى الله عليه وسلم أول ما خاق الله نوري وفي رواية روي في
رواية عقله والإشارة بها كلها فهو البحر الجامع والنور اللامع والفيض الهامع صلى الله
عليه وسلم قال الإمام البوصيري .

وكلمهم من رسول الله ملتصق غرقاً من البحر أو رشقاً من الدِّيم
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبياً بارى . التسم

فالسكل وأنوارهم وعلومهم ومعارفهم وأعمالهم وأحوالهم دونه صلى الله عليه وسلم كيف وهو الأصل والسكل له فروع . وقد ورد عنه من دل على خير فله مثل أجر فاعله .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءه . فرفع رأسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت على أنفأ وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم . قال إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم ، وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه التؤلؤ المجوف : قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك الحديث .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمس النار مسلماً رأى ورأى من رأى أخرجه الترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير فلما نزل به ورأسه على نخذى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى . قلت إذا لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الأعلى أخرجه الثلاثة والترمذى . الرفيق الأعلى النبيون الذين يسكنون أعلى عليين .

(فن معجزاته القاطمة) صدقه في جميع ما جاء به وأخبر عنه ، وانشقاق القمر نصفين ، وتسليم الحجر ، ومشى الشجر قال صاحب البردة .

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم

(ومنها) كلام الصبي ، وشهادة الضب له بالرسالة ، وحنين الجذع حتى سمعه أهل المسجد كلهم (ومنها) [قلب الأعيان وإعطاء المود لبعض أصحابه فصار سيفاً جاهد به حتى تكسر ، وقد عطش الجيش فوضع يده في ماء قليل فنبع الماء من بين أصابعه فشربوا كلهم حتى رووا وكانوا في رواية ألفاً ونصفاً .

(ومنها) أنه قدم إليه طعام في إناء فما زال يدعو إليه الناس وهم يأكلون وينصرفون حتى شبع الكل وكانوا ألفاً ونصفاً أو أكثر .

(ومنها) إخباره بالقيوب السابقة واللاحقة فتجيء كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان قال الإمام البوصيري .

وبها أخبر النبي وكم أخرج خبأ له القيوب خبأ ومعجزاته لا تحصى وهباته لا تستقصى ، . (ومنها) خلقه العظيم عليه الصلاة والتسليم والتكريم قال بعض العلماء ومن حقق أخلاقه ومكارمه ومحاسنه وخصائصه صلى الله عليه وسلم عرف واعترف أنها المعجزة الربانية التي لا تمكن نبش إلا بتأييد إلهي وتخصيص رباني وتحقيق أنها لم تجتمع لأحد قبله قال الإمام البوصيري في هزيمته المشهورة .

ما سوى خلقه النسيم ولا غي رُحَّيَّاه الروضة الفناء
رحمة كله وعزم وحسزم ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء منه عرى الصَّبر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السوء على سره ولا الفحشاء
عظمت نعمة الإله عليه فاستقلت لذكره العظماء
جهلت قومه عليه فأغضى وأخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين حلماً وعلماً فهو بحر لم تميمه الأعباء
مستقبل دنياه ينسب الإمساك منها إليه والاعطاء

شمس فضل تحقق الظن فيه أنه الشمس رفعة والضياء
 فإذا ما ضحى محى نوره الظل وقد أثبت الظلال الضياء
 فكان الغمامة استودعته من أظلت من ظله اليرفء
 خفيت هذه الفضائل وانجما بت به عن عقولنا الأهواء
 أمع الشمس للنجوم تجمل أمع الصبح للظلام بقاء
 معجز القول والفعال كريم الـ خلق والخلق مقسط مطاء
 لا تقس بالنبي في الفضائل خلقاً فهو البحر والأنام اضاء
 كل فضل في العالمين فمن فضـ ل النبي أستمارة الفضلاء

قصيدة ما أغلى جواهرها وما أحلى باطنها وظاهرها . تقبل الله من ناظمها
 وناظرها وقارئها وحافظها .

وقد قال صلى الله عليه وسلم أعطيت مكارم الأخلاق . وفي رواية بعثت لأتم
 مكارم الأخلاق .

قال بعض العلماء اعلم أن أهل الفضل والعقل يرون محاسن أخلاقه العظيمة
 أكبر المعجزات له ولا شك في ذلك ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً
 كثيراً . قال عليه الصلاة والسلام إن ربي عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهباً
 فقلت لا يارب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً . فأما اليوم الذي
 أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك . وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
 وأثنى عليك .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
 والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد دقيق ولا نسفة دقيق فلم يكن بأسرع من
 أن سمع هدة من السماء أفظمته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة

أن تقوم فقال لا ولكن هذا إسرافيل قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال إن الله سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ، وإن شئت نبيا ملكا . وإن شئت نبيا عبدا . فأوما إليه جبريل أن تواضع لله تعالى فقال نبي عبد ثلاثا .

وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيته به من الجوع . فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي عز وجل أن يجرى معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقير الدنيا على غناها وحزنها على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا آل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لي إلا أن يكافني ما كفهم فقال . فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته والله لأصبرن بجهدي ولا قوة إلا بالله . وقال صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فإنك مفارقة وعش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به .

قال الغزالي رحمه الله بعد نقل هذا الحديث فلا جرم لما كان ذلك مكشوف له بعين اليقين كان في الدنيا كما بر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف ديناراً ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن .

ثم قال الغزالي فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا الفكر في خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دأمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر ، والعجب من غفائنا هذه والعظام بين أيدينا وأعجب من

ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسبابنا ودينانا بل بأعضائنا وسممنا وبصرنا مع انا
نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا انتهى .

وعن جابر رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة
وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة
تجرعى مرارة الدنيا لتعيم الأبد فأنزل الله تعالى عليه (ولسوف يعطيك ربك
فترضى) وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل كل كى يأكل العبد الحديث
وقال عليه الصلاة والسلام من جاءه ثلاثة من الولد ولم يسم منهم محمدا فقد
جفانى ومن سميتوه محمدا فلا تسبوه ولا تضربوه وأكرموه وكل بيت فيه محمد
مبارك وكل مشورة دخل فيها محمد عاقبتها خير وينادى يوم القيامة مناد من اسم
محمد فليقم وليدخلن الجنة كل ذلك كرامة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . وروى
الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم ان أحمى أتى إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أدع الله أن يكشف عن بصرى فقال أو
أدعك قال يا رسول الله إنه قد شق على ذهاب بصرى قال فانطلق فتوضأ وصل
ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأنوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني
أنوجه إلى ربى بك أن يكشف لى بصرى اللهم فشفعه فى وشفعنى فى نفسى
فرجع الأعمى وقد كشف عن بصره والحمد لله رب العالمين .

صفته الخلقية والخلقية صلى الله عليه وسلم

قال العلماء ما كانت صفته الخلقية يعنون كتابتها فى بيت إلا وأمنه الله من
السرق والحرق والفرق . ولا كانت مع أحد إلا وأمنه الله من جور السلاطين
وكيد الشياطين ولم يفارق منزله السرور .

أما صفته الخلقية فكان صلى الله عليه وسلم (أزهر اللون) أى ان بياضه
كبياض القمر (أدهج العينين أنجلهما) والمين الدهماء شديدة سواد الحدقة
والنجلاء الواسعة (أهدب الأشفار) أى طویل شعر الأجنان (أبلج الوجه)

حشرقه مضينه (أقنى الأنف) أى طويل الأنف وسط أنفه مرتفع (مدور الوجه مع طول أفلج الثنايا واسع الجبين كث اللحية) أى كثير شعرها (سواء البطن والصدر عظيم المنكبين ضخيم العظام عبل المضدين والذراعين والاسافل) والعبل هو الضخم (رحب الكفين والقدمين) والرحب الواسع (سائل الأطراف) أى طويل الأصابع (أنور المتجرد) أى بدنه إذا تجرد عن القميص بين مشرق (دقيق للسرية) وهو خيط الشعر الذى بين الصدر والسرّة . (ربعة ليس بانطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا كان النبي صلى الله عليه وسلم أطول منه رجل الشعر) والشعر الرجل هو المنكسر قليلاً كأنه مشط (لاسيط ولاجمد جداً إذا افتر ضاحكا افترعن مثل سنا البرق وإذا تكلم رثى كالنور يخرج من بين ثناياه . عنقه كأنه ابريق فضه أجمل الناس من بعيد وأحلامهم من قريب كان الشمس ترى في وجهه يتلألاً وجهه كالقمر ليلة كاله من رآه قبل أن يخالطه هابه ومن خالطه أحبه) .

ولما وصفته صلى الله عليه وسلم أم معبد الخزاعية لزوجها معبد حين مرّ بها مهاجراً هو وأبو بكر الصديق قالت لقد مر بنا رجل أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبته ثجلة ولم تزر به صقلة وسيم قسيم ، في عينيه دمع وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة أزج أقرن إن صمت فعملية الوقار وإن تكلم سما وعلاه اليهاء أجمل الناس وأبهام من بعيد وأحسنهم وأحلام من قريب حلو المنطق فصل لا تزر ولا هذر كأن منطقهم خرزات نظم يتحدثون . ربعة لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر غضن بين غضين فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند . نقله الطبرى .

ثم قال والأبلج المشرق الوجه والثجلة عظام البطن والصقلة صغر الرأس

والوسيم الحسن وكذلك القسم والدعج السواد في العين . والوظف كثرة
اشفار الحاجبين والعينين والصحل البحة والسطع الطول والأزج الدقيق طرف
الحاجبين والآقن مقرون الحاجبين والنزر القليل والذر انكثير من الكلام
وتفتحته تحتقره والحفود الخدوم والحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة
والعابس من عبوس الوجه والفند الذي يكثر اللوم .

أما أخلاقه الشريفة فنذكر طرفاً منها على سبيل الاختصار وإلا فمن ذا بعد
الرمال أو ينزف البحار قال الله تعالى لنبيه الكريم (وإنك لعلی خلق عظیم)
وقال تعالى (قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا
منكم) الآية وقال تعالى (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال تعالى (فبما رحمة من الله
لنت لهم) الآية وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين سألت جبريل عن معناها فقال إن الله يأمرك أن تصل
من قطعك وتعطى من حرمك وتغفو عن ظلمك وتحسن إلى من أسأ إليك
فهذه أخلاق الأنبياء ومن اقتدى بهم من الأولياء ، ولما كسرت رباعيته
وأدمى وجهه يوم أحد قيل له لودعوت عليهم فقال اللهم أهد قومي فإنهم
لا يعلمون وقيل له ألا تدعو على قريش فقد آذوك كثيراً فقال ما بعثت لعانا وإنما
بعثت رحمة .

وقال عليه الصلاة والسلام إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة
أحسنكم أخلاقاً . والخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد يعني
الناج . قلت ومعنى الخلق الحسن كما ذكره العلماء . بذل الندى وكف الأذى
وطلاقة الوجه ، ومنه السخاء والابتنار والحلم والعفو والاحسان والتواضع والرفق
والرحمة والعفاف والحياء والتأني والنصيحة والآفة رخفة المؤنة ونحو ذلك من
أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأجودهم وأكثرهم
حياء ، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها . وكان أوسع الناس صدراً
وأصدقهم لمجة وألينهم عريكة وأكثرهم عشرة ، كان دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فاش ولا عياب ولا مداح
يحب من دعاه ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويأكلها ويكافئ عليها ويفض
لربه ولا يفض لنفسه ، يمازح أصحابه ويخالطهم ويحثك أطفالهم ويضمهم في
حجره ويداعبهم ، ويحب دعوة العبد والأمة والمساكين ، ويعود المرضى ولو في
أقصى المدينة ماشياً ولو من وجع العين . ويعود الأعراب والصبيان ، ويقبل
عذر المعتذر ويكثر مشاورة أصحابه . وقال لوفد عبد القيس : مرحباً بالقوم ،
وقال لعمار : مرحباً بالطيب ، وقال لفاطمة : مرحباً باليتيم . وكان إذا دخلت
قام إليها وقبلها وأجلسها مجلسه . وقال لما بلغه أنها فهمت بعض إشارته فداها
أبوها وأمها ، وارتحل أحد أولادها وهو ساجد يصلي بالناس فطول سجوده
لأجل ذلك ، وكان يكرم كريم كل قوم ويقول : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا
فإن الرجل إذا أكرم أخاه فإنما يكرم ربه . وأنزلوا الناس منازلهم .
وكان يحدث الناس ويحترز منهم . ولا يطوى عن أحد بشره ولا خلقه .
وكان يؤلفهم ولا ينفهم . وقال : يسروا ولا تيسروا وبشروا ولا تنفروا .
ويتفق أصحابه .

وكان يسأل الناس عما في الناس ويعطى كل جلسائه نصيبه من وجهه
ولا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه . ومن جاءه حاجة صابره حتى
يكون هو المتصرف عنه . قد وسع الناس خلقه وبسطه .

وكان لم أباً ، وصاروا عنده في الخلق سواء وما أخذ أحد بيده فيرساها
حتى يكون الذي أخذ يرساها . ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة
ويكرم من دخل عليه . وربما بسط ثوبه لمن أيس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه .

وربما إذا رأى الرجل من أصحابه مغموماً يداعبه ويسره . وكانوا يتناشدون الشعر ويذكرون أمر الجاهلية وهو عندهم ساكت .

وكان يضعك مما يضحكون ويتمجب مما يتمجبون ، وكان يمشى في السوق مرة بعد أخرى يأمر فيه وينهى .

وكان إذا جلس إليه أحد وهو يصلى خفف صلاته ويسأله حاجته ثم يعود إلى صلاته . وكان أكثر الناس تبسماً ، وكان يجالس الفقراء والمساكين ، ويأكل ما سقط من المائدة . وقال لفلان المفيرة : ادع لنا واستغفر لنا . وقال لصبر لا تنسانا يا أخى من صالح دعواتك .

وكان له عبيد لا يرتفع عليهم في مطعم ولا ملبس ، وكان يجلس بالأرض ويأكل كل عليها . وقال إنا أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . وكان أشجع الناس كان أصحابه إذا أشد الحرب يحتمون به ، وكان أشد الناس خوفاً من ربه عز وجل وحياه منه تعالى ، ولم يقل مه قط ولا لم فعلت . ولا هلاً فعلت . وكان إذا ذكروا الدنيا أو الطعام أو الآخرة ذكر ذلك معهم . وكان يركب الحمار أحياناً ويمشى حافياً وبلا رداء وبلا قلنسوة وبلا عمامة أحياناً . وكان أبعد الناس غضباً وأقربهم رضا يعطى الواحد المطاء الكثير عطاء من لا يخشى الفقر ، وكان أكثرهم عبادة يصوم حتى يقال لا يفطر ويقوم حتى يقال لا ينام ، وكان طويل الصمت دائم الفكرة متواصل الأحزان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الثاني

في ذكر شئ من فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

ومقصودنا في هذا الفصل التبرك بذكر السير من الفضائل الصلاة على البشير والذير والحث والتذكير على اغتنام خيرها العميم وثوابها العظيم

كما جاء في الذكر الحكيم والأحاديث والأخبار وصحيح الآثار فنقول :

أما الآيات فقد قال تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ، وقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) ، فيا لها من عمل بدأ فيه الإله بنفسه وثنى بالملائكة المسبحة بقده وثلث بالؤمنين من عباده فأمرهم بها وجزاهم عليها أن يصلى عليهم وينيلهم عليها من عظيم كراماته .

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة لازمة لا تصح صلاة إلا بها . وقد قرن ذكره ، بذكره فلا يذكر الله تعالى إلا ذكر نبيه وذلك معنى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وقد أوجب الله أن يصلى على نبيه كلما ذكر وفي تركها غاية التفريط .

وقد نقل الشرحي في فوائده عن القاضي مجد الدين الشيرازي في كتاب الصلاة والبشرى أن رجلا شكى إلى بعض العلماء قلة النوم فقال له إذا أردت أن تنام فاقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

وأما الأخبار . والآثار عن الأخيار فقد ذكر الإمام الثعلبي في تفسيره أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي ، قال عليه السلام : هذا من العلم المسكنون . فلو لا أنكم سألتوني ما أخبرتكم إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال الملكان : غفر الله لك ، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذيнок الملكين آمين ، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال تعالى وملائكته جوابا لذيнок الملكين آمين .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة إلا بظهور وبالصلاة على » رواه البيهقي والدارقطني ونقله أبو اسحاق .

الشيرازى فى المهدى ، ثم قال : والأفضل أن يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد لما روى كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عليه : من ذكرت عنده فأخطأ الصلاة على أخطأ طريق الجنة .

وجاء فى الأخبار أن الصلاة التي لا يصلى فيها على آل نسمى الصلاة البتراء .

وأخرج البيهقي فى الخلاصة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من لم يصلى صلاة لا تجزىء صلاته

قال البيهقي : فهذا هو المسألة بوجوب الصلاة على الإمامين عند الإمامية على النبي صلى الله عليه وسلم الأخير وقبله ظاهر ما فى كتب عن إسحاق بن عمار عندهم من سنن الإمامة وهو وقد جاء عن أبي مسلم الله صلى الله عليه وسلم منه . أخرجه القسطنطيني قال : لو صليت صلاة لم أصح

لأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يصلى فيها على أهل بيتي لم تقبل . وهو عندهما أيضا موقوف على أبي مسمود بها على آل محمد ما رأيت أن صلاتي تم » ذكره

في كتاب جواهر العقدين « ثم قال :

ويشهد له ما في قول الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي المظفر يوسف الزرندی
المدني في أوائل كتابه معراج الوصول إلى مفرقة فضل الرسول صلى الله عليه
وسلم مالفظه وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في هذا المعنى مشيراً إلى
وصفهم ومنبهاً على ما خصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم .

يا أهل بيت رسول الله حبيكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لاصلاة له

وقال في كتابه (نظم درر السمطين) إنه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
إذا هالك أمر فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك بحق
محمد وآل محمد أن تكفيني ما أخاف وأحذر فإنك تكفي ذلك الأمر .

* * *

ونقل السيد السهودي عن التاج اللخمي الاسكندري في كتابه الفجر
المنير عن الشيخ الصالح مومني الضرير أنه أخبره أنه ركب مرة مركباً في البحر
المالح قال وقامت علينا ريح شديدة قل من ينجو منها من الفرق وضج الناس
خوفاً من الفرق قال فملبتني عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقول قل لأهل المركب يقولون ألف مرة اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأحوال والآفات وتقضى لنا بها جميع
الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا
بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد المات . قال فاستيقظت فأعلمت
أهل المركب بالرؤيا فضلينا بهذه الصيفة كما في الرؤيا ففرج الله عنا . هذا لفظه أو
قريب منه قال وقد نقل هذه القصة عن التاج اللخمي الحافظ أبو عبد الله الزرندی .
ثم قال الشيخ الصالح الفقيه حسن بن علي الأسواني أخبرني بها وقال من

قالها في كل مهم ونازلة ألف مرة فرج الله عنه وأدرك مأموله انتهى .

* * *

وقال عليه الصلاة والسلام أبجل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على .
وأولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة . ومن طلب شفاعتي فليكثر
الصلاة على . ومن صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفع له عشر
درجات ومحا عنه عشر خطيئات . قال بعض المحققين لو صلى الله على العبد في
طول عمره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفا وكرامة فكيف بمشتر صلوات على كل
صلاة يصليها العبد المسلم على نبيه اهـ .

فالحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه
النفخة وفيه الصمعة فأكثرُوا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على
قالوا وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرمت أي بليت فقال إن الله تعالى حرم
على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء أخرجه أبو داود والنسائي .

وفي رواية من صلى على واحدة صلى الله وملائكته عليه سبعين صلاة ومن
صلى على من أمتى واحدة حط الله بها عنه خطاياه ولو كان بعدد الرمل ومن
تسر عليه أمر من الأمور فليكثر الصلاة على ومن صلى على في اليوم مائة مرة
قضى الله له مائة حاجة ثلاثين لذيئاه وسبعين لآخرته ولا يصعد الدعاء للداعي
حتى يصل على .

ودكر صاحب كتاب شرف البصطفى عن مقاتل بن ساجان قال إن الله تعالى
ملكاً تحت العرش على رأسه ذؤابة قد أحاط بالعرش مامن شعرة على رأسه إلا
مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا صلى العبد على النبي صلى الله عليه
وسلم لم تبق شعرة من شعره إلا استغفرت لمصاحبها يعني قائمها :

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال آمين ثم رقى الدرجة الثانية فقال آمين ثم رقى الدرجة الثالثة فقال آمين قالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات . قال لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل عليه السلام فقال شقي عبد أدرك رمضان ولم يغفر له فقلت آمين ثم قال شقي عبد أدرك والديه الكبير أو أحدهما فلم يدخله الجنة فقلت آمين ثم قال شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين هذا حديث حسن أخرجه الطبري في تهذيبه .

وقال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة . وفي رواية إلا فكأنما تفرقوا عن جيفة .

* * *

وقال عليه السلام لاتصلوا على الصلاة البتراء تقولوا اللهم صل على محمد ثم تمسكوا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وقال عليه السلام من قال في يوم الجمعة اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وسلم ثمانين مرة ويمتد أصبماً بكل مرة إلا غفرت له ذنوب ثمانين سنة وفضلها لا يحصى تعداده ..

وقال عليه الصلاة والسلام من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي .

وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام أسمى في ذلك الكتاب .

وقال عليه السلام إن في الأرض ملائكة سياحين يباغنونني السلام .

وقال ليس أحد يسلم على إلا ردَّ الله روحه حتى أُرَدَّ عليه السلام ، وقيل (١٣ - القرطاس)

يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وروى عن أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يارسول الله بم جزى الإمام الشافعى عنك حيث يقول في كتابه صلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . فقال جزى عنى أنه لا يوقف للحساب ذكر ذلك فى الاحياء عند ذكر فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى الإمام أحمد والنسائى واللفظه وابن حبان فى صحيحه والحاكم أنه عليه الصلاة والسلام قال من ذكرت عنده فليصل على ومن صلى على مرة صلى الله عليه عشرأ . وفى رواية عشر صلوات وجط عنه بها عشر سيئات ورفع له عشر درجات . وروى عائشة رضى الله عنها أنها كانت تحيط شيئاً فى السحر فضلت الإبرة وطفىء السراج فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه صلى الله عليه وسلم فوجدت الإبرة فقالت ما أضوأ وجهك يارسول الله قال ويل لمن لا يرانى يوم القيامة قالت ومن لا يراك قال البخيل . قالت ومن البخيل قال الذى لا يصلى على إذا سمع باسمى .

وقال صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده ولم يصل على أبعد الله رواه ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وروى الطبرانى مرفوعاً قال صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرأ . ومن صلى على عشرأ صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة كتب بين يديه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرًا قال القاضي عياض معناه رحمته وتضعيف أجره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشریفًا له بين الملائكة كما في الحديث وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم والله أعلم .

وقال صلى الله عليه وسلم « حينما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغني رواه الطبراني . وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم جمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » رواه أبو حفص بن شاهين .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة » رواه البيهقي مرفوعاً بإسناد حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتبع سبعين كاتباً ألف صباح » رواه الطبراني قال الإمام الشعراني وهي من أورادي فأقولها ألف مرة صباحاً وألف مرة مساء كل يوم والحمد لله .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد صلت للملائكة عليّ وعلى عليّ لأننا كنا نصلي ليس معنا أحد يصلي غيرنا نقله المحب الطبري في كتاب الرياض النضرة في فضائل المشرة في باب مناقب الإمام علي بن أبي طالب عن أبي الحسن الخليلي .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال « من صلى على في كل يوم جمعة أربعين مرة محبا لله عنه ذنوب أربعين سنة » الحديث .

وروى الترمذي والإمام أحمد والحاكم أبو عبد الله وصححه وقال الترمذي حديث حسن صحيح . عن كعب بن عجرة قال قلت يا رسول الله إني أكثر

الصلاة عليك فكم أجمل لك من صلاتي . قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك . قلت النصف . قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت أجمل لك صلاتي كلها قال إذا تكفي همك ويفغر ذنبك . وفي رواية إذا يكفيك الله هم دنياك وآخرتك . وقوله كم أجمل لك من صلاتي قال الحافظ المنذرى معناه كم أجمل لك من دعائي صلاة عليك . قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة فكم أجمل لك من صلاتي . قال أن تصلي على وتهدي ثواب ذلك إلى لا إلى نفسك .

وقال عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على . وقال صلى الله عليه وسلم إني لقيت جبريل فبشرني وقال ربك يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكراً .

* * *

وعن أبي يزيد أنه قال ما هابني السباع ولا انتلفت على القلوب إلا ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال ما زهدني في الدنيا ورغبني في الآخرة وصيرني إلى ما ترمين إلا كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إلهك حميد مجيد . وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي .

وقال عليه الصلاة والسلام ليس أحد يصلي على يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته .

* * *

وفي كتاب حياة الحيوان للدميري نقلا من كتاب الدعوات للطبراني عن
 زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 إذا كنا في مجمع طرق المدينة بصرنا بأعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
 فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال كيف أصبحت فجاء رجل كأنه
 حرسى فقال يا رسول الله هذا الأعرابي سرق بعيري هذا فرغا البعير ساعة فأنصت
 له النبي صلى الله عليه وسلم وسمع رغاءه فلما هدأ البعير أقبل النبي صلى الله عليه
 وسلم على الحرسى وقال انصرف عنه فإن البعير شهيد عليك أنك كاذب
 فانصرف الحرسى فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الأعرابي وقال أتى شيء قلت
 حين جئتني فقال بآبي أنت وأمي قلت اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة
 اللهم بارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم
 وأرحم محمدًا حتى لا تبقى رحمة . فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى
 أبداهما لي والبعير ينطق بمذره وأن الملائكة قد سدوا أفق السماء ، وفي رواية
 للطبراني عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا هذا ما قلت
 آنفاً فأخبره بما قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ذلك رأيت الملائكة
 يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال صلى الله عليه وسلم
 لتردنَّ على الصراط وجهك أضوء من القمر ليلة البدر اه .

لكن في حديث زيد أنه أخذ بخطام بعير وفي حديث ابن عمر أنها ناقة
 ولا تنافي بين ذلك فإن اسم البعير يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة
 الإنسان من الناس وإنما يقال له بعير إذ جذع .

وصف عمر بن الخطاب

لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سَمِعَ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي وَيَقُولُ يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ لَكَ جَذَعٌ تَحْتَطِبُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ اتَّخَذْتَ مِنْبِرًا لَتَسْمِعَهُمْ فَحَنَ الْجَذَعُ لِفِرَاقِكَ حَتَّى جَعَلَتْ يَدُكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ فَمَتَكَ كَانَتْ أُولَى بِالْحَنِينِ عَلَيْكَ لَمَّا فَارَقْتَهُمْ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْدُ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتُكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ تَعَالَى مِنْ يَطْعُ الرِّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْدُ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَخْبَرَكَ بِالْعَفْوِ عَنْكَ قَبْلَ أَنْ يَخْبَرَكَ بِالذَّنْبِ فَقَالَ تَعَالَى عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْدُ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ بَعَثَكَ فِي آخِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ الْآيَةَ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْدُ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَهْلَ النَّارِ يُوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يَمْذُبُونَ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَدْ أُعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى حِجْرًا يَفْجُرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ فَمَا ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ أَصَابِعِكَ حِينَ نَبَعَ مِنْهَا الْمَاءُ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أُعْطَاهُ اللَّهُ الرِّيحَ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ فَمَا ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ الْبَرَقِ حَتَّى سَرِيتَ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثُمَّ صَلَّيْتَ الصُّبْحَ مِنْ لَيْلَتِكَ بِالْأَبْطَاحِ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أُعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِحْيَاءَ الْمَوْتَى فَمَا ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنَ الثَّأَةِ الْمَسْمُومَةِ حِينَ كَلِمَتِكَ وَهِيَ مَشْوِيَةٌ فَقَالَتِ النَّارُ لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ ، يَا بَنِي أُنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقْدُ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا . وَلَوْ دَعَوْتُ عَائِنًا مِثْلَهَا

لهلكنا كلنا . ولقد وطئ ظهرك وأدى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت اللهم أغفر لقومي يا رسول الله لقد اتبعك في صغر سنك وقصر عمرك ما لم ينبع نوحا في كبر سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالسنا ولو لم تنكح إلا كفؤاً ما نكحت إلينا ولو لم تاكل إلا كفؤاً ما أكلتنا فلقد والله جالسنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعنك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا أسلم عليه فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال صلى الله عليه وسلم أما تم الصلاة على في كتابتك . فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلت .

وفي بعض الأخبار مكتوب على ساق العرش من اشتاق إلى رحمة ومن سألني أعطيته ومن تقرب إلى بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

وعن بعض الصحابة رضى الله عنه أنه قال ما من مجلس يصلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل شارح دلائل الخيرات عن الشيخ أبي جعفر قال روى عن بعض الصحابة أنه قال ما من موضع يذكر فيه النبي أو يصلى عليه فيه إلا نمت منه رائحة طيبة تخرق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش يجد رائحتها كل ما خلق الله في الأرض إلا الانس والجن فإنهم لو وجدوا رائحتها لاشتغل كل واحد

منهم بلذتها عن معاشه . ولا يجد تلك الراحة ملك ولا خاق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعد دهم كلهم حسنات ويرفع لهم بعد دهم درجات سواء كان في المجلس واحد أو مائة يأخذ من أجر هذا العدد .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصلي على صلاة تعظيماً لحق الإخاق الله تعالى من ذلك القول ملكاً له جناح بالشرق وجناح بالمغرب فيقول له صل على عبدى كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة .

وقال الإمام النووي في كتابه الأذكار رويناه في كتاب ابن السني عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على فقد شقي وإسناده ضعيف . اهـ .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمار بن ياسر إن الله تعالى أعطى ملكاً من الملائكة أسماع الخلائق وفي تمنع أسماء الخلائق وهو قائم على قبري إلى أن تقوم الساعة نيس أحد من أمتي يصلي على صلاة إلا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه صلى عليك كذا وختم الرب عز وجل أنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرأ وإن زاد زاده الله عز وجل .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة في حال الدنيا إنه قد قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً خص بذلك المؤمنين ليثيبهم عليه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم على صلاة في الدنيا من صلى على في يوم الجمعة أو ليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من

حوائج الدنيا ثم يوكل الله تعالى بذلك ملكاً يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني من صلى على باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أكثرُوا الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وما من أحد
يصل على إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد
الموت إن الله تعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء فنبي الله حتى يرزق .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون
يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* • *

وذكر الإمام حجة الإسلام في كتاب الاحياء عن عبد الواحد بن زيد أنه
قال خرجت حاجاً فصحبني رجل فكان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن
إلا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك:
خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما
أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه . قال فقممت
مذعوراً فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلني من
ذلك رعب فبينما أنا في ذلك الفم إذ غلبتني عيناي فنمت فإذا على رأس أبي
أربعة سودان معهم أعمدة من حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين
أخضرين قال لهم تنحوا ف مسح وجهه بيده ثم أتاني فقال لي قم فقد بيض الله
وجه أبيك فقلت له من أنت بأبي أنت وأمي قال أنا محمد قال فقممت فكشفت
الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم

يقول أكثروا الصلاة على نبيكم في الليلة الفراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة وزاد بعض الرواة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن صلاتكم تعرض على فادعواكم واستغفر الله تعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على من قريب سمعته ومن صلى على من بعيد أبلغته .

وعن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تعرضون على باسمائكم وسماتكم فاحسنوا الصلاة على .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرُونَ لعل ذلك يعرض عليه قال قالوا علمنا فقال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة (اللهم) ابعثه مقاماً محموداً يقبضه به الأولون والآخرون (اللهم) صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وعن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال عدّه في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدّه في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة (اللهم) صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحم على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) ونحن على محمد وعلى آل محمد كما تحنن على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

(اللهم) وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سمعت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كتب عنى علما وكتب معه الصلاة على لم يزل في أجر ما قرأ ذلك
الكتاب أو عمل بذلك العلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان
يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومهم محابر وحبرم خلف يفوح فيقول الله
عز وجل لهم أتم أصحاب الحديث طالما كنتم تصون على نبي صلى الله عليه وسلم
انطلقوا بهم إلى الجنة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على
فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرأ ثم سوا إلى الله الوسيلة فإنها
منزلة في الجنة لا تنبى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل
الله إلى الوسيلة حلت له شفاعتي .

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
حين ينادى النادى اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد
وارض عنى رضا لا سخط بعده استجاب الله عز وجل دعوته .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدر كتبه شفاعتي .

وعن عثمان بن أبي حرب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هم يأمر فشاور فيه وفقه الله لرشد أمره ومن أراد أن يحدث حديثا
ففسيه فليصل على فإن في صلاته على خلفا من حديثه وعسى أن يذكره .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من خاف على

نفسه النسيان فليكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن كعب رحمه الله تعالى أنه دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من يوم تطلع عليه الشمس إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يخفوا بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تدرك الرجل وولده وولده .

* * *

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال بينما أنا حاج إذ دخل شاب لا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقلت أبعلم تقول هذا قال نعم من أنت قلت سفیان الثوري قال سفیان العراقي قلت نعم قال هل عرفت الله تعالى قلت نعم قال كيف عرفته قلت بأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويصورنا نالدي في الرحم قال يا سفیان ما عرفت الله حق معرفته قلت كيف تعرفه قال عرفته بفسخ الهمة ونقض العزيمة هممت ففسخ همي وعزمت فنقض عزمي فعرفت أن لي رباً يديرني . قلت فما صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت حاجاً ومعى والدتي فسانتني أن أدخلها البيت فوقعت وتورم بطنها واسود وجهها ثم ماتت فجلست عندها وأنا حزين فرفعت يدي نحو السماء فقلت يا رب هكذا تفعل بمن دخل بيتك قال فإذا غمامة قد ارتفعت من قبل تهامة وإذا رجل عليه ثياب بيض فدخل البيت وأمر يده على وجهها فابيض وأمر يده على بطنها فسكن الورم ثم مضى ليخرج فتعلقت بشو به فقلت من أنت الذي فرجت عني فقال أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن الأكلشي قال جاء الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد فتأم إليه فماتته وقيل
بين عينيه فقلت له يا سيدي تفعل هذا بالشبلي وأنت وجميع أهل بغداد تقولون
إنه مجنون . قال فقلت كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أقبل الشبلي فقيام النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل بين عينيه فقلت يا رسول الله تفعل بالشبلي هذا قال نعم
هذا يقرأ بعد صلاته لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه الآية ويتبعها
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن الشبلي رحمه الله تعالى قال مات رجل من جيراني فزأبته في المنام
فقلت ما فعل الله بك . فقال يا شبلي مرت بي أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج
على عند السؤال فقلت في نفسي من أين أتى على ألم أمت على الإسلام فنوديت
هذه عقوبة إهمالك لسانك في الدنيا فلما هم بي المكان الموكلان حال بيني وبينهما
رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرني حتى فذكرتها فقلت من أنت
يرحمك الله قال أنا شخص خلقت بكثرة صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم
وأمرت أن أنصرك في كل كرب .

وعن محمد بن الحسين الصفار قال لما مات أبو العباس أحمد بن منصور
الحافظ جاء رجل إلى والدي فقال رأيت البارحة يعني في المنام أبا العباس أحمد
بن منصور وهو واقف في الخراب في جامع شيراز وعليه حلة وعلى رأسه تاج
مكمل بالجواهر فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني وأدخلني الجنة
فقلت بماذا قال بكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ورئي أبو حفص الكاغدي بعد وفاته في المنام وكان سيداً كبيراً فقيل له
ما فعل الله بك قال رحمني وغفر لي وأدخلني الجنة فقيل بماذا قال لما أوقفت بين
يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبي وحسبوا صلاتي على النبي صلى الله عليه وسلم

فوجدوها أكثر فقال لهم جلت قدرته حسبكم ملائكتي لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتي .

وعن ابن أسعد أبي مطرف وكان من الأخيار الصالحين قال كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عدداً معلوماً أصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فأننى في بعض الليالي قد أكملت العدد فأخذتنى عيني وكنت ساكناً في غرفة فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل على من باب الغرفة فأضاءت الغرفة نوراً ثم نهض نحوى وقبلنى في خدى لصلى كثيراً عليه فانتبهت من فوري ونهت صاحبتى إلى جنبى فإذا البيت ينفوح مسكاً من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك من قبلته صلى الله عليه وسلم في خدى نحو ثمانية أيام تجد زوجتى كل يوم الرائحة في خدى .

وعن وكيع بن الجراح قال لولا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل حديث ما حدثت .

* * *

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ان لآدم عليه السلام من الله تعالى موقفاً في فسيح العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق من ولده إلى الجنة وينظر إلى من ينطلق من ولده إلى النار قال بينما آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينطلق به إلى النار فينادى آدم يا أحمد يا أحمد فيقول نبيك يا أبا البشر فيقول هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار فأشد المزور وأهرع في أثر الملائكة فاقول يا رسول ربى قفوا فيقولون نحن الغلاظ الشداد الذين لا نمعنى الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر فإذا أيس النبي صلى الله عليه وسلم قبص على لحيته بيده اليسرى واستقبل العرش بوجهه فيقول رب أليس وعدتني أن لا تحزبنى في أمتى فيأتى النداء من عند العرش أطيعوا محمداً وردوا هذا العبد إلى المقام فأخرج من حجرى بطاقة بيضاء كالأنملة

والقيها في كفة الميزان وأنا أقول بسم الله فترجح الحسنات على السيئات فينادى
سمد وسعد جده وثقلت موازينه انطلقوا به إلى الجنة فيقول العبد يا رسول ربى
فتقوا حتى أكلتم هذا العبد الكريم على ربه فيقول بأبى أنت وأمى ما أحسن
وجهك وأحسن خلقك فمن أنت فقد أقلتني عثرني ورحمت عبرتي فيقول أنا
نبيك محمد اللهم صل عليه وسلم وهذا صلاتك التي كنت تصلى على فقد وافتك
أحوج ما تكون إليها .

وعن علي بن أبي طالب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال : الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم أحق للذنوب من الماء للتار والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل
من ضرب السيف في سبيل الله .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلمين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم
إلا لم يبرحا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج
حجة الإسلام وغزا بعدها غزوة كتبت غزاته بأربعائة حجة . قال فانكسرت
قلوب قوم لا يقدرّون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله عز وجل إليه ما صلى
عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعائة غزوة وكل غزوة بأربعائة حجة .

وعن أبي كاهل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
واعلم يا أبا كاهل أنه من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث
مرات حبّالي وشوقاً إلى ، كان حقاً على الله أن يفرّ ذنوبه تلك الليلة
وذلك اليوم .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : قال جبريل يا محمد إن الله تعالى يقول من صلى عليك عشر مرات

استوجب الأمان من سخطه .

وروى القاضى مجد الدين الشيرازى بسنده المتصل إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن الرفيع صاحب اللوح المحفوظ عن الله تعالى أنه أظهر في اللوح المحفوظ أن يخبر الرفيع اسرافيل وأن يخبر اسرافيل ميكائيل وأن يخبر ميكائيل جبرائيل وأن يخبر جبرائيل محمداً صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليك في اليوم والليلة مائة مرة صليت عاياه ألف صلاة ويقضى الله له ألف حاجة أبسرها أن يعتقه من النار .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معالقه وملاً قدحه ماء فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو أن يشرب وإلا أهرقه فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره .

وعن عبد الله بن مسعود قال : كنت أصلى والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : سل تعطه .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما عبد كسب مالا من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله تعالى فإنه زكاة له . وأيما رجل لم تكن عنده صدقة فليقل اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها كفارة له .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء كله محجوب حتى يكون في أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو فيستجاب لدعائه

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد ، فإن فُعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء فإن لم يُفعل رجع ذلك الدعاء .

وفي الاحياء قال : قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله حاجته ثم يحتم بالصلاة عليه فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما . وروى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سألت الله حاجة فابدؤا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي رحمه الله .

* * *

صلوات لها فضائل كثيرة

وهذه صلوات مخصوصات وردت فيها فضائل كثيرة ذكر أبو طالب المكي أنها من أفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة اداء وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وأجزه عفا ما هو أهله وأجزه أفضل ما جزيت نبياً عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين » يقول هذا سبعين مرة ففيه فضل عظيم .

ويقال : من قاله سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له الجنة وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو الحسن البكري وأبو عمار بن زيد اللبدي ومحمد بن إسحاق المطالي قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذا برجل مثلهم

خاسفر عن ثامه وأفصح في كلامه ، وقال : السلام عليكم يا أهل العز الشامخ
والكرم الباذخ . فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بكر رضي الله
عنه فظفر أبو بكر الاعرابي ، فقال لرسول الله أجلسه بيني وبينك ولا أعلم على
الأرض أحب مني إليك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر إن هذا
الاعرابي أخبرني جبريل عنه أنه يصلي على صلاة لم يصلها أحد قبله ، قلت
يا رسول الله كيف يصلها عليك حتى أصلي عليك مثله ؟

(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول (اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد في الأولين والآخرين وفي الملائ الأعلی إلى يوم الدين) . فقلت لرسول
الله ما ثواب هذه الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر لقد سألتني عن
شيء لا أقدر أحصيه فتو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً والملائكة كتاباً
لئنني المداد وتكسرت الأقلام ولم تبلغ الملائكة ثواب هذه الصلاة رواه أبو الفرج
في كتابه للطرب حديث صحيح غير منكر انتهى .

وذكر بعضهم أنه روى عن بعض علماء السلف أن من صلى على النبي صلى
الله عليه وسلم بهذه الصلاة ثلاث مرات حين يصبح وثلاث مرات حين يمسي
هدمت ذنوبه وأديم سروره ومحبت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط في رزقه
واعطى أملاً وأعین على عدوه وكتب عند الله صديقاً ولا يموت إلا شهيداً ،
وهي هذه الصلاة :

(٣) اللهم صل على سيدنا محمد في الأولين وصل على سيدنا محمد في الآخرين
وصل على سيدنا محمد في الملائ الأعلی إلى يوم الدين ، اللهم اعط محمدًا الوسيلة
والفضيلة والدرجة الكبرى ، اللهم إني آمنت بمحمد ولم أره فلا تحرمني في
الجنة رؤيته ، وارزقني صحبتته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرة واسقنا من
حوضه مشرباً رويًا سائفاً هنيئاً لا نظماً بعده أبداً إنك على كل شيء قدير ،
اللهم أبلغ روح محمد مني تحية وسلاماً ، اللهم كما آمنت به ولم أره فلا تحرمني
في الجنة رؤيته .

وروى أن السلطان محمود الغزنوي كان في أول عمره وأمره يقعد بعد صلاة الفجر يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي ثلاثمائة ألف صلاة حتى يرتفع النهار ويقعد الناس على بابه ينتظرون خروجه ويشق عليهم الانتظار لقضاء الحاجات وفصل الحصومات ونظام مصالح العباد فلما كثر ذلك منه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له ما هذا التطويل الذي تطوله على الناس حتى يضجر الضعفاء وذوو الحاجات من القعود على بابك والانتظار فقال إنما أقعد لأني أصلي عليك صلاة معلومة ولا أقوم حتى أفرغ منها فقال إن هذ يشق على الضعفاء وأولى الحاجات ولكن أعلمك صلاة مختصرة كل واحدة منها بمائة ألف تقرأها ثلاث مرات فتلك ثلاثمائة ألف ثم تخرج لمصالح المسلمين فيحصل أجر تلك الصلوات وأجر نفع المسلمين والمساعدة في قضاء حوائجهم فتعلمها وواظب عليها مدة ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له ماذا فعلت حتى أتعبت ثلاثمائة ألف كتابه ثوابك قال ما فعلت شيئاً إلا الصلاة التي علمت إياها وهي هذه .

(اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد رحمة الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد خلق الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد ما في علم الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد كلمات الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد حروف كلام الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد قطار الأمطار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد ورق الأشجار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد رمل القفار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد الحبوب والثمار

ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد من صلى عليه (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد من لم يصل عليه (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد أنفاس الخلائق (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد نجوم السموات (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد كل شيء في الدنيا والآخرة وصلوات الله تعالى وملائكته وأتبيائه ورسله وجميع خلقه على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الفرح المحجَّين وشقيق المذنبين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته والأئمة الماضين والمشايع المتقدمين والشهداء والصالحين وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين برحمتك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين .

خاتمة

قال الإمام الشعراني في (مشارق الأنوار من المهود) أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ليلاً ونهاراً ونذكر لاخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ونرغبهم فيه كل الترغيب اظهراً لمحبته صلى الله عليه وسلم وأن يجعلوا لهم ورداً كل يوم وليلة صباحاً ومساءً من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة . لأن ذلك من أفضل الأعمال وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول صلاة الله تعالى على عبده لا يدخلها العدد لأنه ليس لصلاة الله تعالى ابتداء ولا انتهاء وإنما دخلها العدد من حيث رتبة العبد المصلي لأنه محصور مقيد بالزمان فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شأكلة العبد وأخبر أنه تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشرأ فافهم ، ويؤيد ما قلناه كون العبد يسأل الله تعالى أن يصلي على نبيه دون أن يقول هو اللهم إني صليت على محمد مثلاً لأن العبد إذا كان ينهل رتبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فرتبة الحق تعالى أولى فعمل أن تعداد الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من حيث سؤالنا نحن الله أن يصلى عليه فيجيب سؤالنا مرة .

ويحتاج المصلى على النبي صلى الله عليه وسلم إلى طهارة وحضور مع الله لأنها مناجاة لله كالصلاة ذات الركوع والسجود غير أنها لم تكن الطهارة لها شرطاً من حيث صحتها شرعاً لأن صاحبها جالس بين يدي الله عز وجل في محل القرب يسأل الله أن يصلى على نبيه وإن كان الفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم أصالة فإنه هو الذي سن للمصلى أن يصلى عليه ليحصل له أعنى المصلى الصلاة من الله تعالى فمن واطب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم ، وهو من أولى ما يتقرب به إليه صلى الله عليه وسلم : وما في الوجود من جعل الله له الحل والربط دنيا وأخرى مثله صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفا دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما يرى ذلك فيمن كان مقرباً عند ملوك الدنيا ، ومن خدم السيد خدمته العبيد قال وكانت هذه طريقة شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ نور الدين الثوري (نسبة إلى بلد أسماها شونة قريباً من بلدة سيدي أحمد البدوي رضى الله عنه) وكذلك كانت طريقة الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الزواوي اندفون بدمنهوور من أعمال البحيرة وكان ورد الشيخ نور الدين كل يوم عشرة آلاف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان ورد الشيخ أحمد أربعين ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً .

قال وقال لي مرة طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصير بحالنا يقظة ونصحه مثل الصحابة ، ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها ، وما لم يقع لنا ذلك فاسئنا من الكثيرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

قال وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لا يحق لأحد قدم
الولاية الحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالخضرو والياس عليهما
السلام ، قال وقد درج الصادقون كلهم على ذلك ولا يقدح فيه إنكار بعض
المحجوبين .

ثم قال الشيخ الشمراني وقد أخبرني الشيخ عطية الانباسي والشيخ صالح
قاسم المغربي للقيم بترية الإمام الشافعي أنهما سمعا الشيخ جلال الدين السيوطي
رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة بضعا وسبعين
مرة وقلت له في مرة هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله فقال نعم فقلت من غير
عذاب يسبق فقال لك ذلك ، قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين
مرة في أن يجتمع بالسلطان الفوري في ضرورة وقعت لي فقال يا عطية أنا أجمع
بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخشى إن اجتمعت بالفوري أن يحتجب صلى الله
عليه وسلم عني ثم قال إن فلانا الصحابي كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى في
جسده لضروة فلم ير الملائكة بعد ذلك سنة عقوبة له على اكتوائه اهـ .

ثم قال الشيخ الشمراني ولكن بين الفقير وبين الأخذ عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسماع صوته بالرد عليه من قبره صلى الله عليه وسلم مائة ألف مقام
وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما ألف إلا واحد فن ادعى
هذا المقام طالبناه بان يتكلم معنا على هذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها
كلها كذبناه .

قال وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس الرسي رحمه الله يقول لأصحابه أفیکم
من إذا أراد الله تعالى أن يظهر أمرا في الوجود أطلعه عليه قبل أن يظهره فيقولون
لا فيقول أفیکم من إذا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته بسمع
رده عليه ياذنه ؟ فيقولون لا فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله ورسوله ،

ثم يقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة في ساعة من ليل أو نهار لما عددت نفسى من جملة الفقراء اهـ .

(قلت) وقد قدمنا أوائل كتابنا هذا أن سيدنا الوالد عمر بن عبد الرحمن العتاس نفع الله به لما سمع كلام الشيخ أبى العباس المرسى هذا . قال وأنا أقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة لما عددت نفسى من المسلمين كيف يحتجب عنا وهو صلى الله عليه وسلم عين وجودنا اهـ .

* * *

﴿ نسكتة ﴾ نقل الشيخ الشعرانى فى كتابه (اليواقيت والجواهر) . من كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيى الدين بن عربى أنه قال حَرَّمَ بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوداً لهم فإذا شكوا فى صحة حديث وحكم رجعوا إليه فى ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد الأئمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ .

ثم قال الشيخ الشعرانى واعلم أن طريقة الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق فمن لم يخدم النبي صلى الله عليه وسلم انخدعة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير الوسطة المخصوصة به ، فعليك يا أخى بالاكتثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كنت سالماً من الخطايا .

قال وقد كان فى زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوى من هو أكثر علماء وعلماء منه ولكن لم يكن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يكثر الشيخ فلم ينهض بهم علمهم وعملهم إلى التقرب الذى كان فيه الشيخ

وكانت حوائجه مقضية وطريقه ماشية وسائر العلماء يحبونه . والله ليس مقصود كل صادق من جميع القاصدين والمقبلين على ذكر الله إلا المحبة في الله وما جمعهم على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا المحبة فيه فافهم ، قال وقد قدمنا أوائل اليهود أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح لمجالسته صلى الله عليه وسلم وأن من كان له سريرة سيئة يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة لا تصح له محبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان على عبادة الثقلين كما لم تنفع محبة المنافقين ومثل ذلك تلاوة الكفار للقرآن لا تنفعهم ولا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه .

فوائد الصلاة والتسليم عليه

صلى الله عليه وسلم

ثم قال في آخر العهد وقد حبيب إلى أن اذكر لك يا أخي من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفاً لك لعلى الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصير شفاعك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وإهداء ثواب كل عمل عملته في صحيفته صلى الله عليه وسلم كما أشار إلى ذلك خبر كعب بن عجرة السابق .

(من الفوائد) أو من أهمها صلاة الله وملائكته وسلامه ورسوله على من صلى وسلم عليه : (ومنها) تكفير الخطايا وتركيب الأعمال ورفع الدرجات : (ومنها) مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه لقائلها : (ومنها) كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد والكيل بالنكيات الأوفى : (ومنها) كفاية الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها له كما تقدم : (ومنها) النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بها يوم القيامة ووجوب الشفاعة : (ومنها) رضا الله ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش :

(ومنها) رجحان الميزان في الآخرة وورود الخوض والأمان من العطش :
 (ومنها) العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد
 المقرب من الجنة قبل الموت : (ومنها) كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم :
 (ومنها) رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها : (ومنها) زكاة
 وطهارة ونمو المال ببركتها : (ومنها) أنها علامة على أن صاحبها من أهل
 السنة : (ومنها) أن الملائكة تصلي على صاحبها ما دام يصلي على النبي صلى الله
 عليه وسلم : (ومنها) أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر : (ومنها)
 أنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى (ومنها) أنها تزين المجالس وتنقي
 الفقر وضيق العيش (ومنها) أنها تلمس بها مظان الخير : (ومنها) أن فاعلها
 أولى الناس به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة : (ومنها) أنه ينتفع هو وولده
 وولد ولده بها وثوابها وكذلك من أهديت إليه في صحيفته : (ومنها) أنها
 تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومنها) أنها
 نور نصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط : (ومنها) أنها تنصر على
 الأعداء وتظهر القلب من النفاق والصدأ : (ومنها) أنها توجب محبة المؤمنين
 فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق : (ومنها) رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
 في المنام وإن أكثر منها رآه في اليقظة : (ومنها) أنها تقلل من اغتياب صاحبها ،
 وهي من أبرك الأعمال وأفضلها نفعا في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأمور
 التي لا تحصى .

ثم قال رضى الله عنه وقد رغبتك بذكر بعض ثوابها فواظب يا أخى عليها
 فإنها من أفضل ذخائر الأعمال وقد أمرنى أبو العباس الخضر عليه السلام .
 وقال لازم عليها بعد صلاة الصبح كل يوم إلى طلوع الشمس ثم اذكر الله
 عقبها مجلساً لطيفاً فقلت سمعاً وطاعة وحصل لى ولأصحابى بذلك خير الدنيا
 والآخرة وتيسير الرزق بحيث لو كان أهل مصر كلهم عائلتي ما حملت هما والمحدثه
 رب العالمين انتهى .

وقال صاحب كتاب أنس المنقطين حكى عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله أنه قال كان لنا خادم يخدم السلطان وهو موصوف بالفساد والنفقة عن الله تعالى فرأيت ليلة في منامى ويده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن هذا العبد عبد سوء من المعرضين عن الله تعالى فكيف وضعت يدك في يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرفت ذلك وها أنا أَمْضِي لِأَتَشْفَعُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ بَلَغْتَ ذَلِكَ مِنْكَ فَقَالَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى إِيَّاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ يَصَلِّي عَلَى أَلْفِ مَرَّةٍ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ شَفَاعَتِي . قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَنَا بِذَلِكَ الرَّجُلِ وَقَدْ دَخَلَ السُّجْدَ بِاسْمًا وَكُنْتُ فِي ذِكْرٍ مَا رَأَيْتُهُ لَهُ أَقْصَى عَلَى أَصْحَابِي فَلَمَّا دَخَلَ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ قَالَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ مَدَّ يَدُكَ ، فَقَدْ أُرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتُوبَ عَلَى يَدَيْكَ وَذَكَرَ لِي مَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اللَّيْلَةَ فِي شَأْنِي . فَلَمَّا تَابَ سَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ أَيْ رُؤْيَاهُ فَقَالَ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ يَدَيَّ وَقَالَ قُمْ لِأَشْفَعُ لَكَ إِلَى رَبِّي لِأَجْلِ صَلَاتِكَ عَلَيَّ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَشَفَعَنِي لِي . وَقَالَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتِ عَبْدَ الْوَاحِدِ فَتُبْ عَلَى يَدَيْهِ أَنْتَهُ .

الفصل الثالث

في معنى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال بعض العلماء : الصلاة في أصل اللغة الدعاء ، قال الله (وصلّ عليهم) أى ادع لهم وفي الاصطلاح من الله رحمة مقرونة بالتعظيم . ومن الملائكة استغفار . ومن آدميين تضرع ودعاء ومن الطير والهواء تسبيح . نقل ذلك عن الأزهري واشتقت من صليت العود بالتشديد إذا لينته وقومته لأنها تاتين قلب المصلّي وتقومه . وقيل من الصلّوين وهما عرقان يكتنفان الظهر أو عظامان ينحنیان في الركوع والسجود .

وقال بعض العلماء : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي البركة والرحمة . قال . وقال الخليلي أما الصلاة في اللسان فهي التعظيم وقيل للصلاة الممهودة صلاة لما فيها من خشي الصلاة وهو وسط الظهر لأن انحناء الصغير للكبير إذا رآه تعظيم منه له في العادات ، ولأن في عامة ما في الصلاة من قيام وقعود وغيرها تعظيما للدعوى بالرغبة إليه والتناوش له وتعظيما للدعوى له بابتغاء ما ينبتى له من فضل الله تعالى وجميل نظره .

وقيل : الصلوات لله أي الأذكار التي يراد بها تعظيم المذكور والاعتراف له بجلالة القدر وعلو الرتبة كلها مستحقة لله لا تليق بأحد سواه ، فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإيما تريد به اللهم عظم محمداً في الدنيا باعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته . وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزاء أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقدمه على كافة المقرين بالشهود .

وهذه الأمور وإن كان الله قد أوجبها للنبي صلى الله عليه وسلم فإن كل شيء منها ذو درجات ومراتب فقد يجوز إذا صلى عليه واحد من أمته فاستجيب دعاؤه فيه أن يزاد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء في كل شيء رتبة ودرجة ولهذا كانت الصلاة عليه مما يقصد بها قضاء حقه ويتقرب بها كثارها من الله جل ثناؤه ، ويدل على أن قولنا اللهم صل على محمد صلاة منا عليه أنا لامتلاك إيصال ما يعظم به أمره ويعلم به قدره إليه وإيما ذلك بيد الله تعالى فصح أن صلاتنا عليه الدعاء له بذلك وابتغائه له .

قال وقد يكون للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه آخر وهو أن يقال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام على فلان . وقد قال الله عز وجل : ﴿ أولئك عليهم صلوات ﴾ الآية .

قال الواحدى في تفسيره الموسوم بالوجيز : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ﴾

أى مفقرة ﴿ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الجنة والثواب والحق والصواب ومعناه لتكن أو كانت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال صلى الله عليه وسلم أى كانت من الله عليه الصلاة أو لتكن الصلاة من الله عليه والله تعالى أعلم . ووجه هذا أن التمتي على الله عز وجل سؤال . ألا ترى أنه يقال غفر الله لك ورحمك الله فيقوم ذلك مقام اللهم اغفر له اللهم ارحمه .
 ﴿فائدة﴾ قال العلماء : اعلم أن لفظ الصلاة مما خص به الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام فلا يستعمل في غيرهم إلا تبعاً لهم إظهاراً لتبجيلهم واعظاماً وتنوياً بأقدارهم الرفيعة وتمييزاً لعلو درجاتهم الشاخصة المنيفة ، وألحق بهم في ذلك الملائكة لمشاركتهم لهم في العصمة وتوفية لمقامهم بحق الحرمة وإن كان الأنبياء أفضل من جميعهم عامهم وخاصهم كما أن من عدا الأنبياء من الصلحاء أفضل من غير خواصهم . وقالوا : أيضاً إنه يكره إفراد الصلاة عن السلام وإفراده عنها .

﴿فائدة أخرى﴾ : قال الإمام عز الدين عبد الميزين بن عبد السلام رحمه الله تعالى : ليست الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعاً مناله فإن مثلنا لا يشفع لثله . ولكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أنعم علينا فإن عجزنا عن المكافأة دعونا له ونضرعنا إلى ربنا أن يكافئنا عنا ولما عجزنا عن مكافأة سيد الأولين والآخرين أمرنا رب العالمين أن نرغب إليه ونصلي عليه صلى الله عليه وسلم لتكون صلاتنا مكافأة لإحسانه إلينا وتوجيه الهداية والمنة بهاعلينا . ولا إحسان أبلغ من إحسانه صلى الله عليه وسلم إذ دلنا على الطريق الآقوم فإنه هو السبب لنا في الوصول إلى السعادة الأبدية وحصول الخيرات الدنيوية والأخروية انتهى .

قلت : ويحسن أن يراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع ما فيها مما ذكره الشيخ عز الدين رحمه الله امتثال أمر الله تعالى لنا بتعظيمه صلى الله عليه وسلم

وتعزيره وتوقيره وتكريمه المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ وقوله : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾
وأيضاً فنقصد بذلك تحصيل الثواب وحسن المآب عاجلاً وآجلاً لمن يصلي عليه
صلى الله عليه وسلم كما وردت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة مما تقدم في
فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

معنى التسليم

وأما التسليم فهو أن يقال السلام على النبي أو السلام عليك أيها النبي
أو يا رسول الله ولو قال اللهم صل وسلم على محمد لأغنى ذلك عن السلام عليه
في التشهد ومعنى السلام عليك أسمى السلام عليك . والسلام من أسماء الله
عز وجل فكانه يقال اسم الله عليك وتأويله لا خلوت من الخيرات والبركات ،
وسمت من المنكارة والمذام . إذ كان اسم الله تعالى إنما يذكر على الأعمال
توقفاً لاجتماع معنى الخير والبركة فيه وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنه .

ووجه آخر وهو أن يكون معناه ليكن قضاء الله عليه السلام وهو السلامة
كالقيام والمقامة والملام والملامة أى سلمك الله من المذام والنقص . فإذا قلنا
اللهم سلم على محمد فإنما نريد به اللهم أكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره
السلامة من كل نقص فتزدد دعوته على الأيام علواً وأمته تكاثراً وذكره
ارتقاعاً ولا يعارضه ما يوهن له أمراً بوجه من الوجوه والله تعالى أعلم .

وقال الشيخ الشعراني في اليواقيت والجواهر : فإن قيل فما الحكمة في سلام
المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع أنه آمن منهم صلى الله عليه
وسلم . والسلام إنما هو أمان .

فالجواب كما قال الشيخ ابن عربي في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات
المكية : إن الحكمة في ذلك للمؤمنين هو أن مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

يمطى الاعتراض عليهم ولو بالباطل لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم كما أن مقامهم يمطى التسليم لهم أيضاً فلذلك شرع لنا أن نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأننا نقول له يا رسول الله أنت في أمان منا أن نفترض عليك في شيء أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى .

قلت : ولذلك لما وصف الله ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر قال تعالى سلام هي حتى مطلع النجر ، أى ما هي إلا سلامة أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى في غيرها ما سوى ذلك .

وكذلك قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أى سلامة لك من الاغتمام لهم أو بهم فقد نجوا ، وقيل معناه التسليم عليك منهم مثل قوله تعالى ﴿ إلا قتيلا سلاما سلاما ﴾ ؛ وقيل الضمير في قوله فسلام لك راجع إلى الميت أى إن كان من أصحاب اليمين فسلام أى سلامة له من المذاب لكونه من أصحاب اليمين كذا قاله العلماء المحققون .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم وقوله في آخر الصلاة السلام عليكم قيل معناه التعويد بالله والتحصيل به سبحانه وتعالى فإن السلام اسم له سبحانه وتعالى فمنه في حقه تعالى السالم من التقاض ومن سمات الحدوث ومن الشريك والند . وقيل المسلم أوليائه وقيل المسلم عليهم وقيل غير ذلك .

ثم قال وأما معنى السلام منه في حقنا فتقديره الله عليكم حفيظ وكفيل كما يقال الله معك أى بالحفظ والمعونة واللفظ ، وقيل معناه السلامة والنجاة لكم ويكون مصدراً كاللذاذ والذاذ كما قال تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين انتهى . ما نقلناه من كلام النووي .

معنى الرحمة

وأما الرحمة فإنها تجمع معنيين أحدهما إزاحة العلة . والأخرى الإثابة بالعمل . وهى في الجملة غير الصلاة ألا ترى أن الله عز وجل قال أولئك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة تفصل بينهما . وجاء عن عمر رضى الله عنه مادل على انفصالها عنده . قال البيهقي يعنى ما أخبرنا أبو العالية الحافظ حدثنا علي بن عيسى الحيرى حدثنا مسدد بن قطن حدثنا عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن سميد بن السيب عن عمر قال نعم المدلان ونعمت الملاوة (الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) يعنى بالمدين الصلاة والرحمة وبالملاوة الهدى قال الحليى رحمه الله تعالى وقيل فى تفسير قوله عز وجل أولئك عليهم صلوات من ربهم أنه الثناء من الله عز وجل عليهم والمدح والتزكية لهم ، وقوله ورحمة أنها كشف الكربة وقضاء الحاجة . وقوله أولئك هم المهتدون يحتمل وأولئك هم المصيبون طريق الحق دون من خالفهم فخرج عن المقصود . وباء بسخط للمعبود .

معنى البركة

قالوا وأما البركة فإنها فعل الله تعالى جده أى قدره وإتاما يكون منا التبريك وأن نقول اللهم بارك على محمد وأصل البركة الدوام وهو من برك البعير إذا أنيخ فى موضعه فلزمه وقد توضع موضع الثناء والزيادة وأصلها ما ذكره لأن تزايد الشيء موجب دوامه . وقد توضع أيضا موضع التيمن فيقال لليمنون مبارك بمعنى أنه محبوب ومرغوب فيه وذلك لا يخالف ما قلنا لأن البركة إذا أريد بها الدوام فإنما يستعمل ذلك فيما يراد ويرغب فى بقائه . وإذا قلنا اللهم بارك على محمد فالمعنى اللهم أدم ذكر محمد ودعوته وكثر أتباعه وأشياعه وعرف أمته من يمنه وسعادته أن تشفعه فيهم وتدخلكم جناتك وتحلمهم دار رضوانك فيجمع التبريك عليه الدوام والزيادة والسعادة والله تعالى أعلم انتهى من شعب الإيمان للبيهقي مع زيادة من غيره .

خاتمة

(سئل) حجة الاسلام الغزالى عن قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة

صلى الله عليه عشرًا ما معنى صلاة الله على من صلى عليه وما معنى صلاتنا عليه وما معنى استدعائه من أمته الصلاة يرتاح لذلك أم هو شفقة على أمته . (فقال) أما صلاة الله على نبيه وعلى الصليين عليه فبمعنى إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم . وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال . وابتهاال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضةها عليه لا كقول القائل غفر الله له . ورحمه فإن ذلك يختص بطلب الرحمة وطلب الغفر والستر ولذلك تختص الصلاة به وذويه وأما قوالك رضى الله عنه فيختص بالأكابر وطلب الرحمة والمغفرة للعوام وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فثلاثة أمور .

(أحدها) أن الأدعية مؤثرة في استدرار فضله ونعمته ورحمته لاسيما في الجمع الكثير كالجمعات وعرفات والجماعات فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب مافي الامكان وجوده كالمنظر ورفع الوباء وغيره فاض مافي الامكان من المفيض الحق بوسائط الروحانيات المسخرين لتدبير العالم الأسفل المتقضى لتفقدهم وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية والروحانيات المليية من المناسبة الذاتية فإن هذه الأرواح مجانة لتلك الجواهر وإنما يقطع مجانستها التدنس بكدورات الشهوات ولذلك تكون كلمة القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيرا ويكون في حال التضرع والابتهاال انجح لأن حرقه التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب في الحال وتضعفه وتكسر من ظلمته . لذلك قلما يخفى دعاء الجمع ولا يخلو الجمع عن قلوب طاهرة ثم يزيد بها التماون تأثيراً .

(قلت) ويؤيد ما أشار إليه حجة الإسلام في هذا الكلام من قوة تأثير الدعاء مع جمع أهل الإسلام ماروى في الصحيح عن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث أصحاب الفار الذين سقطت عليهم الصخرة ومنعتهم من الخروج فدعا حينئذ كل واحد منهم فكان تخليها عن فم الفار قليلا قليلا فدعاء الأول فرجها بحيث رأوا علامة القبول ودعاء الثاني كان أقرب إلى الخروج وبدعاء

الثالث انفرجت عنهم بالكلية . فافهم .

ولفظ الحديث في الصحيحين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي أيوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأبى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقذح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبيحة يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي . وفي رواية كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها وفي رواية فلما قدمت بين رجلها قالت اتق الله ولا تفرض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي أعطيته وذهب فتمرت أجرته حتى كثرت الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرتك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت ما أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

ثم قال حجة الإسلام وإنما كان في يوم الجمعة وقت يستجاب فيه الدعاء
مبهم لأن الحال الذي تجتمع فيه على ذلك قلوب صافية وفي وقت واحد مبهم
لا يدري متى يتفق لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه وهو وقت النفحات التي
يتمرض لها . وربما كان اجتماع الهمم يوم الجمعة عند الأسباب الجامعة كابتداء
الخطبة وابتداء الصلاة أولى لكن الأدلى أن لا يجري التول بتعيين وقته بل بهم
ولذلك تتوقع تلك النفحات في الأسفار لصفاء القلوب فإذا كانت الأدعية مؤثرة
في الاستجلاب لمزيد الفضل وكان ما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الحوض وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدودة على وجه لا تتصور الزيادة
فيها فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات .

(الأمر الثاني) ارتياحه به كما قال عليه الصلاة والسلام إني أبأهى بكم
للملائكة . وكما لا يبعد أن يطلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا
في هذا العالم المظلم فلا يبعد أن يحصل للأرواح معرفة بمجاري أحوالنا مع أنهم
في عالم القدس والصفاء . ودار الحيوان فوجه اطلاع النائم على أحوال الموتى
واطلاع الموتى على أحوال الناس بطول ذكره .

(الثالث) الشفقة على الأمة بتحريضهم على ما هو حسنة في حقهم وقرية لهم
وإنما تضاعف صلاة الله عليهم لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات إذ
فيها تجديد الإيمان بالله أولاً ثم بالرسول ثانياً ثم بتعظيمه ثالثاً ثم العناية بطلب
الكرامة له رابعاً ثم تجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع كرامته خامساً ثم بذكر
الله سادساً وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ثم بتعظيم الله بسبب نسبتهم إلى الله
تعالى سابعاً ثم بإظهار المودة لهم ثامناً ولم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم من
أُمته إلا المودة في القربى ثم الابتهال والتضرع في الدعاء تاسعاً والدعاء العبادة ثم
بالاعتراف عاشراً بأن الأمر كله لله وأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن جل قدره
فهو عبد ذليل لله محتاج إلى رحمة الله وإلى مدد الله تعالى له .

فهذه عشر حسنات سوى ماورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها فقط . وسره أن الجوهر الإنساني طبعه خنان إلى ذلك العالم العلوى لأنه مقتبس منه وهبوطه إلى العالم الجسماني غريب في طبيعته والسيئة تطاويه عن الترقى إلى ذلك العالم على خلاف طبعه والحسنة ترقيه إلى موافقة الطبع والقوة التي تحرك الجبل إلى فوق ذراعاً هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل تحركه عشرة أذرع وزيادة فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إذ منها إنه يوفى أجره بغير حساب وهي الحسنة التي لا يدافع تأثيرها تقصير من رياء وعجب كالبحر الذي يدهور من شاطئ لا يصادمه دافع فإنه لا يتقدر مقدار هبوطه بحساب حتى يبلغ الغاية والنهاية والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين وعلى آله الأكرمين وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم وجميع اللاتئين والمحبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

* * *

الذكر السادس عشر وشرحه

ولا قارب سيدنا عمر ! كمال راتبه العظيم أخذ فيما يخفف حمل الآصار . ويكفر كبار الأوزار . ويطفى غضب الجبار . ويحمد عن قائله زفير النار . ويستنزل به الأمطار . وتجاب به الإمدادات المذكورة في سورة نوح عليه السلام من البنين والأموال والجنان والأنهار وهو الاستغفار . فقال رضى الله عنه ﴿ أستغفر الله ﴾ إحدى عشرة مرة ثم تقول بعده تأب إلى الله « مرة » .

قال الشيخ على : ومعنى أستغفر الله أى أستقبل الله وشرطه ظهور الندم والعزم على عدم العود إلى المخالفة ودوام الموافقة . وما دام كذلك يقع في الذنوب فليعد الاستغفار آناء الليل والنهار فبذلك يغلب العدو المحتال بعون الله الكبير

التمتع . إذا قال العبد أستغفر الله يقول الله عبدي أذنب وعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنوب قد غفرت لعبدي مادام يستغفرني غفرت لعبدي على ما كان منه وفي حديث قدسي يقول الله تعالى ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ولم تشرك بي شيئاً ثم أمتغفرتني غفرت لك ولا أبالي . وقراب هو ما يقارب ملئها : انتهى .

* * *

ولنشرع الآن في ذكر ما تبسر من فضائل الاستغفار . من الآيات والأخبار والآثار عن العلماء الأخيار . وإن كانت فضله ومنافعه لا تدخل تحت حيز الانحصار . ولا يفي المجتهد في نشرها بذكر عشر المشار . ونجعل ذلك في ثلاثة فصول ثم خاتمة في التوبة . نقول سيدنا عمر في آخره « تائب إلى الله » . . .

الفصل الأول

في فضائل الاستغفار

أما الآيات فقد قال تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) . وقال تعالى : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتكمْ متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) وقال تعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) . وقال تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وقال تعالى : (لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) . وقال تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) إلى (نعم أجر العاملين) . وقال تعالى : (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله) الآية . وقال تعالى : (وما كان الله

مُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) . وقال تعالى : (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (واستغفر لهم) الآية .
وقال . (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي
والإبكار) . وقال تعالى حاكياً عن نبيه آدم . (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين .
(إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) إلى قوله . (وبالأشجار هم يستغفرون) . وقال
على لسان نبيه نوح . (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفراً) الآية . وقال على
لسان نبي إبراهيم : (والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي
حكماً وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة
النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين) . وقال على لسان نبيه هود . (وما قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة) الآية .
وقال على لسان نبيه صالح : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) . وقال تعالى على لسان نبيه شعيب :
(واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) . وقال تعالى على لسان
نبيه موسى : (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت
وليننا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) . وقال : (رب اغفر لي ولأخي
وأدخلنا في رحمتك) . الآية وقال تعالى على لسان نبيه يعقوب . (سوف
أستغفر لكم ربي) الآية . وقال تعالى على لسان نبيه يوسف . (لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم) . وقال تعالى حاكياً عن داود . (وظن داود أنما افتناه
فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) . وقال تعالى على لسان سليمان . (رب اغفر
لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) الآية : وقال تعالى على لسان
عيسى : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)
وقال تعالى على لسان نبيه محمد وصحبه : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا

وثبت أقدامنا) . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) . وقال تعالى حاكياً عن ملائكته : (ويستغفرون لمن في الأرض) (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا) . وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالات لأولى الأبواب والأبصار على فضيلة الاستغفار ومنافعه الكبار .

* * *

وأما الأخبار فقد قال رسوله المختار « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه الإمام أحمد وغيره . وقال عليه السلام « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » رواه البيهقي وفي رواية للحاكم خير الدعاء الاستغفار وروى الطبراني عن معاذ بن جبل « من قال استغفر الله العظيم ثبت له غرس في الجنة » .

وقال عليه السلام « يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإنني استغفر الله وأنوب إليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة وأكثر من مائة » رواه أحمد والطبراني وغيرهما .

قال الإمام البغوي والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة إما لذنوب تقدم قبل النبوة أو لذنوب أمته وقرباته أو لمباح جاء الشرع بتجريمه فيتركبه [قبل التحريم فيأتي] بالاستغفار يعني فتكون كالمهفوة في حقهم وإن كانت تعد من الحسنات في حق غيرهم كما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين انتهى . (قلت) ومن هذا القبيل قول إبراهيم سارة أختي وقوله إني سقيم حتى أنه عد ذلك من الكذب واعتذر به عن الشفاعة العامة ، وإنما

كان يحاج الكفار بذلك عن دين الله .

ثم قال البغوي والاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع .
وقال غلقمة بن الأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله إلا غفر له . (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية . وقوله : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله نجد الله غفوراً رحيماً) . وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم . وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » .
وقال عليه السلام كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون المستغفرون .
وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكهن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين فقال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان . فهذا نقصان الدين رواه مسلم في صحيحه .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم للمعتمد الجماعة الذين أمرهم واحد ، وقوله رأيتكن أكثر أهل النار هو بنصب أكثر إما على أن هذه الرواية تنعدي إلى مفعولين . وإما على الحال على مذهب من قال إن أفعل لا ينعدي بفعله إلى مفعولين قال وقيل هو بدل من الكاف في رأيتكن ، وأما قولها فإنا أكثر أهل النار فنصوب إما على الحكاية وإما على الحال ، والجزلة ذات العقل والرأى والوقار ، والعشير الزوج ، واللب العقل ، وفي هذا الحديث الحث على الصدقة والبر والاكتثار من الاستغفار وسائر الطاعات ، وفيه أن الحسنات يذهبن

السيئات وفيه أن كفران المشير وكفران الإحسان من الكبائر . وفيه إطلاق الكفر على غير الكافر بالله ككفر المشير والإحسان والنعمة والحق ، والمقل هو العلم وقيل هو بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات قال ومحلّه عند المتكلمين القلب وعند بعض العلماء الرأس انتهى كلام النووي على هذا الحديث .

* * *

وقال عليه الصلاة والسلام من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا . وروى أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عثمان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيك وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل .

ونقل الإمام النووي من الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ، وفى رواية لمسلم ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء النجى ، وفى رواية إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه .

وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت أملت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب بالندم والاستغفار .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافي فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطأى

وعمدى وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير .

وقال علي رضي الله عنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور فيقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم تلا (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية .

وروى أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام قال إن الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك . وروت عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأوا استغفروا .

وقال عليه السلام ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ، وقال عليه السلام من أذنب ذنباً فعلم أن الله اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر . وقال عليه السلام يقول الله عز وجل يا عبادي كلهم مذبذب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم الحديث ، وقد سبق هذا الحديث بتمامه في الفصل الثاني من المقدمة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خمس آيات ما يسرنى أن لي بهن لدينا وما فيها إحد . اهن أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية . وإن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية . ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية . إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً أخرجه رزين .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال مافي القرآن آية أحب إلي من هذه

الآية إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذى .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى الذين يحتنبون كبائر الاثم
والفواحش إلا اللجم قال قال صلى الله عليه وسلم إن تغفر اللهم تغفر جماعى عبد
لك لا ألم أخرجه الترمذى وصححه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فإذا نزع واستغفر وتاب صقل قلبه
وإن عاد زيد فيها حتى يملأ قلبه وهو الران الذى ذكره الله تعالى أخرجه الترمذى
وصححه . (النكت) الأثر فى الشيء . (وران على قلبه) أى غطى .

وفى بعض التفاسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب
بنى شيبه فرآهم يضحكون فقال أضحكون لوتعلمون ما أعلم اضحكتم قليلا وليكنتم
كثيراً ثم مرّ ثم رجع إليهم القهقري وقال نزل على جبريل وأتى بقوله نبي :
عبادى إني أنا الغفور الرحيم .

وروى الترمذى مرفوعاً وقال حديث حسن « قال الله تعالى يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم
لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم أتيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة
ولا أبالى يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك
ولا أبالى الحديث (والعنان بفتح العين المهمله السحاب ، وقراب الأرض بضم
القاف ما يقارب مثلها) .

وروى الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً قال ابليس وعزتك
وجلالك لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال وعزتى
وجلالى وأرتفاع مكانى لا أزال أعفر لهم ما استغفرونى .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف
الملك ثلاث ساعات فإن استغفر من ذنبه لم يوقعه عليه ولم يعذب به يوم القيامة

وروى البيهقي مرفوعاً إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلأؤها الاستغفار .

وقال عليه السلام ما من عبد ولا أمة استغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب . وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم أو ليلة أكثر من سبعمائة ذنب .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقاً يطاب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حلف لا والله استغفر الله أخرجه أبو داود وروى الحاكم عن البراء بن عازب وقال صحيح على شرط الشيخين في قوله تعالى ﴿ولا تأمروا بأيديكم إلى التهلكة﴾ هو لرجل يذنب فيقول لا يغفر الله لي ، وروى أيضاً مرفوعاً من قال اللهم مغفرتك أوسع من ذنبي ورحمتك أرجى عندي من عملي ثلاث مرات غفر الله له والله أعلم وأحكم :

وقال خالد بن معدان رحمه الله قال الله تعالى ﴿إن أحب عبادي إلى المتحابون بحبي والمعنفة قلوبهم بالساجد والمستغفرون بالأسجار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم﴾ .

وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دوائكم فالدنوب وأما دواؤكم فلا استغفار ، وقال علي رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قليل وما هو قال الاستغفار ، وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول مات أخ لي فرأيت في المنام

بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي كل ذنب استغفرت منه وما لم استغفره منه لم يغفره لي انتهى :

وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيره أقلنى . وقال بعض العلماء العبد بين نعمة وذنوب لا يصلحه إلا الحمد والاستغفار ، وطاعة لا يصلحها إلا شهود المنة ، وبلية لا يهونها إلا الصبر . وسمع اعرابي حول الكعبة يقول وهو متعلق بالأستار اللهم إن استغفاري إياك مع إصراري للثوم وإن تركي استغفارك مع على بسمة عفوك لمجز فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وأتبفض إليك بالمعاصي مع فقرى إليك يامن إذا وعدوفى وإذا توعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين .

وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يدنو من خلقه فيغفر لمن استغفر إلا البغى بفرجها والعشار رواه عثمان بن أبي العاص .

وقال عليه السلام إن الله تعالى يقول إني لأهمل أهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى غمار بيوتى والمتحابين فى والمستغفرين بالأسجار صرفت عذابى عنهم رواه أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلأؤها الإستغفار رواه الحاكم عن أنس .

وقال عليه الصلاة والسلام إن استطعتم أن تكثروا من الإستغفار فافعلوا فإنه ليس من شئ أنجح عند الله ولا أحب إليه منه رواه الحاكم عن أبي الدرداء وقال عليه السلام أنزل الله على أمانين لأمتي قال الله تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله لمذبهم وهم يستغفرون ﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الإستغفار إلى يوم القيامة رواه أبو موسى ، وقال صلى الله عليه وسلم الإستغفار فى الصحيفة بتلاً نوراً رواه ابن عساكر عن معاوية بن حيدة ، وقال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فأنس لكم

السنن وأشرع لكم الشرائع . وأما موتى فإن أفعالكم ترض على فما رأيتم منها حسناً حدث الله تعالى وما رأيتم منها سيئاً استغفرت الله لكم نقله في الأحياء . وقال أيضاً الإستغفار ممحاة للذنوب رواه حذيفة .

وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتهم برببه ومن آذى مسلماً كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل رواه ابن عساكر عن ابن عباس .

وقال عليه الصلاة والسلام التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله منه ثم لا تعود إليه رواه ابن أبي حاتم عن أبي رضى الله عنه : وقال عليه الصلاة والسلام حقيق بالمرء أن تسكون له مجالس يخلو فيها ويذكر ذنوبه فيستغفر الله . منها رواه مسروق مرسل .

وقال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً رواه عبد الله بن بسر وعائشة رضى الله عنهما .

وقال عليه الصلاة والسلام كفارة من اغتبت أن تستغفر له رواه ابن أبي الدنيا عن أنس ، وروى ابن السنن عن أبي أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً فأراد أن يقوم استغفر عشراً أو خمسة عشر .

وقال صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار ، عن ثوبان رضى الله عنه .

وذكر صاحب كتاب أنس المتطمين حكاية عن العتيق قال كنت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت أعرابياً قد أقبل على بعير له فنزل عنه ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول السلام عليك يا من اصطفاه الله أنت الذى أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً . وها أنا قد جيتك أستغفر من ذنبي فاشفع لى

إلى ربي . قال القتيبي فملب على النوم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدرك الأعرجي فعرفه أن الله تعالى قد غفر له .

وروى الإمام الواحدى بسنده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك فيمسك سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء . وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة .

وعن علي الرضى بن موسى الكاظم رضى الله عنهما أنه قال من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة ومن استغفر في يوم سبعة مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبی صلى الله عليه وسلم . وروجت له من الله الكرامة ومن تصدق في شعبان ونوى بشق ثمرة حرم الله جسده على النار ذكره ابن الصباغ في كتابه الفصول وأورد فيه عن محمد الجواد بن علي الرضى أنه قال ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله كثرة الاستغفار وابن الجانِب وكثرة الصدقة وثلاث من كن فيه لم يندم ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان إلى الله تعالى في يوم صغيفة فيرى في أول الصغيفة وفي آخرها الاستغفار إلا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لعمدي ما بين طرفي هذه الصغيفة ، وقال صلى الله عليه وسلم من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة ؛ وقال صلى الله عليه وسلم من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين أحد الممددين كان من الذين يستجاب دعاؤهم ويرزق بهم أهل الأرض .

وقال حذيفة بن اليمان شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب اساني فقال أين أنت من الاستغفار إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة ، وجاء رجل فقال يا رسول الله واذنوباه واذنوباه فقال قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي

ورحمته أرجى عندي من عملي فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال قم .
قد غفر الله لك ، وجاءه رجل فقال يا رسول الله إن أحدنا يذنب قال يكتب
عليه قال ثم يستغفر منه ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود فيذنب قال
يكتب عليه قال ثم يستغفر منه ويتوب . قال فيغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله
حتى تملوا .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال كنا لنعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس الواحد رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم
مائة مرة ، وقال صلى الله عليه وسلم ما وضع عبد جبينه لله ساجدا فقال رب
اغفر لي ثلاثاً إلا رفع رأسه وقد غفر له ، قال بعض العلماء رحمه الله تعالى وهذا
في كتاب الله تعالى في قصة داود عليه السلام (وظن داود أنما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعاً وأتاب فغفرنا له ذلك) قال المفسرون أي ساجدا والله سبحانه
وتعالى أعلم .

وفي شرح الحكم نقلاً من كتاب (التيسير لنصائح العمال للقاضي
يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار) عن مقيث بن سمي قال كان رجل من
بنو إسرائيل يعمل بالخطايا فيبنيها هو ذات يوم يسير ذكر ماسلف من عمله فقال
اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له .

وفي كتاب الحقائق قال خرَّج الطيالسي عن البراء أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذ لقي المسلم أخاه فصاحه وحده الله واستغفره غفر الله شما .

وروى عن سفيان الثوري رحمه الله أنه دخل على جعفر بن محمد بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فسلم عليه ثم جلس فقال يا سفيان قال نبيك قال
إنك رجل يطلبك السلطان وأنا رجل اتقى السلطان فقم غير مطرود فقال سفيان
تحدث وأقوم فقال جعفر أخبرني جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن أحزنه أمر

فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام سفيان فناداه جعفر يا سفيان قال لبيك
قال خذهن ثلاثاً وأى ثلاث وأشار بيده ذكره البيهقي في شعب الإيمان .

وقال بعض القصاص يا أيها الناس ثلاث خلال لا يعذبكم الله ما عملتم بهن
الشكر والدعاء والاستغفار ثم قال ما يفعل الله بعبادكم إن شكرتم وآمنتم
وكان الله شاكراً عليماً وقال ما يعذبكم ربي لولا دعاؤكم وقال وما كان الله
الله معذبهم وهم يستغفرون .

وقال الحسن البصري أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى مواثيقكم
وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم فإنكم لا تدرسون في أى
وقت تنزل البركة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو
الحى القيوم وأتوب إليه غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وفي حديث
آخر من قال ذلك بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات كفرت عنه
ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر .

وفي حديث آخر من قال ذلك دبر كل صلاة غفر الله ذنوبه وإن كان قد
فرّ من الزحف ، وقال صلى الله عليه وسلم إذا أذنب العبد ذنباً فعلم أن له رباً
يأخذ بالذنب ويغفر الذنب قال تعالى عبادى أعمل ما شئت فقد غفرت لك .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قال . قلت : يا رسول الله إن
ابن جُدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال
لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب أغفرلى خطيئتي يوم الدين ، قال الإمام النووي فى
شرح صحيح مسلم معنى هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والاطعام ووجوه
المكارم لا ينفعه فى الآخرة لكونه كان كافراً وهو معنى قوله صلى الله عليه

وسلم إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين أى لم يكن مصداقاً بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل ، ثم قال وقال القاضي رحمه الله تعالى وقد انعقد الاجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم ، ثم قال الإمام النووى قال البيهقي وقد يجوز أن يكون حديث ابن جُدعان وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر ، إذا مات على كفره ، وورد أنه لا يكون لها موقع في التخلص من النار وإدخال الجنة ولكن يخفف عنه من عذابه الذى يستوجبه على الجنائيات التى ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات ، ثم قال العلماء وكان ابن جُدعان كثير الإطعام وكان اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بسلم ، وكان من بنى تيم بن مرة أقرباء عائشة رضى الله عنها ، وكان من رؤساء قریش واسمه عبدالله وجدعان يضم الجيم وإسكان الدال المهملة والعين المهملة ، قال وأما صلة الرحم فهى من الإحسان إلى الأقارب وقد تقدم بيانها ، وأما الجاهلية فما كان قبل النبوة سموا بذلك لكثرة جهالتهم ، وذكر فى شرح مسلم أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تنفعه قرابة المقربين لما صح فى مسلم أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفى دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار ثم قال النووى فيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار قال وليس فى هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بانتمهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين .

خاتمة

قال الإمام الشمرانى فى مشارق الأنوار أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الإستغفار ليلاً ونهاراً سواء استحضرنا ذنوبنا أو لم نستحضرها وهذا العهد يخل به كثير من المتصوفة الذين لم يقطعوا

على يد شيخ فيزين لهم الشيطان مراعاة أنهم صاروا موحدين لافعل لهم مع الله فلا يكاد أحدهم يستحضر له ذنباً يستغفر الله منه وربما قال في نفسه بعيداً أن عثلي بعذبه الله ولو كشف الله عن بصيرته كما كشف للعارفين لرأى أنه قد استحق به في الدنيا الخسف ودخول النار في العقبي إذا العبد كله ذنوب وعيوب وكم قد وقع العبد في ذنب ونسيه وسيندو له ذلك يوم القيامة فأكثر يا أخى من الاستغفار وقد كان سيدى على الخواص يتفقد أعضائه من رأسه إلى قدمه كل يوم صباحاً ومساءً ويتوب إلى من جنابة ذلك المصوب في ذلك اليوم أو تلك الليلة لاسيما الاذن والمين واللسان والقلب ويقول إن الاستغفار يطفي غضب الجبار ومن قال استغفر الله لم يبق عليه ذنب إن شاء الله تعالى لاسيما إن أشرف الإنسان على معترك المنايا وضاق عمره عن العمل الصالح فإن هذا مابقى شيء أنفع له من كثرة الاستغفار ، قال وسمعتة يقول ماتوقف لأحد حاجة من حوائج الدنيا إلا من ترك الاستغفار قال الله تعالى استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآية .

واعلم أنه ليس لمن عزل نفسه عن وظيفته أو حبس على جريمته أو دينه أنفع من كثرة الاستغفار وذلك أن العزل والحبس خزي للعبد بين الناس وتكال فإذا أرضى ربه بالاعتراف والاستغفار ورضى عنه ربه أخرجه لوقته فإن استغفر ولم يطلقه الحق تعالى فهو دليل على أن الحق تعالى لم يقبل توبته وأن عنده بقية تجبر أو ميل إلى معصية فيعالج ماعنده بكثرة الاستغفار ورد المظالم إلى أهلها فإن الله تواب رحيم ، قال وقد جرب أن كل من أحكم سد باب المعاصي جملة لا ترد له دعوة لأنه يصير كاللائكة ، ثم قال فلا تقع يا أخى في المعاصي وتطلب إجابة دعائك ، ذلك لا يكون وإن كان فهو استدراج فكما دعاك مولاك تعالى إلى طاعته حين دعاك إليها كذلك أسرع الحق تعالى بإجابتك على الفور جزاء وفاقا . ومن كلام الشيخ أبي النجاسالم لأصحابه وهو محتضر

أعلموا أن الوجود كله يعاملكم على حسب ما برز منكم فانظروا كيف تكونون
وقال سيدى على الخواص من غزل لبس منه الحائك انتهى كلام الشعرانى

وفى الاحياء قال الربيع بن خيثم لا يقولن أحدكم استغفر الله وأتوب إليه
ليكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب على ، قال الإمام
البغوى هذا الذى قاله من قوله اللهم اغفر لى وتب على حسن . وأما كراهته
أستغفر الله وتسميته كذباً فلا يوافق عليه لأن معنى استغفر الله أطلب مغفرته
وليس فى هذا كذب قال ويكنى فى رده ماورد فى الأحاديث فى الاستغفار مع
ذكر هذه الصيغة . وقال الفضيل رحمه الله استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين
وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض
الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله .

وقال الشيخ الشعرانى فى المهد وبالجملة فقد صرنا فى زمان علامات الساعة
« وهو النصف الثانى من القرن العاشر صاحب الفتن والحن » وبرزت علامات
الساعة على كواهلنا شئنا أم أيئنا فلا فى يدنا رد التقدير عنا ولا فى يدنا رد
الجزع علينا ومع ذلك فنقول استغفر الله العظيم امثالاً لأمر تعالى لاغير ، ومن
لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من
حيث لا يحتسب ووالله لو جلس الواحد منا بقية عمره كله يقول استغفر الله
لا ينفل ساعة واحدة ما ينفى يجبر خال مصاصيه السابقة فضلاً عن اللاحقة والله
غفور رحيم انتهى كلام الشعرانى .

ورأيت للمعلم أحمد بن عبد اللطيف باجابر كلاماً يشير فيه إلى ملازمة استغفار
شمسب أبى مدين المشهور بالبركة والنور فطليك به فى الأسفار خاصة فهو عمدة
حرياته التوفيق والهداية إلى أقصد طريق وصحبة أسعد فريق فهو الهادى والرفق
لذلك وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين .

وقال حجة الإسلام الغزالي في كتاب التوبة من الاحياء (فإن قلت)
فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخير المستغفر
من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله
من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة
العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير (فاعلم) أنه قد ورد في فضل الاستغفار
أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله
تعالى الاستغفار ببقاء الرسول فقال (وما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون) وكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب
أحدهما وهو كون الرسول صلى الله عليه وسلم فينا . وبقي الاستغفار الذي هو
توبة الكذابين . وهو الاستغفار بمجرد اللسان عن غير أن يكون للقلب فيه
شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة استغفر الله وكما يقول
إذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد حركة
اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله
في سؤال المغفرة عن صدق وإرادة وخلوص ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصاح
لأن تدفع بها السيئة ، قال وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار
حتى قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن
الاستغفار بالقلب ، والتوبة والاستغفار درجات وأوانها لا تخلو من الفائدة وإن
لم تنته إلى أواخرها انتهى .

الفصل الثاني

في جملة من الفوائد العظيمة ذوات المنافع الجسيمة

فالزينة العزيمّة والغنيمة الفنية فأنها استغفارات مشهورات بالخيرات

والسرّات .

﴿الفائدة الأولى﴾ سيد الاستغفار وهو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده إلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقفاً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل موقفاً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ، قال النووي أبوء بضم الباء الموحدة من تحت وبعد الواو همزة ممدودة مضاه أقر واعترف .

﴿الفائدة الثانية﴾ استغفار الخضر وهو ما نقله حجة الإسلام الغزالي في كتاب الأحياء قال : قال أبو عبد الله الوراق رحمه الله لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبٌ لمحت عنك إذا دعوت بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك الكريم فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستمنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حلیم اه .
قال الغزالي ويقال إنه استغفار الخضر عليه السلام .

﴿الفائدة الثالثة﴾ استغفار أدينا آدم على نبيينا وعليه الصلاة والسلام وهو ما نقله الإمام أبو طالب المكي قال رويانا عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم عليه السلام طاف آدم سبماً بالبيت وهو يومئذ ليس بمبنى بل هو ربوة حراء ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي

فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر
 قلبي و يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي ، والرضا بما قسمت لي
 يا ذا الجلال والإكرام فأوحى الله إليّ إني قد غفرت لك ولن يأتيني أحد من
 ذريتك يدعوني بمثل هذا الذي دعوتني به إلا كشفت همومه و غمومه ونزعت
 الفقر من بين عينيه وأتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا راغمة وإن كان
 لا يريدّها .

﴿ الفائدة الرابعة ﴾ في ذكر استسقاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 وأستغفاره فيه روى عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي
 بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقالوا له ما رأيناك استسقيت فقال عمر
 لقد طلبت المطر بمجاديع السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ استغفروا ربكم إنه
 كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً . والمجاديع المذكورة في هذا الحديث
 واحداً مجدح بكسر الميم وضمها وهو كل نجم من النجوم التي كانت العرب تقول
 أنه يطر به في الأنواء فجعل عمر الاستغفار هو المجاديع التي يستنزل بها المطر
 لا الأنواء لأن عمر رضي الله عنه ممن لا يرى الأنواء وإنما ذلك على طريق
 التشبيه بما تقوله العرب قاله أبو عبيد رضي الله عنه اه .

(قلت) وقد ورد في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت
 طائفة من الناس كافرين يقولون سقيننا بنوء المجدح أخرجه النساء ، المجدح
 بكسر الميم وسكون الجيم وأخره حاء مهملة نجم يقال له الدبران وبعضهم يضم الميم
 وقد ورد أن بعض الناس زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 استسق لأمتك فانهم قد هلكوا قال : قال فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في المنام وقال ابت عمر فمه أن يستسقي للناس فانهم سيسقون وقل له عليك .

كيس الكيس فأتى الرجل عمر فآخبره فبكى عمر وقال يارب ما آلو إلا عجزت عنه نقله صاحب الرياض عن البغوي .

وفي كتاب الرياض عن خوات بن جبير قال أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر فأمرهم بالخروج إلى الاستسقاء فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفي رداءه جعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط يديه وقال اللهم إنا نستغفرك نستغفرك فما برح حتى مطروا فيبناهم كذلك إذ قدم الأعراب فأتوا عمر فقالوا أأمير المؤمنين بينما نحن في بوادينا في يوم كذا في ساعة كذا إذا أظلتنا غمامة سمعنا فيها صوتاً وهو يقول أتاك الفوثن أبا حفص أتاك الفوثن أبا حفص .

﴿الفائدة الخامسة﴾ وهي ما روى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكى إليه الجدوبة فقال الحسن استغفر الله فقال وآتى إليه آخر فشكى إليه جفاف بساتينه فقال استغفر الله فقال أتاك رجال يشكون الواباً ويسألون أنواعاً فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال ما قات من ذات نفسي في ذاك شيئاً إنما اعتبرت فيه قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه نوح أنه قال لقومه استغفروا ربكم إنه كان غفراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويحمل لكم جنات ويحمل لكم أنهاراً . ذكره الإمام الثعالبي رحمه الله تعالى .

وروى أن أعرابياً عرض للنصور يستجديه فقال لست أعطيك ما ألو لكنني أذكر لك حديثاً أخبرني به أبي عن جدي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استغفر الله سنة في كل يوم ألف مرة لم تنقص السنة حتى يستغنى ففعل الأعرابي ذلك ففي آخر السنة وقع غيث كثير فيه برد فنزل في كنيسة فانخسف مقابها من الأرض فانحسرت الأرض عن جرة فيها ستة وثلاثون ألف درهم فرفع أمره إلى للنصور وكان يأخذ من الدفائن الحسن فاطاق الأعرابي ، وكذلك عن بعضهم أنه لم يولد له إلا إناث فسأل العلماء

عن شيء يتوسل به إلى الله في ولادة المذكور فارشدوه إلى الاستغفار فوله له جملة من المذكور .

قال الشرجي في كتاب الفوائد وجدت بخط بعض العلماء أن من قال كل يوم خمساً وعشرين مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الخ القيوم الذي لا يموت أبداً وأتوب إليه . لا يرى في نفسه وماله وولده شيئاً يكرهه أبداً مجرب مجرب .

وفيه أيضاً يروى أن بعض الصالحين مرض مرضاً شديداً وحصل عليه غيبة فرأى ملك الموت في تلك الحالة فقال له أكتب لك براءة من النار فقال له المريض نعم فكتب له في ورقة وجدها عنده أستغفر الله أستغفر الله حتى ملأ القرطاس باطناً وظاهراً وقال هذه براءة من النار فأفاق المريض وعوفى من ذلك المرض و أقام بعد ذلك زماناً والكتاب معه .

وفيه قال وذكر الإمام البوني في تفسير مفاتيح الغيب عند ذكر الاستغفار فقال اعلم أن لكل مقام لرامة وبركة مخصوصة كعمل الاستغفار في توسعة الرزق لتضييق عليه يتوخأ ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى بأم القرآن وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . وفي الثانية بأم القرآن وقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الآية ثم يحمل ذكره بعد ذلك أستغفر الله الغفور الرحيم يستديم هذا الذكر لا يعدل عنه وليس له حد معلوم إلا توسعة الرزق قبلي وسريع لأنه ربما يحرم العبد الرزق بالذنوب يصيبه والاستغفار ماح للذنوب وإلى ذلك أشار نوح عليه السلام بقوله استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآيات أمرهم بذلك يحدث الله به ما هو الخالص من أفعاله قال وقد أمرت بذلك جماعة وظهرت لهم بركة ذلك وحصل لهم توسعة من الرزق .

وفي كتاب الحقائق . قال خرج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن سميد

ابن عبد الرحمن الجامعي : فعه قال من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لمظمته
والحمد لله الذي ذل كل شيء لمزته ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته
والحمد لله الذي خضع كل شيء للملك كتب الله له بها عشرة آلاف حسنة ورفع له
ألف درجة ووكل به سبعين ملكاً يستفرون له حتى يموت .

﴿ الفائدة السادسة ﴾ وهي ما روى عن الإمام الياقبي أنه روى عن الشيخ
الولي أبي عبد الله القرشي أن شيخه أبا عبد الله الملقب علمه هذا الدعاء ينطق منه ،
ما احتاج بعد ذلك لشيء إلا حصل له بفضل الله ورحمته قال الياقبي من دأوم
على هذه الكلمات عقيب كل فريضة أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث
لا يحتسب ويسر عليه أمر معيشته ولو كان عليه مثل جبل دينا أعانه الله
على وفائه .

وقال القاضي محمد بن سعيد بن كبن أخبرني من أثق به أن الشيخ بدر الدين
بن عقيل قال كنت أدعو بهذا الدعاء للعلم وكان صاحبني ناصر الدين بن مسلم يدعو
به للمال فرزقني الله من العلم كثيراً ورزقه من المال كثيراً وهو هذا الدعاء .
(أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم بديع السموات والأرض وما
بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب إليه يا الله يا واحد يا أحد
يا جواد يا واحد يا موجد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول يا غنى يا مغنى يا فتاح
يا رزاق يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام
يا حنان يا منان أنفخني بنفحة منك تغفني بها عن سواك) (إن تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح) . ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ ، ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ ،
يا غنى يا مغنى يا حميد يا مجيد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا ودود يا ذا العرش المجيد
يا فعال لما تريد أكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك إنك على
كل شيء قدير) .

(الفائدة السابعة) وهي منقولة من شرح أسماء الله الحسنى ينبغى أن تذكر

هنا « اسمه تعالى الففور » بركة هذا الاسم يقبل الله من المطيعين ويفقر للخاطئين .
ومن كان به ألم أو حزن أو هم أو غم وكتبه في ورقة ثلاث مرات أزال عنه
ذلك وشفي وإن كتبه وحمله كان أبلغ ومن داوم على قراءته بقاءه طهر الله قلبه
قال الشيخ زروق (الففور) خاصيته التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره ،
من كتبه إن به ضيق في النفس وتعب في البدن وثقل في الجسم وتمسح به
وشرب منه برىء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد
بركة ذلك ، واسمه تعالى ﴿ للففار ﴾ قال الشيخ زروق اسمه الففار وخاصيته وجود
للفقرة فمن ذكره أثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المفقرة . وقال غيره
من قال بعد صلاة الجمعة يا غفار اغفر لي ذنوبي مائة مرة غفر الله له كل ذنب
واسمه تعالى ﴿ التواب ﴾ قال بعض العلماء من قرأه بعد صلاة الضحى ثلثمائة
وستين مرة فإن الله يقبل توبته ومن قرأه على ظالم عشر مرات تخاص منه مظلومه .

(الفائدة الثامنة) قال الجيشى في كهاب البركة له قال صلى الله عليه وسلم
لو أن لصاحب هذا الاستغفار من الذنوب مثل السموات السبع والأرضين
السبع والجبال الرواسي وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وماء البحر وعدد
الرمل لحطه الله عنه وكتب له عدد ذلك حسنات ولا يفتر صاحبه أبداً وهو
هذا (اللهم إني استغفرك لما تبنت إليك منه ثم عدت فيه واستغفرك لما وعدتك
من نفسي ثم أخلفتك فيه واستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه فيه ما ليس لك
وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معاصيك وأستغفرك اللهم
الذي لا إله إلا أنت الحي القيوم عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل
ذنوب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به انتهى -

الفصل الرابع

في معنى الاستغفار

قال العلماء لفظ الاستغفار اللهم اغفر لي ويقوم مقامه استغفر الله لأنه خير بمعنى الطاب وقالوا معنى (الاستغفار) طاب المغفرة من الله تعالى ، وتقدم عن الفضيل بن عياض أن قول العبد استغفر الله تفسيره أقتنى وهو مأخوذ من الغفر بمعنى الستر ومنه المغفر الذي يستر به الرأس فمغفرة الله تعالى ستر الذنوب ومحوها وكذلك (الغفر) معناه محو الذنوب واندراسها ومنه عفت الرياح الآثار إذا أزالتها ومحتها . وقال ولا تنال المغفرة إلا بفضل الله تعالى وإتمام الأعمال مهيات ومعدات لقبول المغفرة والكل بفضل الله تعالى .

واختلفوا هل انغفو أفضل أو المغفرة والصحيح أن المغفرة أفضل وهي مراتب شتى ، منها غفران المعاصي ، ومنها غفران الغفلات عن الله تعالى وهي للعارفين ، وغايتها مغفرة ما تقدم وما تأخر ولم يقع ذلك لأحد في الدنيا إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صار صاحب المقام الحمود والشفاعة العظمى وإليه الإشارة في حديث الشفاعة اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما أعطاه الله عز وجل للمغفرة الكاملة الشاملة في الدنيا ذهبت عنه وحشة الخجل والحياء وأقامه الحق تعالى في مقام البسط والثناء فقال أنا لها أنا لها . وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لم تطلق عليهم المغفرة في الدنيا ووعداؤها في الآخرة وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين اه .

خاتمة

في تصحيح معنى التوبة وشروطها وفرائضها وكالاتها وما يعين عليها كما وعدنا بذلك فيما تقدم لقول سيدنا عمر رضي الله عنه بعد تمام الاستغفار (تائب

(إلى الله) وفيما ورد في ذلك من الآيات والأخبار .

أما الآيات فقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا توبُوا إِلَى اللَّهِ توبة نصوحاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَتوبوا إِلَى اللَّهِ جميعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لعلكم تفلحون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظيم فضل التوبة والحث عليها .

وأما الأخبار فقد روى أبو سميد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسماً وتسمين نفساً ، فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأناه فقال : إنه قتل تسماً وتسمين نفساً فهل له من توبة فقال : لا ! فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأناه فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : إنه جاء تائباً ومقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاها ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فأبى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقيسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد يشير ، فقبضته ملائكة الرحمة . أخرجه الشيخان زاد في رواية فلما كان بيمض الطريق أدركه الموت فجعل ينوء بصدره نحو القرية الصالحة فجعل من أهلها .

وفي أخرى : فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقرّبى وقال : قيسوا ما بينهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتغوا
 لتاب الله عليكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : التائب حبيب الله ذكره في الأحياء .
 وفيه يروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام
 هتته الملائكة فهبط إليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت
 عيناك بتوبة الله عز وجل عليك ، فقال آدم عليه السلام : يا جبريل وإن كان
 بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ورثت ذريتك
 التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم ليته كتبتك ومن سألنى
 المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب محبب ، يا آدم وأحشر التائبين من القبور
 مستبشرين ضاحكين ودعائهم مستجاب انتهى ما ذكره الفزالي .
 ومن أراد تحقيق أحكام التوبة فعليه بكتاب التوبة من الأحياء ، فإن الشيخ
 رحمه الله قد حرر معانيها بالعلوم الجليلة والدقيقة من حيث الشريعة والطريقة
 والحقيقة ، وبالجملة فكتاب الأحياء أنفع ما قرأه الأحياء . بعد كتاب الله وسنة
 رسول الله .

شروط التوبة وفرائضها وكالاتها وما يعين عليها

وقال العلماء العاملون العارفون بالله : شروط صحة التوبة ثلاثة : النية على
 ما فات ، والإقلاع فى الحال ، والنية أن لا يعود . وقيل إنها أربعة وعد منها
 العلم بمضرة الذنوب .
 وأما فرائضها فهي أربعة : رد المظالم ، واجتناب المحرم ، وأداء الحقوق ،
 وتصميم القصد .

وأما كالاتها فهي ستة : تصحيح التقوى بالورع ، وتحقيق الاستقامة
 بالصدق ، وتحسين الخلق بمعاملة الخلق مع مساحتهم ، والتشديد للعمل ، والإعراض
 عن كل معارض وعائق وكسل ، وترك ما سوى الله تعالى جملة وتفصيلا .

إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت قبل : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها انتهى .

وقد أجمع أهل السنة على صحة توبة العبد من القتل ومن أخذ المال بغير حق ومن شرب الخمر وسائر المعاصي . وسئل مسروق رحمه الله هل للقاتل المؤمن توبة فقال لا أغلق باباً فتحه الله تعالى . وكان طلق بن حبيب رحمه الله يقول إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العبد وإن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها ولكن أصبحوا وأمسوا تائبين .

وقد سئل بعض الحكماء هل يعرف العبد إذا تاب توبته قبلت أم ردت ، فقال : لا ولكن لذلك علامات منها أن لا يرى أن نفسه معصومة من المعاصي ، ويرى الفرح عن قلبه غائباً ، والهم شاهداً ، ويقرب من أهل الخير ويبعد من أهل الشر ، ويرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل الآخرة قليلاً ، ويرى قلبه مشتغلاً بما أمر الله سبحانه وتعالى فارغاً عما ضمن الله له ، ويكون حافظ اللسان دائماً الفكرة ملازم النعم والندامة .

قلت : وهذا كما قيل إن علامة الحج المبرور ثلاثة أشياء : أن يأتي الحاج بعد قوله من الحج زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وأن يستبدل بإخوان الشر والفلة إخوان الخير واليقظة .

وقال لقمان لابنه : يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة .
وقال عبد الله بن سلام : لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل .
إن العبد إذا أذنب ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ، قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : أن يكون نصب عينيه تائباً منه فاراً حتى يدخل الجنة . وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وفي البخاري بسنده إلى أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم

قال : قال رسول الله ﷺ : لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط
على بعميره وقد أضله رض فله
وفيه أيضاً بسند الحارث بن سويد قال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن
يرى ذنوبه كأنه قائم على جبل عال يرى ذنوبه كأنه قائم
كذباب مرّ على أ فقال به ذاء ، ثم قال ابن شهاب بيده فوق أنفه :
الحديث بتمامه .

وفي الصحيح أن بسنده أن إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والله إنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم
أكثر من سبعين مرة .

قلت : وقد بو هذا الإمام البخاري في صحيحه الذي هو أصح
الكتب بعد كتاب بابا فاذ الأخي إلى من غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر ، كيف يد ر الله و ب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين
مرة ؟ فكيف بنا و رهائن ا ب والعيوب . وقسوة القلوب ، لا نستغفر
ونتوب ، عسى الله هذا الت لوهوب . السيد المحبوب أن يتجاوز عن
سائر الحوب والوزر ا ب المك ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ،
ربنا ظلمنا أنفسنا وإن تقفر لنا حمنا لنكونن من الخاسرين .

محل قبول التوبة

وأما محل قبول توبة من ا فهو ما دام الروح في الجسد لقوله تعالى :
﴿ إنما التوبة على الله أن يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك
يتوب الله عليهم ﴾ .

فيل في التفسير أن قريب من قبل الموت وقبل معاينة ملك الموت لما روى
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ ، رواه
ابن عمر ونقله البغوي بسنده في تفسيره .

وفي كتاب الناسخ والنسوخ للشيخ للفسر ابن سلامة : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما حدُّ التائبين ؟ فقال : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير ! ثم قال : ومن تاب قبل موته بمجموعة قبل الله توبته ، ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير ، ثم قال : ومن تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثم قال : ومن تاب قبل أن تفرغ نفسه قبل الله توبته ثم تلا ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ قال صلى الله عليه وسلم : كل ما كان قبل الموت فهو قريب فينبغي للمؤمن أن لا يهمل شأن التوبة لقوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ولا يقنط من المفرة لما يعلم من نفسه وغيره من عظام الذنوب وفاضحات الميوب لقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم ﴾ الآية .

﴿ تنمة ﴾ قد اختار سيدنا عمر هذه الصيغة من الاستغفار وهي قوله استغفر الله . في هذا الراتب العظيم لما روى عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من صلاته : استغفر الله ثلاثاً ، وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام . قيل للأوزاعي وهو أحد رواة الحديث : كيف الاستغفار ؟ قال : يقول استغفر الله ، ذكره النووي في كتابه الإذكار انتهى .

وهذا دعاء مبارك من أدعية سيدي أبي الحسن الشاذلي نقله ابن عباد في شرح الحكم أردنا إثباته هنا للمناسبة وهو « اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونموذ بك من المعصية وأسبابها وذكّرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكير في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بنا هو بضدها بالكرامة لها والطعم لما هو بضدها » .

الذكر السابع عشر وشرحه

وقد جعل سيدنا عمر هذا الذكر خاتمة الراتب وفيه إشارة لطيفة إلى رجاء حسن الخاتمة فقال ﴿يا الله بها يا الله بها﴾^(١) يا الله بحسن الخاتمة . (ثلاثاً) ثم قال الشيخ على . وكررها تارة كيداً واهتماماً بشأنها لأن كمال الأعمال وتتمام الأحوال عند حضور الآجال وخواتيم الأعمال بأن يقبض العبد وهو مستغرق في مشاهدة الحق غائب عن مظاهر السوء . وقد ذكر بعض للكاشفين أن إبليس ظهر له في صورة شخص يعرفه فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوم الظهر فقال له ما الذي أبكاك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا ينجيهم فيحزنني ذلك ، قال فما الذي أنحل جسمك قال صبيلا الخليل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي ، قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المصية كان أحب إلي قال فما الذي قصم ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويانا متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن . فهذا الأثر المذكور عن هذا العارف المكشّف يؤكد ويرغب في كثرة سؤال حسن الخاتمة فينبغي للمريد أن يستكثر من ذلك ختم الله لنا ولوالدينا ولاحببنا بالحسنى آمين .

(قالت) وللشيخ على بعد إكمال الشرح هنا خاتمة قد نقلناها في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وغالبها أوردناه في الفصل الجامع للكلمات الجامعة التي وردت في الثناء على أكابر الأولياء في الجزء الأول منه فلا نعيدها هنا .

ولنشرع في ذكر مافتح الله به من بيان معنى حسن الخاتمة وأصلها وحقيقتها وعلاماتها الدالة عايتها من حيث الشريعة وأتباعها فقول .

اعلم أن أصل حسن الخاتمة إنما هو حسن السابقة فمن خالق سعيداً مات

(١) التفسير في بها راجع لحسن الخاتمة .

سعيداً ومن خلق شقياً مات شقياً فهذا من العلم القطعي الذي لا شك فيه لتواتر الدلائل القرآنية والسنية والعقلية عليه وإلى الله عاقبة الأمور .

* * *

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآيات وقال تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقال تعالى : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) . وقال تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الآية . وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وقال تعالى : (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) وقال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) وقال تعالى : (فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد) الآيات وقال تعالى (كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) قال البغوي أي أن الله بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ثم يبدئهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً . قال أبو العالية يعودون إلى ما علمه فيهم . وقال سعيد بن جبير كما كتب عليكم تكونون انتهى ، وقال بعضهم الناس سيكون على العاقبة وأنا أبكي على السابقة قال الله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ثم قال سبقت لهم العناية في الابتداء فوجب لهم الولاية في الانتهاء .

وقال الواسطي أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسمائيات .

وفي حكم ابن عطاء الله تحقيق لسر هذا المعنى حيث يقول علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية . فقال يختص برحمته من يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتكروا العمل اعتماداً على الأزل فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين .

وفي الإحياء قال سهل رحمه الله تعالى يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كُنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فإنه الآن كما كان .

وقال أبو عبد الله القرشي من لم تكن له سابقة عناية لم يقدر أحد على نفعه . والراسخون في العلم يعلمون أن المؤثر هو الله تعالى والأسباب أيضاً لها دخل ولهذا قال نبي الله يعقوب لأولاده (وما أغني عنكم من شيء) إشارة إلى أن الخبز لا يدفع القدر ، قال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل بأعمال أهل السعادة كما أن إبليس كان يعمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بأعمال أهل الشقاوة كما أن السحرة [سحرة فرعون] كانت تعمل بأعمال أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة وذلك بالإرادة السابقة الأزلية في الهداية والضلالة ، وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (أُمّ يسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

فانظر رحمك الله إلى سبق الحسنى لهم منه في الآية وإلى هدايته ومحبته

بسابق تقديره ونافذ إرادته ومشيتته وتفضله بتوفيقه وعنايته ورضاه لمن أراد
(فإن قلت) قد قال الله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
(فاعلم) أن هذه الآية هي التي يحتاج بها على أن حسن الخاتمة هي السابقة وهو
ظاهر لأن المراد بالمحو والإثبات أشياء سوى السعادة والشقاوة كما روى عن
سعيد بن جبير أنه قال . يمحو الله ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها . ويثبت
ما يشاء ولا يغفرها . وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت
بدل الذنوب حسنات . وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه
ويبدله ويثبت الرزق والأجل والسعادة .

وفي البغوى أن عمر كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم إن
كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وإن كنت كتبت على الشقاوة
فامحني واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فإنك تحو ما تشاء وتثبت وعندك
أم الكتاب .

وقيل إن معنى الآية أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم
فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قوله أكلت
دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صاقي فيه ، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب
هذا قول الضحاك والمكلمي قال المكلمي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم
الطيس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس : هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمصية الله
فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو ، والرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في
طاعته فهو الذي يثبت ، وقد قال تعالى ﴿ لا تبدل لكلمات الله ﴾ وقال تعالى
﴿ لا تبدل لكلماته ﴾ الآية .

وأما الأخبار فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أدرك

النبي صلى الله عليه وسلم جنازة صبي من صبيان الأنصار ، فقالت عائشة طوبى لـ
عصفور من عصافير الجنة فقال لها : رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بدريك
إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها
أهلاً وهم في أصلاب آبائهم (أخرجه مسلم) .

وقال صلى الله عليه وسلم : كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات
والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء .

وقد قيل له عليه الصلاة والسلام : أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه
أشياء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سابق أم فيها يستقبلون فقال لا . بل شيء
قضى عليهم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها
فجورها وتوأما ﴾ .

وقال عليه السلام : إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن
ككتاب واحد يصرفها كيف يشاء ، ثم قال : اللهم مصرف القلوب مصرف
قلوبنا على طاعتك .

ولقد خرج عليه الصلاة والسلام وفي يده كتابان فقال للذي في يده البني
هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل
على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله هذا كتاب
من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم
فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال : بيدي ونفسي ، ثم قال : فرغ
ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير . وكان عليه السلام يكثر من
قول : يا مغتاب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقيل له : يا رسول الله !
وهل تخاف علينا ؟ قال : إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقابلها
كيف يشاء .

وقال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه الشيخان .

وقال في بعض روايات البخاري : إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه .

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل : والشقي من شقى في بطن أمه وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه ، الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ، ويحيى مؤمناً ، ويموت مؤمناً . ومنهم من يولد كافراً ، ويحيى كافراً ، ويموت مؤمناً . الحديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ذلك النور ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى ، أخرجه الترمذي .

وروى الإمام البغوي بسنده إلى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض جميعاً من شيء أ كنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك . أخرجه الشيخان .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق ، فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا النساء واشتدت المزوبة وأحببنا العزل ، فقلنا نغزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ؟ فسألناه ، فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة ، أخرجه الستة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناها النظر ، والأذنان زناها الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه (متفق عليه) .

وعنه قال : قالت يا رسول الله إني رجل شاب وأخاف الفتنة ، ولا أجد ما أتزوج به ، ألا اختصي ؟ فسكت عني ، ثم قلت له فسكت عني ، ثم قال : يا أبا هريرة ! جف القلم بما أنت لاق فاخص على ذلك أو ذر ، أخرجه البخاري والنسائي .

وعن سعيد بن الحارث قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : أولم تنتهوا عن النذر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره وإنما يستخرج به من البخيل أخرجه الخمسة إلا الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره ولكن النذر يوافق القدر

فيخرج بذلك من البغيل ما يريد أن يخرج . أخرجه الخمسة واللفظ لمسلم :
وفي كتاب جواهر العقدين عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي
ابن أبي طالب رضي الله عنهم قال : إن الله تعالى أخذ ميثاق من يحبنا وهم في
أصلاب آبائهم فلا يقدرّون على ترك ولا اتيان ، لأن الله عز وجل جبلهم على
ذلك ، أخرجه الجماعان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو
خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً
من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : ذريتك !
فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : رب من هذا ؟ قال :
داود ! قال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : رب زده من
عمرى أربعين سنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما انقضى عمر آدم عليه السلام إلا
أربعين سنة جاءه ملك الموت ، فقال آدم : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟
فقال أو لم تعطها ابنك داود ؟ فبحمد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فأكل من
الشجرة فتسيت ذريته وخطيء آدم فخطئت ذريته ، أخرجه الترمذي وصححه .
والويص بالموحدة والمهملة اليريق .

وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : شكى نبي من الأنبياء ما ناله من
المكرّوه إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه كم تشكوني ولست بأهل ذم ؟
هكذا بدء شأنك في علم الغيب فلم تسخط على حسن قضائي عليك أفتريد أن أغير
الدينا من أجلك وأبدل اللوح بسببك وأقضي لك بما تريد دون ما أريد ويكون
ما تحب دون ما أحب أنا بعزتي خلقت لئن تلجأج هذا في صدرك مرة أخرى
لأسأبتك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا أبالي .

وقال عليه السلام : إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يحتم له بعمل أهل الجنة .

وقال عليه السلام : إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهم النار ، رواه أبو هريرة نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

وقال صلى الله عليه وسلم : خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ، ثم ضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، ثم قال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي ، رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء .

فهذه هي السابقة المبشرة بحسن الخاتمة اللاحقة أو ضدها وهي التي بعدها فإننا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا المنقلبون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بمبد خيراً استعمله قيل : كيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى وقال يا غلام احفظ الله تجده تجاهك ، أو قال أمامك تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فهو جهد الخلاق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لم يقدرُوا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدرُوا عليه فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع الكرب الفرج وإن مع العسر يسراً .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاج آدم موسى عليهما السلام فقال أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشتيتهم فقال آدم لموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلو منى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أخرجه الستة إلا النساء ، الحاجة الخاصة .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله أباه آدم عليه السلام فقال أنت أبونا آدم فقال نعم فقال أنت الذى نفخ الله فيك روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة عليهم السلام فسجدوا لك قال نعم قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم ومن أنت قال أنا موسى قال أنت الذى اصطفاك الله برسالاته أنت نبي بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء الحجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال نعم قال فما وجدت أن ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق قال بلى قال أفتلومنى فى شيء سبق من الله فيه القضاء قبل أن صلى الله عليه وسلم عند ذلك فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا عليهما السلام أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الروح الأمين ألقى فى روعى أن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

وروى الإمام البغوى بسنده أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سئل عن قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبمعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبمعمل أهل النار يعملون فقال رجل فقيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بمعمل

أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة الجنة فيدخله به الجنة وإذا خالق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار . وقال عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قليل وما استعمله . قال يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله .

وقال مقاتل وغيره من أهل العلم إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليماني فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الدر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الدر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال ألت بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين . وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً في صلبه فأهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) .

واختلف أهل العلم في موضع أخذ الميثاق فقال ابن عباس يبطن نيمان واد إلى جنب عرفة وروى أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلّموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري لا تشركوا بي شيئاً فإني سأنتقم ممن أشرك بى وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقى ومنزل عليكم كتباً فتكلموا جميعاً وقالوا شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك موافقيهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم فرأى منهم الفنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا سويت بينهم قال إني أحب أن أشكر فلما قرروهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فذلك قوله وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم أى من ظهور بنى آدم ذرياتهم الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لا شبح عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة أخرجه أبو داود في رواية ذكر فيها قصة طويلة عن الزراع وكان في وفد عبد القيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له ذلك قال يا رسول الله قديما كان ذلك أو حديثا قال قديما قال الحمد لله تعالى الذي جبانى على خاتين يحبهما الله تعالى ورسوله .

﴿ نكتة ﴾ يقال إن ملك الموت عليه السلام دخل يوماً على سليمان بن داود عليه السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره إلى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم يا نبي الله من كان ذلك الرجل فقال إنه ملك الموت فقال يا نبي الله رأيته يطيل النظر إلى وأخاف أنه يريد قبض روعي فخلصني من يده قال وكيف أخلصك قال تأمر الريح أن تحملني إلى بلاد الهند فلعلمه أن يضل عني ولا يجذني فأمره إيمان عليه السلام الريح أن تحمله في الساعة إلى أقصى بلاد الهند في الوقت ، وفي الوقت نفسه سار الملك إلى الهند وقبض روحه هناك وعاد ملك الموت ودخل على سليمان فقال له لأي سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل فقال كنت أتعجب منه لأنني أمرت بقبض روحه بأرض الهند وهو بعيد عنها إلى أن اتفق وحملته الريح إلى هناك كما قدر الله فقبضت روحه هناك انتحى . فانظر كيف طالب هذا الإنسان من نبي الله سليمان . ما سبق به قضاء الرحيم الرحمن .

وعن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه الشيخان . (قلت) فانظر كيف كان التعارف بين الأرواح في سابق علم الله سبباً لتألفها في الدنيا ومحبة بعضها لبعض . والتناكر في السابق أيضاً سبباً للاختلاف والعداوة فلم لما ترى .

وقال الشيخ محمد العمري في كتاب بحر الأنوار قد أجمع أهل السنة على أن الأعمال ليست سبب السعادة والشقاوة وأنهما سابتان بمشيئة الله تعالى وإعنا

الأعمال شعار العبودية وتابعة للسابقة وأماره عليها والتعري عنها معلول التقدير السابق وأماره عليه قال ومع ذلك هم مجمعون على أن الله يثيب عليها ويعاقب لأنه وعد على صالحها وأوعد على سيئها فهو ينجز وعده ويحقق وعيده إن شاء لأنه صادق وخبره صدق وقد قال صلى الله عليه وسلم أعملوا فمكمل ميسر لما خلق له معناه أن من قدرت له السعادة إنما قدرت له بسبب تيسر أسبابها له وهو العمل الصالح ومن قدرت عليه الشقاوة إنما قدرت عليه بسبب وهو بطالته وعمله السيئ. وقد يكون بسبب بطالته أن يستمر في خاطره أنى إن كنت سعيداً فلا أحتاج إلى العمل وإن كنت شقيفاً فلا ينفعنى العمل وهذا جهل كبير فإنه لا يدري أنه إذا كان سعيداً إنما يكون سعيداً لأنه تجرى عليه أسباب السعادة من العلم والعمل فإن لم يتيسر له ذلك ولم يجز عليه فذلك أماره شقاوته. قال ويكفى العبد الضعيف الدليل عزاً وشرفاً أن يتوجه إليه خطاب ذى الجلال بالأمر والنهي اه كلام العمري .

وقال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| أطالع أمر القبضتين . فقبضة الـ | يمين وأخرى لليمين الأخيرة |
| فسبق سعادات وسبق شقاوة | بمحض اختيار دون سعى وحيلة |
| وأعمالهم تجرى على وفق سابق | لهم عنده وانتم كالأولياء |
| ومسح يد الرحمن ظهر صفيه | فأخرجهم كالذر . يوم الشهادة |
| فاشهدهم والكل منهم موحد | هناك وبعد الأمر ناف ومثبت |
| وسراً خفياً حار فيه أولو النهى | على صورة في الصورة الإدمية |
| فنزّه آلّه العالمين وقدّسن | عن الصورة الحسية البشرية |
| وغص في بحار السر إن كنت عارفاً | بساحتها الدرية الجوهرية |

إلى آخر ما قال في تائيته المشهورة :

وقال الشيخ عوض با مختار فيما نظم في ذلك من الأشعار .

هيئات ما قد كان في الكون كان في الكاف والنون القروط يافلان
 حدّحلّ بالحرفين في أعلى مكان وحد تعذب ما وصل مطلبه
 ما يقطع الرأس غير من ركبته

وقال سيدي الشيخ حسين الأهدل في معنى ذلك .

لا أعتب الدهر ولا أهله في حط مقـدار ولا منزله
 نحن قـمنا بينهم قاله آلهنا والخلق والأمر له
 فالحمد والشكر لمن قد جرت أحكامه بالقسمة العاد له
 وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي بعد إيراد كلام طوبل في المعنى
 هذه الأبيات .

وهل أنعمت نعم بـنـمان باللقا لنا أم نوت في سرمد الدهر تهجر
 فإن واصلتنا فالكارم وصفها وإن قاطعتنا نحن أدنى وأحق
 ثم قال عنيت بذلك حسن السابقة لأن على وفقها يكون حسن الخاتمة اللاحقة
 قال ونمان هو الوادي المشهور الذي حصل النداء من الحق فيه خلّقه حيث قال
 أـلـست بربكم قالوا بلى إلى آخر ما ذكره الإمام اليافعي نفع الله به .

وقال النقيـه العلامـة الشيخ عمر بن عبد الله بن أحمد مخرمه رضى الله عنه .
 ما هي إلا سوابق وجه ذا أبيض وذا أسود

مالنا بالعنا لو يجهد العبيد ما أجهد
 مانجا من نجا إلا بالقادر أنا أشهد
 أشهد أنه كذا وأشهره في كل مقعد

وعن علي رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
 من أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو مقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلا تتكل
 قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى

ففسره للبصري وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ففسره للبصري نقله
الحب الطبري في كتاب الرياض . ثم قال أخرجاه يعني البخاري ومسلم .

وقال الشيخ الحافظ علي بن حسن بن عساكر رحمه الله :

أيا نفس ويحك جاء المشيب فإذا التصابي وماذا الغزل
تولى شبابي كأن لم يكن وجاء مشيبي كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة وخطب النون بها قد نزل
فياليت شعري بمن أكون وما قدر الله لي في الأزل
وقال آخر

جرى قلم القصاص بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنونا منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين
انتهى - فتدبر هذه الأقوال ، وما فيها من الإشارات وخف من سطوة
ذی الجلال .

فقد روى أن بعض العارفين كان يقول ما بكائي وغمي من ذنوبي وشموائي
فإنها أخلاق وصفاتي لا يليق بي غيرها . إنما حزني وحسراتي كيف قسمي ونصبي
حين قسم الأقسام وفرق العطاء بين عباده وما كان قسمي منه البعد أم القرب ؟ انتهى .
وذلك إن الإنسان ما دام حياً إن كان كافراً يرجي له الإسلام . وإن كان
مسلماً يخاف عليه الكفر لأن هذه الدار ما هي دار طمأنينة لخلق ما لم ييشر
أى ما لم يكن من أولياء الله المشار إليهم بقوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم اليسرى في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله)

ثم إنه إذا بلغ هذا المقام وتيقنه صار اشتاقه أكثر وذلك على عامة المسامين
كل الأنبياء فافهم .

وقد جاء عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه واجعل خير أيامي يوم ألقاك » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال من كان مستنأ فليستن عن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم لإقامة دينه . فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداى الله تعالى من الضلالة فى الدنيا ووقاه سوء الحساب فى الآخرة .

نكته

حكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثاً وثلاثين حجة فلما كان فى آخر حجة حجها قال وهو بعرفات اللهم إنك تعلم إنى وقفت فى موقفى هذا ثلاثاً وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى . والثالثة عن أمى فأشهدك يارب أنى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تقبل منه فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن يقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام .

مهمة من تحقيق بعض الأئمة

قال : المكلفون على أربعة أقسام (القسم الأول) : قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ولجنته وهم الأنبياء والأولياء والمؤمنون والصالحون . (القسم الثانى) قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفاراً ثم ختم لهم (١٨ - القرطاس)

بالإيمان وفرطوا مدة حياتهم وانهمكوا في المصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فأتوا على حال التوبة والإحسان كسحرة فرعون . (القسم الثالث) قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا في الدنيا نعيم الإيمان وفي الآخرة يخلدون في العذاب والهوان . (والقسم الرابع) قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله تعالى ثم مكربهم فطردوا عن باب الله تعالى وماتوا على الكفر نسأله الله السلامة بمنه وكرمه .

ثم اعلم أن الإنسان مطالب بأداب العبودية وتفويض بواطن الأمور إلى الله تعالى .

قال سيدي عمر بن علي بن الفارض :

إني حتم الله بفقرانه فكل ما لا يقته سهل

وقال الإمام الجنيد بن محمد إن الله سبحانه وتعالى يعامل عباده في الآخرة بمثل ما عاملهم في الدنيا بدأهم تكراً وأمرهم ترخاً ووعدهم تفضلاً ويزيدهم تكراً بمعنى أن الخاتمة للسابقة فأبته بدأهم مع غناه عنهم فخلقهم ورزقهم ووقفهم لما إليه قربهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم وهذا نهاية الترحم ، ووعدهم بالحنان وتخييرات الحسان . وذلك بمحض الفضل والامتنان . لعدم استحقاقهم عليه ذلك بأعمالهم ويزيدهم على ما وعدهم بأن يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً وذلك عين التكرم فمن شهد بره القديم يسهل عليه أداء أمره وسلوك صحراطة المستقيم .

وكان الشيخ الشبلي رضي الله عنه يقول ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب وما أنت صانع في ذنبي يا غفار الذنوب وبم تحتم علي يا مقلب القلوب وينشد .

ليت شعري كيف ذكرى عند من يعلم سرى

أجمل أم قبيح أم بخير أم بشر
 ليت شعري كيف موتى ييقن أم بكفر
 أترى يقبل قولى أم ترى يشرح صدرى
 ليت شعري كيف حالى يوم إحصارى وحشرى
 ليت شعري أين أمضى لنعم أم لجر

خاتمة

قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الألواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارب ما هذه الأمة للرحومة التى أجدها فى الألواح قال هم أمة محمد يرضون منى باليسير أعطيهم إياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله . قال إني أجد فى الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غراً محجلين قال يارب إني أجد فى الألواح أمة أردبتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفتق يقاتنون الدجال فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد ، قال يارب إني أجد فى الألواح أمة يصلون فى اليوم خمس صلوات فى خمس ساعات تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ، قال يارب إني أجد فى الألواح أمة تجعل لهم الأرض مسجداً وطهوراً وتحل لهم النساء فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد ، قال يارب إني أجد فى الألواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب إني أجد فى الألواح أمة يحجون لك البيت ليقضوا منه وطراً يعجون لك بالبكاء عجيماً ويضعون لك بالتلبية ضجيجاً فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال فما تعطيتهم على ذلك . قال أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراهم . قال يارب إني أجد فى الألواح أمة

يستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة إلى فيه فلا تستقر في جوفه حتى يفقر
له يفتحها باسمك ويختتمها بحمدك فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد . قال يارب إني
أجد في الألواح أمة أنا جيلهم في الصدور وبقرونها فاجعلهم أمتي . قال هم
أمة محمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم
أمتي قال هم أمة محمد . قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة
ثم لم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي
قال هم أمة محمد . قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم خير الناس يأْمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد . قال يارب إني
أجد في الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلثة يدخلون الجنة بغير
حساب وثلة يحاسبون حساباً يسيراً وثلة يمحّصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم
أمتي قال هم أمة محمد . قال موسى يارب بسطت هذا الخير لأحد وأمته فاجعلني
من أمته . قال تعالى لموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين .

وذكر الإمام القشيري في رسالته قال جاء رجل إلى ذي النون المصري
وقال له ادع الله تعالى فقال إن قد أيدت في علم الغيب بصدق التوحيد فكم
من دعوة مجابة قد سبقت لك والأفان النداء لا ينقذ الفرقى وقال أيضا في رسالته
المشهورة بعد أن أورد فيها جملا من كلمات المشايخ يقولون ما نجا من نجا إلا بكذا .
فقال القشيري ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضا قال شيخ الإسلام في شرح
الرسالة هذا القول مُعْرِض عن الأسباب فإن قائله إنما تكلم على ما سبق لمن
نجا عند الله تعالى ، وفي كتاب التنوير أعلم أن الذي يملك على اسقاط التدبير
والاختيار مع الله تعالى أمور (الأول) علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم

إن الله تعالى كان لك قبل أن تكون لنفسك فكأن كان لك مدبراً قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه فكذلك هو سبحانه مدبر لك بعد وجودك فكن له كما كنت يكن كما كان لك ولذلك قال الحسين الخلاج كن لي كما كنت لي في حين لم أكن فسأل من الله تعالى أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له قبل وجوده لأنه قبل وجوده كان مدبراً يعلم الله وليس للعبد هناك وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان والعياذ بالله تعالى لأجل ذلك، ثم قال أعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أحوالك وقام لك في كل ذلك بوجود إبرارك قيام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم أنت بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك أن عرفك به حينئذ عرفته فتجلى لك فشهادته واستنطقك وأخملك الأقرار فوحدته ثم إنه جعلك ذليلاً مستودعة في الأصلاب من لذات أبيك آدم ثم قذفك في رحم أمك إلى آخر ما ذكره من تنقلاتك في الأطوار في هذه الدار وفي دار التقرار فافهم معاني الأسرار انتهى (قلت) وتولا حسن السوابق من الرحيم الخالق لما قال النبي الصادق في الحديث الصحيح النبايق إن الله خدائن من خلقه يغذوهم في رحمته يحبيهم في عافية ويميتهم في عافية وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية رواه ابن عمر .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عباداً يرضيهم عن القتل وبطيل أعمارهم في حسن العمل وينحس أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش فيعطيهم منازل الشهداء . رواه ابن مسعود .

فصل

في ذكر شيء من علامات حسن الخاتمة وعلامات سوء الخاتمة

أما الآيات فقد قال الله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال تعالى (إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يقضى عنه ماله إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم ناراً تلتظى لا يصلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجننها الأتقى الذى يؤتى ماله بترزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وقال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) وقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) وقوله عز وجل (تلك حدود الله ومن يطمع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقوله عز وجل (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) وقوله تعالى (إن الأبرار لنى نعيم وإن الفجار لنى جحيم) .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن السعيد من طال عمره فى طاعة الله والشقى من طال عمره فى معاصى الله .

وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عز وجل فى قلبه وإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه » . قال ابن عباد وهذا الإنزال المذكور المنسوب إلى العبد هو معنى إقامة الله له فيما أقامه فيه إذ العبد لا فعل له على التحقيق .

وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر فى

طاعة الله تعالى . وفي الحديث إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصّره بعيوب نفسه . وقال صلى الله عليه وسلم « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

وقال صلى الله عليه وسلم « من اشتاق إلى الجنة يسارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في النساء والطين . وعن حميد قال سمعت معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع ، أخرجه الترمذى .

وعن عمار بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن يلبج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني الفجر والمغرب ، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى .

وروى إذا أراد الله بعبد خيراً سلط عليه من يظلمه .

وقال صلى الله عليه وسلم : من أحبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي . وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عَصُوا عليها بالنواجذ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة فقال لها : إن أردت الحقوق بى فإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تنزعى ثوباً حتى ترقع فيه .

وروى ابن المسيب عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام .

وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحمتهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة أخرجه الأربعة إلا الترمذى .

وفي الحديث الصحيح أيضاً عن أبي ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى : (وجبت محبتي للمتجابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتبازلين في) ، أخرجه مالك .

وقال صلى الله عليه وسلم : أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ، أخرجه أبو داود عن أبي ذر .

وفي الحديث أيضاً عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة لمسكانهم من الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله أتخبرنا من هم ! قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رواه أبو داود .

وفي الحديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل . قلت : لأن ذلك يؤدي إلى الختام الحسن لأن المرء يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه فافهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسح . قيل : يا رسول الله هل لذلك من علامة ! قال : نعم التجافي عن دار

الفرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله .

وقال جابر بن عبد الله أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبات ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار :

وعن أبي بكر رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، قال : فأى الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أربعة من الشقاء : جود العين ، وقساوة القلب ، وطول الأمل والحرص على الدنيا .

وعن العلاء بن زياد أنه كان يذكّر بالنار ، فقال رجل : لم تقتط الناس ؟ فقال : وأنا أقدر أن أقط الناس والله تعالى يقول : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ . ويقول : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوى أعمالكم وإنما بعث الله محمداً مبشراً بالجنة لمن أطاعه ومنذراً بالنار لمن عصاه ، أخرجه البخارى تعليقاً .

وقال صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى . رواه الترمذى وحسنه .

وأجمع ما فى هذا الباب من العلامات ما نقله الإمام محمد العمري فى كتابه بحر الأنوار . قال سلمان الفارسى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارقبوا الميت عند موته فى ثلاثة أشياء : إن رشحت جبينه ، وذرفت عيناه ، وانتشر منخراه ففى رحمة من الله قد نزلت به . وإن غط غطيظ البكر الجنون وأحمر لونه وأربد شداقه فهو عذاب من الله قد حل به .

وقال العمري : ومن علامات حسن الخاتمة بالخير توفيق المرء للعمل الصالح .
وجاء في الحديث الشريف : إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه قبل موته
بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحيائه ، ويقول الناس : مات
فلان على خير أحيائه ، فإذا احتضر ورأى ما أعد الله له من النعيم جمل ينزع
نفسه من الحرص على أن يخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه . وإذا أراد
الله بعبد سوءاً والعياذ بالله قيص له قبل موته بعام شيطاناً يضله ويقويه حتى
يموت على شر أحيائه .

قال : ومن علامات سوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة أشياء : التهاون بالصلاة
وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين وأذى المسلمين .
يقال أيضاً : ورأيت منقولاً أن ثلاث طوائف يسابون التوحيد عند
الموت : المبتدع المهرج على بدعته ، ومحلل الحرام لنفسه ، والمدعى مع الله حالاً
وليس له حال .

علامات الشقاء وعلامات السعادة

وقال العمري أيضاً من كتاب تنبيه الغافلين أن علامات الشقي إحدى
عشرة خصلة : (أولها) أن يكون حريصاً على الدنيا وجمع المال . (الثاني) أن
تكون همته في الشهوات . (الثالث) أن يكون غشاشاً في القول مكثاراً .
(الرابع) أن يكون متهاوناً بالصلاة . (الخامس) محبته الفجار . (السادس) أن
يكون سيئ الخلق . (السابع) أن يكون غشاشاً غفوراً . (الثامن) أن يمنع
منفعته عن الناس . (التاسع) أن يكون قليل الرحمة . (العاشر) أن يكون
بخيلاً . (الحادي عشر) أن يكون ناسياً للموت فإنه إن كان ذا كراً للموت
لم تبق فيه خصلة من هذه الخصال .

وذكر أيضاً أن علامات السعادة إحدى عشرة : (أولها) أن يكون زاهداً

في الدنيا راغباً في الآخرة . (الثاني) أن يكون همه العبادة وتلاوة القرآن .
 (الثالث) قلة القول فيما لا يحتاج إليه . (الرابع) أن يكون محافظاً على الصلوات
 الخمس في الجماعة . (الخامس) أن يكون ورعاً فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات
 (السادس) أن تكون صحبته مع الصالحين . (السابع) أن يكون متواضعاً .
 (الثامن) أن يكون سخيّاً كريماً . (التاسع) أن يكون رحيماً بخلق الله .
 (العاشر) أن يكون نافعاً للخلق . (الحادي عشر) أن يكون ذا كراماً للموت كثيراً
 انتهى من كتاب بحر الأنوار .

وقال سيدي محمد الجواد بن علي الرضي رضي الله عنه : صحيفة السميد حسن
 الثناء عليه .

وقال الله الي : فإن قلت فليت شعري ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجى
 وما الذي سبق به القضاء في حق فلك علامة تستأنس بها ويصدق رجاؤك بسببها
 وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد
 يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك تبعد عن النار وإن كنت لا تقصد خيراً
 إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه . ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه فاعلم
 أنه مقضى عليك بالشقاء . فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة السحاب على المطر ،
 ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار
 لفي جحيم ﴾ ، فاعرض نفسك على الآيتين ، وقد عرفت مستفرك من
 الدارين انتهى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت رضي الله عنه :
 اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة : أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ،
 وأدوا الأمانة إذا أئتمتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم
 « رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد » .

وهن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة ، فقال ثوبان : أنا . فكان لا يسأل أحداً شيئاً ، أخرجه أبو داود والنسائي .

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال : كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال كل عتلى جَوَّازٍ مستكبر ، أخرجه الشيخان .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات وهو برىء من ثلاث . الكبر والغلول والدين دخل الجنة أخرجه الترمذى .



قلت : فانظر رحمك الله إلى هذه العلامات الدالة على السعادة والقبول من الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال فطاحل العلماء وأعلام الحكماء واكتف بالجملة عن التفصيل . واسأل مولاك أن يهديك إلى أقصد سبيل . وتوسل إليه بنبيه محمد وهو خير دليل . وجد في التحصيل وحسن التأميل بالنظر الجميل . واجتنب الرخص والتأويل : فما يفيدك الهذيان بالنقل والقياس إنما تنفك أصناف العبادة من ذكر وفكر وصلاة وزكاة وصيام وحج وتهليل وتجنب الأخلاق السيئة وتخلق بالخلق الجميل لتفوز بالخلد في النعيم في جوار تلك الجليل وقيل حسبى الله ونعم الوكيل .

وقال الإمام عبد الله بن غلوى الحداد شهادة السابقة الحسنة أربعة ملازمة الطاعات ومجانبة المخالفات وإيثار الآخرة على الدنيا والرضا بقضاء الله والتسليم له والاعتماد عليه في السر والتجوى فإذا صحت هذه الأمور للعبد وتمت له صار من المحسنين ورحمة الله قريب منهم .

وقال رضى الله عنه من أصلح نيته مع الله وصفى سريرته من إضمار الشر

لأحد من المسلمين وعول في جميع أموره على ربه كان في حوز الله وأمانه من كل مكروه فكونوا كذلك وفقكم الله .

خاتمة

في ذكر شيء مما يورث حسن الخاتمة

اعلم أرشدنا الله وإياك لمرضاته . ووقفنا لطاعاته . أن الذي يكون به حسن الحال . وحسن المال هو لزوم الطاعات في الأقوال والأعمال : والاعتقادات فاما الأقوال فهي تحقيق الشهادتين وكثرة الذكر بهما واستشعار معناهما على ما سبق تفصيله عند قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأما الأعمال فكالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الواجبات والمندوبات ، والتخلق بالأخلاق الحسنة والنجيات ، والتبري من الأخلاق السيئة المهلكات على وفق ما حزره وحققه حجة الإسلام الفزالي في الأحياء من ربح العبادات والعادات والمهاكات والنجيات ، وأما الاعتقادات فهي تحقيق ما اشتملت عليه عقائد أهل السنة والجماعة مما يطول ذكره ويتعذر حصره .

فإذا لزم المؤمن الموفق العمل بما ذكرناه بحسب الطاقة واجتنب ما نهى الله عنه من حرام وشبهة ومكروه وغير ذلك مما زجر الشرع عنه لاسيما المحافظة على إقامة الصلوات الخمس بشروطها وآدابها فترجو ممن له الجمال الأسنى أن يحتم له بالحسنى فضلا وكرما ورحمة ومنا . وقد ورد في الحديث يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من سره أن يلتقي الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يتنادى بهن فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا

مناقق معنوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف رواه مسلم . وفى رواية له قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه . نقله الإمام النووى فى رياض الصالحين .

وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على هؤلاء الصلوات عاش بخير ومات بخير رواه الترمذى وقال حديث حسن .

* * *

وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه من أحب أن يحتم الله بخير فليحسن الظن بالناس ، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه رواه مسلم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

فانظر رحمك الله إلى هذا الحديث وافهم الإشارة بأن من ختم الله له بالحسنى كان مقيله الجنة فيأله من مئة حيث شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طلب العلم موصل إلى الجنة وشهد صلى الله عليه وسلم أيضاً بأن العالم يستغفر له ما فى السموات وما فى الأرض وأى منصب أعظم من منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له وهو مشغول بما هو فيه ، وأى ذنب مع ذلك يبقى عليه ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف مثل شرف الوراثة لتلك الرتبة .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد

الله : خيراً يفقهه في الدين « متفق عليه » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع رواه الترمذى .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل على أدناكم الحديث رواه الترمذى .

وقد نقل حجة الإسلام الغزالي في الاحياء عن يزيد بن مدعور أنه قال رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمر دلني على عمل أتقرب به إلى الله عز وجل فقال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجات العلماء ثم درجات المحزونين . قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في القرية والحديث في الخلوة والدليل في السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة الحديث بتمامه إلى أن قال في آخره يلهمه السعادة ونحرمه الأشقياء .

وفي الخبر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق . وعن أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجر فان الفم والفرج .

وقال الشيخ محمد بن عباد في شرح الحكم ويقال من علامات التوفيق ثلاثة دخول البر عليك من غير قصد منك إليها ، وصرف للعاصي عنك مع السعي فيها ، وفتح باب اللجأ والافتقار إلى الله تعالى في كل الأحوال ، ومن علامات الخذلان ثلاثة تصر الطاعات عليك مع السعي فيها ، ودخول العاصي

عليك مع الهرب منها ، وغلق باب اللجأ إلى الله تعالى وترك الدعاء في الأحوال انتهى .

(قلت) ينبغي للحازم العاقل الاستعداد للقاء الله بملزمة ذكر الله وإيمان طاعة الله خصوصا الاكثار من قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله مع تدبر معناهما وما اشتملتا عليه من مراتب الإسلام والإيمان والإحسان وذلك بالبحث والتطلع إلى تحقيق ذلك علماً ونظراً ومعرفة فقد قال جماعة من علماء الأمة وسلف الأمة لا بد للمؤمن في عقائده من البحث والنظر والوقوف على الأدلة حتى يرسخ إيمانه وتثبت عقائده بما عنده من البراهين عليها فلا يتزلزل عند سكرات الموت والاشراف على الفوت فيورثه ذلك حسن الخاتمة المطلوبة في دعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك ، ورسوخ العقيدة في القلب أصل كل خير وأهم كل أمر وعليه ينبنى كل الدين بأوامره ونواهيه وعباداته وعاداته والأذكار والطاعات ويحصل إخلاصها لوجه الله الكريم فيكون منه عليها الثواب العظيم والقبول الكريم ويتضاعف جزاؤها ونفعها في الدنيا والآخرة على حسب قوة اليقين ورسوخ العلم وصدق الإيمان فإذا قوى إيمان العبد صار كالجبل الراسي فلا يتحرك ولا يتزلزل عند هجمات البلايا وبفتات المصائب والرزايا ونزول المنايا فما أحوجه إلى ذلك خصوصا عند سكرات الموت وأهوالها وصدوماتها فإن السعادة التامة الحسنى إنما هي حسن الخاتمة بالحسنى فهنيئاً مريئاً وطوبى لمن أحسن الله خاتمته بالعمل الصالح وطوبى ثم طوبى لمن توفي وقبض روحه على الإيمان ويخبر بمن كان خاتمة عمره وآخر أمره التوبة النصوح الصادقة . فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فمن أحسن الله خاتمته وأصاح له عاقبه فهو السعيد يرجى له كل خير في الآخرة وتدركه كل نفاع وشفاعة في جميع أحواله ويتم الله عليه نعمته ويتعمده برحمته ويدخله جنته كما في الحديث الصحيح عن معاذ

رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال أي شيء تمام النعمة؟ فقال دعوة دعوت بها أرجو بها الخير فقال إن تمام النعمة دخول الجنة والفوز بالنجاة من النار الحديث بتمامه أخرجه الترمذي وقال سيدنا علي بن أبي طالب تمام النعمة الموت على الإسلام ، وقال سعيد ابن جبير لا تتم النعمة على المسلم إلا أن يدخل الجنة .

وفي حديث آخر عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « يبعث كل عبد على مامات عليه » فعليك ثم عليك بتصحيح إيمانك وتدارك ما فات من زمانك بحسب إمكانك بحسن التوبة وصلاح العمل والسريرة ، وضبط الأنفاس والسيرة ، فهذا هو الذي يورث حسن الخاتمة للمطوية وفقنا الله وإياكم لكل ما يحب ويرضى وختم لنا بحسن الخاتمة في عافية ورضا إنه ولي كل خير ودافع كل ضير .

فضل ملازمة الأوراد والأذكار

ومن أسباب حسن الخاتمة ملازمة الأوراد والأذكار الواردة عند كل فعل يفعله العبد من حين يستيقظ من نومه إلى حين رجوعه إليه ؛ قال العلماء ويستحب أن ينام على جنبه الأيمن مستقبلاً كالحاضر لأن النوم نوع من الوفاة فحق على العاقل أن يفتش عن قلبه عند نومه فإن رأى فيه خيراً شكر الله وإلا تاب واستغفر لثلاثيحتم له بسوء العياد بالله لأن المرء يموت على ما هو الغالب عليه ويبعث على ما يموت عليه ، قالوا فلا تنام إلا طاهراً الطهور الظاهر والباطن أما الظاهر فبالوضوء ففي الحديث النبوي من نام على طهارة ذاكر الله كتب مصلياً حتى يستيقظ ، وأما طهارة الباطن فهي أولى بالمراعاة وهي أن تنام تائباً من كل ذنب سليم القلب من كل غش لأحد من المسلمين فهذا أكبر العبادات وأهم المهارات .

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين قال له النبي صلى الله عليه

وسلم يطلع من هذا النج رجل هو أعبد أهل الأرض أو كما قال فلزم عبد الله الرجل في بيته مرئياً أن ينظر ما يفعل فرآه ليس بكثير قيام ولا صيام فسأله وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما هو إلا ما ترى غير أنى أبيت وليس في قاي غش لأحد من المسلمين فأقر له عبد الله بأنه أعبد أهل الأرض والحديث مشهور وهذا معناه ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن من مات وفي قلبه غش لأحد من المسلمين لم يرح رائحة الجنة .

وينبغي أن يعد عند رأسه سواكه وظهره وينوى قيام الليل ولو لحظة قبل الفجر مع ما قد تيسر بين المشائين فمن جمع بين هذين الوقتين ترجو أن يحسب من قوام الليل المثار إليهم بقوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) .

فضل تقصير الأمل

ومما يورث حسن الخاتمة تقصير الأمل لأن ذلك ينجر إلى تحسين العمل ، وقد قال بعض السلف من طال أمله ساء عمله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت أقرب غائب ينتظر ، وقال ينجو أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالحرص ، وطول الأمل ، وقال على كرم الله وجهه أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق . وأما طول الأمل فينسى الآخرة ومن نسى الآخرة لم يعمل لها ومن لم يعمل لها هدم إليها وهو مفلس من الأعمال الصالحة التي لانجاة ولا فوز في الآخرة يدونها ، وفي الحديث كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، ولما سئل صلوات الله وسلامه عليه من الأكياس من الناس ؟ قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً ، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ونعيم الآخرة .

ومن ذلك أن لا ينال إلا ووصيته مكتوبة إن كان يملك شيئاً مما يحتاج إلى الإيصال فيه خوفاً من موت الفجأة وموت الفجأة رحمة للمؤمن المستند للموت ونقمة للفاجر الناسى للقاء الله المعرض عن ذكر الله .

وليجهتهد أن يكون آخر ما يجري على لسانه وقلبه ذكر الله وأول ما يفتح به عند انتباهه ذكر الله فهو علامة السعادة والموت على الشهادة وحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى .

أدعية مباركة

ومن الأدعية المباركة التي تورث ملازمتها حسن الحال في السابقة وحسن المآل في اللاحقة . وهو أيضاً مما يدعى به ليلة النصف من شعبان التي يفرق فيها كل أمر حكيم وتكتب الآجال والأرزاق وغيرها من المقادير بتقدير العزيز العليم كما صحت بذلك الآيات والأخبار .

وهذا الدعاء نقله الشيخ أبو الخير الشرجي قال : وجد بخط الفقيه العالم الصانع أبي بكر بن أحمد دعسين رحمه الله تعالى قال : أُملى على الأخ الفقيه العلامة عبد الله بن أسعد اليافعي في طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة هذا الدعاء المبارك .

« اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطول والإنعام لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مقترأ على في الرزق فامح من أم الكتاب شقاوتي وحرمانى وإقتار رزقى ، وأثبتني عندك سميداً مرزوقاً موفقاً للخيرات ، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل ﴿ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ . »

وقد رأيت في بعض المؤلفات في فضائل الذكر لبعض العلماء العارفين

بالله أن أخوين في الله تصاحبا في الدنيا وتواصيا أنه من مات قبل أخيه يعلمه بحاله قال مات واحد منهما فرآه أخوه الحي في المنام فقال ما فعل الله بك فقال إني لما دخلت الموت غبت ولم أشعر به ولا بالفصل ولا بالتكفين ولا بالحد ولا الدفن إلا أنه لما رجعت روحي إلى جسدی لسؤال المالكين انتهت كالنائم إذا انتبه فقلت الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماننا وإليه النشور إلى آخر الدعاء والذكر المأثور عند الانتباه وجملت المسائل السواك ظنا مني أني في البيت وأن السواك عند رأسي فإذا أنا بأتين عندي جالسين فقالا ما تريد قلت أريد السواك فقالا وأين أنت قلت أليس أنا في البيت فقالا إنك في القبر وقد ثبتت الله بالقول الثابت وأجبنا من غير سؤال أو كما قال إلى آخر ما قال .

فليعلم ذلك الحريص على نيل السعادة بالموت على كلتي الشهادة ، وليلازم أداء ما افترض الله عليه من الصلاة والصيام والزكاة والحج وذكر الله فإنه أكبر الفرائض وذلك على كل حال ، وليكن مما يقوله عند النوم قبل أن يضع جنبه على فراشه باسمك اللهم أحيأ وأموت ويقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين ، ثم يقول تمامها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، ويقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مؤوى له ، وبقراءة قل هو الله أحد والمعوذتين وينفض في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما استطاع من جسده ويفعل ذلك ثلاث مرات ثم يضع جنبه ويقول باسمك ربى وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي ذنبي، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ويضطجع على شقه الأيمن كما تقدم ، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ويقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك ورغبة ورهبة إليك

لأملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبئك الذي أرسلت ، ويقول استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه « ثلاث مرات » .

وليحرص على أن يكون ملازماً تذكر الله تعالى حين يقابه النوم وإن استيقظ قبل أوان استيقاظه وأراد النوم فليقل ماروي في الصحيح عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفرأ من الليل (أى انتبه) فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له . فإن تواتر وصلى قبلت صلاته أخرجه الشيخان .

وفي كتاب الحقائق أخرج النسائي موقوفاً عن أبي هريرة رضي الله عنه من قال عند منامه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه قال خرّج ابن وهب في جامعه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لعبد الله بن مطيع إنه ليس من عبد مسلم يقول حين يستيقظ من نومه سبحان الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير إلا لقننها عند بعثه ولا يلقنها أحد عند بعثه إلا آمن من الفرع الأكبر فإذا استيقظ فايكن أول مايجرى على لسانه وقلبه ذكر الله تعالى فيقول أيضاً حينئذ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم إني استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ، رب زدني علماً ولا ترغ قلبي بعد

إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، الحمد لله الذي أحيانا
 بعدما أماتنا وإليه النشور ، أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله والمظنة والسامان
 والمزة والقدرة لله رب العالمين ، أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص
 وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم مسلماً وما كان من
 المشركين ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً
 ورسولاً ربنا آمناً بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وقرأ (إن
 في خلق السموات والأرض) إلى آخر سورة آل عمران .

ورأيت في بعض الآثار من قرأ الفاتحة وآية الكرسي وآمن الرسول مرة
 مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة أورثه الله حسن الخاتمة فليقرأها من
 يريد حسن الخاتمة ولو مرة في العمر فقد قال محي الدين النووي في كتاب
 الأذكار من بلفه شيء من فضائل الأعمال فليعمل به ولو مرة في عمره إلى
 آخر مقال .

ومن الأسباب التي تورث حسن الخاتمة بغير شك ولا مزية ولا جدال
 ولا فرية حسن الظن بالله تعالى كما ورد عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى أخرجه مسلم
 وأبو داود ، وفي أخرى للشيخين والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي زاد مسلم
 والترمذي وأنا معه إذا دعاني وفي رواية لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة
 أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حسن الظن بالله تعالى من
 حسن العبادة .

وفي شرح الحكم لابن عباد قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن
 مسعود يحلف بالله تعالى « ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى إلا أعطاه حسن الظن به »

فقد أعطاه ما يظنه لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له .

وفي الشرح المذكور روى عن أبي النضر قال خرجت عائداً لزيد ابن الأسود فلقيت وائلة بن الأسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما رأى وائلة بسط يده يشير إليه فأقبل وائلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الأسود بكفي وائلة حتى جعلها على وجهه فقال له وائلة أسألك عن شيء تخبرني به . قال لا أنساك عن شيء أعلمه إلا أخبرتك به قال وائلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن قال فأبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً وإن ظن بي شراً .

وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك فقال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فإن الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به . وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه أوثق الرجاء رجاء العبد بربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى .

ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي لا ينبغي للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والحن وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن لئلا يقع بنصيب ذلك في الجزع والسخط والحزن .

فصل محبة الأنبياء والاولياء والصالحين

ومما يورث حسن الخاتمة أيضاً وحسن القضاء ونيل الرضا فيما يأتي وما مضى حسن الظن وصدق العقيدة والمحبة الخالصة ظاهراً وباطناً وقابلاً وقالماً لأنبياء الله المرسلين وصحابتهم أجمعين وأوليائه المقربين والصالحين من المؤمنين

والعلماء العاملين من علماء الدين وعامة المسلمين فمن أحب قوماً كان معهم وإن لم يعمل بعملهم بهذا ورد الحديث الصحيح في صحيح البخارى .

وقال الجنيد بن محمد التصديق بملئنا هذا ولاية . وإذا فأتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها في غيرك . فإن لم يصبها وابل فطل .

وقال الشيخ سهل بن عبد الله التستري طوبى لمن عرف الحق وأهله فإنه يتدارك ما فرط منه فإن لم يتدارك كانوا له شقاء .

وقال رجل لأبي يزيد دلى على عمل اتقرب به إلى الله قال أحب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر في قلوبهم فلعلمه أن ينظر اسمك في قلبه وليه فيفقر لك .

وكان الإمام أحمد بن عمر الهندوان باعلوى يقول لأصحابه إذا وقفتم بين يدى الأولياء الأحياء والأموات لزيارة فأحضرونى فى قلوبكم فإنهم يرون ذلك يعنى فتحصل الفائدة .

وقال بعضهم ويبلغ المريد بنظر الشيخ ما لم يبلغه بعبادته واجتهاده ألف سنة .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب ما يقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد .

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله عبادة من نظر إلى أحدهم نظرة سعد سمادة لا يشقى بعدها أبداً .

وقال سيدنا الشيخ القطب أبو بكر بن سالم باعلوى هذا بنظر الناظر إليهم . وأما نظرهم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله مما لا يمكن تعبيره .

وقال بعضهم إن لله عبادة إذا نظروا إلى شخص أكسبوه السمادة ، وقال بعضهم لو علم الخلق ما لمن وقف بين يدى ولى الله لشدوا الرحال إليه حتى يتفقا بين يديه ولو مائة عام ، وقالوا من نظر النفلح كيف لا يفلح ، ويقال

إن جث العارفين كؤوس شراب المحبة .

قال في شرح الحكم فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فن
جلس على دكان عطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك
في الصحبة والمؤانسة .

وقال سيدنا القطب عبد الله العيدروس عليك بحسن الظن بالصالحين ومحبة
محب محب محبهم فهو من أعلى المراتب وأجل اللواهب ولصاحبه سابقة وعناية
وتخصيص وهداية قال وسوء الظن مذموم مطلقا .

وقال أيضاً عليك بحسن الظن في مواضع الصالحين وذرائعهم ولا تظن بنفسك
خيراً واعتقد في سائر المسلمين . عليك بحسن الظن في ذرائع الصالحين
ولو شطوا واحترمهم وعظمهم واستر عوراتهم .
وقال بعضهم عليك بحسن الظن فإنه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة
وكفى به سبباً لحصول السمادات ونيل الدرجات .

وقال الشيخ القطب محمد بن حسين البجلي رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقال وقوفك بين يدي ولي لله كلب شاة أو شيخ بيضة أفضل
من أن تعبد الله حتى تنقطع أرباً أرباً فقلت حياً كان أو ميتاً فقال حياً كان
أو ميتاً .

وقال بعضهم حسن الظن بالصالحين يورث حسن الخاتمة وقد لا تظهر
إلا عند الموت . وسوء الظن بهم يورث سوء الخاتمة فاحذروا أخي من الوقعة في
أهل الله فإنك بالوقعة فيهم تسقط من عين الله وتستحق المقت من الله إذ يقول
الله من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فمليك . بحجة أولياء الله وتماطى أسبابها
فهي كل الطلب وناهيك بها فهي الفضيحة لمن وقفه الله تعالى قال الله الكريم
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا . فالحبة لهم هي التصديق بعلوم مقامهم والقرب منهم والخدمة

لهم والمودة الكاملة وبذل النفس والمال في رضاهم وعند الحاجة تقرباً إلى الله الكريم بذلك وإليه أشار البوصيري بقوله :

وإذا سخر الإله أناساً لسميد فإنهم سميداء
وقال آخر

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام
وليس رزق التقى من فضل حيلته لكن جود وأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الزامي المجيد وقد يرمى ويحرزه من ليس بالرامي

فهذا أكبر سبب وأعظم وسيلة إلى حسن الخاتمة وحصول المنفعة منهم في هذه الدنيا بكفاية شرورها وفتنها ومحنها ، وعند الموت ومنكراته ، وفي القبر والحشر ، وعند جواز الصراط وغير ذلك كما بلغنا عن بعض سلفنا من السادة آل باعلوى أن بعض أصحابه لما توفي ودفن وأتاه الملكان ليألاه تلجأج وتكلم بغير ما ينبغي فحضر ذلك الشريف عنده وقال لهم إنه فرغ منكم وأبهت فقال الذي سمعتم ثم أقبل عليه وعرفه فلما رأى حبيبه عنده وسألاه من ربك أجابهما بما ينجليه .

وبلغنا عن بعضهم أنه قيل له فلان خادمك توفي فأطرق ساعة ثم قال إنه لم يمت فإني طفت اجنّة وقصورها فلم أجده فيها ولا يدخل خادمنا النار فجاء الخبر بعد أنه حيّ ثم وصل هو .

فإذا كانت محبتهم سبباً في تحصيل حسن الخاتمة فلا شك أن بفضلهم أعادنا الله وإياكم منه سبب في تحصيل سوء الخاتمة والشقاوة اللازمة . التي على القلب خاتمة . كما يشاهد ذلك عياناً فاللبف لأولياء الله والمعادى لهم مبغض ومعاد الله بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله أنه قال من عادى لي

ولياً فقد آذنته بالحرب رواه البخارى من جملة حديث طويل عن أبى هريرة
رضى الله عنه .

قال بعض العلماء ومعنى من عادى لى ولياً أخذ عداً فقد آذنته بالمد وفتح
الذال الممجمة بمدها نون (أى أعلمته بالحرب) أى أتى محارب له عن ذلك الولى
وحرب الله مهلكة بلا شك ، قال الولى : فيه وجهان أحدهما أنه من يتولى الله
رعايته وحفظه فلا يكله إلى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين .
والثانى أنه من يتولى عبادة الله وطاعته فيأتى بها على التوالى من غير أن يتخللها
فتور ولا عصيان ، وكلا الوجهين شرط فى ثبوت الولاية فمن شرط الولى أن
يكون محفوظاً كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً فكل من كان
للشرع اعتراض عليه فليس بولى بل هو مغرور مخدوع كذا ذكره الامام
أبو القاسم القشيرى .

ثم قال : قال الناكهاني من حاربه الله أهلكه . وقال غيره إيداء أولياء
الله علامة على سوء الخاتمة . كما كل الربا . فمن والى أولياء الله أكرمه الله .
ومن عاداهم أهلكه الله .

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى يقول من غض من ولئ الله عز وجل ضربه
الله فى قلبه بهم مسموم ولم يت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة .
وقال انياقى من عادى أولياء الله فكأنما عادى أنبياء الله وإن كان لا يبلغ حد
التكفير الموجب للخلود فى النار وروى نبي الله عن الله أنه سبحانه قال من أهان
لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ومعناه مخالفة أمر الله وارتكاب معاصيه فعلم بذلك
أن الوقعة فيهم تورث السلب .

وقال المشايخ العارفون : أقل عقوبة النكر على الصالحين أن يحرم بركتهم
ويخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله .

ونقلت من خط من نقل من خط الشيخ الكبير الحسين بن الفقيه العلامة عبد الله بلحاج بأفضل نفع الله بهما أنه قال : لا ينكر على الأولياء إلا ميت القلب ، ناقص العقل قليل العلم ، مدع راض عن نفسه ، أحمق جاهل مفرور غافل ، ضميم اليقين ، يابس جامد ، حشوى مبتدع ، أعى البصيرة ، مخسوف به ، مفتون ، هالك ، مبغوض عند الله وعند الناس ، لا يقبل الله قوله ولا يعمأ به ، ويخرج من الدنيا على غير الإسلام ، ويتلى بالذل والفقر في الدنيا ولآخرة أشد عذاباً وأبقى انتحى .

وقد حكى الإمام الياقنى في كتاب (أطراف عجائب الآيات والبراهين وأرداف حكايات روض الرياحين) عن الشيخ عبد الله أبى محمد بن أبى الحسن الحزومى بسنده للتصل أنه كان رجل من وجوه أهل سنجار كثير الوقعة في الأولياء الساتنين رضوان الله عليهم أجمعين ، فلما حضرته الوفاة جمل يتكلم بكل شيء إلا الشهادة ! فإذا قيل له : قل لا إله إلا الله ، يقول : لم يؤذن لى في ذلك ، فضج الناس وأتوا إلى الشيخ سويد السنجارى رضى الله عنه فأتاه وجلس عنده وأطرق طويلاً ، ثم قال له : قل لا إله إلا الله فهاها وكررها مراراً .

فقال الشيخ : إنه عوقب بتلك الوقعة في الأولياء الساتنين وإنى شفعت فيه ، فقيل لى : قد شفعتك فيه إن رضى عنه أولياؤنا السالفون فدخلت الحضرة الشريفة واستوهبت ذنبه من معروف الكرخى وسرى السقطى والجنيد والشبلى وأبى يزيد وغيرهم فانطلق لسانه بالشهادة . قال : فقال الرجل : إني كنت كلما أردت أن أتشهد وثب شيء أسود على لسانى ومنعنى النطق وقال لى : أنا وقيمتك في أولياء الله تعالى ثم جاء بعده نور يتلأأ فطرد ذلك السواد عنى وقال لى : أنا رضاء أولياء الله تعالى عنك وها أنا أنظر خيلاً من نور بين السماء والأرض قد ملأت الجو عليها ركباً من نور مطرقة رؤسهم هيبة يقولون : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، قال : وما زال ذلك الرجل يلهمج

لشهادتين حتى مات رحمه الله تعالى انتهى .

وقال أبو تراب النخشي رحمه الله من ألف الإعراض عن الله صعبته الوقيمة

في حق أولياء الله تعالى .

وروى عن حاتم الأصم عن جماعة من أهل العلم أن نبي الله جرجيس (من أنبياء بني إسرائيل) كان في زمانه ملك من ملوكهم وكان كثير الفساد ومِصراً على مظالم المباد ففتح الله عنه القطر حتى أشرف ومن معه على الهلاك فركب هذا الملك الظالم الكافر في عسكره حتى أتوا إلى باب النبي المذكور فوجدوه في صومعته بكثرة التسبيح والتعديس فقال : يا جرجيس إني أحملك رسالة إلى ربك تقول له يأتينا بالمطر وإلا آذيت أذية يسممها سائر البشر فما يسقينا المطر غيره ، فاستعظم جرجيس ذلك وسكت ! فنزل جبريل إليه وقال : ربك يقول لك أسأله بماذا تؤذيه ؟ فسأله فقال الملك : لا قدرة لي على أذيته إلا من وجه واحد لأنه قوى وأنا ضعيف ، وإنما أؤذي أحبائه ومن آذى أحبائه فقد آذاه ! فجاء جبريل فقال : يا جرجيس قل له لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ، ثم جادت السماء بالسحاب وامتلات الصحارى بالحيول وأمر الله الأرض فأنبئت نباتاً لم يعهده مثله .

فلما رآه الملك ركب إلى جرجيس وهو في صومعته يسبح ويقدم فخرج إليه وقال : يا هذا ما تريد منا لم لا تشتغل بملك عنا ؟ وخشى أن يحمله رسالة أخرى فيها فظاعة في المقالة ، فقال : يا نبي الله ما أتيت حرباً قد أتيت مسلماً وقد انفتح بصر الضعيف الأعشى فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه يجب أن تسجد الجباه لمظمته ، وإنني أريد المصالحة لتكون صفقتي رابحة ، فقد ظهرت لي الآن أسرار التوحيد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه .

فقد دل الحديث الإلهي والآثار كما هي أن عدو ولي الله تعالى عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه نعموذ بالله من الخذلان والحرمان .

ونقل الإمام الغزالي عن بعض العارفين أنه كان يقول : من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به والتسليم لأهله فانظر رحمك الله إلى عاقبة الأمرين من المحبة والبغض وتدبر ولا تقل مقالة أهل الحرمين قد خلا الزمان من أهل الولاية والبرهان ، فإن الكون بهم ملآن لكن السر التصديق والإيمان وإشراق نور العيان وذهاب الكدر والران فأني يرى الشمس العيان ، وقد قال قطب الزمان :

فيا حسرتي إن مت من قبل أن أرى وجوهاً عليها نور علم وحكمة
وأنشق من أرياحهم كل طيب ذكي تهيم الروح منه بشمة
واسمع منهم كل علم مقدس
وقفنا الله وإياكم لمحبتهم وأدخلنا في زميرتهم وجعلنا بفضلهم في جملتهم آمين .
وقد قال سيدى الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس علوى نفع الله به : ما قلت للناهل على أهل الزمان ولكنهم يأتون بأوعيتهم مخروقة انتهى .

أشياء تورث حسن الخاتمة

وعليك يا أخى بأربعة أشياء فإنها مما يورث حسن الخاتمة وثبات الإيمان عند الموت وضدها بضد ذلك وهى الشكر على الإسلام ، والخوف على ذهاب الإسلام ، وترك ظلم أهل الإسلام ، وترك عقوق الوالدين .
ومما يورث حسن الخاتمة والموت على الإسلام . المبادرة بكتابة الوصية لمن له مال أو شيء يقتضيها وذلك مع مجانية الحيف ، وأن يزيد بعض الوارثين على بعض فإنه بالعكس لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم تحضرها الوفاة فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة رضى الله عنه من بعد وصية إلى قوله غير مضار انتهى .

وقد تقدم هذا الحديث في الاحتجاج على أن حسن الخاتمة هو حسن السابقة .

خاتمة الخاتمة

نذكر فيها صفة الموت والبرزخ وما فيهما من الأحوال وتقلب الأحوال
لنتنظر حينئذ ما لديك وما عليك ثم يكون الأمر في ذلك إليك فإنك ميت كما
مات أبواك وأبوا أبويك والسبيل الذي سلكوه بين يديك ، نذكر ذلك على
سبيل الاختصار والاختصار تبصرة لأولى الأبصار ، ومن أراد تفصيل ذلك
والوقوف على جميع ما هنالك فعليه بكتاب ذكر الموت وما بعده من الأحياء
للإمام الغزالي ، وكتاب الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة له أيضاً ؛ فإنهما
من أحسن ما صنف في هذا الباب .

قال الشرحي : كان رجلان من العلماء مجتمعان على مطالعة الأحياء فمات
أحدهما فرآه الآخر في النوم فقال له : أخبرني بحال الموت ! فقال : يا أخي كما ذكر
الغزالي في كتابه الأحياء سواء من غير مخالفة انتهى ، من مقال الناصحين .

* * *

ثم نختم ذلك بحديث الشفاعة المشهور ونستغني به عن ذكر الموقف وقيام
الساعة ويكون به خاتمة الكتاب . وإلى الله المرجع والمآب . لا إله إلا هو عليه
توكلت وإليه متاب ، فنقول :

أما صفة الموت والبرزخ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ابن آدم
إذا استكمل رزقه واستوفى عمره وحضر أجله نزلت عليه أربعة أملاك وجذبوا
نفسه من بين يديه ورجليه وهو يظن من شدة ما يلقاه من الكرب أن السماء
انطابت على الأرض وهو بينهما وكأن في بطنه غصن شوك ، وجذبه من جوفه
رجل شديد القوة فتمطع ما قطع وأبقى ما أبقى فعند ذلك يرشح جبينه ويصفر
لونه ويعلم صدره وترتفع أضلاعه لعظيم ما يلقى من المشقة ، ثم يموت بدنه عضواً
بعد عضو ويلقى الموت كل عضو سكرة بعد سكرة حتى يبلغ روحه الخلقوم ،

فمعد ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويشاهد الآخرة وأهلها . ويفلق عنه باب التوبة وتعرض عليه أنواع الفتنة في دينه ويحضره إبليس وجنوده لعنهم الله تعالى ويمثلون له في صورة من يعرفهم عن مات قبله من أصدقائه ويقولون له : يا فلان مت إما يهودياً أو نصرانياً فإنه الدين المقبول عند الله ، فمعد ذلك يزيغ الله من أراد زيفه ويثبت الله من أراد تثبيتته فإن كان إيمانه قوياً وطاعته غالبية عليه حضرته ملائكة الرحمة وطردت عنه الشياطين وإن كان إيمانه ضعيفاً وكان مضيقاً للطاعات ، كثير المعاصي ، غلب عليه إبليس وجنوده ؛ فإن أغووه عن دين الإسلام ومات على الكفر استحق الخلود في النار إلا من رحمه الله تعالى .

وقالوا : وأكثر من يزيغ عن دين الإسلام عند الموت تارك الصلاة ومدمن شرب الخمر والكأس وقاتل النفس والزاني بساء جيرانه ومن مات مصرأً على معصية من غير توبة نسأل الله العافية .

فإذا قبض ملك الموت النفس فإن كانت سعيدة ناولها إلى أعوانه حسان الوجوه ولها رائحة طيبة من طيب أعماله الصالحة فيمرجون بها إلى السماء السابعة أسرع من البرق الخاطف ، وكلما مروا على أهل سماء قالوا مرحبا بكم وبمن معكم نعم العبد فلان ويثنون عليه بما كان يصعد إليهم من صلاته وصدقاته وصيامه وذكره وتلاوته وغير ذلك حتى ينتهي به الأعوان إلى بين يدي الله تعالى فيمات به ربه ببعض المفوات التي لم يطلع عليها إلا الله سبحانه حتى يظن العبد أنه هالك فيرحمه ربه ويقول : لا تخف يا عبيد سترتها عليك في الدنيا بحلى فأنا أغفرها لك بكرمى ، ثم يأمر الأعوان بردها — يعنى الروح إلى الجسد — .

وإن كانت النفس شقية ناولها الملك إلى زبانية قباح الوجوه غلاظ شداد فيصعدون بها ولها رائحة خبيثة من خبث أعمالها القبيحة ، فإذا قرعوا باب سماء

الدنيا قالت لهم خزتها : لا أهلا ولا سهلا يفلان كئنا نلغنه وهو يشى على الأرض فكيف تفتح له باب السماء . وقاطع الصلاة ترده الصلاة وتقول ضيمك الله كما ضيمتنى ولو حفظتنى لحفظك الله . وقاطع الرحم ترده الرحم وتقول : قطمك الله كما قطعتنى ولو وصلتني لوصلك الله ، وهكذا كل من غلبت عليه خصلة قبيحة ومات على غير توبة منها خشى عليه أن تحجبه عن رحمة الله تعالى .

فإذا سمعت الزبانية ما قيل له طرحوه من أيديهم ولعنوه فيخر من السماء وتهوى الروح حتى تعود إلى جسده الخبيث ، فإذا عادت النفس إلى الجسد وأدرج الميت في الكفن صارت نفسه ملتصقة بصدرة وهي تصيح بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلين الإنس والجن ، فإن كانت سميدة قالت : أسرعوا بى إلى جنة ورضوان . ورب غير غضبان . يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ، وإن كانت شقية قالت : رويداً رويداً إلى أى عذاب تحملونى ، لو علمتم ما حملتمونى إليه فإذا فرغوا من دفنه انضم عليه القبر ضمة شديدة تتداخل منها عظامه وقل من يسلّم من هذه الضفطة . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضفطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ وقد اهتز لموته عرش الرحمن » . ثم يدخل عليه منكر ونكير وما ملكان أسودان ، كلاهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ، بيد كل منهما مقمعة من حديد لو ضرب بها الجبل لهدّه فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فمن ثبته الله قال : الله ربى والإسلام دينى ومحمد نبيى ، فيقول أحدهما للآخر : صدق وقد كنى شرنا ، ثم يوسع الله عليه قبره ويصير له التراب كالساء حينما تحرك انفسح ويفتح له باب إلى الجنة فيرى منزله فيها ويأتيه من روحها وطيبها ويتصور له عمله الصالح فى أحسن صورة ولا يزال معه يحدثه ويؤنسه إلى يوم القيامة ويكون قبره روضة من رياض الجنة ، وأما الشقى فإذا سالاه منكر ونكير عن ربه ودينه

(٢٠ - انظر طاس)

ونبيه ذهب عقله من الفزع فيقول لا أدري وإن كان يعبد الشيطان قال ربه الشيطان فيضريانه ضربة يشتمل بها عليه قبره ناراً إلى يوم القيامة ويفتح له باب إلى جهنم ويرى مقعده فيها ثم يأتيه عمله السوء في أقبح صورة فالظالم يتمثل له عمله حية عظيمة تنهشه إلى يوم القيامة . والنمام يتمثل له عمله عقرباً عظيمة تلدغه إلى يوم القيامة . والمفتاب يتمثل له عمله كلباً يعقره إلى يوم القيامة إلى غير ذلك من الصور القبيحة المشابهة لما كان فيه من الطباع القبيحة . وقاتل النفس لا يزال سكّينه يبله يقتل نفسه قتلة بعد قتلة إلى يوم القيامة ويكون قبره حفرة من حفر النار ويوم القيامة يصير إلى أشد العذاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجي منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه . وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا رأى قبراً تمثل بهذا البيت :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجياً

وإن الميت إذا وضع في قبره حضرته أعماله الصالحة فإن جاءه العذاب من جهة رأسه رده القرآن وإن أتاه من جهة رجله رده الصلاة وإن جاءه من جهة يديه رده الصدقة فيدافعون عنه كما يدافع عن الإنسان إخوانه فيقول له ملائكة العذاب نعم الأعوان الذين ادخرتهم لنفسك ولولم تقدم الخير لحل بك العذاب ، قال بعض الصالحين رأيت بعض إخوانى فى الله بعد موته فقال إني الآن أقول الحمد لله أو غيرها من ذكر الله أو أن أصلى ركعتين أحب إلى من الدنيا وما فيها فانا لا نقدر على العمل وأنتم تقدرون عليه ولا تعملون .

حديث الشفاعة

وأما حديث الشفاعة فهى المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم المشار إليه بقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)

وهو ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة فقلتم إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقال أناسيد ولد آدم يوم القيامة هل تدرون فيم ذاك، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الفم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه ألا تنظرون إلى من يتشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك جنة. ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما لتينا فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني نهاني عن الشجرة فعصيت «نفسى نفسى» اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ثم يطلبون منه الشفاعة في فصل القضاء بينهم فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي «نفسى نفسى» اذهبوا إلى غيرى دعوت دعوة أغرقت بها أهل الأرض وإني استحي من الله أن أسأله في مثل هذا ولكن انطلقوا إلى إبراهيم خليل الرحمن هو سماكم للمسلمين من قبل قلعه أن يشفع لكم . فيتشاورون فيما بينهم قدر أنف عام ، ثم يأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام . فيقولون يا إبراهيم يا أبا المسلمين الذى اتخذك الله خليلا فاشفع لنا إلى الله تعالى بفصل القضاء فيما بين الخليفة فيقول لهم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت في الإسلام ثلاث كذبات جادلت بهن عن دين الله تعالى فأنا استحي من الله تعالى أن أسأله الشفاعة في مثل هذا المقام . ولكن اذهبوا إلى موسى عليه السلام فإن الله تعالى اتخذك كليا وقربه نجيا

فصلى أن يشفع لكم فيتشاورون بينهم ألف عام والحال يزداد شدة والموقف
يفض بأهله فيأتون موسى عليه السلام فيقولون له يا موسى بن عمران أنت الذى
اتخذك الله كلياً وقربك نبياً وأنزل عليك التوراة فاشفع لنا إلى ربك فى فصل
القضاء فقد طال المقام واشتد الزحام وتزلزلت الأقدام وتأذى أهل الكفر
والإسلام من طول المقام فيقول لهم موسى عليه السلام إني سألت الله تعالى أن
يأخذ آل فرعون بالسنين وأن يجعلهم مثلاً للآخرين فأنا أستحي من الله تعالى
أن أسأله الشفاعة فى مثل هذا المقام مع أسباب جرت بينى وبينه فى المناجاة
يلوح منها تعريض الهلاك إلا أنه ذو رحمة واسعة وذب غفور . ولكن اذهبوا
إلى عيسى عليه السلام فإنه أصح الرسل يقيناً وأكثرهم معرفة بالله تعالى وأشدهم
زهدياً وأبلغهم حكمة فقله أن يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم قدر ألف عام والحال
يزداد شدة والموقف يزداد تضيقاً . فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون أنت
روح الله و كلمته وأنت الذى سماك الله وجيهاً فى الدنيا والآخرة أشفع لنا إلى ربك
فى فصل القضاء فيقول لهم إني اتخذت وأمى إلهين من دون الله فكيف أشفع
عند من عبدت معه وسميت له ابناً وسمى لى أباً . ولكن أرايتم لو كان لأحدكم
كيس فيه نفقة وعليه خاتم أيقدر أن يبلغ إلى ما فى الكيس حتى يفض الخاتم
قالوا نعم فقال ألا اذهبوا إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين أخى الرب فإنه
آخر دعوته شفاعاً لأمة صلى الله عليه وسلم وأكثر ما آذاه قومه حتى شجوا
جبينه وكسروا رباعيته وبالقوا فى أذيته فإنه لأحسنهم نخاراً وأكثرهم شرفاً
وهو يقول كما يقول الصديق لآخوته لا تثرىب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين وجعل يتلو عليهم من فضائله صلى الله عليه وسلم ما لم تحصره
آذانهم حتى امتلأت قلوبهم حرصاً على الذهاب إليه حتى أتوا منبره صلى الله
عليه وسلم وقالوا أنت حبيب الله والحبيب أوجه الوسائط أشفع لنا إلى الله تعالى
فقد ذهبنا إلى أبينا آدم فأحالنا على نوح وذهبنا إلى نوح فأحالنا على إبراهيم

وذهبنا إلى إبراهيم فأحالتنا على موسى وذهبنا إلى موسى فأحالتنا على عيسى
وذهبنا إلى عيسى فأحالتنا عليك وليس بعدك مطلب ولا عنك مهرب فيقول
صلى الله عليه وسلم (أنا لها) حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ثم ينطلق إلى
سرادقات الجلال فيستأذن فيؤذن له ثم يرفع الحجاب ويلج العرش ويحضر
ساجداً يركع في سجوده ماشاء الله تعالى يحمد الله تعالى بمحامد ما حمده بها
أحد قط .

قال بعض العارفين إن تلك المحامد هي التي أثنى الله تعالى بها على نفسه يوم
فراغه من خلقه فيتحرك له العرش تعظيماً وفي رواية فيأتونى فيقولون يا محمد أنت
رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق حتى أتى تحت العرش فثقع ساجداً
لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتح على أحد ، ثم
يقال لى : يا محمد أرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول أمتى
يا رب أمتى يا رب فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب
الأول من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده إن ما بين للصراعين من مصاريع الجنة كما بين
مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفي رواية البخارى فأخرجهم من النار وأدخلهم
الجنة حتى ما يبقى فى النار إلا من جبهه القرآن أى وجب عليه الخلود ثم تلا هذه
الآية عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، قال وهذا المقام الحمود الذى وعد
نبيكم صلى الله عليه وسلم . وفي رواية للبخارى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك
فذكر حديث الشفاعة بمعناه . وقال فاستأذن على ربى فيؤذن لى ويلهمنى محامد
أحمده بها لا تحضرنى الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً ، فيقال يا محمد
أرفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول رب أمتى فيقال انطلق
فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان فانطلق فافعل ثم أعود

فأحمده بتلك الحمد ثم أخرج له ساجداً فذكر مثله قال فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فانطلق فأقبل ثم أعود فأحمده بتلك الحمد ثم أخرج له ساجداً فذكر مثله ثم يقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فانطلق فأقبل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك الحمد ثم أخرج له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسمع وتطمع وأسمع تشفع فأقول يارب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله انتهي الحديث العظيم . الذي احتوى على غاية التعظيم ونهاية التكريم لنبينا الخصوص بالخلق العظيم والخلق الوسيم . والمنصب الفخيم . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأمة أفضل الصلاة والتسليم .

تكميل وتتميم

نقل الشيخ عبد الوهاب الشعراني في المبحث السبعين من اليواقيت عن الشيخ محيي الدين بن عربي أنه قال إنما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع ولا فخر شفقة علينا لنستريح من التعب فلانظاب الشفاعة من غيره . وقال في آخر الحديث ولا فخر أي لا أفخر بكوني سيد ولد آدم وإنما قصدت بذلك إراحتكم من التعب يوم القيامة وجنوسكم مكانكم حتى يرجع الكلام في الشفاعة إلى . ثم قال فما زكي صلى الله عليه وسلم نفسه إلا لفرض صحيح وكذلك تركية جميع الأئمة لأنفسهم لا تكون إلا لفرض صحيح فأنهم منزهون عن رؤية فخر أنفسهم على أحد من خاق الله بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ العبد مقام الكمال حتى يرى نفسه أنها ليست بأهل أن تنالها رحمة الله .

ونقل أيضاً عن الشيخ ابن عربي أنه قال وأعلم أن الشفاعة الأولى لنبينا

محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع
أن يشفع .

شفاعاته صلى الله عليه وسلم

ثم قال الشعراني في اليواقيت في مبحث الشفاعة قال الجلال السيوطي
وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات (أولها وأعظمها) شفاعة
صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق وراحتهم من طول ذلك الموقف
وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم (ثانيها) في ادخال قوم الجنة بغير حساب .
قال النووي وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقالوا لم يرد في ذلك شيء . وكان
الشيخ محيي الدين يقول في معنى أن قوماً يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد
أنه لم يكن في حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبداً لشهودهم قبيح
زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضاً (ثالثها) فيمن استحق دخول النار
أن لا يدخلها . وتردد النووي في كون هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم . قال
السبكي لأنه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا بإثباته (رابعها) في إخراج من أدخل النار
من المؤمنين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتختل طبقاتها منهم وبنيت فيها الجرجير
كما ورد . وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الأنبياء والملائكة
والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلاً فقال إن كانت هذه الشفاعة
لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فعلى خاصة به ليست لأحد من الأنبياء
والملائكة والمؤمنين وإن كانت لفرد من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره .
(خامسها) في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وجوز الإمام النووي رحمه الله
اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم . (سادسها) في جماعة من صلحاء أمته
ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى .

(سابعها) فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعاً بين هذه وبين قوله تعالى : لا يُفْتَرَعْنِمْ كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثوبية حين بشرته به . ثم قال الجلال السيوطي ولا يزد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعته في المؤمنين وفي البرزخ وكلامنا إنما هو في شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولنفيهم على وجه التخفيف فقط كما مر . (ثامنها) في أطفال المشركين أن لا يعذبوا ، وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه .

* * *

ثم الكتاب بحمد الله الثواب الكريم الوهاب ، رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزّل الكتاب ومخرج النورية من الأصلاب وضامن الرزق لجميع الناس والدواب . ونرجو من فيض فضله ومنه وكرمه أن يجزينا جزيل الثواب لنا ولوالدينا وأولادنا وذوي الأنساب والأحساب ، والضنائن والمعارف واللائذين والأولاد والأصهار والأنصار والأحباب ومن يواصلنا بالخير في الله بأي سبب من الأسباب . وأن يوفقنا لإصابة الصواب وأن يجعل جحنا . لهذا الكتاب خالصاً لوجهه تعالى مخلصاً مما شان وشاب ، مخاصاً من مناقشة الحساب ، منجياً من أليم العذاب والعقاب بحق محمد الذي بلغ أدنى من قاب ، المشرّف بالتكريم والخطاب ، المفضل على سائر الأحياء المتقدم على كل نبي أوّاب وآله الأطياب ، وصحبه الأنجاء ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الحساب .

* * *

قال المؤلف المتخلف عن بلوغ شأوالمعالي وسفوك مالكها الصعاب فرغت

محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع
أن يشفع .

شفاعاته صلى الله عليه وسلم

ثم قال الشعرائي في اليواقيت في مبحث الشفاعة قال الجلال السيوطي
وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات (أولها وأعظمها) شفاعة
صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق وراحتهم من طول ذلك الموقف
وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم (ثانيها) في ادخال قوم الجنة بغير حساب .
قال النووي وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقالوا لم يرد في ذلك شيء . وكان
الشيخ محيي الدين يقول في معنى أن قومًا يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد
أنه لم يكن في حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبدًا لشهودهم قبيح
زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضاً (ثالثها) فيمن استحق دخول النار
أن لا يدخلها . وتردد النووي في كون هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم . قال
السبكي لأنه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا بإثباته (رابعها) في إخراج من أدخل النار
من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتختل طبقاتهم وينبت فيها الجرجير
كما ورد . وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الأنبياء والملائكة
والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلاً فقال إن كانت هذه الشفاعة
لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فهي خاصة به ليست لأحد من الأنبياء
والملائكة والمؤمنين وإن كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره .
(خامسها) في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وجوز الإمام النووي رحمه الله
اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم . (سادسها) في جماعة من صلحاء أمته
ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في المروءة الوثقى .

(سابعها) فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعاً بين هذه وبين قوله تعالى : لا يُقْتَرُ عنهم كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعناقه ثوبية حين بشرته به . ثم قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعته في المؤمنين وفي البرزخ وكلامنا إنما هو في شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر . (ثامنها) في أطفال المشركين أن لا يذبوا ، وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه .

* * *

تم الكتاب بحمد الله التواب الكريم الوهاب ، رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزل الكتاب ومخرج التدبير من الأصلاب وضامن الرزق لجميع الناس والدواب . ونرجو من فيض فضله ومنه وكرمه أن يحزينا جزيل الثواب لنا ولوالدينا وأولادنا وذوي الأنساب والأحساب ، والضائت والمعارف واللائذين والأولاد والأصهار والأنصار والأصحاب ومن يواصلنا بخير في الله بنى سبب من الأسباب . وأن يوفقنا لاصابة الصواب وأن يجعل جمعنا لهذا الكتاب خالصاً لموجهه نقياً مخلصاً مما شان وشاب ، مخاصاً من مناقشة الحساب ، منجياً من أليم العذاب والعتاب بحق محمد الذي بلغ أدنى من قاب ، المشرّف بالتكريم والخطاب ، المتفضل على سائر الأحياء المتقدم على كل نبي أوّاب وآله الأطياب ، وصحبه الأنجاء ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الحساب .

* * *

قال المؤلف المتخلف عن بلوغ شؤله إلى سنوك ماله الصواب فرغت

من تحصيله يوم الأحد سابع عشر شوال سنة ٥٤٤ أربع وخمسين ومائة وألف من الهجرة وذلك بغير اعتماد ولا استحباب ولا مفرقة كاملة لدخول هذه الأبواب مع استغراق تام بعام من الأشقاب .

وأنا أرغب إلى كل من وقف عليه من العلماء العارفين أولى الألباب ، في إصلاح ما رأى فيه من خلل أو خراب وهو على ذلك مشكور مذكور مثاب ، وأن يدعو لي بدعوة صالحة بظهر الغيب فإنه مستجاب . وإن الله يقبل دعاء المؤمن لأخيه خصوصاً إذا غاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ليس له حد ولا حساب .

* * *

ولنختم كلامنا بما ختم به إمامنا الفزالي كتابه الاحياء الذي قل القليل من أمثاله تفاؤلاً بقاله وتبركاً بزأكى مقاله واستمداداً لفيض أفضاله ونرجو من فضل مولانا وجزيل نواله أن يشملنا ويصلحنا ويقبلنا بحق محمد وآله وأن يلحقنا بذلك الشيخ في أقواله وأعماله ، ويلبسنا من جلى جماله وجلى كماله وجميع أحواله وما ذلك على الله بمرز فقول كما قال رضى الله عنه .

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ، ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة من دين الله مع التقصير فيه ، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستغناها على معصيته ، ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى تصنع وترين فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولئن طالع فى كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يكرم بالمغفرة والرحمة والتجارية - جميع السيئات ظاهراً وباطناً فإن انكرم

عظيم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق قاتر ونحن خاق من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه انتهى .

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وحسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، حسبنا الله سيوفينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وسلام على المرسلين وعلى عباده الصالحين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين آمين اللهم آمين .

تم نقله بحمد الله وعونه في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٥٩ هجرية بالجهة الشرقية الجاوية . بقلم الفقير إلى عفو مولاه الكريم سالم بن محمد بن عبد الله بن محسن بن سالم بن أبي بكر بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن عمر العطاس عفر الله له ونوالديه وجميع المسلمين ولين قال آمين آمين .

(تنبيه)

ذكر في صحيفة ٢١٥ كلمة « الفصل الرابع » وصحتها « الفصل الثالث » .

منحة الفتاح ورقية الارواح

للامام أبي المعارف قدرة السالكين

سيدى أحمد بن شرقاوى الخلوٲى المتوفى سنة ١٣١٦ هـ بالصعيد رضى الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

| | |
|-----------------------------|---|
| يا نفس كفى عن سوى مولاك | وابقى حماه فالتوى أرداك ^(١) |
| يا نفس ضاع العمر فى مرضاتك | يا نفس بُعدى صار من لذاتك |
| يا نفس رمت الخلد فى القطيعة | يا نفس فارقت الصفا جميعه ^(٢) |
| يا نفس سقتنى إلى حرمانى | من خمرة التقديس والمعانى ^(٣) |
| يا نفس تبغين سنا التدانى | وتشغلين القلب بالأكوان ^(٤) |
| يا نفس أصاحت الحياء الفانى | وتتركين القلب فى الهوان ^(٥) |
| يا نفس حب الفير قد أرضاك | هل يشتقى بالسلم والهلاك |
| يا نفس بعث القرب من إلهك | بشمن بنحس حقير هالك |
| يا نفس كيف السير فى السالك | ومشهد الأغيار ليل حالك ^(٦) |
| يا نفس طال البعد والتناى | ونجم قربى غب من سمانى ^(٧) |
| يا نفس غضى الطرف عن هواك | فبمدك قد زاد فى ارتبساكى ^(٨) |
| يا نفس سقت القلب للمهالك | حتى تناءى عن شهود السالك |

(١) اخفى فى الأصل : موضع فيه كلاً يحصى من الناس أن يعرف . وحى الله : مخارجه . أرداك : أهلك .

(٢) الخلد : البقاء الدائم .

(٣) التقديس : التطهير .

(٤) تبغين : تطلين ، السنا : الضوء والإشراق . الأكوان : استكونات وهى العلوم كبرى

(٥) الحياء : الوجه . والمراد هنا ما ظهر من الإنسان بقرينة مقابلته بالقلب . الهوان : القلة

(٦) حالك : شديد الظلمة .

(٧) التناى : التباعد .

(٨) غضى الطرف : حفضه . الارتباك : الاختلاط والاضطراب ، يقال ارتبك : اختلط

عليه أمره . وارتبك الصيد فى الحباله : اضطرب .

يانفس شغلي بالسوى دهاني وميل قلبي للورى أعياني^(١)
 يانفس فارقت حنى الفغار وقد شكوت فرقة الأغيار
 يانفس رمت الخلق باشتياق وتغفلين عن شهود الباقي
 يانفس كم تسعين فى هلاكى يانفس يكفى فالعنا أذاك^(٢)
 يانفس نوحى فالقلى وافاك وكيف لا وخصنك مولاك^(٣)
 يانفس فابكى مذبدا عماك لما جليس العز قد قلاك
 يانفس رمت بعد من سواك فما جدير باللبلا سواك^(٤)
 يانفس توبى وأفردى ذا الجود بأحب والأغيار بالشرو^(٥)
 يانفس روى حضرة الخلاق وانف الورى عن رؤية الأحداق
 يانفس حودى عنك تشهديه ورونى الأسرار تنظريه^(٦)
 يانفس روى حالك الأصليا وحاولى مشهودك القيليا^(٧)
 يانفس رضى وادخلنى فى الحان لتظفرى باتقرب والتهانى^(٨)
 يانفس راعى سيد السادات فى سائر الأحوال والأوقات
 صلى عليه الله ذو الجلال ماحن مشتاق إلى الوصال
 وآله وسائر الإصحاب من سارعوا فى الحق والصواب^(٩)

- (١) دهانى: أصابى بذهابية، وهى الأمر العظيم. أعيانى: أعجزنى.
 (٢) العنا - مقصور العناء - : أى الخضوع والذل. أو البسطة.
 (٣) نوحى: من النوح وهو البكاء. القلى: البغى.
 (٤) رمت: طلبت. سواك: خلقك فى أحسن تقويم. اللبلا - بفتح الباء - مقصور اللاء - بمعنى النعم والحزن، أو بمعنى الهلاك.
 (٥) الشرو: التفار والهرب.
 (٦) حودى عنك: انصرف عن ذاك وافى عنه. من حاد عن شيء يحد - كعبود: إذا مال عنه ويعد. الرونى: الحسن وجمال النظر.
 (٧) حالك الأصليا: السابق على عهد انقاسك فى عوائق الشهود، وحاولى التقرب من مشهودك القبل: هو الله تعالى، حين أشهدنا على ربوبيته يوم « أنت بربكم » وهى فى عالم الدر فشهدت مقرة بها.
 (٨) ادخلنى فى الحان: اسكنى مقام شهود الحضرة.
 (٩) سارعوا فى الحق: اجتهدوا فى نصرته وبأبيده والمحافظة عليه؛ وانضمبه هذا المعنى عداه بنى أ ه من إتحاف الزوائد.
 ثم هذا التعليق الموجز فى سبعة يوم الثلاث، ١٨ من المحرم سنة ١٣٨٠ هـ ١٢ يولية سنة ١٩٦٠ و الحمد لله رب العالمين. بيد كاتبه حسين محمد مخلوف عن عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه قصيدة روحية رائعة

لمولانا الأستاذ العارف بالله (الشيخ أحمد أبي الوفاء الشرقاوى)

المتوفى آخر ذى الحجة سنة ١٣٨٠ هـ طيب الله ثراه

| | |
|--------------------------------------|--------------------------------|
| (ا) أباحوا الوصل واطَّرحوا اللثاما | وساقى الكأس دار بها مُداما |
| ب) بَرُوقَ جمالم لمعت لمينى | فأورثنى تجليها اصطالاما |
| ت) تبدى فى مَرايا القلب سر | لهم عن عُـيـرنا عزَّ اكـتـامـا |
| ث) ثملت براحة التقريب لكن | كسنتى حلة الصحو احتشاما |
| ج) جلت أسرارهم عن عين قلبي | حجاب ظلامه فصفا وهاما |
| ح) حبونى وصلهم فعدلت حظا | كما أهوى وبلغت النراما |

* * *

| | |
|------------------------------------|----------------------------|
| خ) خففت جناح نفسى فاطمأنت | وكنـت أذيقها قبل الحاما |
| د) دنوت بها إلى حضرات قدس | يعز سناوهمـا عن أن يراما |
| ذ) ذكت عرقاً وطاب لنا شذاها | وأروى صيرفها منـا الأواما |
| ر) رقى لرفيع رتبتهـا هـام | له فى الصـدق شأو لا يسامى |
| ز) زمام وجوده يلقى إليهم | ونار فتواده تذكو ضراما |
| س) سرى عن جملة الأغيار طرا | وفى سفح الحمى ضرب الخياما |
| ش) شمس وصلهم فى أفق سرى | بدت فجات عن الحسن الظلاما |
| ص) صفت فى الخلل أدنان التـدانى | فشمت رحيقها بدرأ تـمـامـا |
| ض) ضفت خيـمـة الرعاية من لـدـنـهم | على من جدَّ فى السرى وقاما |
| ط) طربت وانعشتنى ساجعات | تنادى من لـشـف الكأس راما |

ظ (ظلمت وقد شربت بكل كأس
ع) على متن العناية كان سيري
غ) غضضت عن السوى طرفي فأمسى
وهل تروى السلافة مستهما
إليهم جاعلا عزمي حساما
خطور سواهم عندي حراما

* * *

ف) فيوض عطائهم تنهل دوما
ق) قطوف الحضرة العلياء تدنو
ك) كسته ثياب إجلال وعز
ل) لوى عن نشأته عنان روح
م) مدام الوصل ريحاني وروحي
ن) نداؤهم هديت به وكانت
ه) هواتف حضرة المحبوب تدعو
و) ولاء قلوبهم يرق إليهم
لا) لآلئ فضلهم نظمت عقوداً
ي) يروم متمم الأحشاء منكم
وصل وسلمن ربى على من
على من أمهم تهيم انسجاما
إليه وقد جفا فيها للناس
ونادت يا حبيبي زدهياما
إليها سائراً يرعى الدماما
حيث به ومت به غراما
تحيتهم لتأقلا سلاما
أحببها إلى مغني تسامى
بهم وجفانه حسنت مقامها
لمن خطب الدنواهم وساما
كثوساً مسكها يحلو ختامها
ختمت ببعثه الرسل الكراما

٥٨

٥٩

٦٠

٦١

٦٢

٦٣

٦٤

٦٥

٦٦

٦٧

٦٨

مباحث الجزء الثاني من القرطاس

| ص | ص |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| ٧٤ فضيلة التكبير | ٢ الخطبة |
| ٧٦ التكبير في الاذان والاقامة | ٤ الذكر الثامن وشرحه |
| ٧٧ كلام عياض في الاذان | ٨ تفسير التسييح |
| ٧٩ معنى التكبير | ١١ تأمل واستدلال على القدرة الإلهية |
| ٨٠ قصة غريبة | ١٤ فوائد أربع |
| ٨٢ الذكر الحادي عشر وشرحه | ١٦ خاتمة |
| ٨٤ ما قيل في معنى اللطف واللطيف | ١٧ الذكر التاسع وشرحه |
| ٨٧ قصة فيها حكمة | ٣١ تسييحات مخصوصات |
| ٨٨ حكمة ونصيحة | ٣٤ فائدة في فضل التسييح |
| ٨٨ عود إلى الكلام في اللطف | ٣٧ الذكر العاشر وشرحه |
| ٩٠ حكاية فيها عبرة | ٣٨ الباقيات الصالحات وفضلها |
| ٩٢ فضل هذا الذكر | ٤٩ تفسير المقاليد |
| ٩٤ حكاية أخرى طريفة | ٥٠ تسييحات أبي المعتمر |
| ٩٥ فوائد | ٥١ صلاة الحاجة |
| ٩٧ الذكر الثاني عشر وشرحه | ٥٢ صلاة التسييح |
| ٩٩ قصة عجيبة | ٥٥ الدعاء بعدها |
| ١٠١ الذكر الثالث عشر وشرحه | ٥٥ المسبقات العشر وفضلها |
| ١٠٤ الفصل الأول في فضائل كلمة الذكر | ٥٧ عود إلى الباقيات الصالحات |
| ١٢٦ موافقات عجيبة | ٥٨ كلام اتقزالي في انباقيات الصالحات |
| ١٢٨ حكاية فيها حث على الإيمان | ٥٩ ما اندرج تحت الباقيات الصالحات |
| ١٢٨ حكاية في فضل الاذان النخ | ٦٠ فضيلة الجود والشكر |
| ١٢٩ تلقين الميت في قبره | ٦٨ خاتمة في الشكر ومعناه |
| ١٣٠ سؤالات القبر | ٧٠ معنى الحمد والشكر والندح |